الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع

تاريخ اليمن في الإسلام

في القرون الأربعة الهجرية الأولى

الطبعة الثامنة

الطبعة الثامنة

تاريخ اليمن في الإسلام

في القرون الأربعة الهجرية الأولى

الأستاذ الدكتور

عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع

الطبعة الثامنة المزيدة والمنقحة

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م

*الكتاب : **تاريخ اليمن في الإسلام**

في القرون الأربعة الهجرية الأولى

* **المؤلف** : الأستاذ الدكتور / عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع

***الطبعة** : الثامنة المزيدة والمنقحة

***التنضيد الإلكتروني** : م. أحمد الشجاع – بإشراف المؤلف

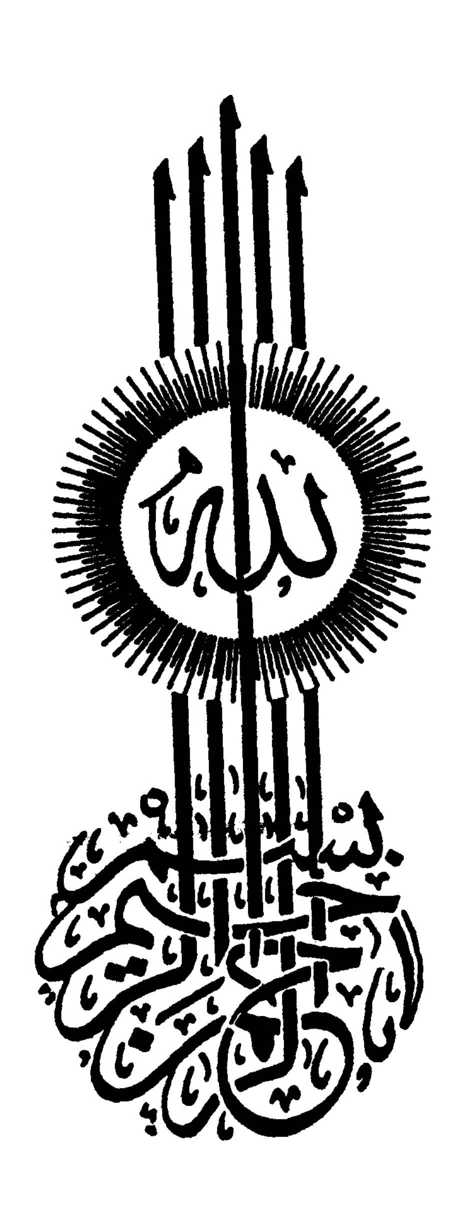
الطبعة الأولى	**١٤١٧هـ/١٩٩٦م**
الطبعة الثانية	**١٤١٩هـ/١٩٩٨م**
الطبعة الثالثة	**١٤٢٠هـ/١٩٩٩م**
الطبعة الرابعة المنقحة	**١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م**
الطبعة الخامسة	**١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م**
الطبعة السادسة	**١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م**
الطبعة السابعة	**١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م**
الطبعة الثامنة المزيدة والمنقحة	**١٤٣٤هـ/٢٠١٣م**

الإحسان نت

اليمن – صنعاء – ص.ب. : ١٢٦٠٥ – هاتف : ٠٠٩٦٧-١-٢٠٣٠٧٩

جوال : ٠٠٩٦٧-٧٧٧٤٢٣٦٥٥ – فاكس : ٠٠٩٦٧-١-٣٨١١٨٠

E-mail : enc11@hotmail.com


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثامنة

كتبت في آخر مقدمة الطبعة الخامسة سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م " فآثرت إبقاء كل شيء على ما كان عليه في الطبعة الرابعة المزيدة المنقحة . آملاً أن يلطف بي ربي فيمدني بعمر عامر بالخير والعافية ، لعلي أدخل ما أفكر فيه من تعديل وزيادة " ..

وخرجت الطبعتان السادسة والسابعة ولم يحدث فيهما أي شيء من التعديل .. وها أنا ذا – بعد تسع سنوات – قد استجاب الله لي دعوتي تلك أعيش مغموراً بنعمه الغامرة ، أمدني بعمر مثمر ، موفور الصحة ، سليم العقل ، آملاً في غفران الذنوب ..

وبعد الاستخارة والاستشارة .. وإعمال الفكر .. أعطيت السماح لقلمي ليحدث في هذا الكتاب ما أملاه عليه فكري من إضافة ، وتعديل ، وتقديم وتأخير ، وتحرير ، وتحقيق ، وتصحيح لعلي أكون قد أبرزت الكتاب في طبعته هذه في صورة – أحسبها – أحسن مما كانت عليه الطبعة التي قبلها ..

ولا أظنني قانعاً بما عملته في الكتاب من تغيير لتحسين صورته ، وإكثار فائدته .. ولكنني أرى أن ما بُذل فيه من جهد ، ومن تعديل قد يرضي القارئ إلى حد ما .. متمنياً من الله سبحانه أن يكون عملي هذا مقبولاً عنده سبحانه فهو الكريم المنَّان .. وهو الرحيم الرحمن .. وهو على كل شيء قدير .. وهو الباقي وغيره فان ..

وقبل أن أترك القلم لابد من أن أقدم باقة من الشكر والعرفان لمن كان له دور في إخراج هذه الطبعة ، وفي مقدمتهم طلابي النجباء في السنوات الماضية فقد كان بعضهم يسأل ويقدم أسئلته مكتوبة ، والبعض كان يتطوع – مشكوراً – فيدلي بمعلومات قبلية أو جغرافية عن منطقته فعدلت بموجبها أو أضفت .. والشكر موصول لولدي أحمد وباسم لما قاما به من جهد مضنٍ في الطباعة والإخراج .. وشكر جميل لصاحب اللمسات الجغرافية الذكية الباحث الجغرافي / صلاح الدعيس.. ولا أنسى أن أشكر عاصم الأديمي لما أبداه من إبداع فني في تصميم غلاف الكتاب.. والشكر مقدم لكل من ساهم في إمدادي بفكرة أو معلومة بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

أ.د. عبد الرحمن الشجاع
aalshujaa@hotmail.com
صنعاء – غرة رمضان ١٤٣٤هـ
١٠ يوليو ٢٠١٣م

مقدمة الطبعة الخامسة

عمل الإنسان ناقص – مهما بذل فيه من الجهد – بحكم طبيعة الإنسان ، وقدرات عقله ، ومجالات إدراكه ، ومصادر تلقيه للمعلومات وهي حواسه التي تنخدع غالباً . فقد يُحْكِمُ أمراً اليوم ، ويأتي اليوم الثاني ليراه – هو نفسه – غير محكم ، وفيه نواقص ، فيعمل على سد ذلك ، وفي يوم ثالث يكتشف قصوراً آخر حتى فيما أصلحه اليوم الأول .

والتأليف أحد أعمال الإنسان التي تتعرض لهذا الاضطراب والنقص ، وكان القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ/١٢٠٠م) فيما يكتبه إلى العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) بارعاً في التعبير عن هذه الحالة التي تعتري أي كاتب يتعاطى التأليف فقال :

" أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يُستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر " .

وهذا ما أصابني وأنا أستعرض الكتاب قبل إصدار الطبعة الخامسة ، إذ وجدت نفسي مدفوعة لتغيير الكثير .. وبينما أنا أقلب الفكر فيما يمكن أن أحدثه من تغيير إذا بالقلم يعمل عمله في صفحات الكتاب تقديماً وتأخيراً ، إضافة وحذفاً ، ولم يكبح جماح القلم المندفع إلا التبعات التي تترتب على هذا التعديل وهي المزيد من الجهد والوقت .. ولا قدرة على توفرهما في هذه الآونة .

فآثرت إبقاء كل شيء على ما كان عليه في الطبعة الرابعة المزيدة المنقحة . آملاً أن يلطف بي ربي فيمدني بعمر عامر بالخير والعافية ، لعلي أدخل ما أفكر فيه من تعديل وزيادة .

سائلاً المولى سبحانه حسن الخاتمة والمعافاة في الدنيا والآخرة ،،

أ . د . عبد الرحمن الشجاع

aalshujaa@hotmail.com

مقدمة الطبعة الرابعة

حينما اقتضت الحاجة لإعادة طبع هذا الكتاب نظراً للطلب المتزايد ، أزمعت على مراجعة الكتاب بشكل نهائي ، مستفيداً من الملحوظات التي تلقيتها من القراء سواء أكانوا من الطلاب أم من الزملاء .. فوجدت مجموعة لا بأس بها من الملحوظات في حاجة إلى إعادة نظر ومراجعة ..

ووجدت أبرز هذه الملحوظات تتعلق بجوانب الاختصار التي تظهر في أكثر من موضع معتمداً على خلفيات القارئ التاريخية ، أو بالمطالبة بمزيد من التوضيح والبسط .

ورغم أن الإيجاز كان هماً ضاغطاً عليَّ حتى لا يتضخم الكتاب ويصبح غير مستساغ للقارئ وبالأخص الطالب .. رغم ذلك فقد أعدت النظر فيما يحتاج إلى مزيد بيان فوضحته ، وأضفت عبارات اقتضاها السياق ، ووضعت عناوين لإبراز ما خفي من المعلومات ، وانضافت مراجع جديدة خرجت في السنوات الأخيرة ، وبالذات الرسائل العلمية الجامعية .

ولم أغفل ما أشار به عليَّ بعض الفضلاء من الزملاء من تصحيح بعض العبارات التي قد تفهم على غير حقيقتها ، مع الالتفات إلى الأخطاء اللغوية والمطبعية .. أرجو أن أكون قد تلافيتها في هذه الطبعة .

شاكراً ومقدراً كل من أسهم في تصحيح فكرة أو كلمة أو حرف .

داعياً لهم بالتوفيق والسداد ..

والله من وراء القصد ..

أ.د. عبد الرحمن الشجاع

aalshujaa@hotmail.com

مقدمة الطبعة الأولى

استوقفتني عناوين كثيرة حينما كنت أفكر في اختيار عنوان لهذا الكتاب ، وكلما تعلقت بعنوان وجدتني أمسك معه بشوائب كثيرة تجعلني في نهاية المطاف أتخلص من ذلك العنوان وأتركه جانباً ...

وبينما أنا أتلفت بين العناوين التي صادفتني إذ حانت مني نظرة نافذة إلى مضمون الكتاب .. ما هو مضمونه لكي يتم اختيار العنوان على ضوئه ؟ إن مضمون هذا الكتاب هو رسم حالة اليمن – باعتبار الإنسان المقيم على الأرض لا باعتبار الإنسان المرتحل في الأرض– ورسم هذه الحالة محددة بملامح واضحة :

الملمح الأول : زمن يبدأ بظهور (دين) غير وجه البشرية هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله للبشر منكراً ما عداه ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج : ٧٨) ، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران : ١٩) ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران : ٨٥) ويمتد الزمن حتى يصل إلى نهاية القرن الرابع الهجري ..

الملمح الثاني : ارتباط تاريخ هذا البلد بالدين المرضي عند الله ، فقد قام به ، وتحرك الإنسان باسمه ، وعاش ومات باسمه .

الملمح الثالث : إن هذه الحقبة تمثل أزهى وأبهى عصور هذا الدين على جميع ساحة دار الإسلام .

الملمح الرابع : أن تحولاً ضخماً حصل في هذه الحقبة ، من جاهلية كان يحياها أهل هذا البلد إلى إسلام ، ومن أديان إلى دين يحيا به ويتنفس في تصوره ويسير على منهجه ومسلكه .

الملمح الخامس : تبدل الحال قبل نهاية هذه الحقبة من دار إسلام واحدة تحكمها قيادة واحدة (الخلافة) إلى وحدات وقطع لكل منها هويتها وتوجهها ، وإن كان كل منها ترفع شعاراً لها باسم الإسلام .

فهذه الملامح الخمسة تحدد مضمون الكتاب وباختصار هو تاريخ حياة اليمن في ظلال الإسلام . فاليمن يحيا بالإسلام ويعيش به إذن فليكن العنوان المختار مناسباً لهذا المضمون .

وفجأة قفز إلى ساحة هذه الأفكار عنوان اختاره مؤرخ كبير وهو الدكتور جواد علي لحقبة زمنية من حقب العرب فقد كتب كتابه الضخم الذي صار مصدراً وهو / المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، وبعد إن استوعب حياة العرب في الجاهلية – قبل الإسلام – أراد أن يسبح في بحر تاريخ العرب في الإسلام . وإذا به يبدأ باختيار العنوان فوسم كتابه بـ " تاريخ العرب في الإسلام " ليكون ذاك تاريخ العرب في الجاهلية وهذا تاريخ العرب في الإسلام ، وذاك كان في أجزاء ، وهذا أيضاً وعد بأن يكون في أجزاء إلا أنه احترز لذلك بقوله :" سيتوقف عددها على الزمان الذي ستقف ضربات قلبي عنده "[1] . ولقد توقفت ضربات قلبه ورحل عن هذه الدار ولم يكمل الجزء الأول من هذا المشروع الضخم .

وما أن فكرت في هذا العنوان حتى وجدته مناسباً ليُوسم هذا الكتاب مستسمحاً صاحبه الأول ذاكراً لذوي الفضل فضلهم ، ولا أرى مانعاً من الإقتباس مادام قد نسب إلى قائله خاصة في مثل هذه الحالة فالعنوان الأول عام للعرب بينما نحن هنا جعلناه لليمن ذلك الجزء الجنوبي من جزيرة العرب .. ومع هذا فاختياري لهذا العنوان يصاحبه أمل وأمنية أن يعبر عن واقع الحال وعن مضمون الكتاب .

* * *

قد يتبادر إلى ذهن القارئ وهو يقرأ العنوان أننا حينما نكتب عن اليمن كتابة مستقلة عن الأرض الإسلامية (دار الإسلام) الممتدة على مساحة واسعة في القارات الثلاث (آسيا وإفريقيا وأوربا) قد يتبادر إلى ذهنه أن روحاً تسري في عروق هذه الكتابة تدعو إلى التجزئة العرقية أو المناطقية أو الإقليمية أو القبلية . وأبادر جازماً بالقول : معاذ الله أن يكون لهذه الظلال وجود في هذه الكتابة ، وإنما الضرورة هي التي ألجئت إلى هذه الكتابة الجزئية ..

ضرورة من ناحية صعوبة الكتابة الشاملة لأن هذه تحتاج إلى فريق عمل متعاون متكاتف مزوداً بإمكانات هائلة ..

---

[1] تاريخ العرب في الإسلام ٤ .

وضرورة لأن اليمن بصفته وحدة إدارية من دار الإسلام لابد أن يدرس ضمن منظومة وحدات وأقاليم الدولة الإسلامية في مقررات دراسية واقعية موزعة حسب المناطق أو الأمصار فيدرس الشام مثلاً في مقرر ومصر في مقرر والعراق كذلك .. وفي الجامعات اليمنية صار تاريخ اليمن – وبهذا التوصيف – أحد المقررات الدراسية في كليتي الآداب والتربية .

فاقتضت هذه الضرورة وتلك أن يفرد تاريخ اليمن في دراسة خاصة به على أن يظل مشدوداً بوشائج عدة إلى جسم الدولة الإسلامية الأم مهما بدت إشارات هنا أو هناك توحي بالفصل أو التمزيق ، فإن هذه إما من المتشابهات التي يلتقطها البعض فيصنع منها حكايات وإما ذوي النزعات غير السوية فإنهم يمزقون تلك الروابط أو يتجاهلونها أو يحولونها إلى صورة مشوهة مغلوطة تناسب أهوائهم .

ومن هنا فان هذا الكتاب الذي خصص لتاريخ اليمن في الإسلام خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى يعد إسهاماً ضئيلاً في رسم ركن أو بقعة من مساحة اللوحة الضخمة للحضارة الإسلامية وتاريخ دار الإسلام كما أشرنا إليه في كتابنا : (النظم الإسلامية في اليمن) وليس تكريساً لمبدأ التمزيق أو التجزئة وإنما ليعد هذا العمل لبنة من اللبنات التي تجهز لتكون إحدى لبنات بناء الحضارة الإسلامية .. وهذا يقتضي الغوص في تاريخ كل جزء من دار الإسلام لاستكمال هذه اللبنات وليخرج تاريخ دار الإسلام بشموخه موثقاً ووفق منهج واضح متفرد.

وفي هذا المقام أستسمح القارئ أن أستعير نصاً طويلاً كنت قد كتبته في مقدمة كتاب : (اليمن في عيون الرحالة)[١] فهو وثيق الصلة بهذا الموضع :

" إن تاريخ اليمن في أَمَسِّ الحاجة إلى دراسات تُعني بالبحث الجاد عن جذور وأعماق الأحداث والأشخاص والقيم لتتضح من خلاله الصورة التاريخية لليمن في عصوره المختلفة.

وينبغي أن تراعى – في تلك البحوث والدراسات – منهجية البحث وأصوله لا من ناحية الشكل الفني والإخراج فحسب ، ولكن من ناحية المضمون والمرتكزات الأساسية لمنهجية البحث أيضاً .

---

[١] ص ٥ – ٧ .

فينبغي أن تراعى – أولاً – عدم مقابلة الوثائق والوقائع والروايات – مادامت قد صحت – بمقررات مسبقة نابعة من تصور فكري لم يكن موجوداً أثناء حصول تلك الوقائع .. وإنما نرجع إلى الأصل الفكري والتصوري الذي كان يوم ذاك يتحكم بحياة الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وعلى ضوء ذلك نحاكم الوقائع والأحداث والأشخاص مستندين إلى تلك الأصول الفكرية والتصورية ، لأن الشيء فرع عن تصوره ، ولا يعني هذا تحيزاً ، أو أنه يخلو من الحَيِدَة ، وإنما العكس هو الصحيح ، لأننا إذا لم نتخذ هذا المنهج ، فإننا نكون قد ولجنا في بوتقة التحيز وعدم الحَيِدَة لإقدامنا على محاكمة أحداث تاريخ مضى بأفكار جيله وما يتصف به من أفكار وقيم ومثل وتصورات وسلوك بأفكار وقيم وتصورات لم يكن يعرفها ذلك العهد ، فأين النَّصَفَة والحَيِدَة من هذا المنهج المتبع ؟.

فاتباع المعايير الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تمارس في وقتنا الحاضر – مثلاً – وتطبيقها على الدراسات التي تعالج جوانب من التاريخ الإسلامي في حقبه الأولى هو ضرب من العبث ينبغي الترفع عنه ، لأنه يخرج بالبحث عن جديته ورزانته .

وينبغي – ثانياً – تجنب إقحام المصطلحات الغريبة في الحقبة التي كتب حولها سواء أكانت مصطلحات نبتت من حضارات وأمم سابقة .. أم مصطلحات محدثة لها ظروف نشأتها وظلال معانيها . لأن إقحام المصطلحات في غير محلها يخرج بالدراسة والبحث الجاد عن مساره ، ومن ثم يصبح بحثاً موجهاً وليس بحثاً مجرداً . نعم ممكن أن نستخدم المصطلحات الفنية البحتة التي ليس لها خلفية فكرية أو فلسفية ، كالمصطلح الفني الخالي من أي ظلال تصورية فهذا لا غبار في استخدامه . ومن هنا فان استخدام المصطلحات التي كان يتعامل بها الناس في ذلك العصر هو الأسلوب المنهجي الصحيح . وليس هناك مانع من التصرف بتلك المصطلحات وتقريب فهمها إلى ذهن القارئ الحديث بمصطلح شائع كأن نعرف ديوان الجند – مثلاً – بأنه يقارب في عمله وزارة الدفاع أو الحربية .

وينبغي – ثالثاً – ألا نعالج القضايا التاريخية لجزء من دار الإسلام من زاوية انفصالية بحتة ، فرحين بما يتوفر لدينا من معلومات انفصالية عن الاتجاه العام لدار الإسلام أو الخلافة الإسلامية ، لأن هذه النظرة الجزئية أو الانفصالية لم تنبت إلا على أرضية فكرية (استعمارية) حديثة ، وقد حاولوا تعميقها ، وربط الحوادث بالوطن الجزء ، وفصله عن الدولة الأم ، لكي تصبح دار الإسلام وهي متحدة – والتي أقضت مضاجعهم في القرون

الماضية – عبارة عن مزق تدعى بالأوطان المستقلة أو الدول المستقلة. ويعرف الكثير أنها دعوى تفتقر إلى دليل.

وهناك أمر آخر – ينشأ من إتباع النظرة الانفصالية أو الجزئية – وهو أننا لن نفهم كثيراً من الحوادث والأحداث التي ستقابلنا في أثناء البحث إن نحن أخذنا بتلك النظرة الانفصالية ، ذلك لأننا سنحاول تفسير الحدث بناءً على المعطيات الداخلية لهذا البلد أو ذاك ، بينما هي مرتبطة بعرى منبثقة من هوية الأمة وتوجهها وبظواهر مارستها الأمة في دار الإسلام عموماً فتأثرت بها أجزاء دار الإسلام شاءت أم أبت .

وينبغي – رابعاً – أن نعتمد على الأسلوب التحليلي للأحداث واستخراج المخبوء من ورائها ، وهذا لا يعني أن نجعل التخمين والظن والحدس والافتراض يقيناً ، ونبني عليه مقومات دراساتنا ، بل المرجو أن نلجأ إلى تعددية وتنوع المصادر . ونحاول أن نكتشف الصورة التي كانت في الأصل دون أن نقحم تصوراتنا المسبقة لأن المراجع الثانوية أو المعلومات التي تتوفر في غير مظانها ، كمثل كتب الفقه أو الرحلات تعطينا معلومات في غاية الأهمية وهي التي تستكمل الصورة على حقيقتها ."

* * *

ولكي يتحقق ذلك الهدف المنهجي والتصوري لابد من الرجوع إلى مصادر (موارد) كثيرة ولكننا حينما نقلب أبصارنا في المصادر التي خصصت لتاريخ اليمن في هذه الحقبة التاريخية الطويلة (أربعة قرون) فإننا نجد بوضوح شحة المعلومات بل انعدامها في جوانب منها كثيرة، ولم نجد مدونات أو مصادر معاصرة لهذه المدة كتبت من قبل أناس عاشوا الأحداث وواكبوها.

ونرجع هذه الشحة وهذا الانعدام إلى أسباب لعل من أهمها :

١– أن اليمن وهو جزء من دولة كبيرة ، لم يركز عليه – مثله مثل بقية الأمصار الطرفية – وإنما كان التركيز على حركة الدولة في عمومها ، وفي أولوياتها التي توليها

اهتمامها ، فكان المؤرخون يولون الفتوحات الإسلامية اهتمامهم لأنها هي التي تتربع على مقدمة أولويات الدولة ، ومن ثم فإن الفتوحات هي في أطراف الدولة الشرقية والشمالية والغربية ، وهي التي حازت على الاهتمام فيما يخص الفتوح فقط ، بينما كان الطرف الجنوبي على عكس ذلك فقد صار مادة الأمة

الإسلامية وعمودها السكاني ، فهم الذين يصلون إلى تلك الأطراف البعيدة ، وهم الذين يكتبون عن أحداثها وما يدور فيها ، ولم يدفعهم أي دافع للكتابة عن اليمن مثلاً لأنه من البلدان المستقرة .

٢- أن المسلمين الأُول لم يكن همهم تدوين ما فعلوه ليخلدوا ذكراهم كما هو شأن الذين يسعون في الأرض ليستكثروا من الأمجاد التي ينسبونها إلى أنفسهم بالحق والباطل ..

لقد كانت لهؤلاء المسلمين رسالة محددة في الأرض ولذا سعوا إلى تحقيقها وهي : إقرار منهج الله في الأرض ، وتزكية إنسان صالح ، وإقامة مجتمع مستقيم نظيف فالمنهج والإنسان والمجتمع هذا هو هدف هذه الدولة ، لتنال رضاء الله ورحمته .

ولهذا كان جهدهم منصباً نحو هذا الهدف ولم يبق منه شيء للحظوظ النفسية والشخصية وتسجيل الأمجاد فقد كانوا " لا يحبون ذكر الأمجاد و البطولات والأعمال ، فهم يحرصون على تقديم ذلك لا يبغون من ورائه شهرة ولا جاهاً ولا تخليداً لعمل تذكره الأجيال .. وكل واحد منهم كان يحرص على إخفاء عمله متقرباً به إلى الله وحده "[1] .

٣- أن الذين جاءوا من بعد أولئك كانوا قد دخلوا في متاهات العصبيات إما العصبية المذهبية ، وإما العصبية القبلية ، وإما العصبية الشعوبية فبدأت الكتابات تتسع حول هذه العصبيات .. فخرجت كتب الفضائل والمناقب والمثالب والأنساب وسير الزعامات المذهبية وغطت جميعها على التدوين التاريخي العام ، بل وغفلوا عنه على مستوى الولاية التي يعيشون فيها وصاروا لا يتحدثون إلا عن عصبية ما فيها .

ولا نتجاوز الحد فننكر وجود تدوين تاريخي عام في هذه الحقبة إلا أنه كان يُعْنَي – كما قلنا في السبب الأول – بحركة الدولة عموماً لا بأجزاء وحداتها الإدارية إلا ما يخدم الإطار العام للدولة .

---

[1] المؤلف . النظم الإسلامية في اليمن ١١ .

٤- أن الأحداث المؤلمة التي تلاحقت على الأمة الإسلامية ألحقت ضرراً كبيراً بالتراث العلمي كله ، سواء أكانت هذه الأحداث من خارج الأمة متمثلة في تلك الهجمة التتارية والصليبية ، أم من داخل الأمة المتمثلة في المكايدات والصراعات على التسلط بدافع مذهبي أو بدافع قبلي أو شعوبي أو مصلحي ، فصارت كل قوة متغلبة تسعى لإبراز محاسنها ودفن محاسن من سبقها فضاعت الحقيقة .. وعلى سبيل المثال فتاريخ اليمن ضاع منه تاريخ بني زياد وتاريخ بني نجاح وتاريخ بني يعفر[1] نتيجة هذا الصراع . وربما يرجع فقدان كتب الهمداني لهذا السبب .

٥- عزوف العلماء عن تسجيل وتدوين ما يرونه عبثاً من عبث المتصارعين على الدنيا ، فأولوا اهتمامهم الغوص في بحار العلوم يدرسونها ويُقَعِّدُونها ويدرسون حال رجالها ، وتركوا الميادين الأخرى دون ذكر لها .

* * *

ورغم ما سبق إلا أنه ظهر بعد القرون الأربعة الهجرية الأولى نوع من الكتابة التاريخية يمكن أن نطلق عليه (التاريخ المحلي) ، ولا يظنَّن أحد أن هذا من خصوصيات تاريخ اليمن بل هو عام في الأمصار المختلفة ، وربما جاء هذا التوجه نتيجة للروح الانفصالية عن الدولة الأم سواء على أسس مذهبية أو عصبية عرقية ، أو جاء ذلك بصورة طبيعية نتيجة تطور التدوين التاريخي .

والباحث وهو يتفحص التواريخ المحلية لليمن في القرون المتأخرة من بعد القرن الخامس الهجري وما بعده يجد معلومات كثيرة لم تكن موجودة في المصادر العامة ، ولم تدون في كتب مطبوعة أو مخطوطة مستقلة معروفة ترجع إلى هذه الحقبة المبكرة ، ولكن من المؤكد أن هؤلاء المتأخرين استقوا معلوماتهم من مصادر سبقتهم مكتوبة أو روائية أو وثائق رسمية أو مدونات أدبية ، ويبدو هذا بشكل بارز عندما يتابع الباحث موارد كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازي أو موارد كتاب طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة الجعدي أو قبل هذين موارد كتب الهمداني .

---

[1] انظر : مصادر تاريخ الدولة اليعفرية (بحث للمؤلف) .

ورغم هذه المعلومات التي وصلتنا عبر مصادر متأخرة إلا أنها لا تفي بالغرض بحيث يكتفي بها الباحث لرسم ما يريد رسمه عن تاريخ اليمن في هذه الحقبة ، بل ستبقى أمامه حلقات تاريخية كبيرة وكثيرة مفقودة وسيعجز عن تفسير العديد من الجوانب وسيكون مفتقراً لموارد أخرى تسد عوزه وجوعته للمعلومات .

ولهذه الحاجة لابد من البحث عن موارد أخرى غير تلك الموارد المتخصصة ، ولن يتأتى لنا ذلك إلا إذا اصطلحنا على أرضية نقف عليها وضوابط مرعية نلتزمها أثناء البحث عن هذه المصادر .. فنتفق –بادئ ذي بدء – على أن هناك قواسم مشتركة تربط اليمن بغيره من بقاع الإسلام ، سواء من ناحية الموقع ، أو الزمان الذي عاشته الدار كلها ، أو العقيدة التي تربط بين أطراف هذه الدار ، أو النظام الذي تسير عليه الأمة كلها ،فإذا ما فعلنا ذلك فإننا سنجد موارد أخرى غير تلك الخاصة باليمن ، ولن تقل أهمية عن المصادر المحلية إن لم تفقها .

وسنحاول في هذه العجالة أن نحدد ملامح هذه القواسم الأربعة على شكل محاور لنعرف من خلالها كيف نستفيد من المصادر التي ستقودنا إليها ، وكيف نتحصل على معلومات تاريخية منها عن اليمن .

أولاً : محور الموقع ..

فاليمن لكي تدرس جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية لابد من الرجوع إلى معرفة ما كان يحصل في الجزيرة العربية كلها ، وسنجد انعدام الفروق إلا في النادر ، وإذا ما وجدت فهي فوارق في الممارسة والتطبيق فقط ، ويرجع هذا التطابق إلى أن اليمن – في جاهليته – كان يرتبط مع غيره من الجزيرة العربية من خلال مجموعة من وسائل الاتصال ووشائج الاجتماع والتشارك منها :

١– أن أهل اليمن هم عرب ، وإن انقسم هؤلاء إلى قحطانيين وعدنانيين إلاَّ أنهم مازالوا يشكلون جنساً واحداً له أرومته ولغته ومكانته ومصالحه المشتركة .

٢– أن اليمن كان يشكل مركز اتصال بين بقية أجزاء الجزيرة العربية من ناحية ، وكل من الهند والصين والحبشة والشام من ناحية أخرى . فالحركة التجارية لكي تنتقل من الشرق والجنوب إلى الشمال والغرب لا يمكنها المرور إلاَّ عبر اليمن ، وهذا سيؤدي بالطبع لاختلاط طبيعي بين أهل اليمن وبقية الجزيرة العربية .

٣- أن كلاً من الفرس والروم - الدولتين المتحكمتين في العالم في ذلك الوقت - كانوا يضعون اليمن نصب أعينهم وهم يسعون للتنافس على السيادة العالمية .

٤- أن الأسواق العربية التجارية سواء أكانت موسمية عامة أم محلية أسبوعية كانت منتشرة في الجزيرة العربية كلها وبينها ترابط بشكل منظم من حيث زمن قيامها والقبائل التي ترتادها .. هذه الأسواق كانت تعد منتديات عامة للقبائل العربية يتم فيها تبادل شتى النشاط الإنساني : التجارة ، والثقافة ، والأخبار ، والتحاكم ، والتقاطع ، والتحالف ، والتباغض ، والتآخي ، والإجارة وردها ، وإعلان الحرب وإبطالها .. بالإضافة إلى تبادل العادات والتقاليد ... إلخ .

٥- أن التوجه العقدي للعرب في الجاهلية - ومنهم أهل اليمن - أوجدت لهم مواسمهم الدينية عرفت بمواسم الحج والعمرة إلى مكة المكرمة ، لما لها من مكانة خاصة في نفوسهم ..

فقد كان أهل اليمن لا يخلو موسم ديني في مكة إلاَّ وبعضهم موجود فيه ، فصارت هذه المواسم من " أكثر وسائل الاتصال تفاعلاً وتأثيراً .. وأكثر الوسائل التي قاربت بين العديد من المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والدينية في أوساط القبائل العربية "[١] .

فهذا المحور بأبعاده الواسعة هذه يجعلنا نستفيد من كل المصادر التي أولت اهتمامها بالقبائل العربية ، واستفادتنا هذه إما مباشرة حيث نجد نصاً هنا أو هناك أو مقارنة و قياساً ومقابلة لوجود التشابه بين الأطراف كلها . وسيوصلنا هذا المحور إلى معلومات كثيرة كانت تشكل حلقات مفقودة من تاريخ اليمن .

ثانياً : محور الزمن ..

هذا الزمن الذي كان يحياه اليمن مع غيره من بقاع الجزيرة العربية بل في العالم كله . وهو الزمن الذي نتحدث عنه في هذا الكتاب .

إن هذا الزمن حدث فيه انقلاب ضخم بدأ في وسط الجزيرة العربية وامتد أثره إلى كل أنحاء العالم ومن ثم فاليمن لابد له أن يتأثر بهذا الانقلاب (ظهور الإسلام) شاء أم أبى . وكان لهذا الحدث العظيم أعداؤه وأحباؤه ، وتصَّدر الأعداء كان وفق سنة معتبرة ،

---

[١] بحث بعنوان : نظرات في مصادر تاريخ اليمن في صدر الإسلام (للمؤلف) .

ووجود الأحياء كان – أيضاً – وفق سنة ثابتة وكان لابد من رصد موقف اليمن من هذا الحدث الضخم من خلال هذه السنن التي لا تتغير ، ومن ثم سيؤدي هذا إلى استكمال جوانب النقص في المعلومات أو سد الثغرات التاريخية حينما نريد الكتابة عن اليمن .

ثالثاً : محور العقيدة ..

إن عمل الإنسان لا يصدر إلا عن تصور مسبق ، فالأعمال ليست مبتوتة الصلة بما لدى الإنسان من تصور عن العمل الذي أقدم عليه . هذا التصور هو العقيدة أو الفكرة التي يعتقدها الإنسان أو هو مقتنع فيها سواء أكان هذا التصور له أصول نظرية مكتوبة مدروسة أم هو عرف ساذج يمارسه الناس حسب ما تعارفوا عليه أو اتفقوا عليه .

فلكي يعرف المؤرخ حقيقة ما كان يدور داخل اليمن في هذه الحقبة المدروسة من هذا الكتاب عليه العودة إلى دراسة الأفكار والمعتقدات والتصورات التي عاشها الناس في هذه الحقبة ، ثم يقوم بعملية ربط وثيق بين العمل الممارس في الواقع ، وتلك التصورات والمعتقدات والأفكار .. وإن هو فعل ذلك فإنه سيصل إلى سَبْرَ أغوار الأحداث ومعرفة حقيقتها وطبيعتها ، وإن لم تكن مدونة في الكتب ، وسيكون واثقاً من أن استنتاجه صحيح لأنه يقوم على حقيقة لا تمارى وهي " أن العمل فرع عن تصوره " .

رابعاً : محور النظام ..

إن اليمن حينما دخله الإسلام صار ولاية أو إمارة أو مصراً من أمصار الدولة الإسلامية ، وهذه الدولة تقوم على نظام تشريعي متكامل ونظام إداري شامل .

فالمسلمون جميعاً في أي مصر من الأمصار مطالبون – سواء أكانوا قادة أم مقودين – بكل ما جاء في النظام التشريعي الذي ينبثق من أصل عقدي بحيث لا تتحقق عقيدة المسلم إلاَّ إذا التزم بالنظام التشريعي ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء : ٦٥) .

والوحدات الإدارية في الدولة الإسلامية كلها مطالبة بما تقرره قيادة الدولة وما تستنبطه من الأسس التشريعية .

وأيما باحث يريد الكتابة عن مصر من الأمصار لابد له من أن يراجع النظامين التشريعي والإداري للدولة الإسلامية وبدون معرفتهما سيجهل الكثير مما كان يدور ولن يصل إلى نتائج صحيحة لما يريد عرضه .. هذه ناحية ..

ومن ناحية ثانية : لو حاول دراسة الجزء (رقعة من دار الإسلام) بعيداً عن النظام الذي كانت تدار به دار الإسلام كلها بحجة الاستقلالية كما قيل في الكتابات عن الدُول المستقلة ويعنون بها مستقلة عن دولة الخلافة وهو ليس استقلالاً بالمعنى المعروف في المصطلح السياسي الحديث الذي يقصد به الاستقلال عن الاستعمار بل هو في الحقيقة تكريس للانفصال ، وهو اتجاه سار عليه بعض الكاتبين المعاصرين – قاصدين أو غافلين – فأدى إلى تمحور وطني أو قومي أو مناطقي مما كان مرسوماً ضمن السياسة الغربية المطبقة في المنطقة بينما تاريخ دار الإسلام كما قال عنه صلاح الدين المنجد[1] هو " وحدة لا تتجزأ مهما كانت المسارح التي جرت حوادثه فيها . وهذا أمر غاب عن كثير من مؤرخينا المعاصرين " .

ومن ناحية ثالثة : فإن الدراسة الجزئية لأي منطقة دون النظرة الشمولية سيؤدي – بلا شك – إلى الذهول عن الحلقات المفقودة التي تصادف الباحثين حينما يدرسون الأجزاء بعيداً عن التصور الكلي للدولة بنظامها التشريعي والإداري . ويلجأ البعض هروباً من هذا العجز إلى التخيلات والافتراضات والتخمينات التي أملتها عليه تصوراته المسبقة لما يريد أن يثبته للقارئ .

ونخلص من خلال العرض الآنف الذكر لهذه المحاور الأربعة إلى أن الباحث – إن هو استفاد مما توفره له تلك المحاور من مصادر – سيجد أمامه مصادر عدة تفرض عليه الرجوع إليها ليستقي منها معلوماته ، وسيجد فيها وفرة ، وستغنيه عن التفاصيل غير المطلوبة ، ولن يقف عاجزاً عن تفسير الأحداث الغامضة .

ولقد اعتمد الباحث في هذا الكتاب على هذه المجالات كلها منقباً في مصادرها بجمع المعلومات التي تساعد في رسم هذا الكتاب كله .

---

[1] مقدمة تاريخ حضرموت جـ ١. ص و .

ولا أدعي أن ما رُسِمَ يعد كاملاً شاملاً لهذا الإقليم في هذه الحقبة الزمنية الطويلة لأنه روعي – تسهيلاً للقارئ – عدم الإطالة ، والبعد عن الخلافات وتجنب المناقشات الطويلة ، والابتعاد عن التفاصيل الدقيقة .

وأحب أن ألفت نظر القارئ إلى أن القسم الأول من هذا الكتاب الذي يُعْنَى بعصر النبوة والخلافة الراشدة هو عبارة عن اختزال لكتابنا (اليمن في صدر الإسلام) حتى يكون قريب المنال للدارس .

* * *

وأخيراً لا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أقدم الشكر لكل من أسهم برأي ، أو فكرة ، أو تصحيح موقع ، أو شحذ همتي لاستجلاء بعض الجوانب ، ولا أنسي أن من هؤلاء مجموعة من طلابي النجباء الذين كان لهم دور في استقداح الأفكار واستجلاء الغامض بل شارك بعضهم – بحكم سكناهم في وسط القبائل المذكورة في هذا الكتاب – في توضيح موقع بعض الأماكن أو القبائل .. فإلى هؤلاء الطلاب النجباء شكري .. ودعواتي لهم بالتوفيق والسداد ..

وإذا كنت قد وفقت إلى الصواب فهذا فضل من الله ونعمة وإن كان الصواب قد جانبني فإنني أطلب من الله الغفران ، وأدعوا من كان لديه علم لتصحيح أن يقدمه لي مشكوراً لعله يضم إلى طبعة أخرى إن مد الله في العمر ..

والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل،،

صنعاء ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

أ.د. عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع

أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ الأسبق

في كلية الآداب جامعة صنعاء



اليمن عشية ظهور الإسلام

تمهيد :

لـم تنفـرد اليمن عـن الجزيـرة العربيـة بصـفتها جزءاً منهـا .. ومـا أصـاب عضـو منهـا بالتبديل والتغيير إلاَّ تداعت له سائر الأعضاء بالتأثر والتأثير .

فاليمن – حال ظهور الإسلام – لم يختلف – كثيراً – في مناحيه الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية عن بقية الجزيرة العربية . وليس في وسعنا – هنا – أن نفرد كل ناحية بالتفصيل الدقيق خوفاً من أن نخرج عن الهدف من هذا الكتاب ، ولكن – رغم ذلك – لابد من لمحة خاطفة عن الجوانب التصورية لأنها هي التي تنبثق منها الأوضاع السياسية والإدارية والمالية والاجتماعية لليمن لندرك من خلالها – حينما نتحدث عن الإسلام – التغيير الذي حدث بعد ظهور الإسلام واستقراره . وهذا أمر من البداهة بمكان لأن الشيء بالشيء يذكر ، وأن متعة النور لا تدرك إلاَّ بعد معاناة الظلام . ورغم أهمية الحديث في هذه الأوضاع إلا أننا سنكتفي في هذا الفصل بالحديث عن الوضع التصوري والوضع السياسي .. أما الأوضاع الإدارية والاجتماعية والاقتصادية فنؤجلها إلى حين الحديث عن هذه الجوانب في فصول التحولات .

وقبل الدخول إلى عرض الوضعين التصوري والسياسي أحب أن أرسم خريطة جغرافية لليمن في ذلك الوقت .

الوضع الجغرافي : أرضاً وسكاناً :

في البداية لابد من تنبيه القارئ إلى أن ما نتحدث عنه هنا فيما يسمى اليمن لا علاقة له بالخريطة السياسية الحديثة ، ولا بالمواقع السكانية الحالية .. فقد حصلت تحولات وتغيرات صار هناك تباين كبير بين الصورة الآن وما كان عليه الوضع في مدة هذه الدراسة – القرون الهجرية الأربعة الأولى – .

فاليمن حينذاك كان يطلق على رقعة ممتدة من عمان والربع الخالي شرقاً إلى البحر الأحمر (القلزم) غرباً ، ومن الطائف شمالاً حتى البحر العربي جنوباً .

تمتد في وسط سلسلة من الجبال تبدأ شمالاً من بلاد السراة حتى تحيط بمدينة عدن جنوباً .. وفي غربه تتمدد (تهامة اليمن) من تهامة الحجاز شمالاً إلى عدن جنوباً .. تضيق

عرضاً في مكان وتتسع في مكان آخر ، وفي شرق هذه السلسلة الجبلية سهول وصحراء تلتحم بالربع الخالي .

أما شرق اليمن فعُرف بإقليم حضرموت الذي يتكون من ساحل على بحر العرب ، ووادي في الداخل ، فيه أكثر سكان الإقليم .. وشماله متداخل مع الربع الخالي بمجاهيله المرعبة .

وسكان هذا البلد هم من قبائل قحطان إلا ما ندر ، وهذه القبائل تناوشتها التمزقات ، والثارات ، ووَلَّدَت فيها أحقاداً وضغائن، وقامت حروب كادت أن تستأصل بعضها .

وقبائل اليمن الكبيرة هي : حمير ، وهمدان ، وخولان ، ومذحج ، وحضرموت ، وكندة ، والمهرة .. وسيأتي تفصيل التكوينات السياسية لهذه القوى القبلية فيما بعد إن شاء الله .

الناحية التصورية الاعتقادية :

بما أن البشرية عند ظهور الإسلام كانت تعيش في حالة تعيسة نتيجة تصورات تقف ضد ما يحبه الله خالقهم ، تنبثق منها سلوكيات وأنظمة سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، تظلم الناس ، وتهدد كرامتهم ، إلى حد أن الله سبحانه أطلق على هذا الوضع لفظ (الجاهلية)، التي تعني حالة تعتري وتصيب الأفراد والأمم فترفض الاهتداء بهدي الله ، وتبغي الفساد في الأرض .

وقد جاء في القرآن لفظ الجاهلية أربع مرات : مرة يتعلق بالعقيدة ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ﴾ **(آل عمران : ١٥٤) . ومرة بالعصبيات القومية والعرقية والمكانية** ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ **(الفتح : ٢٦). ومرة بالحكم والتقنين والتشريع** ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ﴾ **(المائدة : ٥٠) . ومرة بالحياة الاجتماعية وعلى رأسها ما يتعلق بالمرأة وكيف تكون** ﴿وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ **(الأحزاب : ٣٣) . وهذه الجاهلية العالمية تتمثل في : آلهة تعبد مع الله أو من دونه ، وأديان لها أصل سماوي حرفت وبدلت ، واحتكام إلى طواغيت تشرع تشريعات لم يأذن بها الله ضاربين بما جاء من عند الله عرض الحائط .**

واليمن جزء من هذا العالم المضطرب الحائر ، فقد تعاورت اليمن في هذه الحقبة جميع الأديان ذات الأصل السماوي ، والوثنيات المتعددة المشارب كما هو في البيان الآتي :

أولا : الأديان ذات الأصل السماوي :

الأديان ذات الأصل السماوي وهي : (اليهودية والنصرانية) بعد تحريفهما ، والحنيفية أو ما بقي من دين إبراهيم عليه السلام فقد وجدت كلها في اليمن :

١- اليهودية .. صار لها وجود في اليمن من وقت مبكر ، وكانت منتشرة في أكثر من موضع[١] : في حمير ، وكندة ، وبني الحارث بن كعب بوادي نجران ، وحضرموت .. ولدخول اليهودية إلى اليمن حكايات كثيرة ، منها ما هو أسطوري ، ومنها ما يقبل بعد التمحيص .. ولا يعنينا هنا الإيغال في هذا ، بل ما يعنينا هو حال اليمن عند ظهور الإسلام ، وكان لأحبار يهود في اليمن دور في الهيمنة على المجال المعرفي ، وكان الناس لا يثقون بمعرفة إلا إذا جاءت عن أحبار يهود ، وهؤلاء يحيكون حول شخصياتهم نسيج من الأساطير والغموض .

٢- النصرانية .. دخلت اليمن ونالت حظوة في بعض المراكز[٢] مثل : حمير ، وحضرموت ، وفي مدينة نجران تحديداً التي كانت مركزاً رومياً متقدماً داخل الجزيرة العربية ، وكانوا على المذهب (الملكاني) الذي تدين به بيزنطة والحبشة ، وكانت بيزنطة تبني لهم الكنائس وتطلق عليهم الألقاب .

٢- الحنيفية وهي ما تبقى من دين إبراهيم عليه السلام كبعض الشعائر المرتبطة بمكة مثل تعظيم البيت ، والطواف ، والوقوف بعرفة ، والهدي ، وحرمة الأشهر

---

[١] وهب بن منبه . كتاب التيجان في ملوك حمير ٣٠٥ - ٣٠٨ - الطبري . تاريخ الرسل والملوك ٢/ ١٠٥ - ١١٠ - اليعقوبي . تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٠٠ ، ٢٥٧ - ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤٩١ - ابن قتيبة . المعارف ٦٢١ - ابن حبيب . المحبر ١٨٥ .

[٢] المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر ٦٧/١ - السهيلي . الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ٥ / ٧ ، ٨ - ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤٩١ .

الْحُرم[1]فقد كانت تمارس في بعض القبائل .

ثانيا : الوثنيات :

وأما الوثنية فقد وجدت في اليمن بأشكالها المختلفة : اعتقاداً وتشريعاً :

أ- وثنية الاعتقاد[2] وتتمثل في عدة مظاهر :

١- الأصنام وكانوا يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى .. وقد ذكر بعضها في القرآن الكريم ، وأهم هذه الاصنام التي كانت في اليمن : (يعوق) وكان في همدان وخولان ، و(يغوث) وكان لمراد وبني الحارث بن كعب ، و(نسرا) كان لحمير ، و(عَمِي أنس) كان لخولان ، و (ذي الكفين) كان لدوس . وهذه الأصنام وغيرها تقدم لها القرابين من زروع وأنعام .

٢- بيوت لعبادة الآلهة التي يتوجهون إليها .. ولها سدنة يتحدثون باسم الالهة ، ويطلبون من الناس ما يروق لهم .. وأهمها بيت (ذي الخلصة) الذي يتبع صنم (ذي الخلصة) التي يتجمع فيها أكثر من قبيلة .. منها : بجيلة وخثعم والحارث بن كعب وزُبَيْد .

٣- الحجارة المقدسة وكانت إما أن تؤخذ من أحجار مكة ، أو ما يستحسنه العابد من الأحجار حتى أصبح لكل بيت (وثن) يعبد مع الله .

ب- وثنية التشريع والإتباع[3] وتظهر من خلال أحكام التحليل والتحريم في الشعائر والطقوس والاموال والأعراض ، وقد أنكر القرآن الكريم عليهم تعديهم على سلطان الله في التشريع فقال :﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (يونس : ٥٩) .

---

[1] اليعقوبي . التاريخ ٢٥٦/١ – ابن حبيب . المحبر ١٧٩ . كان لبعض القبائل اليمنية عبارات وتلبيات تدل على ما بقي من دين إبراهيم ، وبعضهم رغم ذلك كانوا ينتهكون حرمة الأشهر الحرم ويستخدمون النسيء مثل كندة وخثعم وهمدان .

[2] الكلبي . الأصنام ٣٤ – ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٤ – ابن حبيب . المحبر ٣١٣ – ٣١٩ – ابن حزم . الجمهرة ٤٩٣ – ابن حجر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٩٠/١٦ ، ١٩١ .

[3] اليعقوبي . التاريخ ٢٥٨/١ – ابن حبيب . المحبر ١٣٧ .

وكان المتولي لهذا النوع من الوثنية هم زعماء القبائل وحكامها الذين يرجع إليهم الناس في التحليل والتحريم لجميع شئون حياتهم .

وكان بعض هؤلاء الحكام بمثابة أناس على رأس (سلطة تشريعية) تؤخذ آراؤهم كتشريعات للتنفيذ الفوري ، وكان من هؤلاء في اليمن عمرو بن حممة الدوسي .

ثالثا : عبادة الأجرام السماوية :

كان هناك في اليمن من يعبد بعض الأجرام السماوية ، فقد وجد من أهل صنعاء من يتعبد لكوكب الزُهرة في بقايا معبد كان في أطلال قصر غمدان[1] وقد يكون هذا بقية مما كان يتعبد به أهل اليمن قديماً كعبادة الشمس والقمر .

رابعا : المجوسية :

وقد جاءت الديانة المجوسية[2] إلى اليمن مع الفرس ، وكانت لهم معابد للنار المجوسية في وسط بعض القبائل كخولان .

هذا التنويع في الاعتقاد[3] وجد في اليمن لأكثر من سبب ربما كان أبرزها قابلية البيئة اليمنية لأي تغيير اعتقادي جديد ، سواء أكان على حق أم على باطل ، وتأت القابلية هذه من موقع اليمن الجغرافي والتجاري حيث كان ممراً للقوافل التجارية ، ومستقراً زراعياً ، وموئلاً لمن يريد البعد عن بؤر الصراع أو ينجو بنفسه من الاضطهاد .

ونشأ بناء على ذلك كل ما ترتب عليه من وجود منافحين عن هذه المعتقدات ، ومتحدثين باسمها ، وربما مدارس أو بيوت عبادة لتنمية ونشر ما يعتقدون ، ومن ثم سدنة وكهان يتحدثون باسم آلهتهم ، معبرين عن أفكارهم ومعتقداتهم ، ويتحكمون في حياة الناس بصفتهم هم أصحاب الحق في الحكم والتحليل والتحريم ، وفق مصالحهم الخاصة المنسوبة إلى الآلهة المدعاة .. ومن البداهة أن التصور يفرز نظماً وسلوكيات تتكيف وتتلبس بالتصورات .. وهذا ما سنلاحظه في الموضوعات الآتية .

---

(1) القلقشندي . صبح الاعشى في صناعة الإنشاء ٤٠/٥ - ياقوت الحموي . معجم البلدان ٤٠٧/٢ .

(2) البلاذري . فتوح البلدان ٨٦/١ .

(3) يحي بن الحسين . غاية الاماني في أخبار القطر اليماني ٥٥/١ .

الأوضاع السياسية :

كان اليمن – حال ظهور الإسلام – تتجاذبه ثلاث قوى سياسة كبيرة لكل منها منطلقاتها الفكرية والاعتقادية وطريقتها في إدارة المناطق التي تحت نفوذها وهي : الفرس ، والروم ، والقوى القبلية المختلفة .

أولا : النفوذ الفارسي .. الفرس .. ويعرفون بالأبناء[1] .. ظلوا يحكمون معظم مناطق اليمن منذ أن بسطوا سلطانهم على اليمن عام ٥٧٥م ، وقد تم لهم هذا نتيجة تلك المنافسة الشديدة الحاصلة بين الفرس والروم على بسط النفوذ على أكبر قدر ممكن من الأراضي ، وكان منفذ البحر الاحمر (بحر القلزم) من أهمها ، وقد سنحت للفرس الفرصة للتغلب على الروم ولجعل ميناء عدن تابعاً لنفوذهم حتى لا تمر السفن القادمة والذاهبة إلى الهند والصين الا عبر إشرافهم وإدارتهم سنحت لهم هذه الفرصة لما طلب سيف بن ذي يزن من فارس مساعدته لطرد الأحباش – المتحالفين مع الروم – فأرسل كسرى فارس حملة عسكرية قوامها سبعة آلاف وخمسمائة فارس معظمهم من الديلم[2]، وربما ضم إليهم من كان في سجنه من المغضوب عليهم سياسياً –كما تقول بعض الروايات – وأسند قيادة الحملة لوهرز أحد أفراد الأسرة المالكة الذي كان يتولى قيادة إقليم الديلم التابع للدولة الفارسية[3] ، وبعد أن تحقق النصر على الحبشة سلموا السلطة لسيف بن ذي يزن ، وعقدت اتفاقية مع سيف من ضمن بنودها : أن تبقى حامية فارسية في اليمن ويحق لهم الإقامة والتزوج من أهل اليمن ، وأن يدفع سيف خراجاً سنوياً للدولة

---

[1] الأبناء : عرفوا بالأبناء لأنهم من أبناء الفرس الذين استقروا في اليمن من أمهات يمنيات وأصبحوا يشكلون شريحة اجتماعية يمنية لأنهم أصبحوا يتقنون العربية ويمارسون العادات اليمنية (ابن منظور . لسان العرب ٣٦٤/١ – جواد علي (الدكتور) . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٢٩/٣ – الشجاع . النظم الإسلامية ميلاداً ونشأة ٤٠ و ٥٦ . وتوجد في وادي السر شرقي صنعاء قرية تسمى (الأبناء) من ناحية بني حشيش بن خولان (الحجري . مجموع بلدان اليمن ٥٤/١) .

[2] ابن قتيبة . المعارف ٣٦٨ ، ٦٦٤ . وهذا ينقض الرواية الشعبية المشهورة بأن سيف بن ذي يزن طرد الأحباش بحفنة من المساجين المجرمين من الفرس الذين أرسلهم كسرى فارس مع سيف بن ذي يزن ، وكان عددهم ثمانمائة ، غرق منهم مائتان وبقي ستمائة طرد بهم الأحباش . وهي رواية مشهورة ولكنها غير متوافقة مع طبيعة الصراع بين الفرس والروم لأنهم لو هزموا فهي هزيمة لدولة الفرس نفسها .

[3] المسعودي . مروج الذهب ٨١/٢ – التنبيه والاشراف ٢٢٦ – الطبري . تاريخ ٢/ ١٠٣ .

الفارسية ، ولكن سيفاً ما لبث أن قتل فعاد الفرس واستولوا على اليمن وحكموها حكما مباشراً ، وظلوا باسطوا أيديهم عليه حوالي نصف قرن ، وشيئاً فشيئاً انكمش سلطانهم إلى أن جاء الإسلام ، إذ أصبحوا يشكلون قوة سياسية محلية لها صلاتها وعلاقاتها بالقوى المجاورة رغم بقاء ولائهم للفرس وللدولة الفارسية ، وقد تقلص نفوذ الفرس في اليمن وأصبحوا متمركزين في صنعاء وعدن ذلك الميناء الذي يصلهم بدولة فارس ، مع ما بقي من خيط من الصِّلات مع دولة فارس ، يتمثل في دفع بعض المال والاعتزاز والاستقواء بالدولة الفارسية ، وكانوا يتواصلون بين صنعاء وعدن عبر شريط من الأرض داخل أملاك قبائل حمير[١] وخولان الطيال وبعض من مذحج ، ومن المحتمل أن تكون تلك المناطق قد دخلت ضمن نفوذهم : إما بالقوة ، وإما عبر المعاهدات والتحالفات ، وإما عبر المصاهرة وارتباط المصالح[٢] .

وكانت للإدارة الفارسية باليمن سياستها الإدارية والمالية المنبثقة والمرتبطة بالنظام الفارسي :

أ – فأما الإدارة فقد كان الفرس يعدون اليمن هو القسم الرابع من الأقسام الإدارية لمملكة فارس[٣] يفرض عليها ما يفرض على بقية الأقسام الإدارية الأخرى بالإمبراطورية من تراتيب إدارية والتزامات مالية .

وأصبح الحاكم الفارسي في صنعاء مسيطراً على واردات هذه المنطقة ، مديراً لشؤنها الإدارية والمالية بما فيه فرض السيادة على الأسواق التجارية العامة الحولية والموسمية معاً[٤] .

---

(١) اليعقوبي . تاريخ ١/ ٢٠٠ ، ٢٠١ – الطبري . التاريخ ١٤٢/٢ – السهيلي . الروض الأنف ٢٢١/١ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٣٧ – الجندي . السلوك في طبقات العلماء والملوك ١٨٤/١ .

(٢) الجندي . السلوك ١٨٤/١ ، ١٨٥ – الهمداني . الإكليل ١٠ / ٢٤٤ – وقصيدة الدامغة وشرحها ٣٦٣ – مجهول . تاريخ اليمن في الكواني والفتن (٣٦/أ) – الاصفهاني . الاغاني ١٥ / ٢١٢ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٣٧ وما بعدها .

(٣) الطبري . تاريخ ٩٩/٢ وكان يعرف اليمن في المصطلح الفارسي بـ (إصبهذ نيمروز) و الاصبهذة : هي الرياسة على الجنود أي أن البلاد الفارسية كانت مقسمة إلى أربعة أقسام إدارية عسكرية ، أما الثلاثة الاخرى فهي : خراسان وأذربيجان والمغرب (أي العراق) .

(٤) اليعقوبي . تاريخ ٢٧٠/١ – ابن حبيب . المحبر ٢٦٦ .

ب – أما السياسة المالية فلا شك أنها سياسة فارسية منذ أن اشترط كسرى فارس على سيف بن ذي يزن دفع خراج سنوي مقابل مساعدته له ضد الأحباش[1] .

ثانيا : النفوذ الرومي .. الروم أو (بيزنطة) ، وهي قوة تنافس الفرس في السيطرة على الأرض المسكونة حينذاك ، فقد تكبدت مرارة الهزيمة وهي ترى الفرس يسدون باب المندب في وجوههم[2]، فكان لابد من أن يسعوا لإيجاد موطن قدم لهم مهما كانت ضآلة قوته ، وقد وجدوا ذلك فيمن تبقى من النصارى المتمركزين في (مدينة نجران) – إحدى أسواق العرب التجارية في الجاهلية – حيث اصطنعوا من اليمنيين أنفسهم قوماً ليس على غرار الفرس الذين كان لهم أعوان من بني جلدتهم ، وإنما اكتفوا بالتبعية الدينية ، والتوجه السياسي المرتبط بهم ، لذلك نجد الروم يتدخلون فيهم في تنصيب القساوسة وبناء الكنائس ، وفي منحهم الألقاب السياسية والعسكرية فكانت زعامتهم مقسمة بين ثلاثة منهم : الأسقف : وهو زعيمهم الديني ، والعاقب : وهو زعيمهم في شئونهم السياسية ، والسيد : وهو المتولي شئون الأمن والدفاع[3] ، وهذه القوة – أعني نصارى نجران – لا يشكلون قوة تُذكر وإنما تقوم على الولاء الديني .

ثالثا : النفوذ القبلي ... والقوة الثالثة والأخيرة هي : القوة القبلية وهي أبرز القوى وأوسعها نفوذاً وقدرة على الحركة .

فعلى الرقعة اليمنية سادت سبع قبائل كبيرة وهي : حمير وهمدان ومذحج وخولان وحضرموت وكندة ومهرة ، بالإضافة إلى قبائل بلاد السراة العديدة ، وقبائل إقليم تهامة .

ومن البداهة بمكان أن كل قبيلة من هذه القبائل لا تشكل وحدة اجتماعية وسياسية واحدة ، بل وصل الأمر إلى حد أن القبيلة الواحدة كانت مقسمة إلى بطون وعشائر ، وكل عشيرة – إن لم تكن كل أسرة فيها – لها كيانها المستقل في علاقاتها بجيرانها الحربية

---

[1] المسعودي . مروج الذهب ٨٢/٢ .

[2] الطبري . التاريخ ٩٣/٢ ، ٩٤ – زاهر . تاريخ أثيوبيا ٤٧ .

[3] ابن هشام . السيرة ٧/٥ ، ٨ (مع الروض الأنف) – جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥٣٢/٣ ، ٥٣٣ – ١٩٠/٤ .

والسلمية بما يحقق لها مصلحتها دون النظر إلى المصلحة العامة للقبيلة أو للقبائل الأخرى[1] .

والموضوع في حاجة إلى بسط لأهمية الوضع القبلي ولقوة تأثيره على الأحداث التالية بعد ذلك .. ونبدأ من شمال خريطة اليمن [تابع مواطن القبائل في الخريطة في الصفحة المقابلة] :

١- قبائل بلاد السَّراة .. والسَّراة هي الأرض المرتفعة الجبلية الواقعة بين الطائف ونجران[2] ، وهي سروات عدة نسبت إلى القبائل التي تسكنها مثل سراة بجيلة ودوس وغامد وغيرها ..

وأما قبائل هذه البلاد فهي بجيلة ، ودوس ، وغامد ، والأزد ، وخثعم ، وجنب ، وبارق[3] . وتعد كل قبيلة من هذه القبائل كياناً له قيادته القبلية وعلاقاته الخاصة بالكيانات القبلية المجاورة سلماً وحرباً[4] .

٢- قبائل بلاد نجران .. وبلاد نجران تشمل : الوادي ، والمدينة . فأما مدينة نجران فقد كانت تتبع النفوذ الرومي ، وفيها خليط من القبائل ، ومعظمهم من مذحج وهمدان ، وهي كيان له ولاءه الخاص بالروم كما سبق أن بيناه . وأما الوادي فقد كان فيه منازل قبيلة بني الحارث بن كعب من مذحج التي تجاور قبائل بلاد السراة . ويطلق اسم (مخلاف نجران) على كل من الوادي والمدينة ، ويضم الكثير من القرى . وموقعها بين بلاد السَّراة وبلاد خولان ، ولبني الحارث بن كعب كيان قبلي له علاقاته الحربية والسلمية مع جيرانها[5] .

---

[1] انظر على سبيل المثال : الهمداني . الإكليل ١٠/١٦٣ – ١٦٧ (وأماكن أخرى من كتابه بأجزائه المختلفة) وراجع إن شئت : بحث المؤلف : اليمن في صدر الإسلام ٢٩ – ٥٥ .

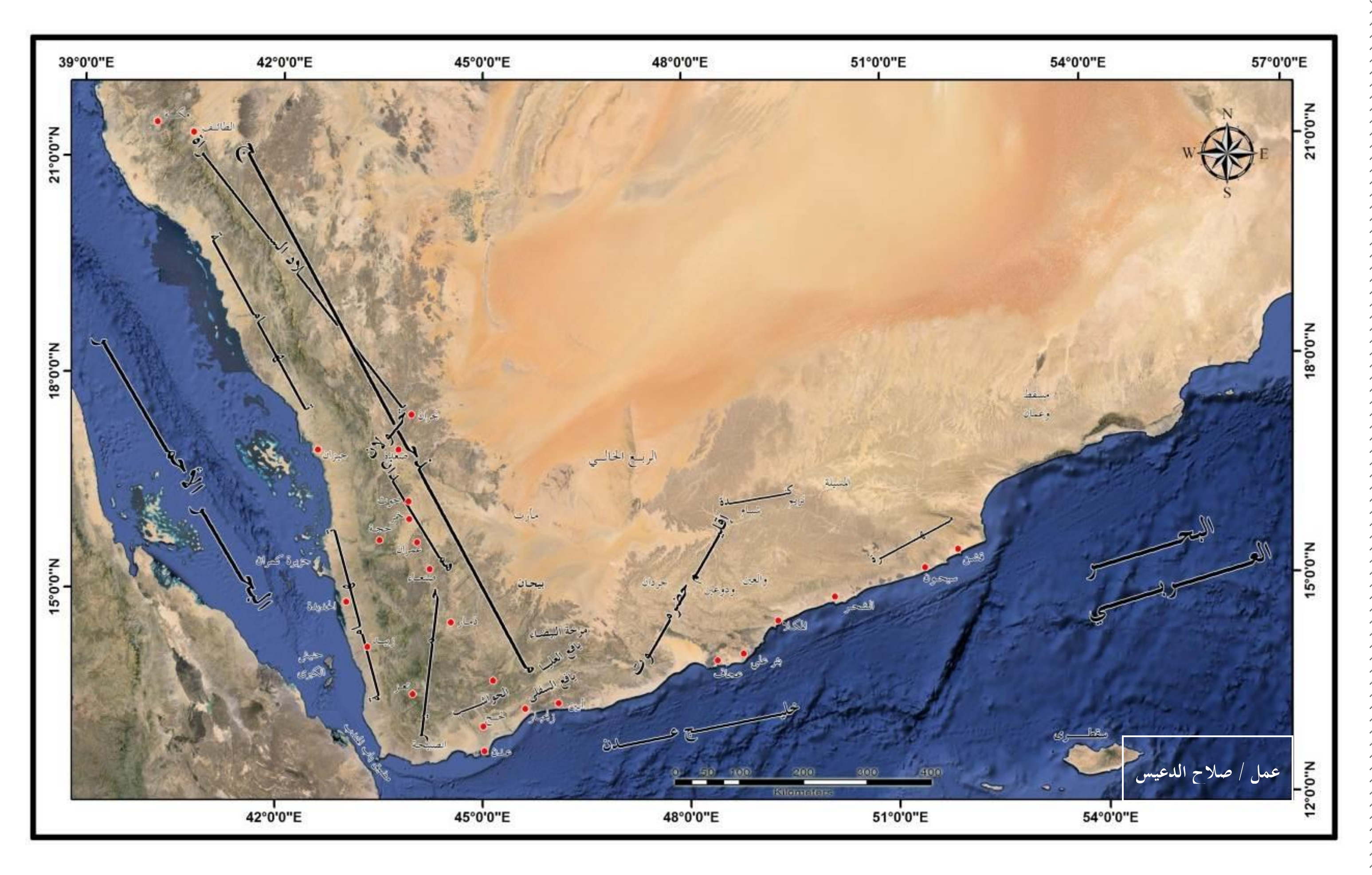
[2] الفيومي . المصباح المنير مادة : سراة .

[3] حمد الجاسر . في سراة غامد وزهران ٣٥٣ – ٣٥٧ – كحالة . معجم قبائل العرب ١/١٥ –١٨ ، ٣٣ ، ٦٣ ، ١٤٨ ، ١٤٩ و ٣ / ١٢١٣ .

[4] ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٣٨٧ – البكري . معجم ما استعجم ١/٤٠ ، ٤١ ، ٥٨ – ٦١– ابن هشام . السيرة (مع الروض الانف) ٧/٤١١ – ٤١٣ .

[5] البكري . معجم ما استعجم ٤/١٢٩٨ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ١٦٣ ، ١٦٩ ، ٢٥١ ، ٢٦٥ ، ٣١٨ – ياقوت . المعجم ٥/٢٦٦ ، ٢٦٧ .

خريطة اليمن


39°0'0"E
42°0'0"E
45°0'0"E
48°0'0"E
51°0'0"E
54°0'0"E
57°0'0"E
21°0'0"N
18°0'0"N
15°0'0"N
12°0'0"N
N
W
E
S
مكة
الطائف
نجران
جيزان
صعدة
الربع الخالي
مأرب
بيحان
صنعاء
ذمار
الحديدة
زبيد
عدن
حضرموت
المكلا
الشحر
سيحوت
قشن
مسقط
وعمان
البحر
العربي
خليج عدن
سقطرى
0 50 100 200 300 400
Kilometers
عمل / صلاح الدعيس

٣- قبيلـة خـولان .. وهي قبيلة كبيرة تعد بطناً من كهلان ، مدينتهم أي عاصمتهم صعدة ، وتمتد شمالا حتى وادي نجران ، وجنوباً حتى يلتقي ببلاد همدان ، وسهلها الغربي يدخل في تهامة ، أما الشرق فيتلاصق مع بلاد مذحج (سرو مذحج) .

وقبيلة خولان لها فرعان كبيران أولهما : فرع خولان قضاعة ، وهؤلاء يقطنون صعدة وما حولها . وثانيهما : فرع خولان بن عمرو ، أو خولان العالية (خولان الطيال) ، ويسكنون شرقي صنعاء .. ولكل من الفرعين كيانه الخاص وعلاقاته بغيره من القوى القبلية الأخرى ، إلاَّ أن العلاقة بين خولان قضاعة وهمدان كانت علاقة صراعٍ دامٍ بوجه عام ، حتى عرفت حروبهم بحروب قضاعة[١] ، بينما (خولان الطيال) كانوا على علاقة مصاهرة مع (الأبناء)[٢] .[انظر: الملحق رقم (١)] .

٤- قبيلـة همـدان .. تقع بلاد همدان شمال صنعاء ملتقية ببلاد خولان من ناحية الشمال ، أما من ناحية الجنوب فتتصل بمدينة صنعاء ، ومن الشرق تلتقي ببلاد خولان العالية ، والجوف ، وسرو مذحج ، ويطل من الغرب على تهامة ، ويلتقي في الشمال الغربي منه مع بلاد السَّراة .

وتنقسم قبيلة همدان إلى فرعين كبيرين وهما : حاشد التي تتركز في شرق بلاد همدان ، وبكيل وتتمركز في غرب بلاد همدان . ولكل من الفرعين بطون وعشائر عدة فمن حاشد مثلاً بطون خارف ويام ووادعة والمرانيين .. ومن بكيل بطون : نهم وأرحب وغيرهما ..

وأكثر علاقتهم الحربية كانت مع خولان التي طالت حتى عرفت بحرب قضاعة ثم مع مذحج ، وأما أهم علاقتهم السلمية فكانت مع بعض حمير ومع الأبناء الذين عُقد فيما بينهم صلح ، وعلى إثره تحالفا ضد قبيلة مراد المذحجية ، وكانت موقعة الرزم[٣] التي

---

[١] الهمداني . صفة جزيرة العرب ٢٣٥ ، ٢٤٨ – ٢٥٠ – الهمداني . الإكليل ١٠ / ٥٥، ٧١ ، ٧٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ – الهمداني . الإكليل ٢٧٢/٢ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٣٧ . وخولان الطيال نسبة إلى الجبلين المعروفين في خولان (انظر : د. محمد السلامي . خولان الأرض والقبيلة في المصادر التاريخية . رسالة ماجستير غير منشورة) .

[٢] الهمداني . الدامغة ٣٦٣ . مجهول . تاريخ في المغازي والفتوح ٣٦ / أ (مخطوط) .

[٣] الرزم : منطقة قريبة – حالياً – من قرية المجزر التي سميت بذلك —كما يقول أهلها — للمجزرة التي وقعت بين همدان ومراد وتبعد عن مدينة صنعاء مائة كيلومترا ، وعن مدينة مأرب غرباً بسبعين كيلومترا ، وتبعد عن مدينة حزم الجوف بخمسة عشر كيلومترا ، وما زال اسم (الرزم) يطلق على تبة صغيرة في وسط وادي ملاحا (الحجري . مجموع ١٩٧/١، ٣٦٦/٢ . بعض هذه المعلومات أمدني بها أحد أبناء المنطقة هو : طلال علي الولص عام ١٩٨٩م) .

وقعت بين مراد وهمدان التي وافق تاريخ وقوعها وقوع غزوة بدر ، وهي السنة الثانية للهجرة ، وكانت بسبب نزاعهم على الجوف[1].[انظر: الملحق رقم (٢)] .

٥- قبيلـة حميـر .. هذه القبيلة تقطن (سرو حمير) الواقع بين تهامة غرباً ، وسرو مذحج شرقاً ، ومتداخل مع حضرموت في الجنوب الشرقي ، وأما من الشمال فهو يلتقي بهمدان وخولان العالية (خولان الطيال) ، والأبناء في صنعاء ، وأما الجنوب فيصل إلى عدن – منطقة الأبناء – والبحر العربي .

وتتفرع قبيلة حمير إلى فروع عدة وكل (زعيم) فرع يطلق عليه (ملك) ، ولذا تعددت الالقاب الملكية فيهم بينما الواحد منهم لا يتعدى سلطانه على أحد الوديان .. وأبرز فروعهم العشائرية هي الأسر الحميرية الثمان التي توزع فيهم الملك الحميري[2] . بالإضافة إلى ذي ظليم ، وذي أصبح (آل الصباح) ، وآل عبد كلال ، والكلاعيين[3]. هذا غير القبائل غير الحميرية التي سكنت مع حمير في سروهم ومعظمهم من كندة مثل : السكاسك والسكون وتجيب والصدف ..

والحميريون كغيرهم من القبائل لهم صلاتهم الحربية والسلمية مع جيرانهم ، وتميزت علاقتهم مع الأبناء وحضرموت وهمدان بحسن الجوار ، بينما لم تسلم علاقتهم بمذحج من التقاتل والصراع[4] . [انظر الملحق رقم (٣)] .

٦- قبيلة مَذْحِج[5] .. وهي قبيلة كبيرة تفرقت بطونها في أكثر من مكان من اليمن ، وتقطن أصولهم في (سرو مذحج) الذي يقع في شرق اليمن الموازي لتهامة اليمن

---

[1] الهمداني . صفة جزيرة العرب ١٥٣ – ١٦٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ – الهمداني . الإكليل ١٠/ ٤٢ – ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٦ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٩٠ ، ٢٢١ – ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٩ – ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٣٧ – الجندي . السلوك ١١٩/١ (مخطوط) .

[2] الأسر الحميرية هذه هي : آل ذي مناخ ، وآل ذي يزن ، وآل ذي خليل ، وآل ذي مقار ، وآل ذي عثكلان ، وآل ذي ثعلبان ، وآل ذي معافر ، وآل ذي جدن .

[3] يتفرع الكلاعيون إلى ثمانية عشر فرعاً .

[4] ياقوت. معجم البلدان ٢١٧/٣– الهمداني . صفة جزيرة العرب ١٧٥ – ١٨٧ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ١٤٤– الاشعري . اللباب إلى معرفة الأنساب ١٨ / ب (مخطوط) – الجندي . السلوك ١١٨/١ – الهمداني . الإكليل ١٠ / ١٦٣ – ١٦٧ .

[5] مَذْحِج على وزن مَسْجِد .

والمجاور للسلسلة الجبلية الممتدة من الطائف شمالاً حتى عدن جنوباً ، فسرو مذحج يمتد شمالاً من (تثليث) التي تقع شرق الطائف ، ومروراً بشرق كل من نجران ، وخولان ، وهمدان ، وسرو حمير ، ويتداخل مع أطراف حضرموت الغربية ، حتى يستقر جنوباً في دَثِيْنَة الواقعة بين (مدينة الجند) حاضرة سرو حمير ، و (عدن) ميناء الإدارة الفارسية ، ثم إلى (الكور) المسمى حديثاً بكور العوالق[1] .

وعشائر هذه القبيلة كثيرة : بعضهم ترك الإقامة في السرو وانتقل إلى مناطق أخرى مثل وادي نجران الذي انتقل إليه بنو الحارث بن كعب ، وقد سبق الحديث عنهم . وشمال تهامة الذي انتقلت إليه قبيلة سعد العشيرة وسيأتي الحديث عنها . وبلاد السراة التي نزلت فيها قبيلة صداء وقد سبقت الاشارة اليها . وبلاد حضرموت نزلت فيه قبيلة جعفي .. والبعض الأغلب ظل في سرو مذحج .

وأهم القبائل المذحجية التي بقيت في سرو مذحج هي : (مراد) و (عنس) و (زُبَيْد) و (مَسْلِيَة) و (أَوْد) و (الرها) [2] .

وبما أن كل بطن من بطون مذحج يشكل كياناً منفصلاً عن غيره ، فقد كانت العلاقات والصلات مع الجيران متضاربة وغير متجانسة . ولكن أهم هذه القبائل هي مراد التي كانت تجاور همدان والأبناء ، وكانت علاقتهم بهما علاقة حرب وثأر ، وآخر موقعة

---

[1] الهمداني . صفة ١٤٦ .

[2] (مراد) تسكن مشارق صنعاء وتتصل جنوباً ببابين وهي سوقهم التجارية ، وببيحان شرقاً ، وبخولان غرباً ، والجوف شمالاً – وأما (عنس) فهي الآن غرب ذمار وتبعد عنها بحوالي ٤١ كم وتسمى عنس السلامة ، ومغرب عنس ، ومنهم فرع في شمال الجوف في وادي (خب) ومنه خرج الأسود العنسي – وأما (زُبَيْد) – بضم الزاي – فكانت تسكن مجاورة لعنس ، ولها وجود شمال سرو مذحج في شمال شرق صعدة وفي وادي تثليث – أما (مسلية و أود) فهما في شمال سرو مذحج – أما (الرها) فيسكنون شرق محافظة البيضاء حالياً (انظر : الحجري . مجموع بلدان اليمن ١/١١٤ و ٢/٣٩٢ و ٣/٦١٣ و ٤/٧٠٢ – المقحفي . معجم البلدان اليمنية ٤٧٤، ٦٠٦ – البكري . معجم ما استعجم ١/٣٠٤ ، ٣٠٥ – البلادي . بين مكة وحضرموت ١٧٣ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ٨١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٨١ ، ١٨٢، ١٨٧ ، ٢٢٤) .

بين همدان ومراد هي موقعة الرزم في رمضان من السنة الثانية للهجرة[1] . [انظر الملحق رقم (٤)]

٧- قبائل تهامة .. يمتد هذا الاقليم من حدود تهامة الحجاز شمالاً حتى عدن جنوباً ، ويصل طوله إلى ٩١٥كم ، ويحده من الشرق نجد اليمن وهي السلسلة الجبلية الممتدة من الطائف حتى عدن ، والتي تقطنه قبائل بلاد السراة وخولان وهمدان وحمير ، وأما الغرب فهو بحر القلزم .

وتنتشر في تهامة قبائل صغيرة متناثرة ، وغير متجانسة من حيث النسب ، أو من حيث الانتظام الإداري ، ففي الشمال الملاصق لبلاد السراة توجد قبيلة سعد العشيرة وهي من مذحج وفي جنوبها ومنطقة الشمال الغربي تلتقي همدان وخولان وحمير ، وفي وسط تهامة تقطن قبيلة الأشاعر وعك ، وحاضرتهم مدينة زبيد ، وفي جنوب الإقليم توجد قبيلة الأصابح الحميرية وهي مرتبطة بالقبائل الحميرية .

ولم نجد – فيما وصل إلينا من معلومات – رابطة تجمع أشتات هذه القبائل الا ماعرف عن صلة المصاهرة التي كانت بين الاشعريين وعك[2]، ولم نعرف زعيماً واحداً قاد القبيلتين معاً .. وان كانت لهم تحالفات – ربما لضعفهم أو لطبيعة العلاقات يومئذ – مع قريش[3] ؛ لأن كل من يصل إلى مكة لابد أن يكون له حليف من إحدى قبائلها كما هو حال الأشاعر الذين كانوا يحالفون بني عبد شمس من قريش .

٨- قبائل إقليم حضرموت . . هذا الاقليم على امتداده الطويل من عمان والبحر العربي شرقاً إلى عدن وسرو مذحج وسرو حمير غرباً ، ومن البحر العربي جنوباً إلى الربع الخالي شمالاً لا يعد وحدة إدارية واحدة بل كان مقسماً إلى ثلاثة أقسام :

---

[1] هذه المعلومات مستقاة من : الهمداني . صفة جزيرة العرب ٥٩ ، ٨١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ – ١٨٧ ، ٢٢٤ ، ٢٥٨ – ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤١١ – ٤١٣ – الزبيدي . تاج العروس ٢٥٥/٨ – ياقوت . المعجم ١٦١/٤ – البكري . معجم ما استعجم ٣٠٤/١ ، ٣٠٥ – الحجري . مجموع بلدان اليمن ٣٤٦/٢ ، ٣٩٢ – البلادي . بين مكة وحضرموت ١٧٣ – الاصفهاني . الاغاني ١٦٧/١١ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ١٤٤ .

[2] الهمداني . صفة جزيرة العرب ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٢٥٨ – ياقوت . المعجم ٣٣٢/٢ و ٦٨/٣ ، ٢٨٩ و ٦٧/٥ – كحالة . معجم قبائل العرب ٣٠/١ ، ٣١ و ٨٠٢/٢ و ١٠٤٢/٣ .

[3] ابن حجر . الإصابة ٣٥٥/٤ .

أ – قسم تنزل فيه قبيلة المهرة ، وهو الساحل الجنوبي الشرقي المحاذي لعمان ، ومدينتهم الشحر . وكانت تفرض سيادتها على سوق الشحر – وهي سوق شهيرة عند العرب ترتادها القوافل من شتى أنحاء الجزيرة العربية – وكانت قبيلة المهرة تتولى حماية القوافل التجارية الواردة إليها ، مع العلم أن كلام سكان المهرة ليس فصيحاً كما قال الهمداني .

ب – وقسم تنزل فيه قبائل حضرموت بأذوائها وأقيالها ، وهو وادي حضرموت ، ومدينتهم شبام حضرموت ، وتلتقي بلادهم مع حمير ومذحج من ناحية غرب الاقليم . وقبائل حضرموت مكونة من كيانات قبلية يتزعمها (أذواء) و (أقيال) منهم زعماء عشائر ، وهذا يشبه ما عند كندة وحمير من كثرة الألقاب الملكية .. ولهذا يقال : أقيال شبوة ، وبني مرحب ، وكان وائل بن حجر الحضرمي أحد هؤلاء الأقيال .. ولا علاقة لأقيال حضرموت مع كندة إلاَّ الحرب ، بينما كان حسن الجوار مع الأبناء في عدن ومع حمير وبعض القبائل المذحجية الصغيرة[1] .

ج – وقسم تقطنه قبيلة كندة ، وهو أعلى إقليم حضرموت وكانوا متمركزين في وادي دوعن ووادي عين ، وفيه حصن النجير ، ومدينة تريم .

وقبيلة كندة جاءت من شرق الجزيرة العربية واتخذت لها منزلاً في إقليم حضرموت منافسةً بذلك قبائل حضرموت في أراضيها . وتنقسم عشائرياً إلى قسمين كبيرين : بني الاشرس ، وبني معاوية . والأخيرون هم المعنيون بكلمة كندة إذا اطلقت ولم تقيد .. وبنو الاشرس منهم الصدف والسكاسك والسكون وتجيب . ولا يسكن جميعهم في حضرموت بل السكاسك والسكون تنزل مع حمير .

وبنو معاوية منهم بنو وليعة وبنو الحارث .. وكان منهم حال ظهور الإسلام خمسة ملوك خامسهم امرأة تسمى العُمُرِّدة . وكان منهم الأشعث بن قيس . فالألقاب الملكية

---

[1] الهمداني . صفة جزيرة العرب ٥ ، ٤٥ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ١٤٧ ، ١٦٨ ، ١٧١ – ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢٧٧ – ياقوت . المعجم ٢/١٦ ، ٢٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ و ٣/٢٢٩ و ٤/٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٤٦٠ و ٥/٢٣٤ ، ٢٧٢ – ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤٢٨ ، ٤٢٩ – الحامد العلوي . تاريخ حضرموت ١/٢١ – الهمداني . الإكليل ٢/١٣ – ١٦ و ٨/ ٩٠ – البكري . معجم ما استعجم ١/٣١١ – الشاطري . أدوار التاريخ الحضرمي ١/٨٩ – اليعقوبي . التاريخ ١/٢١٦ ، ٢٧٠ و ٢/٧٩ – ابن حبيب . المحبر ٢٤٥ ، ٢٦٧ – الأفغاني . أسواق العرب ٢٣٠ ، ٢٤٠ – الأصطخري . مسالك الممالك ٢٥ – ابن سعد . الطبقات ١/٣٤٩ – ٣٥١ .

تشتهر فيهم لأن كل واحد كان يمتلك وادياً ويصبح مَلِكاً بهذا الاعتبار ، وتقليداً لألقاب آبائهم الأقدمين .

وعلاقتهم حربية طاحنة مع حضرموت حتى كاد أن يفني أحدهما الآخر ، ولم يحجز بينهما إلاَّ ظهور الإسلام ، بالإضافة إلى العلاقات المضطربة مع القبائل المجاورة سلماً وحرباً . [انظر : الملحق رقم (٥)] .

من هذا العرض الموجز للوضع السياسي لليمن وكياناته المختلفة (الفارسي والرومي والقبلي) تتضح لنا صورة اليمن حال ظهور الإسلام بأنها لا تربطها قيادة واحدة ، ولا تتجمع على ولاء سياسي واحد .

ومما يزيد هذه النتيجة وضوحاً :

١- ما يستنتج من المراسلات التي كانت تتم بين الرسول ﷺ وبين زعماء اليمن ، فقد كانت تصدر باسم ملوك حمير[١] ، وأقيال حضرموت[٢] ، وملوك كندة[٣] ، مع علمنا التام أنهم ليسوا ملوكاً بالمعنى المعروف للكلمة وإنما كانوا يمتلكون ودياناً يديرونها[٤]، وهم رؤساء عشائر أو أسر، فأطلقوا على أنفسهم هذه الألقاب وعرفوا بها ..

٢- فإذا ما أضفنا إلى ذلك كثرة الوفود اليمنية التي يممت وجهها شطر المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية تخطب ودها أو تعلن إسلامها .

بناءً على ما سبق نخلص إلى نتيجة شاخصة وهي أن التمزق السياسي والإداري لليمن لا يقل عن التمزق الفكري والاعتقادي في هذه الآونة مثله مثل بقية الجزيرة العربية .

وهذا التوصيف سيفيدنا فيما بعد عندما نحدد موقف اليمن من الإسلام . فاليمن لم يكن دولة واحدة تلقى زعيمها رسالة واحدة من الرسول ﷺ فحدد

---

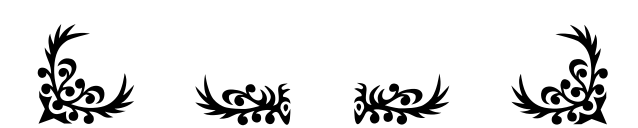
[١] ابن هشام . السيرة ٤١٤/٧ (مع الروض الأنف) – ابن سعد . الطبقات الكبرى ٣٥٦/١ .

[٢] اليعقوبي . التاريخ ٧٧/٢ ، ٧٨ – ابن منظور . لسان العرب ٢٧٩٠/٤ – الألوسي . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ١٨٤/٢ .

[٣] ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤٢٥ – ٤٢٩ – ابن سعد . الطبقات ٢٦٥/١ ، ٣٤٩ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ١٧٦ .

[٤] ياقوت . معجم البلدان ٢٧١/٢ .

موقفه من الإسلام قبولاً أو رفضاً ، بل جاءت رسائل إلى زعماء كثر ، ووفد وفود كُثر ، ومن ثم كانت مواقفهم من الإسلام متباينة كما سنوضحه فيما بعد .



الفصل الثاني

تحول اليمن
من الجاهلية إلى الإسلام

تمهيد :

تتردد في أوساط أهل اليمن طريقة إسلامهم فيما يشبه الأسطورة ، إذ يقولون إن أجدادهم دخلوا الإسلام دفعة واحدة وبطريقة سلمية واحدة ، فبمجرد تسلمهم رسالة من رسول الله ﷺ أسلموا فوراً ولم يكلف إسلامهم عناء يذكر من قبل الدولة الإسلامية ، ويُرْجِعُون هذا إلى أسباب منها : أن اليمنيين كانوا على استعداد نفسي لقبول الإسلام لأنهم أصحاب حضارات قديمة ، ولوجود أهل الكتاب فيهم وعدم حبهم للوثنية .

وهي مقولة يعوزها الدليل ؛ لأن الأسباب التي اعتمدوا عليها ينقضها الواقع . فكم وقفت الدولتان الفارسية والرومية في مواجهة الإسلام وهما أكثر حضارة من أهل اليمن – على الأقل في هذه الحقبة – ؟! وكم وقفت اليهودية والنصرانية ضد الإسلام وهم أهل كتاب ؟! فلماذا يتفرد أهل اليمن دون غيرهم بهذه الخاصية ؟!

وأيضاً من المُسَلَّمات عند أهل اليمن وهي غير مقبولة تاريخياً أنهم دخلوا الإسلام في أول جمعة من رجب ، ولهذا يحتفلون بهذا اليوم ويجعلونه بمثابة العيد[1].وهي أيضاً أسطورة موروثة لا تمت إلى الحقائق التاريخية بصلة .

إن إسلام أهل اليمن يحتاج منا إلى وقفة جادة تستند على المصادر الأصلية ، والتحليل لما جاء في تلك المصادر لرسم الصورة الحقيقية لهذه الحقبة المهمة لأنها بداية عصر وانتهاء عصر .. بداية لعصر الإسلام بكل مقوماته ، وانتهاء لعصر الجاهلية بكل مخلفاته ، وهذا يقتضي جهداً غير عادي لإحداث التغيير المطلوب والانتقال من وضع إلى وضع.

مراحل تحول اليمن من الجاهلية إلى الإسلام :

ولكي نصل إلى ما نريد لابد من صياغة الموضوع من خلال مرحلتين :

مرحلة وصول الإسلام إلى اليمن تلقائياً ، ومرحلة التوجه الرسمي للدولة الإسلامية في إيصال الدعوة الإسلامية إلى اليمن ..

---

[1] تختلف مراسيم الاحتفال بهذا اليوم عند أهل اليمن ، فأهل المناطق المجاورة للجند يزورون مسجد الجند بزعمهم أن زيارته تعدل عمرة ، وتقام في هذا اليوم طقوس صوفية ، أما في صنعاء وما حولها فيلبسون الثياب الجديدة ويتزاورون كأنه عيد (انظر : عمارة اليمني . المفيد في أخبار صنعاء وزبيد . ص٧٢ ، ٧٤ وتعليق المحقق / محمد علي الأكوع) .

المرحلة الأولى : مرحلة وصول الإسلام إلى اليمن تلقائيا :

تمتد مرحلة سماع أهل اليمن بالإسلام .. أو وصول الإسلام التلقائي إلى اليمن من الناحية الزمنية حوالي تسعة عشر عاماً تبدأ بالبعثة النبوية (٦١٠م) وتنتهي بصلح الحديبية نهاية العام السادس الهجري (٦٢٨م) . ولكي نعرف ما الذي عَرَّفَ أهل اليمن بالإسلام لابد من عرض موجز وسريع للأحداث التي حصلت في جزيرة العرب بسبب ظهور الإسلام .. ثم نُعَرِّف بالطُّرق التي وصلت عبرها الأخبار والأحداث المتعلقة بالإسلام .

المتغيرات في الجزيرة العربية :

في هذه المدة (١ للبعثة – ٦ للهجرة)[١] حدث الكثير من الأحداث داخل الجزيرة العربية ، وحصلت تغييرات كثيرة ما برحت مثار حديث الناس وعجبهم سواء على المستوى الفردي أو الجماعي .

فقد ظهر محمد بن عبد الله ﷺ في مكة المكرمة رسولاً من عند الله ، يدعو إلى تصور جديد يقلب موازين الناس كلها ، إنها دعوة تفرد الله سبحانه بالسلطان المطلق ، وتنزع عن البشر أي سلطان : سلطان في العقيدة ، أو سلطان في العبادة والشعيرة ، أو سلطان في التنظيم والشريعة .

وظل ثلاث عشرة سنة في مكة يمارس الدعوة بمخالطة الناس في المجتمع المكي ، في الوقت الذي يعتزل فيه المجتمع الجاهلي بكل ما فيه من ممارسات مخالفة للتصور الجديد ، وتمكَّن من أن يقتطع من المجتمع الجاهلي نخبة من الرجال واجهوا مجتمعهم صامدين ثابتين رغم المحاولات الكثيرة التي بذلتها قيادة المجتمع المكي لإيقاف الدعوة أو لإخماد أنفاس أصحابها .

وخرج بعضهم إلى الحبشة (الهجرة إلى الحبشة) فارين بدينهم رغم الغربة اللسانية ، والمكانية ، والمعيشية ، إلاَّ أن ما يحملونه من دين كان أقوى في نفوسهم من أي شيء آخر حيث جعلهم يرتفعون عن كل اعتبار .

وقد عمل رسول الله ﷺ على تعدد أساليب الدعوة من سرية إلى جهرية ، ومن مخاطبة الزعماء (الملأ) إلى مخاطبة الضعفاء ، ومن مخاطبة أهل مكة إلى محاورة الوافدين إلى

---

[١] لكي تعرف ما حدث بالتفصيل يمكنك مراجعة كتاب تاريخ صدر الإسلام للمؤلف .

مكة ، ومن البقاء داخل مكة إلى الخروج منها ، داعياً إلى الله وإلى نصرته وإيوائه حتى يُبَلِّغ عن الله ما كلفه به ..

وقد قابل رسول الله ﷺ في مواجهة هذا كله الإعراض ، والتكذيب ، والاستهزاء ، والسخرية ، والإيذاء النفسي والجسدي .. في شخصه هو وفي أصحابه الذين كان يراهم يعذبون ويطاردون .. وكانت آخر هذه المحاولات أن تآمروا على قتله ﷺ بعد أن يأسوا من محاولاتهم كلها التي كان منها المساومة والإغراء لكي يتخلى عن دعوته أو يتنازل عن جزء منها ..

وقد أثمر جهد رسول الله ﷺ عُصْبَة من أصحابه كانوا هم اللبنات الأولى التي حملت الدعوة الإسلامية ، وهي التي تولت قيادة الأمة ، وحملت أمانة الأمة على عاتقها بعد وفاته ﷺ.

وتعددت انتساباتهم النسبية ، فكان منهم من أبناء قريش ، ومنهم من أبناء القبائل الأخرى وأجناس غير عربية ، ومن هؤلاء من أهل اليمن كما سنوضحه فيما بعد .

وانتقلت الدعوة – مع الهجرة – إلى (يثرب) المدينة المنورة التي صارت أرض الإسلام ، ودار الهجرة ، ومقر الدولة الإسلامية فامتزجت الدعوة بالدولة .

وبدأت هذه الدولة تقيم منهجاً جديداً لم تألفه البشرية كلها حينذاك .. إنها علاقة تقوم على إعطاء حق التحليل والتحريم لله سبحانه ، وحق السلطان في حياة البشر له سبحانه ، كما أن له حق السلطان في الكون كله ، ولا قداسة لأحد من البشر ، وأن جميعهم بما فيهم الرسول الذي يقودهم هم عبيد لله سبحانه ، محكومين بما ينزله من تشريع ، ومبادئ ، وقيم ، ومثل ، وموازين .

وعلى هذا السبيل سار رسول الله ﷺ يقود هذه الأمة (الأمة المسلمة) بهذه الدولة الوليدة التي وجدت لتكون دولة على الأرض كلها ، وليست محدودة بأرض أو جنس .

فأقام دولة حددت علاقاتها مع من حولها ، وسارت وفق سياسة مرسومة لإيصال الدعوة إلى الجميع .. وتمكنت من بناء كيانها في الداخل .. ثم جرَّت قريشاً إلى معركة (بدر في رمضان ٢هـ/ ٦٢٣م) لتكون هي المعركة الفاصلة (الفارقة) التي أعطت للدولة الإسلامية مكانة خاصة .. وأثرت في سمعة قريش زعيمة العرب في مواجهة الدولة الإسلامية ، وتلتها معارك قضت على كل مقاومة لقريش (أحد في شوال ٣هـ/ ٦٢٤م والأحزاب في شوال ٥هـ /٦٢٦م) .

وتحركت سرايا وغزوات هذه الدولة خلال ست سنوات بعد الهجرة ، فهددت حدود دولة الروم في (دومة الجندل ربيع الأول ٥هـ / ٦٢٦م) ، وتم التخلص من يهود المدينة

ومؤامراتهم ضد الدولة الإسلامية (بنو قينقاع في ٢هـ/ ٦٢٣م ، وبنو النضير في ٤هـ / ٦٢٥م ، وبنو قريظة في ٥هـ / ٦٢٦م) .

ووصلت السرايا حتى جنوب الطائف جنوباً وإلى نجد شرقاً وإلى شواطئ بحر القلزم (الأحمر) غرباً وإلى قبائل قضاعة على مشارف الشام شمالاً .

ثم أقدمت الدولة الإسلامية على حركة تشي بسلطان الدولة وقوتها وهي تلك الحركة التي دعا إليها رسول الله ﷺ وعرفت (بالعمرة) التي كانت بمثابة غزو قريش سلمياً دون حرب ، ثم تحولت إلى ما عرف بصلح الحديبية (ذو القعدة ٦هـ/ ٦٢٧م) الذي كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر قريش زعيمة الجاهلية العربية في مواجهة الدولة الإسلامية .

هذه الأحداث الجسام التي غيرت مجرى التاريخ على ظهر شبه الجزيرة العربية وصارت مقدمة لها ما بعدها من أحداث غيرت مسار التاريخ البشري ..

طرق ووسائل وصول الإسلام تلقائياً إلى اليمن :

إن هذه الأحداث الضخمة كان لابد لها من وصول إلى بلاد اليمن – ولابد لها من تأثير – لأنها ستثير فضول السامعين ، وسيتحول هذا الفضول إلى إقبال وإعجاب ، أو خوف ورهبة من هذه القوة المنطلقة غير المترددة .

وابتداءً لابد أن نقرر من الناحية الواقعية أن اليمن – مثله مثل بقية الجزيرة العربية – قد سمع أخبار ظهور دعوة الإسلام ، وحركتها ، ومواجهتها لكل من حولها ، وقيام دولة الإسلام وتغلبها على القوى الجاهلية المناوئة .

أما وصول أخبار الإسلام إلى اليمن فقد كان له من الوسائل والمنافذ ما يكفل وصوله .. وأبرز هذه الوسائل هي مواسم الحج والعمرة ومواسم التجارة فهما خير وسيلة ، بل هي الوسيلة التي كانت متعارف عليها في أرجاء الجزيرة العربية :

أ – فأما مواسم التجارة فقد ارتبطت اليمن – لموقعها التجاري المهم[1] – بأسواق موسمية معروفة مكاناً وزماناً داخل اليمن أو خارجها ، بالإضافة إلى الأسواق المحلية : شهرية أو أسبوعية ، فقد كانت الجزيرة العربية تضم ستاً وعشرين سوقاً تجارية ، كان نصيب اليمن منها ستة أسواق هي : الشحر وهي للمهرة ١٥شعبان ، وعدن ١ رمضان ، وصنعاء

---

[1] الأفغاني . أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ١٥ ، ١٦ – بافقيه (الدكتور) . تاريخ اليمن القديم ١٨٧ ، ١٨٨ .

١٥ رمضان ، وكلاهما للأبناء ، والرابية في حضرموت في ١٥ ذي القعدة وهي لكندة ، والجند لحمير ، ونجران لإدارة مدينة نجران[١].

وكانت طرق القوافل التجارية تخترق اليمن شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً[٢] .. ومن ثم كانت لقريش رحلتا الشتاء والصيف الدورية التي لم تتخلف عنهما إلاَّ بعد أن نشب الصراع بين الإسلام والجاهلية العربية ممثلة في قريش[٣]، بالإضافة إلى أن شخصيات قرشية تجارية مهمة كانت ذات علاقة وطيدة بشخصيات تجارية يمانية كالعباس بن عبد المطلب الذي كان على علاقة خاصة بعفيف الكندي الذي كان في مكة أول ظهور للرسول ﷺ وهو يعبد الله وحده[٤] .

ونحب أن نوضح أن الأسواق التجارية العربية لم تكن للبيع والشراء فحسب ، وإنما كانت – إلى جانب ذلك – منتديات عامة تجري فيها كل شئون القبائل التجارية ، والسياسية ، والإدارية ، والأدبية ، والاجتماعية[٥] . فكان العربي إذا أراد أن يصنع شيئاً ذا قيمة كان يصنعه في السوق كإعلان حرب أو إيقافها ، وإشهار قصيدة شعرية ، أو تحاكم وفض خصومات ، أو خلع أحد أبناء القبيلة ، أو إعلان إجارة أحد .

ب – وأما مواسم الحج فهي وإن كانت تشترك مع بعض المواسم التجارية في بعض زمانها والاستفادة منها الا أنه بالتأكيد لم يكن الناس كلهم لديهم المال الكافي لممارسة التجارة ، بينما لا يمتنع أحد عن الذهاب إلى مكة لأداء مناسك الحج والعمرة ، لأن الكعبة قبلة العرب ، ومهوى أفئدة الناس ، فبدهي أن لا يخلو عام من حجيج يؤدون مناسكهم – على الرغم من اختلاطها بالطقوس والشعائر الشركية الوثنية – وأصبح اليمنيون

---

[١] اليعقوبي . التاريخ ٢٧/١ – المرزوقي . الأزمنة والأمكنة ٢٣٣/٢ ، ٢٣٤ – ابن حبيب . المحبر ٢٦٧ – البغدادي . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٣٦٠/٤ – ٣٦٢ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ٣٣٢ – الأفغاني . أسواق العرب ١٥ ، ١٦ .

[٢] سعيد الأفغاني . أسواق العرب ١٥ ، ١٦ .

[٣] ابن كثير . تفسير القرآن العظيم ٥١٢/٨ .

[٤] الطبري . تاريخ ٣١١/٢ ، ٣١٢ – ابن حجر . الاصابة ٤٨٧/٢ – ابن عبد البر . الاستيعاب (بهامش الاصابة) ١٦٣/٣ – ١٦٥ .

[٥] اليعقوبي . التاريخ ٢٧٠/١ – السهيلي . الروض الأنف ٢٤/٤ – سعيد الأفغاني . أسواق العرب ٢٤٢ وما بعدها .

يرتادون مكة كل عام ، ولهم تلبياتهم الخاصة ، وتسمياتهم أيضاً المختلفة ، ومنازلهم المخصصة لهم[1].

هذه المواسم بنوعيها : التجارية والحج والعمرة كانت خير وسيلة لتبادل كل ما استجد من أخبار ، ولوصول كل جديد يتعلق بالإسلام والمسلمين . ويزيد هذا الأمر وضوحاً أن بعض اليمنيين كانت لهم صلات وأحلاف مع قريش كالأشاعر فقد كان لهم حلف ولاء مع بني عبد شمس[2] ، وأن الرسول ﷺ وجه الدعوة إلى بعض أهل اليمن في هذه المواسم[3] كما ستأتي الإشارة إليه فيما بعد . بالإضافة إلى أن قريشاً – بصفتها ممثلة للجاهلية العربية – ما تركت وسيلة إلاَّ اتخذتها لإجهاض دعوة الإسلام ، ومنها إطلاق التهم على رسول الله ، وإشاعتها بين كل من يقدم إلى مكة من العرب للحج والعمرة أو للتجارة ، فكان هذا ربما يثير فضول السامعين ، فيدفعهم إلى الإقبال على الرسول[4] ﷺ سائلين عما يدعو إليه ، وقد يوصلهم هذا إلى أن يسلموا كما سيأتي عن الطفيل بن عمرو الدوسي .

ومن الأخبار المثيرة التي لابد أن يتسامع بها الناس أن قريشاً حينما تضررت اقتصادياً من صدامها مع الدولة الإسلامية اشترطت في صلح الحديبية (في السنة السادسة للهجرة) استمرار رحلتي الشتاء والصيف وعدم التعرض لها[5] ، وهذا معناه أن قريشاً لم تتمكن من القيام برحلاتها التجارية بين الأسواق التجارية في ربوع الجزيرة العربية ، وهذا بالتأكيد يثير أكثر من تساؤل عند القبائل العربية . فما الذي عرقل مثل هذه الرحلات التي كانت لا تنقطع ؟ وما هو هذ الدين الذي قامت عليه هذه الدولة التي صارت قريش تطلب منها أن تسمح لها بتسيير قوافلها التجارية دون موانع .

---

(1) ابن هشام . السيرة ٦٤/٤ – ابن حبيب . المحبر ١٧٩ ، ١٨١ – السهيلي . الروض الأنف ٢٨٩/٢ .. وراجع للمؤلف : اليمن في صدر الإسلام .

(2) الطبري . التاريخ ٣١١/٢ ، ٣١٢ – البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٤١١/٢ ، ٤١٢ – ابن حجر . الاصابة في تمييز الصحابة ١٦٣/٣ – ١٦٥ .

(3) ابن سعد . الطبقات ٢١٦/١ – ٢١٧ – ابن هشام . السيرة ٣٨/٤ ، ٤٠ (مع الروض الأنف) – ابن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٨١/١ ، ٣٨٢ – ابن حجر . الاصابة ٢٧٥/١ . كان منهم بعض من قبيلة كندة وقبيلة الحارث بن كعب المذحجية وعذرة والحضارم وهمدان (ابن كثير . البداية والنهاية ١٤٦/٣) .

(4) ابن الأثير . أسد الغابة ٧٨/٣ – ٨١ .

(5) البلاذري . فتوح البلدان ٤١ ، ٤٢ .

ومما لا ريب فيه أن تجارة اليمن ستتأثر من عدم مجيء رحلة قريش الموسمية إليها .. وهذا نفسه سيدفع أهل اليمن للتساؤل عما تحمله الدولة الوليدة في المدينة المنورة من أفكار وتصورات ونظم .

آثار سماع أهل اليمن بالإسلام :

كل هذه الأحداث وغيرها طوال تسعة عشر عاماً أفرزت آثاراً مهمة خاصة بأهل اليمن ووصول الإسلام إليهم لأنهم سمعوا بالإسلام وتطوراته منذ أن كان دعوة مختفيةً في وديان مكة إلى أن صار دولة له صولة وجولة يفاوض قريشاً على الدخول إلى مكة في العام السادس الهجري للعمرة ، وانتهى بصلح الحديبية الذي أظهر قريشاً نداً للدولة الإسلامية .

وصار لهذا السماع ردود أفعال في أكثر من مكان داخل اليمن ، وردود الأفعال هذه أحدثت هزة للمُسلَّمات الجاهلية عند الناس ، مما جعلهم بعد ذلك يقبلون على الإسلام في المرحلة الثانية .

أ- أن الإدارة الفارسية في اليمن - ضمن مهمتها داخل شبه الجزيرة العربية ، وبحكم وجودها داخل المنطقة -كانت تتابع سير الأحداث وظلت ترفع التقارير إلى المدائن - عاصمة الدولة الفارسية[1]- وتعلمها بما يدور داخل المنطقة التي تراقبها ، فأمدت القيادة الفارسية بالمعلومات التي تصلها عن تقدم الدعوة ثم قيام الدولة وتغلبها على من حولها .

وفي المقابل لم تحرك الدولة الساسانية ساكناً مقابل هذه الأحداث ، ومنها وجود دولة ناشئة لعدم اكتراثها بما يأتيها من أخبار عن طريق إدارتها في اليمن ، ظناً منها أنها مجرد صراعات قبلية معهودة عند العرب لا تشكل خطورة عليها .

ولعل الإدارة الفارسية في اليمن كانت - أثناء مراقبتها - على وعي بحقيقة القوة الجديدة الناشئة في قلب جزيرة العرب ، وأن تحركاتها تنبئ عن أن شأناً سيكون لها في مستقبل الأيام ، ولهذا لم تعمل على التفكير في مقاومتها أو إثارة القبائل ضدها ، بل كما سنلاحظ فيما بعد أنها كانت أول قوة في اليمن أسلمت وصارت تابعة للدولة الإسلامية .

---

[1] الطبري . التاريخ ٣١٢ - الأصفهاني . تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ١١٤ ، ١١٥ .

ب- دخول الإسلام إلى الوسط النصراني في نجران .. وردت رواية عند ابن إسحاق[1] أن نفراً من نصارى نجران جاءوا مكة وقابلوا رسول الله ﷺ وتأثروا بدعوته وأسلموا . وأقبل عليهم أشراف قريش يلومونهم ويوبخونهم ، وهم لا يردون عليهم ، فنزل فيهم – كما قيل – قول الله تعالى : ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (القصص : ٥٥) .

وبالرغم من أن هذه الرواية ليست محل ثقة إلاَّ أنها تعطينا إشارة إلى أن إمكانية وصول الإسلام إلى هذه المنطقة لم يكن بعيداً عن المنطق ، بل وقد يتأثر بعضهم ويُقبِلوا على الإسلام ، فهذا ليس مستبعداً ، وهذا ما سنلمسه ونتابعه في المرحلة الثانية إن شاء الله .

ج- إسلام بعض اليمنيين الذين أسلموا عند التقائهم برسول الله وعادوا إلى قبائلهم فأصبحوا في مناطقهم يدعون إلى الإسلام بناء على خطة رسول الله ﷺ بأن كل من أسلم في مكة من غير قريش يعود إلى قبيلته حتى لا يتعرض أحد منهم للإيذاء . ولم يسمح لهم بالتجمع إلاَّ بعد قيام الدولة ، وحينئذ وجبت عليهم الهجرة إلى دار الإسلام للمشاركة في بناء دولته الجديدة[2] .. ومن هؤلاء أبو موسى الأشعري ، والطفيل بن عمرو الدوسي ، وقيس بن نمط الهمداني الذين كانوا من أوائل من أسلموا وظلوا داعين إلى الإسلام بما لديهم من القرآن الكريم ، ليس معهم سوى بضع آيات معدودات من القرآن الكريم ومع هذا أثروا في قبائلهم وكانوا سبباً في إسلامهم فقدموا على رسول الله ﷺ في دار الإسلام وعاصمتها المدينة[3] .

ولابد لنا من تفصيل هذه النقطة لما لها من أهمية حيث سنجد رجالاً من اليمن أسلموا في هذه المرحلة كانوا فيما بعد من قيادات الأمة الذين صمدوا أمام المصاعب .

من هؤلاء :

---

(1) السيرة ٣/ ٣٧٣ ، ٣٧٤ – وانظر : ابن كثير . التفسير ٣/ ٣٩٤ .

(2) ابن كثير . البداية والنهاية ٣٤/٣ .

(3) ابن سعد . الطبقات ١/ ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ و ١٦/٦ – ابن حجر . فتح الباري ٦٦/١٦ – ٦٩ ، ٢٢٧ – الإصابة ٢٦٢/٣ – النووي . شرح صحيح مسلم ٦٤/١٦ – ٦٦ – ابن الأثير . أسد الغابة ٧٨/٣ – ٨١ ، ٣٦٧ – ابن هشام . السيرة (مع الروض الأنف) ٢٠٦/٣ و ٦ / ٥٣٦ – ابن كثير . البداية والنهاية ١٤٦/٣ – الهمداني . الاكليل ٢٢٠/١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

١- أبو موسى الأشعري .. ويسمى عبد الله بن قيس بن سليم من بني الأشعر الذين يقطنون وادي زبيد في تهامة . وصلت إليه أخبار ظهور نبي في مكة وهو في وادي زبيد ، فظل يسأل عن هذه الأخبار ، وكان شاباً في ريعان الشباب ، ومع هذا كان عصامياً فأقبل يتسمع الأخبار ، ثم قرر الخروج إلى مكة في وقت مبكر من الإسلام .

وكان الأشعريون متحالفين مع بعض قريش ، فأسرة أبي موسى كانت حليفة لآل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس[١] ، ولم يكن خروجه إلى مكة منفرداً ولكنه ضمن قافلة من قومه ، ومعه عمه واثنان من إخوته[٢]، وكانوا معتادين الخروج إلى مكة إلى حد أنه كان لهم مكان معروف لدى أهل مكة ينزلون فيه إذا جاءوا مكة وهو عند صنمي إساف ونائلة[٣] .

وتوحي الروايات التي ذكرت إسلامه أنه أسلم قبل الهجرة إلى الحبشة ، حتى عده البعض ممن أسلم ثم هاجر إلى الحبشة[٤] .

ولكن الروايات الصحيحة تؤكد على أنه أسلم قديماً في مكة نتيجة سماعه بالإسلام ، والتقائه بالرسولﷺ في مكة ، ثم عاد إلى بلده بناء على خطة رسول الله التي تقضي برجوع كل من أسلم من القبائل غير القرشية حتى لا يصيبهم الإيذاء ، أو لكي يكونوا في مأمن حتى يصبح للدعوة الإسلامية مقراً ومكاناً يأوون إليه .

وتمكن أبو موسى من دعوة قومه دعوة فردية على منوال ما كان يسير عليه رسول الله ﷺ مع قومه ، ولم يتلق من رسول الله ﷺ إلاَّ بضع آيات من القرآن ، ومع هذا نجح في دعوة ما يزيد عن خمسين رجلاً من قومه[٥].

ولعله ظل يتابع حركة الدعوة الإسلامية وهي تخطو خطواتها الأولى في مواجهة الجاهلية العربية ، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وهناك قرر أبو موسى ومن معه الخروج إلى دار الهجرة .. ولا ندري ما إذا كان هذا الخروج قد تم باتفاق بينه وبين

---

[١] ابن هشام . السيرة ٢٠٦/٣ (مع الروض الأنف) – ابن الأثير . أسد الغابة ٣٦٧/٣ ، ٣٦٨ .

[٢] ابن عبد البر . الاستيعاب ٣/ ٣٧١ (بهامش الإصابة) .

[٣] ابن هشام . السيرة ٣/ ٦٤ (مع الروض الأنف) .

[٤] ابن الأثير . أسد الغابة ٣/ ٣٦٧ رواية عن الواقدي .

[٥] ابن حجر . فتح الباري ١٦/ ٦٦ – ٦٩ . جاء هذا في حديث رواه البخاري وهو الحديث رقم ٤٢٣٠ – رواه مسلم (النووي . شرح صحيح مسلم ١٦ / ٦٤ – ٦٦) .

رسول الله أم هو حسب الخطة التي زوده بها ﷺ حينما أسلم وأمره بالرجوع إلى قومه حتى إذا ما يسر الله لهذه الدعوة أرضا هاجر إليها المسلمون جميعاً .

المهم أن أبا موسى قرر التوجه – ومن معه من مسلمي الأشاعر وعك – إلى المدينة ولكنهم حينما ركبوا البحر من ميناء (غلافقة على ساحل زبيد) لم تسعفهم الرياح للتوجه شمالاً وإنما عصفت بهم غرباً حتى وجدوا أنفسهم على سواحل الحبشة ، وهناك التقوا بإخوانهم المسلمين الذين عُرفوا بمهاجري الحبشة وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ، فأقام أبو موسى معهم[1] ربما بتوجيه من جعفر حتى يأتيهم أمر رسول الله ﷺ .

ولقد ظلت هذه الطائفة من الأشاعر وعك في الحبشة مع إخوانهم حتى أذن لهم رسول الله ﷺ بالعودة[2] فَقَدِمُوا وقد تم فتح خيبر في المحرم من السنة السابعة للهجرة ، ونالوا من الغنيمة ، رغم أنهم لم يشتركوا في الفتح[3] .

٢- الطفيل بن عمرو الدوسي .. عرفنا سابقاً أن قبيلة دوس إحدى قبائل بلاد السراة ، وكان الطفيل " سيداً مُطاعاً شريفاً في دوس "[4] وشاعرها .

وقد قدم إلى مكة في موسم من مواسم الحج والعمرة ولم نعرف على وجه التحديد الزمن الذي قدم فيه إلاَّ أنه جاء في تاريخ موافق لمحاولة قريش اتهام الرسول ﷺ بأنه ساحر وهي الخطة التي بذلتها قريش لمنع الناس من أن يقبلوا على الإسلام إذا قدموا الموسم ،

[1] المصدران نفسهما .

[2] ابن كثير . السيرة ٣/ ٣٩٠ رواية عن محمد بن اسحاق .

[3] المصدر نفسه رواية عن البخاري ومسلم والبيهقي وغيرهم ..ونحب هنا أن نشير إلى جوانب من شخصية أبي موسى : فهو من كبار صحابة رسول الله ، وهو الفقيه المقرئ ، وصاحب مدرسة في القراءة عن رسول الله ﷺ فقرأ عنه أهل البصرة ، ولم يكن في الصحابة أحسن صوتاً منه ، وهو ممن دعا لهم رسول الله .. ولاه رسول الله على إقليم تهامة كما سيأتي .. وكان مشاركاً لرسول الله في الوقائع كلها بعد مقدمه من الحبشة ، ثم شارك في الفتوح الإسلامية .. وَلِيَ البصرة لعمر وعثمان وكان له دور في فتح شمال بلاد الهند ، ثم وَلِيَ الكوفة وبها مات ، كان أحد القضاة المعدودين مع عمر وعلي، وهو الذي كان يفتي في حياة رسول الله .. ولما نشبت الفتنة اعتزلها ، ثم دُعيَ ليشارك في التحكيم ، وكان له موقف أمضاه في التحكيم كان له أثره في الأحداث التالية .. من رواة الحديث له في الصحيحين ٤٩ حديثاً .. وتوفي في شهر ذي الحجة ٤٤هـ/ ٦٦٥م (انظر ترجمته الوافية في: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨٠ – ٤٠٢ ، مختصر تاريخ ابن عساكر ١٣/ ٢٣٣ – ٢٥٤) .

[4] ابن كثير . السيرة ٢/ ٧٢ .

وكانت هذه المحاولة بعد خروج بني هاشم من الشعب ، أي في السنة العاشرة من البعثة[1] ، فيكون قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنوات .

فالعرب كانوا يخافون من السحر والسحرة ، ولذا أجمعت قريش على إشاعة هذه التهمة ظناً منها أن هذه أنجح وسيلة لإبعاد الناس عن الإسلام ، وقد أشاعوا هذه التهمة ونشروها بين القوافل التجارية ، وكأنهم كانوا حريصين على ضيوفهم القادمين إلى مكة !! فهم ناصحون لهم لا غير .

وقد حكى الطفيل قصة إسلامه[2] خلاصتها أنه التقى بأشراف مكة، وحذروه من رسول الله ﷺ .. وما زالوا به حتى وضع في أذنيه (كرسفاً) قطناً ، ولكن شاء الله إلاَّ أن يُسْمِعَهُ القرآن من رسول الله وهو يطوف بالكعبة ، وقرر التمرد على كل ما سمعه من أشراف قريش ، فالتقى برسول الله ﷺ – بعد أن نزع القطن من أذنيه – وسمع منه القرآن فأسلم ، وانضم إلى قافلة الإسلام وعاد إلى قومه – بناء على خطة رسول الله الآنفة الذكر – ومع هذا لم يأت إلى المدينة فور هجرة رسول الله ﷺ إليها ، ولعل ذلك كان بموافقة من رسول الله ؛ لأن الهجرة أصبحت واجبة ، حيث لم يأت إلاَّ في العام السابع للهجرة ، ومعه أكثر من ثمانين بيتاً من دوس قد أسلموا[3] ، وكان منهم أبو هريرة راوية الإسلام[4] .

٣- ضَمَّاد بن ثعلبة الأزدي .. وهو من قبيلة الأزد التي تقطن بلاد السَّراة . ولعله كان من الرجال الذين يرتادون مكة بين الحين والآخر ، لكونه كان معروفاً باشتغاله بالتطبيب .

وقد روى قصة إسلامه[5] بأنه دخل مكة فسمع سفهاءها يرددون أن مجنوناً في مكة يسمى محمداً ، فأراد أن يعرض خدماته الطبية ليشفى هذا الرجل مما يعانيه – حسب ما سمع – فعمل على مقابلته ثم عرض عليه مهارته الطبية ، وإذا به يسمع كلاماً من هذا الذي

---

(1) المصدر نفسه ٢/ ٧١ .

(2) راجع قصته كاملة في كتاب : اليمن في صدر الإسلام ١٠٥ .

(3) الذهبي . سير أعلام النبلاء ١/ ٣٤٦ .

(4) ابن حجر . فتح الباري ١٦ / ٢٢٧ – ابن سعد . الطبقات ١/ ٣٥٣ . ظل الطفيل بن عمرو الدوسي ملازماً لرسول الله ﷺ يتعلم منه ويشاركه وقائعه حتى توفي عليه الصلاة والسلام ، ثم التحق بمن خرج لمقاتلة المرتدين ، وكان له شرف الشهادة في اليمامة سنة ١٢هـ (الذهبي . سير أعلام النبلاء ١/٣٤٤-٣٤٧) .

(5) النووي . شرح صحيح مسلم ٦/ ١٥٦ – ١٥٨ وانظر : اليمن في صدر الإسلام ١٠٨ – ١١١ .

ظنه مجنوناً ما سمع مثله من مجنون ولا كاهن ولا ساحر ولا شاعر قط ، فقد ابتدأ رسول الله ﷺ حديثه بخطبة الحاجة[1] التي أذهلت ضماد فطلب إعادتها أكثر من مرة ، فأدرك حينذاك أنه أمام قوة إيمانية تجذبه إليها بقوة ، فسلم نفسه لهذه القوة فأسلم وعاد إلى قومه .. ولم نعرف شيئاً عن بقية حياته .

٤- قيس بن نمط الأرحبي الهمداني .. جاء إلى مكة في موسم حج أو عمرة ولعل هذا بعد أن مات أبو طالب ، وبعد عودة رسول الله ﷺ من الطائف ، وربما بعد إسلام المجموعة الأولى من أهل يثرب وهذا يعني قبل الهجرة فيكون في العام العاشر أو الحادي عشر من البعثة لأن نص الرواية بأن وفد الأنصار أقبل في رجب أي قبل بيعة العقبة الأولى[2] .. لأن رسول الله ﷺ التقى به ودعاه – كما روى أصحاب السنن[3] – وهو يعرض نفسه على القبائل يدعوهم إلى الإسلام ، أو إلى أن يحملونه إليهم ليحموه حتى يبلغ عن ربه ما أمره به .

وقد استجاب قيس للدعوة وقرر حمل رسول الله إلى قبيلته في أرحب من همدان ، ولكنه خشي من قومه ألا يوافقونه على رأيه فطلب المهلة من رسول الله حتى العام القادم .. وحينما عاد إلى قومه رتب عملية استقدام الرسول ، ولكن أهل يثرب (الأنصار) كانوا قد سبقوه حيث أرسلوا وفدهم إلى رسول الله فكانت بيعة العقبة الأولى ثم أرسل معهم مصعب بن عمير ليعلمهم الإسلام[4] .

ومن المحتمل أنه لم يعد إلى مكة مرة أخرى لعلمه بأن وجهة رسول الله ﷺ صارت نحو يثرب ، ولعل قيساً قدم إلى المدينة بعد الهجرة في عام الوفود مرة أخرى لأن رسول الله ﷺ

---

(١) خطبة الحاجة هي : " إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .. أما بعد " رواه مسلم .

(٢) ابن كثير . السيرة ٢/ ١٧٢- الهمداني . الاكليل ٢٢٠/١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ . ابن حجر . الإصابة ٢٦٢/٣ – ابن سعد . الطبقات ٣٤٠/١ ، ٣٤١ .

(٣) الرواية جاءت عند أهل السنن الأربعة عن جابر وقال الترمذي : حسن صحيح (ابن كثير . السيرة النبوية ٢/ ١٧١ ، ١٧٢) .

(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٧٨ .

أطلق عليه (الوفي) وكتب له كتاباً وأمر قومه بطاعته ، وأعطاه عَطِيَةً من أرض خيوان[1] .

وذكر ابن سعد[2] رجلاً آخر من همدان هو عبد الله بن قيس بن أم غزال من أرحب أيضاً فأسلم وعاد إلى قومه فقتل في طريق العودة بسبب الثارات بين همدان وقبيلة زُبيد .

٥- ذُبَاب بن الحارث بن عمرو من سعد العشيرة ..

سعد العشيرة فرع من قبيلة مذحج ، كانت تنزل في شمال تهامة ، وغرب بلاد السراة ، وقد وصل خبر الإسلام إليهم عبر الطرق التي تحدثنا عنها سابقاً ، وعرف ذباب بن الحارث بقيام الدولة الإسلامية فخرج إلى المدينة ، وأسلم دون أن نعرف على وجه التحديد زمن مجيئه ، إلاَّ أنه -كما يبدو - كان قبل صلح الحديبية ، ثم استأذن من رسول الله ﷺ بالعودة إلى قومه ليدعوهم إلى الإسلام فأذن له .. ثم جاء المدينة مهاجراً في عام الوفود بعد أن فاصل قومه وشد على صنمهم المسمى (فراص) أو (فراض) فكسره[3] . ولا نعلم عنه شيئاً بعد ذلك .

٦- فروة بن مُسيك المـرادي .. كانت قبيلة مراد -كما ذكرنا

آنفاً - تجاور قبيلة همدان . وكان قد شب نزاع بينهما حول منطقة الجوف ، وآخر معركة بينهما تسمى معركة يوم الرزم[4] وقد دارت رُحى هذه الحرب في الوقت الذي وقعت فيه موقعة بدر الكبرى (٢هـ/٦٢٣م) .

وبما أن فروة بن مسيك المرادي كان زعيماً لمراد فقد عقد حلفاً مع بعض القبائل ، ومنها كندة لنصرته ضد همدان ، ولكنه لم يلق الدعم الكامل منها ، ولحقت الهزيمة به وبقومه وأخرجوا من منطقة الجوف[5] .

---

[1] ابن سعد . الطبقات ٣٤٠/١ ، ٣٤١ وراجع عن الإشكال الذي حصل في شخصية قيس بن نمط كتاب : اليمن في صدر الإسلام ٩٩ - ١٠١ . وخيوان من أرض همدان .

[2] الطبقات ٣٤١/١ .

[3] ابن حجر . الإصابة ٤٨١/١ ، ٤/ ٦١ - ابن الأثير . أسد الغابة ١٦٧/٢ ، ٦/ ٩٩ - ابن سعد . الطبقات ١/ ٣٤٢ و ٢/ ٣٤٢ .

[4] ذكرت في حديثنا عن قبيلة مذحج .

[5] الهمداني . صفة ٢٣٧ ، ٢٣٨ - ابن هشام . السيرة ٧/ ٤٠٥ - ٤٠٧ (مع الروض الأنف) - ابن الأثير . الكامل ٢/ ٢٩٥ ، ٢٩٦ - ياقوت . المعجم ٣/ ٤٢ .

ولعل فروة راجع نفسه ، وهو يقاسي مرارة الهزيمة ، ووجد أن تجاوز هذه المرارة لا يكون إلاَّ بالعزوف تماماً عن التفكير فيما أصاب قومه ، والتوجه إلى التفكير فيما أصاب قريشاً يوم بدر التي لم تكن تَخْفَى على أحد ، ومن المؤكد أن أخبارها وأخبار الإسلام قد وصلته بل وصلت إليه بعض مبادئه ، وأصبح لها مدركاً ، لأنه عبر عن ذلك شعراً[(١)] مما يوحي بمعرفته المسبقة بالإسلام ، وأنه قد قرر الانضمام إلى الإسلام وترك العصبية القبلية ..

ولا توجد معلومات صريحة لدينا عن زمن إسلامه ، ولكن الراجح أنه أسلم بين العام الثالث الهجري والخامس الهجري ؛ لأن الشعر الذي قاله يرتب إسلامه على هزيمته يوم الرزم وهذا اليوم كان في رمضان ٢هـ /٦٢٣م ، ولأن الرواية التي ذكرها العرشاني[(٢)] تفيد بوجود فروة في صنعاء في السنة السادسة وكان قد صار مسلماً .. وهذا يعني أنه أقبل على المدينة ، وظل هناك يتعلم من رسول الله ﷺ زمناً ليس بالقصير[(٣)] وذلك قبل السنة السادسة وبعد السنة الثانية للهجرة ..

ومن المحتمل أنه عاد إلى المدينة مرة أخرى لأنه دخل ضمن خطة رسول الله ﷺ التي اتبعها بعد فتح مكة التي تقضي بتكليف المسلمين المفرقين في أوساط القبائل أن يتولوا دعوة أقوامهم إلى الإسلام فإن استجابوا وإلاَّ فليتجمعوا ويقاتلوهم[(٤)] .

المرحلة الثانية : جهود الدولة الإسلامية في تحويل اليمن من الجاهلية إلى الإسلام :

إن تحول اليمن من الجاهلية إلى الإسلام لم يكن مجرد نزهة ، وإنما صاحبه عناءً وجهداً مبذولين من قبل الأفراد المسلمين الأوائل من أهل اليمن ، ومن قبل الدولة الإسلامية التي ما فتئت تبذل الوسيلة تلو الوسيلة لتحقيق هذا التحول ..

---

(١) مما جاء في هذه القصيدة : لما رأيت ملوك كندة أعرضت * كالرِّجل خان الرِّجلَ عِرْقُ نَسَائها
يممت راحلتي أؤم محمـــــداً * أرجو فواضلها وحسن ثرائهـــا
(الطبري . تاريخ ٣/١٣٥ - ابن عبد البر . الاستيعاب ٣/ ٢٠٠) .

(٢) الاختصاص ٥٠٠ (ملحق بكتاب تاريخ مدينة صنعاء) .

(٣) ابن سعد . الطبقات ٥/ ٥٢٤ .

(٤) جاء هذا في حديث رواه الترمذي (الجامع ٥/ ٣٩) وانظر : ابن كثير . التفسير ٦/ ٤٩٢ - وابن حجر . الإصابة ٣/ ٢٠٥ .

وإذا كانت المرحلة السابقة قد عالجت جهد الأفراد فإن هذه المرحلة تعرض لجهد الدولة الإسلامية التي بدأت به بعد أن وضعت الحرب أوزارها بينها وبين قريش زعيمة الجاهلية العربية تنفيذاً لبنود صلح الحديبية الذي عقد في ذي القعدة من العام السادس الهجري ، ثم بفتح (مكة) في رمضان من العام الثامن للهجرة الذي مكن الدولة الإسلامية من السيادة على قلب الجزيرة العربية، وأزيل خطر قريش التي كانت تمثل المناوئ الأكبر في الجاهلية العربية للدولة الإسلامية . لأن الإسلام والجاهلية منهجان لا يلتقيان ، ولكل منهما منهج يشمل التصور عن الله والكون والإنسان والحياة وينبثق منه منهج حياة كامل .

المتغيرات في الجزيرة العربية :

لقد كانت هذه المرحلة الممتدة من مطلع العام السابع الهجري حتى وفاة رسول الله ﷺ (٧-١١هـ) تعج بالأحداث الجسام التي أدت إلى علو مقام الدولة الإسلامية وهيمنتها على منطقة الجزيرة العربية ، بل امتدت مراسلاتها إلى دولتي الفرس والروم والدول التابعة لها .

فقد خاطبت الدولة الإسلامية الدولتين المتصارعتين على معظم الرقعة المسكونة من الأرض (الفرس والروم) قبل ظهور الإسلام ، وأرسل الرسول ﷺ رسائل إلى قادتهما وكل الكيانات التابعة لهم بدعوتهم إلى الإسلام .. ثم تولت الدولة الإسلامية إنهاء الوجود اليهودي المتحكم في العصب المالي في الجزيرة العربية (يهود خيبر في المحرم ٧ هـ) .

وتمكنت هذه الدولة من بسط سلطانها على مناطق واسعة من الجزيرة العربية حتى استطاعت أن تقود المسلمين لأداء عمرة القضاء في نهاية العام السابع الهجري ..

وتميز العام الثامن الهجري بحادثين شهيرين ؟ أحدهما ضد الدولة الرومية (بيزنطة) الذي تمثل في موقعة مؤتة (جمادى الأولى ٨هـ/سبتمبر ٦٢٩مـم) ، والثاني فتح مكة (صباح يوم الجمعة ٢١ رمضان ٨هـ/١٢ يناير ٦٣٠م) ، وتحولها من الجاهلية إلى الإسلام حتى صارت قبلة متميزة للمسلمين لا يشاركهم فيها أحد من الملل والعقائد . ولم يكن هذا الفتح مقصوراً على مكة وحدها وإنما كان له ما بعده حيث تداعت القبائل العربية بعد الفتح مستسلمة للدولة الإسلامية .

بعد ذلك تفرغ رسول الله ﷺ لدعوة القبائل ، والتجهز في العام التاسع للشام معلناً النفير العام للخروج في غزوة تبوك (رجب ٩هـ/ أكتوبر ٦٣٠م) في مواجهة الدولة الرومية (بيزنطة) وحقق نصرا بدون قتال .

وتتالت القبائل العربية تتوافد على المدينة المنورة فكان عام الوفود فيما بقي من العام التاسع وكل العام العاشر ، وفي نهايته كانت حجة الوداع التي أُعلِنَ فيها عن اكتمال الدين ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ (المائدة : ٣).

وما أن تمت حجة الوداع حتى تفرغ رسول الله ﷺ لتنظيم الجزيرة العربية إدارياً ، ومعالجة قضية المتنبئين الكذابين (مسيلمة في اليمامة والأسود العنسي في اليمن) وفي هذه الأثناء بدأ رسول الله ﷺ يعاني من المرض الذي توفي فيه ، ورغم مرضه إلا أنه عزم على تجهيز جيش جديد بقيادة أسامة ابن زيد لمواجهة الدولة البيزنطية (الروم) ليكون هذا الجيش بمثابة طليعة الفتوحات الإسلامية، حتى انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى في ١٢ ربيع الأول ١١هـ/٦ يونيو ٦٣٢م[١] .

وسائل تحويل اليمن من الجاهلية إلى الإسلام :

قامت الدولة الإسلامية ممثلة في رسول الله ﷺ بجهود مكثفة لدعوة أهل اليمن إلى الإسلام ، واستخدمت وسيلتين من خلالهما تم تحويل اليمن من الجاهلية إلى الإسلام .. هما : الدعوة بواسطة الرسائل والدعاة ، والدعوة بواسطة السرايا والبعوث ، وهناك وسيلة ثالثة دخل فيها بعض أهل اليمن في الإسلام وهي تتمثل في توجههم الذاتي رغبةً أو رهبة ..

الوسيلة الأولى : وسيلة الدعوة عبر الدعاة والرسائل ..

كانت هذه الخطوة ضمن خطة عامة ابتدأت من مطلع العام السابع الهجري ، واجهت الدولة بها كل الزعامات العالمية ، داعية لها أن تنضم إلى ركب الدولة الإسلامية بصفته الركب الذي رضيه الله للبشرية ، وتحت لواء وراية محددة لا ظلال فيها للشرك والثنية ، ولا للعصبية أياً كان شكلها، ولا للمصلحة مهما كان نوعها ، وإنما تعطي لله كل شيء ، وتجعل البشر جميعاً أمامها سواسية كأسنان المشط .. إنها راية لا إله إلا الله محمداً رسول الله .

وقد حمل هذه الرسائل دعاة على قدر كبير من الكفاءة في أداء الدعوة ، ولم يكن معهم من المقاتلين ما يحمون به أنفسهم ، أو لقتال من امتنع عن الإسلام . وإنما كانوا

---

[١] تفاصيل وفاة رسول الله ﷺ تجده في تاريخ صدر الإسلام للمؤلف .

مبلغين عن الله ، حاملين رسالة رسول الله ﷺ .

وكانت أكبر القبائل والقوى اليمنية المقصودة بهذه الرسائل هي : قبائل حمير ، وحضرموت ، وكندة ، وبعض همدان ، بالإضافة إلى نصارى نجران ، والأبناء .

ومن خلال رصدنا لرد فعل هذه القبائل والقوى فقد تنوعت نتائج هذه الوسيلة من قبيلة إلى أخرى ، فلم تكن على نسق واحد ، فبعضهم استجاب للإسلام من مجرد المحاولة الأولى ، وبعضهم أسلم بعد أكثر من محاولة .. وبعضهم أسلم دون أن يكلف نفسه القدوم إلى المدينة للتأكد بنفسه، وبعضهم لم يسلم إلاَّ بعد أن ناقش وحاور الرسول ﷺ نفسه .. وبعضهم لم يشأ أن يغير دينه إنما رضي بأن يدفع (الجزية) أو مال الصلح حسب الشروط التي تفاوضوا عليها ورضي بها الطرفان كما سنوضح هذا فيما بعد .

وأما من ناحية الزمن الذي التحق فيه اليمنيون بالإسلام فيتراوح بين العام السابع ونهاية العصر النبوي نفسه .

وسنفرد كل قبيلة وكل قوة على حدة لنعرف كيف تحولت من الجاهلية إلى الإسلام بوسيلة الرسائل والرسل والدعاة :

أولاً : الأبناء : (الإدارة الفارسية في اليمن) : رغم ارتباط هذه القوة بأعتى قوتين تتحكمان بالعالم المسكون في ذلك الوقت إلاَّ أنهم كانوا أسبق الناس إلى الإسلام –بصفتهم قوة صارت تمثل شريحة من الشرائح السكانية في اليمن– حيث يترجح إسلامهم بين أواخر العام السابع ومستهل العام الثامن الهجري[1] ويرجع إسلامهم لعدة عوامل منها :

١– أن الإدارة الفارسية باليمن كانت على معرفة بمصداقية الدعوة الجديدة ، وقوة الدولة الوليدة كما عرفنا سابقاً كيف أنهم كانوا يتابعون تحركات الإسلام من بداية ظهوره .

٢– أن إسلامهم كان على إثر كتاب رسول الله إلى كسرى فارس في المحرم ٧هـ (مايو ٦٢٨م)[2] . فقد كان رد فعل كسرى فارس رداً غاضباً هائجاً أهوجاً ، ممزقاً كتاب رسول الله ﷺ وأرسل إلى باذان الفارسي – أمير الإدارة الفارسية في

---

[1] ابن حجر . الإصابة ١/١٧٠ – الأهدلي . نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون ٦١ .

[2] ابن سعد . الطبقات ١/٢٥٨ – الطبري . التاريخ ٢/٦٥٤ ، ٦٥٥ – المسعودي . التنبيه والأشراف ٢٢٥– ابن كثير. البداية والنهاية ٤/٢٧٠ ، ٢٧١ – ابن حجر . الإصابة ١/١٦٩ ، ١٧٠ .

اليمن – بأن يرسل إلى الحجاز من يأتي بهذا الذي تطاول على كسرى فارس (ابن الشمس) !! ولكن باذان الفارسي كان حكيماً فلم يستجب لغضب ملكه ، وإنما استعمل الحنكة وهي التي أوصلته إلى الإسلام .

فقد أرسل وفداً إلى المدينة لا ليقبض على رسول الله ﷺ ، والإتيان به حياً أو ميتاً – كما يفعل الطغاة في كل العصور – ولكن كانت مهمة الوفد التعرف على حقيقة وضع الدولة الجديدة .

ولما وصل الوفد إلى المدينة استقبله الرسول ﷺ وأكرمه ، ودعاه إلى الإسلام . ولم ينس الوفد – بطريقة دبلوماسية – أن يوصل ما أراده كسرى فارس ، وعدم رضائه بالجرأة في مخاطبة (الشاهنشاه) !! إلاَّ أن الوفد فوجئ بأن رسول الله ﷺ يخبرهم بأن كسرى ابرويز قد قتل قائلاً لهم : أخبروا سيدكم أن ربي قتل ربه الليلة . فعاد الوفد وهو يحمل معه هذه النبوءة ، ودعوة مباشرة لباذان الفارسي ، وهذا هو العامل الثالث .

٣- فقد وجه رسول الله ﷺ إلى زعيمهم باذان الدعوة إلى الإسلام وقال له في رسالته الشفوية التي حملها الود : " إنك إن أسلمت أعطيت لك ما تحت يدك ، وملكتك على قومك من الأبناء "[١].

وما أن وصلت هذه الدعوة مصحوبة بنبوءة مقتل كسرى فارس حتى عزم باذان على الانتظار حتى يرى صدق تلك النبوءة ، ولم يطل الوقت كثيراً فقد تلقى رسالة من شيرويه بن كسرى يخبره بأنه قتل أباه غضباً لفارس ، وطالبه بالطاعة ومن معه ، وألاَّ يتعرض للرسول ﷺ بشيء حتى يأتيه أمره[٢]، فقال باذان : " إن هذا الرجل لرسول "[٣] " فلا يسبقني أحد من الملوك في الإيمان به "[٤] فكان هذا هو السبب المباشر الذي أدى إلى إسلام الأبناء .. فقد أرسل باذان الفارسي وفداً إلى المدينة المنورة لإعلان إسلامه وإسلام الأبناء ، فكان باذان أول من أسلم من ملوك العجم[٥] ، والأبناء هم أول من أسلم – كقوة – من أهل اليمن .

---

[١] الطبري . التاريخ ٦٥٦/٢ – ابن كثير . البداية والنهاية ٢٧٠/٤ .

[٢] ابن حجر . الإصابة ١٦٩/١ ، ١٧٠ .

[٣] الطبري . التاريخ ٦٥٦/٢ .

[٤] الأهدلي . نثر الدرر المكنون ٦١ .

[٥] ابن حجر . الإصابة ١٧٠/١ .

وفور إسلام الأبناء عمل رسول الله ﷺ على ربطهم بالدولة الإسلامية بروابط إدارية وتربوية متينة : فقد عين عليهم أميراً منهم ليكون مسؤولاً على قومه أمام الدولة وهو باذان الفارسي[١] ، وهذا الإجراء جزء من خطة رسول الله ﷺ التي اتبعت في تولية الأمراء على القبائل التي تسلم فكان يختار شريف كل قوم فيوليه على قومه[٢] . وأرسل إليهم معلماً ليكون هو الذي يتلقون منه دينهم الجديد ونظامهم المنبثق منه وهو : وبر بن يحنس الخزاعي[٣] ، وحدد لهم ولاءهم حيث جعله لله ولرسوله وللمؤمنين ، وقطع ولاءهم بالدولة الفارسية نهائياً[٤] .

وبنى لهم أول رمز للإسلام في صنعاء ، بل في اليمن كلها ، وهو المسجد الذي أصبح أساساً للجامع الكبير الحالي في صنعاء ، وقد بني على أرض تصدق بها باذان الفارسي تعرف ببستان باذان إذ بني قبل مسجد الجند بسنتين[٥]، ولعله في نهاية العام السابع الهجري أو مطلع العام الثامن الهجري . وهو التاريخ المحتمل لإسلام الأبناء .

وهكذا صارت الأرض التي كان الأبناء في جاهليتهم يسطون عليها سيطرتهم وهي صنعاء وما حولها وعدن وما حولها صارت جزءاً من الدولة الإسلامية .

ثانياً : نصارى نجران : كانت قيادة نصارى مدينة نجران – كما سبق أن ذكرنا – تمد بأسباب البقاء من قبل الروم ، ومع هذا راسلهم رسول الله ، وراسل زعماء الروم أيضاً حتى يتحمل كل قوم مسئوليته أمام هذه الدعوة ، ولم نجد تحديداً لزمن إرسال الرسائل الموجهة إليهم ، ولكن وصلتنا في المصادر إشارة إلى أن تاريخ مقدمهم على

---

[١] الطبري . التاريخ ٦٥٦/٢ – ابن هشام . السيرة ٣١٧/٢ ، ٣٠٨ (مع الروض الأنف) – ابن سعد . الطبقات ٥٣٣/٥ – الأهدلي . نثر الدر المكنون ١٠٢ .

[٢] الطبري . التاريخ ٦٥٦/٢ .

[٣] ابن سعد . الطبقات ٥٣٣/٥ – ابن عبد البر . الاستيعاب ٣٦٥/٣ ، ٦١٨ (بهامش الإصابة) – ابن حجر . الإصابة ٦٣٠/٣ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٧٨ – الأشرف الرسولي . فاكهة الزمن ومفاكهة ذوي الآداب والفطن في أخبار من ملك (أو ولي) اليمن ويعرف بمرآة الزمن في تخالف أخبار اليمن ١٠ ، ١١ وسمي هذا المبعوث : (وبر بن يحنس الخزاعي) .

[٤] أحمد بن حنبل (الإمام) . المسند ٢٣٢/٤ – ابن هشام . السيرة ٣٠٧/١ ، ٣٠٨ (مع الروض الأنف) – أبو عبيد. الأموال ١٣٧ – ابن حجر . الإصابة ٢١٠/٣ . قال الوفد الذي كان على رأسه فيروز الديلمي : يا رسول الله نحن من قد عرفت ، وجئنا من حيث قد علمت ، وأسلمنا . فمن ولينا ؟ قال : الله ورسوله .. قالوا : حسبنا .. رضينا ..

[٥] الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٧٨ ، ٧٩ .

رسول الله في المدينة كان بعد مقدمه من تبوك[١]، أي أواخر العام التاسع الهجري أو مطلع العام العاشر . ولا ندري ما إذا كان هذا القدوم على إثر مراسلتهم في هذه الأثناء أم بناءً على المراسلة الأولى التي تمت في العام السابع كغيرهم من القوى التي وصلتها رسائل من النبي ﷺ ؟ علماً بأن نص الرسالة الموجود في المصادر وردت فيه كلمة (الجزية)[٢] ، ومعروف أن (الجزية) لم تفرض إلا أواخر العام الثامن أو أوائل العام التاسع أي قبل غزوة تبوك[٣] . وهذا قد يدل على أن دعوة نصارى نجران تمت مؤخراً ، ولم تتم في العام السابع مثل بقية القبائل ، وإن كانت الدعوة الموجهة إلى قيصر الروم في العام السابع موجهة أيضاً إلى من يتبعه في أي مكان ويدخل فيه نصارى نجران . أما عدم ذكر البسملة في الرسالة الموجهة إليهم التي اتخذها البعض دليلاً على أن الرسالة أرسلت قبل نزول سورة النمل ، فهذا غير صحيح ؛ لأن سورة النمل مكية والرسالة أرسلت في العهد المدني ، وحذف البسملة من الرسالة ربما كان سقطاً من النساخ[٤] .

وقد قدم وفدهم إلى المدينة ليس بقصد الإسلام ، وإنما بقصد الجدال والمفاخرة ، فبعد عرض الإسلام عليهم جادلوا رسول الله ﷺ وناقشوه وهم يرفضون الإسلام فقال لهم : إن أنكرتم ما أقول فهلم أباهلكم ، ثم تواعدوا على (المباهلة)[٥] ، ولكنهم أخلفوا ما

---

[١] البلاذري . فتوح البلدان ٨١/١ .

[٢] ابن كثير . البداية والنهاية ٥٣/٥ – اليعقوبي . التاريخ ٨١/٢ – ابن القيم . زاد المعاد ٤٣/٣ — الزرقاني . شرح المواهب اللدنية للقسطلاني ٤٣/٤ .

[٣] ابن سعد . الطبقات ٢٩/٦ – أبو داود . السنن ١٤٦/٢ وقد فرضت الجزية بالآية القرآنية : ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (التوبة : ٢٩) – ابن كثير . التفسير ٧٤/٤ ، ٧٥ . وقال ابن حجر في فتح الباري ٢٤٣/١٢ : " اختلف في سنة مشروعية الجزية فقيل في سنة ثمان وقيل في سنة تسع" .

[٤] ابن كثير . البداية والنهاية ٥٣/٥ . النص مروي عن البيهقي وجاء نص آخر عند اليعقوبي ٨١/٢ ذكر فيه البسملة مختصرة مما يشي باحتمال وجود سقط في رواية البيهقي .

[٥] السهيلي . الروض الأنف ٥٢٣/٧ . المباهلة : هي الدعاء ، والملاعنة : أي الدعاء على الظالم ولعنه من الطرفين . وروي أن بضعاً وثمانين آية من سورة آل عمران نزلت فيهم (انظر ابن كثير . التفسير ٢/ ٤٢ – ٤٦) . وقد روى حديث المباهلة الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وعدوه فخيرهم رسول الله ﷺ بين الجزية والقتال فرفضوا القتال .. ورفضوا أيضاً (صورة الجزية) ولكنهم قبلوا أن يفرض عليهم شيء من المال (نقداً وعيناً) كل عام عرف في كتب النظم الإسلامية (الأحكام السلطانية) بمال الصلح ، وكان مقداره ألفي (حُلَّة) يدفع منها ألف في رجب وألف في صفر من كل عام ، واشترط عليهم شروطاً وأدرج ضمنها يهود نجران وجاء هذا في كتاب طويل[١] .

ولم تحدد قضية ولاءهم للروم في هذا الصلح ، إلاَّ أنه من الواضح انه قطع وأصبح موصولاً بالدولة الإسلامية ، ولهذا طلبوا من رسول الله أن يبعث إليهم من يحكم فيهم في أمور اختلفوا فيها فأرسل إليهم أبا عبيدة بن الجراح[٢] .

وبهذا الإجراء انضوت مدينة نجران ضمن إطار الدولة الإسلامية بوسيلة الدعوة مع بقائهم على دينهم ..

وستأتي تفاصيل هذه الأمور الإدارية حينما نتحدث عن التحولات الإدارية إن شاء الله .

ثالثاً : قبيلة حمير : كانت أكبر القوى القبلية في اليمن وأعرقها ، وصاحبة السيادة في تاريخ اليمن قبل الإسلام ، وكان من البداهة أن تولى الدولة الإسلامية اهتمامها بقبيلة حمير . فإذا كان قد عرض الرسول ﷺ على الحارث بن عبد كلال الحميري الدعوة حينما كان يعرض نفسه على القبائل في العهد المكي فمن البداهة أن يدعوه للإسلام في مطلع العام السابع الهجري[٣] ، ضمن الاتجاه العام للدولة التي اتخذته منهجاً جديداً ، وهو إيصال الدعوة إلى جميع الزعماء المجاورين للدولة الإسلامية ، سواء القريبين منها ، أو البعيدين عنها .

وبالرغم من تشابك الروايات وتناقضها حول طبيعة وطريقة الدعوة الموجهة إلى (ملوك حمير) ، إلاَّ أننا نستخلص منها أن رسول الله ﷺ أرسل إليهم ثلاثة رسل :

الرسول الأول : المهاجر بن أبي أمية في السنة السابعة ، وقد قابل الحارث بن عبد كلال الحميري ودارت بينهما مناقشة نستنتج منها أن الحارث قد عرف بهذه الدعوة وهي مازالت في مكة ، وقد يكون هذا عن طريق التواصل التجاري أو الشعائري ، ومع هذا لم

---

[١] ابن هشام . السيرة ٥/٩ – ٢١ – ابن سعد . الطبقات ٣٥٧/١ – البلاذري . فتوح البلدان ٧٨/١ – ٨١ – أبو عبيد . الأموال ٢٤٤ ، ٢٤٥ – أبو يوسف . الخراج ١٥٨ – ١٦٠ – الزرقاني . شرح المواهب ٤٣/٤ .

[٢] جاء هذا في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما (فتح الباري ١٦ / ٢١٩) .

[٣] ابن هشام . السيرة ٤١٣/٧ ، ٤١٤ ، ٥٢٣ (مع الروض الأنف) – ابن سعد . الطبقات ٢٨٢/١ .

يُقبل على الإسلام من لحظة دعوة المهاجر له ، بل طلب المهلة للتفكير ، وحسب تعبيره هو حينما قال للمهاجر :" غير أني أرى أمراً لم يوسوسه الكذب ، ولم يسنده الباطل ، له بدء سارٍ ، وعاقبة نافعة ، وسأنظر "[١] .

الرسول الثاني : ولما لم يسلم أحد من ملوك حمير في هذا الوقت عاود الرسول ﷺ الكرة فأرسل كتاباً آخر . ولا يهمنا تفاصيل ما جاء في نص هذا الكتاب ، أو ملابسات من حمله ، ونتائجه ، ولكن يهمنا أن الكتاب الذي حمل إلى ملوك حمير يوحي بأنهم كانوا يدينون باليهودية أو النصراني أو هما معاً لأنه خاطبهم كما يخاطب أهل الكتاب[٢]. وتنص الرواية أن الرسول المرسل إلى ملوك حمير هو عياش بن أبي ربيعة ، وأنهم أسلموا على يده ، ولكن القرائن ترفض ذلك فعياش لم تذكره كتب الطبقات فيمن دخل اليمن ، وعلى فرضية صحة ذلك فلم يسلم على يديه ملوك حمير ، وإنما كان فيما بعد .

الرسول الثالث : مالك بن مرارة الرهاوي الذي أرسل في السنة التاسعة للهجرة أو أواخر الثامنة[٣] وكان يحمل الكتاب الثالث إلى ملوك حمير لأن هذا الكتاب الذي حمله إليهم خيَّرهم بين الإسلام أو الجزية[٤]. والجزية كما نعرف لم تفرض إلاَّ في العام الثامن أو التاسع للهجرة[٥] . ولعل إرسال مالك بن مرارة الرهاوي كان بعد عودة الرسول ﷺ من الطائف في نهاية العام الثامن للهجرة حينما أرسل من الجعرانة الدعاة والرسل وقادة السرايا إلى كل المناطق التي تحيط بمكة ومنها اليمن[٦] .

ولم تكن مهمة مالك بن مرارة الرهاوي مقصورة على توصيل الكتاب إلى ملوك حمير ، بل كان له دور حركي ودعوى جاد فعّال، حيث تحرك في أكثر من موقع من اليمن[٧]، ودعا

---

[١] السهيلي .الروض الأنف ٤٦/٧ ، ٥٢٣ – الأشرف الرسولي. فاكهة الزمن ١٠ (مخطوط) – الخزرجي . طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ويسمى (العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أعيان اليمن ٤٩/١) .

[٢] ابن سعد . الطبقات١/٢٨٢ – ابن عبد ربه . العقد الفريد ٥٠/٢ – الهمداني . الاكليل ٣٦٤/٢ هناك تفاصيل في كتابنا : اليمن في صدر الإسلام ١٣٠ – ١٣٣ .

[٣] ابن سيد الناس . عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ٢٤٦/٢ .

[٤] أبو عبيد . الأموال ٣٥ الرواية عن عروة بن الزبير .. والرواية الأولى ذكرها ابن سعد في الطبقات ٢٨٢/١ عن الزهري .

[٥] ابن كثير . التفسير ٤/ ٧٤ ، ٧٥ (طبعة الشعب) .

[٦] ابن سيد الناس . عيون الأثر ٢٤٦/٢ . والجعرانة موضع بين الطائف ومكة .

[٧] سنن أبي داود ١٤٦/٢ – ابن سعد . الطبقات ٢٨/٦ ، ٢٩ – ابن الأثير . أسد الغابة ١٢٦/٣ .

أكثر من قبيلة في وسط همدان ، وحمير ، وحمل رسائل من زعماء همدانيين إلى رسول الله ﷺ ، وردَّ عليهم مع معاذ بن جبل حينما أرسل إلى اليمن .

ومن هنا يتبين أن مالك بن مرارة الرهاوي هو الذي جاء بالبشرى بإسلام ملوك (زعماء) حمير، وكان يصحبه أشخاص من قبيلة حمير منهم نافع بن زيد الحميري[١].

وقد حصل اختلاف حول مجيء ملوك حمير إلى المدينة ، والحقيقة أنهم لم يفدوا إليها . وجاء اللبس من صياغة النص الذي أورده ابن إسحاق[٢] ، وسار عليه كثير من المؤرخين[٣] ، حيث أن قارئ النص من أول نظرة يفهم أن ملوك حمير قدموا إلى المدينة ، بينما العبارة المثيرة للبَّس الواردة في النص هي جملة اعتراضية للتعريف بزعماء حمير، أما رسولهم إلى المدينة فهو مالك بن مرارة الرهاوي الذي وصل إلى المدينة بعد مقدم رسول الله من تبوك ، وأمر به بلالاً ﷺ ينزله في منازل الضيوف ويكرمه[٤] .

وقد اتخذ رسول الله ﷺ – احتفاءً بإقبال الحميريين على الإسلام – عدة إجراءات :

الإجراء الأول : أنه كتب إلى الزعماء الذين كاتبوه رسائلَ أشاد بإسلامهم ، وأقرهم على أملاكهم ، وحدد ما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق[٥]. وبين لهم أمراءهم المكلفين بإدارة أمورهم وأشاد بفضلهم عنده[٦].

---

[١] الهمداني . الدامغة ٣٢٨ – اليعقوبي . التاريخ ٢/٨١ – ابن طولون . أعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ﷺ ٨٧ ، ٨٨ – ابن سعد . الطبقات ١/ ٣٥٠ ، ٥/٥٣٠ – أبو عبيد . الأموال ٢٠ – ابن الأثير . أسد الغابة ٥/٣٠٢ – ابن حجر . الإصابة ١/٤٩٢ ، ٣/٥٤٤ – فتح الباري ١٦ /٢٢٢ – الهمداني . الإكليل ٢/٤٠١– ابن عبد البر . الاستيعاب ١/٤٨٦ – ابن قتيبة . المعارف ٤٢١ – مجهول . تاريخ المغازي والفتوح (ق ٢٨/ب) مخطوط .

[٢] ابن هشام . سيرة ٧/٤١٤ (مع الروض الأنف) النص هو :" قدم على رسول الله كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم إليه بإسلامهم – الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان وبعث إليه زرعة ذو يزن – مالك بن مرارة الرهاوي " .

[٣] الهمداني . الإكليل ٢/٢٤٠ ، ٣٦٤ – نشوان الحميري . ملوك حمير وأقيال اليمن ١٧٠ – ابن سمرة الجعدي . طبقات فقهاء اليمن ١٣ ، ١٤ .وراجع النصوص مفرقة في : ابن سعد . الطبقات ١/٣٥٦ و ٥ / ٥٢٩ – أبو عبيد . الأموال ٢٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ – البلاذري . فتوح البلدان ١/٨٣ – ٨٥) .

[٤] ابن سعد . الطبقات ١/ ٣٥٦ .

[٥] ابن سعد . الطبقات ١/ ٣٥٦ و ٥/ ٥٢٩ – أبو عبيد . الأموال ٢٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ – البلاذري . فتوح البلدان ١/٨٣ – ٨٥ – ابن هشام . السيرة ٧/ ٤١٥ .

[٦] أبو عبيد . الأموال ٢٥٩ ، ٢٦٠ – ابن هشام . السيرة ٧/ ٤١٥ .

الإجراء الثاني : أن رسول الله ﷺ – وحسب خطته في تعليم الناس الإسلام وربط المناطق المسلمة بقيادة الدولة الإسلامية – كلَّف معاذ بن جبل الخروج إلى اليمن في أواخر السنة التاسعة للهجرة[١] ليتولى ليس – ضمن الترتيب الإداري الجديد – القيادة الإدارية للمنطقة الجبلية كلها الممتدة من نجران شمالاً حتى عدن جنوباً[٢] ، وليس قبيلة حمير وحدها ، وإنما لتكون جزءاً من وحدة إدارية كبيرة عرفت بالمخلاف الأعلى كما سيأتي بيان ذلك فيما بعد إن شاء الله .

وكان اختيار رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل لهذه المهمة اختياراً مقصوداً ، فمعاذ أعلم الناس بالحلال والحرام ، وهو من صحابته الكرام ، ومن أبناء الأنصار الأوفياء .. وله كفاءة متميزة .

الإجراء الثالث : أن رسول الله ﷺ زوَّد معاذاً بالعديد من الوصايا التي توحي بحرص رسول الله ﷺ على تأهيل من يتولى قيادة أهل اليمن[٣] . وكلفه بناء مسجد الجامع في مدينة الجند .

وقد تمكن معاذ بن جبل من ضم كل المناطق التي اجتازها – دون أن تحميه حامية عسكرية – إلى الدولة الإسلامية بدءاً من صعدة مروراً بهمدان وصنعاء وحمير والجند حتى لحج وعدن ، وقد ورد ذكر بعض القبائل التي دخلت في الإسلام نتيجة مجيء معاذ إلى اليمن منها (الصدف) و (تجيب) وهي قبائل كانت تقطن إقليم حضرموت فقد بعثت وفدهما في السنة التاسعة إلى رسول الله لتأكيد إسلامها وحملت (تجيب) معها ما فضل من صدقاتهم[٤] .

ولقد قام معاذ بدور دعوي واسع ، وتلقى من رسول الله ﷺ توجيهات ووصايا تعينه على مواجهة المواقف التي ستقابله . فقد قابل أهل كتاب (يهود ونصارى) ودعاهم إلى

---

[١] انظر كتابنا : اليمن في صدر الإسلام ١٦١ .

[٢] الخزرجي . الكفاية والأعلام (أخرجه راضي دغفوس باسم اليمن في عهد الولاة) ٤٢ – مسند أحمد ٥/ ٢٣٥ – علاء الدين المتقي . كنز العمال ١٠ / ٥٩٤ .

[٣] الخزرجي . اليمن في عهد الولاة ٤٣ .

[٤] الهمداني . صفة ١٦٩ ، ١٧٦ – ابن حزم . الجمهرة ٤٢٩ – ابن سعد . الطبقات١ /٣٢٣ ، ٣٢٩ – ابن سيد الناس . عيون الأثر ٢/ ٢٤٦ – الأهدلي . نثر الدرر المكنون ٩٢ .

الإسلام ولم يسلموا في غالبيتهم[1] ، وجاءت وفود قبلية مسلمة بعد أن دعاهم معاذ إلى الإسلام كوفد (جيشان) و (النخع) بل وقاتل مع المسلمين بعض المشركين الذين وقفوا في وجوههم[2] .

فصار ما عرف في تاريخ اليمن في الإسلام بالمخلاف الأعلى – وهي المنطقة الجبلية – الذي يضم مناطق نفوذ الأبناء أيضاً والممتدة من نجران حتى عدن ، صار تابعاً للدولة الإسلامية .

رابعاً : قبائل إقليم حضرموت : لأهمية قبائل إقليم حضرموت وهي (المهرة) و (أقيال حضرموت) و (ملوك كندة) – كما حددناه سابقاً – فقد تم التواصل بينهم وبين الدولة الإسلامية منذ العام السابع الهجري .. فقد أشارت المصادر إلى رسائل وصلت إلى (أقيال حضرموت) ولم يصل إلينا نص الكتاب المرسل ، واكتفت المصادر بالإشارة إلى أنه كتب إليهم بمثل ما كتبه لغيرهم من الزعماء والملوك سواء لأقيال حضرموت[3] أو ملوك كندة[4] ، وتعطينا بعض الإشارات في المصادر بأن ملوك كندة وأقيال حضرموت ربما كانوا من أهل الكتاب أو بعضاً منهم[5] .

وقد اختلفت مواقف كل من كندة وحضرموت من الإسلام في هذه المصادر ، فبينما جاء أقيال حضرموت بزعامة وائل بن حجر الحضرمي[6] معلنين إسلامهم راغبين في الإسلام

---

[1] جاء هذا في حديث رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي وأبو داود (فتح الباري لابن حجر ١٢٣/٧ – ١٢٧ – الأموال لأبي عبيد بن سلام ٣٤ ،٣٥، ٤٦٨ – طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة ١٨ .

[2] ابن حجر . الإصابة ٤٧٧/١، ٤٧٨ – ابن سعد . الطبقات ٣٥٩/١ – ابن الأثير . أسد الغابة ٣٢٩/٢ ، ٣٤٦ – مسند أحمد ٢٣٥/٥ .

[3] زعم اليعقوبي في تاريخه ٧٧/٢ ، ٧٨ أن الرسول المرسل إليهم هو سليم بن عمرو الأنصاري والصحيح أنه استشهد في غزوة أحد في السنة الثالثة ، بينما المراسلة تمت في السنة السابعة .

[4] كان لكندة في هذا الوقت أكثر من خمسة ملوك (ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤٢٥ – ٤٢٩ – ابن سعد . الطبقات ٢٦٥/١) .

[5] ابن سعد . الطبقات ٢٦٥/١ .

[6] وائل بن حجر الحضرمي ، بعد إسلامه أقام مدة في المدينة ، وروى عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة ، وأقطعه رسول الله ﷺ أرضاً في الحرة من المدينة ليقيم فيها . (انظر : مسند أحمد ٤/ ٣١٥– ٣١٩ و ٦/ ٣٩٩ – ابن كثير . البداية والنهاية ٨٠/٥) .

والهجرة[١] ، إذا بكندة تقدم بزعامة الأشعث بن قيس الكندي مُحَاوِرَة مُجَادِلَة وإن كانت قد أسلمت في نهاية المطاف[٢] .

وكان مقدم ممثلي كندة وحضرموت إلى المدينة في وقت متقارب وهو العام العاشر الهجري[٣]، وهذا معناه أنهم لم يستجيبوا للإسلام حينما راسلهم الرسول ﷺ في العام السابع ، وإنما جاء إسلامهم متأخراً . ولا نرجح مجيء –كندة وأقيال حضرموت – إلى المدينة في وقت واحد للعداء الذي كان بينهما ، ولكون أحدهما جاء مسلماً ، والآخر غير مسلم .

أما سبب تأخر إسلامهم فيرجع إلى مجموعة من العوامل منها : الظروف التي توفرت من حولهم ، فقد تم إسلام قريش وهوازن وثقيف ، وإسلام (الأبناء) ، وإسلام قبيلة حمير ، ووصول دعاة من الدولة الإسلامية إلى المناطق القريبة من حضرموت وكندة أمثال معاذ بن جبل ، وأبي موسى الأشعري ، وقبلهما مالك بن مرارة الرهاوي .

أما الإجراء الذي اتخذته الدولة الإسلامية مقابل هذا التسليم من قبائل إقليم حضرموت فقد كان يتمثل في التنظيم الإداري الذي سيأتي تفصيله في فصل لاحق ، ولكن الذي يعنينا هنا أن ننبه إلى أن رسول الله ﷺ جمع الإقليم في وحدة إدارية واحدة ، وجعلها تحت وال واحد وهو زياد بن لبيد البياضي الأنصاري بعد أن ضم قبائل حضرموت وجعلها تحت قيادة وائل بن حجر الحضرمي ، وجمع قبائل كندة تحت قيادة الأشعث بن قيس الكندي[٤] .

ثم كتب إلى أقيال (شبوة) وأقرهم على بعض ما يمتلكون[٥].

خامساً : قبائل إقليم تهامة اليمن (القسم الساحلي أو المخلاف الأسفل) : إقليم تهامة اليمن يمتد –كما حددناه آنفا – من عدن جنوباً حتى يلتقي بتهامة الحجاز شمالاً وتقطنه تمركزات قبلية ليست بِكِبَر حمير وهمدان .. منها:

---

(١) ابن سعد . الطبقات ٣٤٩/١ – الأهدلي . نثر الدر المكنون ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) الزرقاني . شرح المواهب ٢٧/٤ – الأهدلي . نثر الدر المكنون ٨٩ .

(٣) ابن هشام . السيرة ٤٠٩/٧ – ابن سعد . الطبقات ١٣/٥ .

(٤) راجع التفاصيل في كتاب اليمن في صدر الإسلام ١٦٨ – ١٧٧ .

(٥) الهمداني . صفه ١٧٥ – الاكليل ٢/ ٣٧٨ – ابن سعد . الطبقات ١/ ٢٦٦ ، ٢٨٧ – يحيى بن الحسين . أنباء أبناء الزمن ٩ (مخطوط) .

١. سعد العشيرة :

في الشمال قبيلة (حَكَم بن سعد العشيرة) وبما أن الوديان الغربية لخولان وهمدان تتصل بتهامة ، فإن بعض فروع من خولان وهمدان يقطنون هذه المنطقة[١] .

ولم تصلنا الروايات عن رسائل أو سرية أرسلت إلى حكم بن سعد العشيرة ، وإنما جاء وافدهم عبد الجد بن ربيعة بن حجر الحكمي إلى رسول الله ﷺ في العام الثامن الهجري[٢] ، فلعله أسلم بوسيلة الدعوة التي كان يوجهها الدعاة الذين يمرون في المنطقة حاملين رسائل الدعوة من رسول الله ﷺ .

٢. الأشعريون وعك :

فقد كانوا وسط تهامة اليمن ، وهما قبيلتان بينهما صلات مصاهرة ومناصرة وقد جاءهم أبو موسى الأشعري مسلماً في الوقت الذي كانت الدعوة الإسلامية ما زالت محصورة في مكة ، وظل فيهم داعياً لهم ومعلماً بما عنده من القرآن الذي تلقاه عن رسول الله ﷺ إلى أن هاجر إلى المدينة مروراً بالحبشة ، ولما عاد إلى المدينة في العام السابع الهجري مع من أسلم من قومه ليشاركوا المسلمين في بناء كيان الأمة .

٣. قبائل لحج ومنهم الأصابح :

في جنوب تهامة المقابل لسرو حمير وقبائله وحتى عدن وما فيها من الأبناء الذين انضموا إلى الدولة الإسلامية ، في هذه المنطقة توجد قبائل لحج وهي قبائل حميرية ، ومنها الأصابح التي صاهرها أبو موسى الأشعري[٣].

وللوحدة الجغرافية التي تميزت به إقليم تهامة اليمن كلف رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري ليكون والياً على هذا الإقليم ، وقد أُرسل في العام التاسع الهجري بعد رمضان ،

---

[١] الهمداني . صفة جزيرة العرب ٢٥٩ .

[٢] الطبري . تاريخ ٢/٥١ ، ٥٢ – الهمداني . الإكليل ٢/٢٤٢ – وصفة جزيرة العرب ٧٦ – ابن عبد البر . الاستيعاب ٢/٤٤٨ (بهامش الإصابة) – ابن حجر . الإصابة ٢/٣٨٧ – ابن الأثير . أسد الغابة ٣/٤٢٠ .

[٣] ابن حجر . فتح الباري ١٦ / ١٩٧ .

لأنه شارك في غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ[1] ، ثم زوده بالوصايا والنصائح ، فقد كان هو ومعاذ قد خرجا في وقت واحد وأوصاهما معاً[2] ، فذهب كلٌ منهما إلى مخلافه ، فقام أبو موسى ودعا قومه إلى الإسلام فاستجابوا على الفور[3] ثم استقر بين (الأصابح) من قبائل لحج وهي من سرو حمير ، وزوج ابنته من زعيمهم أبي شمر بن أبرهة[4] .

وهكذا فإن إقليم تهامة دخل ضمن الدولة الإسلامية بوسيلة الدعوة والدعاة ولم ترسل إليهم السرايا .

الوسيلة الثانية : وسيلة الدعوة بالبعوث والسرايا ..

تتمثل هذه الوسيلة في الحملات العسكرية التي خرجت داعية إلى الإسلام فإن فاءت القبائل إلى أمر الله و إلا نوبذت بالقتال ، بغض النظر عن عدد أفراد السرايا أو البعوث ، فمهمتها هو دعوة الناس إلى الإسلام ، فإن أسلموا و إلاَّ قوتلوا ، وقد يقال : لماذا لم تفرض عليهم الجزية ؟ وللإجابة على ذلك نقول : إن الإسلام له حكم خاص في التعامل مع الوثنيين العرب هو : إما أن يدخلوا في الإسلام ، وإما أن يقاتلوا ، وهذا ما جاء في مطلع سورة التوبة ، بينما أهل الكتاب ومَن في حكمهم كانوا يخيرون بين إحدى ثلاث : الإسلام أو الجزية أو القتال ..

بدأ تطبيق هذه الوسيلة من العام الثامن الهجري ، وهذا غير تلك الحملة التي قام بها عمر بن الخطاب في شعبان من العام السابع الهجري إلى سوق (تُرَبَة) الواقعة جنوبي الطائف في طريق اليمن الجبلي[5] ؛ لأن هذه الحملة ربما تكون مجرد تنبيه لأهل اليمن لما سيأتي بعد ذلك ، ولكنها على وجه اليقين كانت جزءاً من الحصار الاقتصادي لقريش . لأنه من غير الواضح ما إذا كانت هذه الحملة قد حققت شيئاً فيما يخص اليمن أم لا ؟ إلا أنها

---

[1] المصدر نفسه ١٦/٢٣٧ – ٢٣٩ .

[2] النووي . شرح صحيح مسلم ١٣ / ١٧٠ ، ١٧١ – ابن حجر . فتح الباري ١٦ / ١٧٩ ، ١٨١ – أحمد بن حنبل . المسند ٥/٢٣٥ .

[3] ابن حجر . الإصابة ٢/٣٦٠ .

[4] ابن حجر . الإصابة ٤/١٠٢ ، ١٠٣ .

[5] المسعودي . التنبيه والأشراف ٢٢٧ – ياقوت . المعجم ٢/٢١ .

بالتأكيد أثارت رعباً عند قريش لأن طريقهم التجاري الجنوبي صارت محفوفة بالمخاطر بوصول يد الدولة الإسلامية إليها .

ولكن الحملات المنظمة لم تبدأ إلا بعد فتح مكة مباشرة ، وتوسعت على نحو أكبر بعد إجهاض محاولة هوازن وثقيف الانقضاض على المسلمين في (حنين) ، وعلى وجه التحديد بدأت هذه الوسيلة بعد أن نزل رسول الله (الجعرانة) في ١٨ من ذي القعدة ٨هـ / ٦٢٩م[١] .

ميادين السرايا والبعوث في اليمن :

لم تكن السرايا والبعوث موجهة إلى القبائل الكبيرة ذات النفوذ الواسع في اليمن مثل : حمير ، وحضرموت ، وكندة ، وهمدان ، وخولان ، وإنما يلاحظ أن الحملات أرسلت على وجه التحديد إلى المناطق الواقعة شمال تهامة وإلى بلاد السراة (وفيه قبائل : دوس ، وصداء ، وخثعم ، والأزد ، وبجيلة) ، وإلى مشارف همدان في الشمال الغربي منها ، وإلى شمال مذحج (وفيه : زُبَيْد) ، وإلى جزء من شمال خولان ، وإلى وادي نجران الذي تقطنه بنو الحارث بن كعب . هذه هي ميادين البعوث والسرايا ذلك لأن هذه المنطقة تجمعها وحدة جغرافية واحدة وتسكنها قبائل بدوية تعتمد على الترحال دون الاستقرار .. ولها طبع التمرد ، وصعوبة الانقياد لقيادة مركزية .

أهداف السرايا :

بعد رفع الحصار عن الطائف ونزول رسول الله ﷺ في ١٨ من ذي القعدة ٨هـ /٦٢٩م في الجعرانة (في الشمال الشرقي من مكة)[٢] اتخذ رسول الله ﷺ خطة عامة فأرسل السرايا إلى جنوبي مكة والطائف[٣] ومنها اليمن لتحقق عدة أهداف منها : الدعوة إلى الإسلام . وإزالة الأصنام المنصوبة ، وبسط نفوذ الدولة على هذه المنطقة . وتأمين ظهر المسلمين وهم ينطلقون شمالاً وشرقاً لمصاولة الدولتين الرومية (البيزنطية) والفارسية (الساسانية) . وأخيراً تحقيق هدف (استراتيجي) مهم وهو تهيئة الجزيرة العربية لتكون

---

[١] الزرقاني . شرح المواهب ٤/ ٦٠ .

[٢] من تلك السرايا سرية قام بها خالد بن الوليد إلى تهامة الحجاز (الطبري . التاريخ ٣/ ٦٦) .

[٣] الزرقاني . شرح المواهب ٤/ ٦٠ – البلادي . معجم ٨٣ .

مركز الإسلام وانطلاقه إلى العالم المعمور يومذاك لتسلم القيادة العالمية خلفاً للدولتين : الفارسية والرومية .

تحركات السرايا :

أولت الدولة الإسلامية – ممثلة برسول الله ﷺ – اهتماماً ملحوظاً بالسرايا التي أُرسلت إلى بلاد اليمن[(١)]، حيث أرسلت تسع سرايا :

١. أول حملة أو سرية أرسلت لأداء مهمة سريعة خاطفة هي تلك السرية التي أرسلت إلى قبيلة (دوس) الواقعة جنوبي الطائف بقيادة الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ على إثر غزوة حنين وقبل حصار الطائف ، وكانت مهمته محددة وهي إحراق صنمهم المعروف (بذي الكفين) ، وكان مصنوعاً من خشب ، ودعوة قومه إلى الإسلام ، وتعبئة من يقدر منهم ليشارك بهم المسلمين في حصار الطائف[(٢)] وقد قام بالمهمة على أكمل وجه وعاد بأربعمائة من قومه ومنهم (دبابة ومنجنيق)[(٣)] .

وكان الطفيل قد قام – بعد إسلامه المبكر وقبل هجرته – بالتمهيد لهذا الدور الذي قام به في هذه الحملة من دعوة قومه إلى الإسلام إلاَّ أنه لم يقدم على القيام بهدم صنمهم لأنه لم يؤمر بذلك حتى تتمكن الدولة .

٢. سرية إلى قبيلة (صُداء) التي تقع شمالي نجران في بيشة وأعراضها ، وكانت هذه السرية في أواخر العام الثامن الهجري[(٤)] ، وهي بقيادة قيس بن سعد بن عبادة ﷺ إلا أن أحد وجهاء (صداء) يسمى زياد بن الحارث الصدائي ضمن طاعة قومه فأوقف رسول الله ﷺ خروج السرية ، وكتب لهم كتاباً يدعوهم إلى الإسلام مع

---

(١) تفاصيل دور هذه السرايا تجدها في كتابنا : اليمن في صدر الإسلام ، ١٩٠-٢٢٤ .

(٢) ابن سعد . الطبقات ١٥٧/٢ ، ١٥٨ – ابن الأثير . أسد الغابة ٨٠/٣ ، ٨١ . الزرقاني . شرح المواهب ٢٨/٣ .

(٣) الدبابة : آلة من آلات الحرب مصنوعة من خشب وجلود يحتمي بها من يقوم بثقب الأسوار – والمنجنيق : آلة حربية تتخذ للرمي بالأحجار أو بكرات النار .

(٤) الزرقاني . شرح المواهب ٤٢/٣ ، ٦٠/٤ . النووي . شرح صحيح مسلم ٤٢٣/٥ – البرهان فوري . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٣٩٩/١٣ – ٤٠٢ – ابن سعد . الطبقات ٣٢٦/١ – ٣٢٧ – ابن عبد البر . الاستيعاب ٥٦٦/١ – ابن الاثير . أسد الغابة ٢٦٩/٢ – الهمداني . صفة ٥٩ ، ١٤٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .

ضامنهم فاستجاب له قومه ، وعاد بعد خمسة عشر يوماً . فقال له رسول الله ﷺ : يا أخا (صداء) !! إنك امرؤ مطاع في قومك .. فقال : بل الله هداهم للإسلام[١] .

٣. سرية بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه في ذي القعدة ٨هـ إلى منطقة همدانية على مشارف بلاد السراة وتهامة اليمن ، كانت تقطنها بعض من قبائل همدان وهي (يام وخارف وشاكر) ، وظل فيها ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يستجيبوا له ، فأرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليحل محل خالد على ألا يكره أحداً من سرية خالد على البقاء و، كان هذا في جمادي الآخرة من السنة التاسعة فاستجابوا له[٢] . وهذه السرية – كما نرى – ليست إلى همدان كلها وإنما إلى جزء من همدان الذي يقع في الشمال الغربي من اليمن[٣] ومن ثم فلا صحة لما قيل من ان همدان أسلمت كلها على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٤. سرية إلى (خثعم) في صفر من العام التاسع الهجري[٤] وتمكن أمير السرية قطبة بن عامر الأنصاري رضي الله عنه من الاشتباك مع خثعم التي كانت تقيم في (بيشة) و(تُرَبَة) – الطريق التجاري إلى اليمن – وعاد بالغنائم بعد أن فرق جمعهم .

٥. سرية إلى قبيلة (الأزد) ومدينة (جُرَش) في العام العاشر[٥] وكانت بقيادة صُرَد بن عبد الله الأزدي الذي أسلم فكلفه رسول الله ﷺ بمقاتلة من يليه من المشركين .

٦. سرية إلى بني الحارث بن كعب في وادي نجران بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه في ربيع الأول أو ربيع الآخر أو جمادي الأولى من العام العاشر الهجري[٦] . وتتميز هذه

---

(١) ابن سعد . الطبقات ٣٢٦/١، ٣٢٧ – الزرقاني . شرح المواهب ٦٠/٤ –كنز العمال ٣٩٩/١٣ .

(٢) الطبري . التاريخ ١٣١/٣ ، ١٣٢ – ابن كثير . البداية والنهاية ١٠٥/٥ – ابن حجر . فتح الباري ١٨٤/١٦ ، ١٨٥ – الزرقاني . شرح المواهب ٣٦/٤ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ٦٩ ، ١٧١ – ابن هشام . السيرة ٤٢٣/٧ – ٤٢٥ .

(٣) الهمداني . صفة جزيرة العرب ٢٤٧ – ياقوت . المعجم ٢/ ٣٣٦ و ٣١٠/٣ و ٤٢٦/٥ .

(٤) الزرقاني . شرح المواهب ٤٨/٣ .

(٥) الطبري . التاريخ ١٣٠/٣ ، ١٣١ – ابن سعد . الطبقات ٣٣٧/١ ، ٣٣٨ و ٥٢٦/٥ ، ٥٢٧ – ابن هشام . السيرة ٤١١/٧ – ٤١٣ – ابن عبد البر . الاستيعاب ٢٠٤/٢ – البلاذري . فتوح البلدان ٧١ . ومدينة جُرش – بضم الجيم وفتح الراء – غير جَرَش – بفتح الجيم – التي تقع في الأردن ، وجُرش اليمنية هي التي تقع جنوب الطائف وكانت مشهورة بصناعة السلاح (معجم البلدان ٣/ ١٢٦، ١٢٧) .

(٦) ابن هشام . السيرة ٤١٨/٧ – ٤٢١ – الطبري . التاريخ ١٢٦/٣ – ١٢٨ – ابن سعد . الطبقات ٢٢٩/١ ، ٣٤٠ و ١٦٩/٢ – المسعودي . التنبيه والإشراف ٢٣٨ – ابن عبد البر . الاستيعاب ٢٣٨/٣ ، ٦٥٧ – ابن حجر . الإصابة ٢٤٤/٣ ، ٦٦٠ – ابن الأثير . أسد الغابة ٤١٨/٤ – الزرقاني . شرح المواهب ٢٤/٤ .

الحملة بقائدها ، وبعددها الذي وصل إلى أربعمائة رجل ، وبالمهمة التي حددها له رسول الله ﷺ وهي دعوتهم ثلاثة أيام فإن استجابوا يتولى تعليمهم الإسلام ، وإلا يقاتلهم . وقد قام خالد بالمهمة خير قيام فأسلم الناس دون قتال ، فأقبل ومعه وفدهم بناءً على توجيه رسول الله ﷺ .

٧. سرية بقيادة خالد بن سعيد بن العاص ﷺ إلى شمال (سرو مذحج) ، ومن قبائلهم زُبَيْد وعنس وبعض قبائل خولان (في العام العاشر) ، كلفه رسول الله ﷺ أن يجمع الأعراب المسلمين في طريقه ، ويضمهم إليه فيحارب بهم من لم يسلم[1] ، وتمكن بمساعدة فروة بن مسيك المرادي المذحجي ﷺ الذي عينه رسول الله على مذحج كلها ، وأمره بأن يقاتل من لم يسلم بمن أسلم وقال له : " لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام "[2] . وقد تمكن خالد بن سعيد وفروة من تطويق قبيلة (زُبَيْد) ، والاصطدام بهم ، وهزيمتهم . وما لبث أن قدم من المدينة المنورة عمرو بن معد يكرب الزُبَيْدِي ، مسلماً فتشفع لقومه عند خالد فأطلقهم[3] .

٨. سرية إلى شمال (سرو مذحج) حيث أرسل علي بن أبي طالب ﷺ للمرة الثانية في رمضان ١٠هـ/٦٣١م على رأس ثلاثمائة فارس ، وكأنها حملة تمشيطية لشمال (سرو مذحج) وكانت بمثابة التعزيز لمهمة خالد بن سعيد بن العاص ، ولذا دارت معركة خاطفة مع بعض القبائل المذحجية ، وبعد أن رفضوا الإسلام ، وتصدروا لمقاتلته ما لبثوا أن انقلبوا على أعقابهم فهربوا خائفين ..وعاودوا الكرة فتجمعوا مرة أخرى ودعاهم علي بن أبي طالب إلى الإسلام فأسلموا[4] .

وبالمناسبة لابد من الإشارة إلى أن علياً ﷺ الذي أرسل على رأس هذه الحملة كان مكلفاً من قبل رسول الله ﷺ بمهمتين أخريتين :

---

[1] ابن سعد . الطبقات ٥٢٤/٥ ، ٥٢٥ – ابن سمرة الجعدي . طبقات فقهاء اليمن ١٤ – الرازي . تاريخ صنعاء ١٤١ – ابن القيم . زاد المعاد ٥٠٣/٣ – الزرقاني . شرح المواهب ٥٨/٤ ، ٥٩ – ابن عبد البر . الاستيعاب ٥٢٢/٢ .

[2] الزيلعي . نصب الراية ٣٧٨/٣ .

[3] البلاذري . فتوح البلدان ١٤٢/١ – ابن سعد . الطبقات ٥/ ٥٢٢ – ابن حجر . الإصابة ١/ ٤٠٧ – البرهان فوري . كنز العمال ٤٨٣/٤ – ابن الأثير . الكامل ٢٩٧/٢ ، ٢٩٨ – ابن عبد البر . الاستيعاب ٥٢٠/٢ .

[4] الزرقاني . شرح المواهب ١٠٣/٣ – ابن عبد البر . الاستيعاب ٥٢٢/٢ – ابن الأثير . أسد الغابة ١٨٥/٦ ، ١٨٦ – أحمد . المسند ٤٨٣/٣ و ٣٤٧/٥ – ابن سعد . الطبقات ١٦٩/٢ .

الأولى : أن رسول الله ﷺ كلفه بالتعليم والتفقيه والحكم بين الناس ، في اليمن وذلك حينما استقبل أناساً من أهل اليمن – ولم تحدد الروايات من أي اليمن هم – لكنها تنص على أن علياً دخل صنعاء وحكم فيهم فيما كانوا فيه يختلفون ، وعلمهم ما فتح الله به عليه[1] . فتكون هذه المنطقة هي التي جاء منها أولئك النفر ، ولم تطل مدة مكثه في صنعاء . بل قام بالمهمة .

الثانية : وهي أن يمر على نجران ليأخذ منهم ما عليهم من التزامات مالية سواءً أكانت صدقات من المسلمين ، أو جزية من غيرهم ، أو مال صلح على نصارى نجران[2]، ثم العودة ليوافيه في مكة ليشارك في حجة الودع.

٩. سرية إلى بجيلة وخثعم : وهي آخر الحملات فبعد حجة الوداع أشار رسول الله ﷺ إلى جرير بن عبد الله البجلي بأن يريحه من صنم قبيلته وبيت عبادتهم المعروفة بـ (ذي الخلصة) فأمره على قومه وكلفه بدعوة خثعم ثلاثة أيام وإلا قاتلهم . وقد قام بالمهمة ، ثم أرسل إلى رسول الله رسولاً يبلغه بنجاح مهمته فكتب رسول الله كتاباً إلى خثعم يبين لهم بأن الإسلام قد وضع دماء وثارات الجاهلية وحدد ما عليهم من زكاة[3] .

نتائج السرايا :

تباينت مواقف هذه القبائل التي أرسلت إليهم تلك سرايا :

١ – فمنهم من سلَّم للدولة الإسلامية تسليماً كاملاً راضياً وصار مسلماً ، وجزءاً من الدولة الإسلامية مثل (صداء) .

٢ – ومنهم من ظل مقاوماً حتى أُوقف عند حده مثل (خثعم) فأسلم ، ولكن استسلاماً للأمر الواقع ، ولهذا سيكونون من أوائل المرتدين .

٣ – ومنهم من صولح على مال صلح مثل (جُرَش) .

---

[1] كنز العمال ١٣/ ١١٣ – أحمد . المسند ١/٨٣، ٨٨، ٩٠، ١١١، ١٣٦، ١٤٩ – أبو داود . السنن ٢/ ٢٧٠ – الترمذي . السنن ٢/٣٩٥ – الزرقاني . شرح المواهب ٣/ ١٠٣ .

[2] الترمذي . السنن ٢/ ١٥٥ – الزرقاني . شرح المواهب ٣/ ١٠٤ – ابن حجر . فتح الباري ٦/ ١٨٦ .

[3] جاء هذا في حديث رواه البخاري (فتح الباري ١٦/ ١٩٢ ،١٩٣ – ابن سعد . الطبقات ١/٢٨٦) .

٤ – ومنهم من سلَّمت وأقبلت على إحراق وتدمير تماثيلها وبيوت طواغيتها مثل (بجيلة) التي تكفل أحد أبنائها (جرير بن عبد الله البجلي) بإزالة صنمها (ذي الخلصة)[١] .

٥ – ومنهم من أُخضع بالقوة دون قتال مثل بني الحارث بن كعب – في وادي نجران – الذين لم يسلموا إلا بعد حملة كبيرة تولاها خالد بن الوليد ﷺ ، ولم يدخلوا ضمن الصلح المعقود مع أهل مدينة نجران من النصارى وإنما عاملهم رسول الله ﷺ معاملة مغايرة عما كان يعامل به القبائل الأخرى من رفق ولين ، فقد بدأ بالشدة لكسر حدة نخوة الجاهلية فيهم وغرور الاستعلاء الجاهلي ثم عاد لرفقه المعهود عليه الصلاة والسلام[٢] .

الوسيلة الثالثة : الرغبة والرهبة ..

هذه الوسيلة دخل عبرها بعض أهل اليمن في الإسلام وهي أثر لوسيلتي الدعاة والرسائل ، والبعوث والسرايا اللتان أدتا إلى إسلام القبائل واحدة تلو الأخرى – فقد كانت هناك قبائل صغيرة سارعت إلى الدخول في الإسلام : إما راغبة فيه مؤمنة صادقة فتلقته بالقبول والرضا ، ودافعت عنه واستماتت في سبيله دون أن تصل إليه لا سرية ولا رسلاً . وإما خائفة فقدرت أن مصلحتها في متابعته . ويظهر هذا من إقبال وفود القبائل اليمنية من كلا النوعين – الراغبين أو الخائفين – البالغ عددها حوالي ثمانية وفود إلى عاصمة الدولة الإسلامية لتحدد موقفها وولاءها من الإسلام ، وهذه الوفود هي : وفد (مأرب) ، ووفد (المهرة) ، ووفد (بني نهد) ، ووفد (بارق) ، ووفد (غافق) ، ووفد (غامد) ، ووفد (الرهاويين) ، ووفد (حوشب ذي ظليم)[٣] .. ويلاحظ أن رسول الله ﷺ كان يكتب لكل وفد كتاباً يبين لهم مالهم وما عليهم مع جيرانهم من القبائل أو مع الدولة الإسلامية .

---

[١] ابن حجر . فتح الباري ١٦/١٩٠ ، ١٩١ .

[٢] صادق ابراهيم عرجون . خالد بن الوليد ١٧١ .

[٣] الهمداني . الإكليل ٢/٢٤٠ – نشوان . ملوك حمير ١٧٠ – سنن أبي داود ٢/١٤٧ – ابن سعد . الطبقات ١/٣٤٥، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٦ – ابن الأثير . أسد الغابة ٤/٢٨٨ – الزرقاني . شرح المواهب ٤/٦٣ – ابن عبد ربه . العقد الفريد ٣/٣٧٤ – انظر تفصيل هذا في كتاب : اليمن في صدر الإسلام ٢٢٤ – ٢٢٩ .

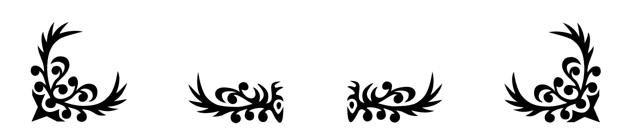
النتيجة العامة :

إن هذه الوسائل كلها : وسيلة الدعاة والرسل . وسيلة الحملات والسرايا . ووسيلة الرغبة والرهبة التي هي من مستلزمات الوسيلتين الأولى والثانية ، هذه السائل تُرينا حقيقة مهمة . وهي : إبطال المقولة التي تزعم بأن أهل اليمن أسلموا دفعة واحدة ، وفي وقت واحد ، وبوسيلة واحدة ، وهي وسيلة الرسالة التي تلقاها اليمنيون من رسول الله ﷺ كما قيل .

فقد رأينا مدى الجهد الذي بذلته الدولة الإسلامية من العام السابع الهجري بإرسال الدعاة كلما جاءهم رسول من عند رسول الله ﷺ أردفه بآخر، ثم شد عضدهم بحملات (سرايا) متلاحقة للتصدي للقبائل اليمنية التي أصرت على وثنيتها ، وقاومت أي محاولة لإزالة الأوضاع الجاهلية التي تحياها .

وصحيح أن القبائل التي صارت لبنات في جسم الدولة الإسلامية – بوسيلة البعوث والسرايا – قد دخلت الإسلام في هذه الآونة ، إلاَّ أن بعضها لم يكن إسلامه –كما ستثبت الأحداث بعد ذلك – عن بينة ويقين ورضا وإنما انضموا إلى قائمة الداخلين في الإسلام دون أن تكون قلوبهم قد أُشربت الإسلام ، ومن ثم فان موقفهم من الإسلام – الرافض ، ثم المتأرجح ، ثم المنضم إليه دون يقين –كان ينبئ عن نفسيات قلقة هيأتها – بعد ذلك – لأن تكون هي نفسها المتزعمة لأحداث الردة كما سيأتي .

ونخلص من هذا كله أن اليمن لم يصبح جزءاً من الدولة الإسلامية – بإسلام قواه وتجمعاته البشرية – دون بذل العناء واستخدام الوسائل المباشرة وغير المباشرة السلمية والحربية والترغيب والترهيب ، وبعد تلك المحاولات كلها صار اليمن يشكل في جسم الدولة الإسلامية وحدة إدارية واحدة ، لها أمير يديرها مركزياً دون أن يكون معه الجيوش التي تهيمن أو تحمي السلطة المركزية ، بل كان أميراً أعزلاً ، يدير المنطقة بقوة أخرى غير قوة السلاح ، قوة تربط القيادة بأفراد الأمة بروابط وثيقة هي قوة وآصرة العقيدة .. آصرة التصور الجديد .. التصور الإسلامي الذي استبدل بالتصور الجاهلي .. ذلك التصور الشامل عن الله والكون والإنسان والحياة .



الفصل الثالث

موقف ولاية اليمن من الأحداث

- في عصر الخلافة الراشدة .
- في عصري بني أمية وبني العباس .

تمهيد :

هذا الفصل سيعالج موقف ولاية اليمن من القضايا التي كان لها ظهور وبروز في المجتمع الإسلامي في عصور : الخلافة الراشدة ، وبني أمية ، وبني العباس .. وسيلاحظ القارئ أن عصر الخلافة الراشدة حاز مساحة أوسع في عرض قضاياه ، وهي قضايا : الردة، والفتوح ، والفتنة ، إلا أن قضية الردة سيكون لها أكبر مساحة من غيرها ، كونها كانت قد شغلت الساحة اليمنية بأحداثها أكثر من غيرها ، بينما ما حدث من أحداث في العصرين الأموي والعباسي فهي أقل مساحة ، والسبب يرجع إلى أن اليمن كولاية لم يكن له مشاركة في تلك الأحداث لأنها حدثت في أمصار بعيدة ، أما لأحداث التي حصلت في ولاية اليمن في العصرين الأُموي والعباسي فسنفرد لها فصلاً خاصاً بها إن شاء الله .

أولاً : ولاية اليمن في عصر الخلافة الراشدة :

يعد عصر الخلافة الراشدة عصر تطبيق الوحي بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولذا اتخذ عمل الصحابة المصدر الثالث من مصادر التشريع ، ومن أهم الأحداث التي حصلت في هذا العصر وكان لها نتائج تشريعية هي : أحداث الردة ، والفتوح ، والفتنة . وسيقتصر حديثنا عن أثر وتأثر ولاية اليمن بتلك الأحداث :

الحدث الأول : الردة في اليمن :

وجهات نظر حول الردة :

ظهرت في العصر الحديث وجهات نظر مختلفة تتناول قضية الردة في اليمن خاصة ودار الإسلام عامة ، وذلك في بحوث ودراسات ومؤلفات تختلف باختلاف بواعثها :

فالبعض عدَّها ردة عن الإسلام معتمداً في هذا على السرد التاريخي التقليدي الذي يخلو من التحليل والمقارنة[1] ، ومن ثم فإن هذه الكتابات لا تنفذ إلى الأعماق .

---

[1] وهي كل الكتب التي كتبت في الثلاثة أرباع الأولى من القرن العشرين مثل كتابات : الويسي وشرف الدين وعبد الله الثور وغيرهم .

وبعض ثانٍ تبنى وجهة نظر ثانية إذ أضفى على هذه الحركة ألقاباً مُحْدَثَة غير متطابقة مع حقيقتها منها : (الثورية) (الوطنية) (التحررية)[١] بصفتها حركة قامت ضد النفوذ القرشي الذي فرض على اليمن بمجيء الإسلام – حسب زعم أصحاب هذا الرأي – فهي – بزعمهم – سيطرة مضرية على القحطانية ليس إلاَّ .. أو أن الإسلام القرشي أبقى الاستعمار الفارسي – كما يسمونه – بتولية باذان الفارسي على اليمن ، وأن حركة الأسود العنسي حركة وطنية لتحرير اليمن من الاستعمار الفارسي والسيطرة القرشية على حد سواء .. وقد اعتمدت هذه الكتابات على التحليلات المجردة المنفصلة عن النصوص التاريخية الواردة في المصادر .. وعلى مناقشة النصوص بخلفية فكرية مسبقة . فجمحت بهم تلك الخلفيات حتى ألقتهم في مهاوي تزييف الوقائع ، أو تحويرها عن مسارها .

وهناك وجهة نظر ثالثة تشفق على أهل اليمن ، فتنفي وقوع الردة فيهم ، وأن أهل اليمن دخلوا الإسلام عن اقتناع[٢]، ومن ثم فلا يتوقع حدوث الردة منهم . وألقت هذه النظرة النصوص جانباً ، أو أنها استبعدت من النصوص كلمة الردة ، وجعلت الأحداث هي مجرد " الخروج عن طاعة الخليفة أبي بكر في كل ما يطلبه من الناحية الاجتماعية والمالية "[٣] ، وإن كانت وجهة النظر هذه لا تنفي وقوع اسم (الردة) على بعض أفراد أو مجاميع من اليمن ولكن بصفتها كبوة وهفوة وقعوا فيها وسرعان ما عادوا إلى الإسلام[٤].

فإذا كانت وجهة النظر الأولى قد جانبت العمق الذي يوصل إلى حقائق الأمور ، فإن وجهة النظر الثانية أوغلت في مجاهيل التحليل المبني على شعارات مسبقة متناقضة للخلط الواضح الذي حصل بين مصطلحات متناقضة كالإقليمية ، والقومية ، والأممية من ناحية ، والإسلام من ناحية أخرى حتى صار أصحاب وجهة النظر هذه عاملاً مضللاً للدارسين الباحثين عن الحقيقة .

وقد تشترك وجهة النظر الثانية مع وجهة النظر الثالثة بأن الردة هذه لم تكن سوى شعاراً أطلق على كل متمرد على الدولة المركزية ، وقد سبق كل من هؤلاء وأولئك أناس قالوا

---

[١] وهي الكتابات ذات الاتجاه اليساري الشيوعي أو القومي أو التعصب الوطني ومنها : كتاب الأطراف المعنية للنعمان .

[٢] الشاطري . موقف اليمن من الرجعية الجاهلية (الردة) ١٠ – ١٢ .

[٣] المرجع نفسه ٨ .

[٤] المرجع نفسه ٤٢ .

بهذا الرأي لأغراض رسمها (الاستعمار) الأوربي[1] .

منهج التعامل مع الحدث :

وإذا أردنا تجاوز هذه الغلالات المصنوعة التي أطَّرت الحديث عن الردة في أطر غير علمية فعلينا أن نلتزم منهجاً مغايراً لكل وجهات النظر تلك يعتمد على الاستقصاء ، والتحري ، والتحليل ، والعودة إلى المصادر الأصلية والوقائع الصحيحة ، أو شبه الصحيحة المدعمة بالقرائن ، والتحليلات .. متبعين الخطوات التالية :

١- تحديد مفهوم الردة ودلالاته بحسب الأصل الشرعي .

٢- تشخيص الواقع بتحديد المظاهر القولية والفعلية ودوافعها التي برزت على الساحة اليمنية ، ومدى انطباقها مع دلالة مفهوم الردة .

٣- التعرف على موقف جيل الصحابة مما حدث لنخرج بعد ذلك بنتيجة ما إذا كانت ردة حقيقة أم لا .

٤- جهاد المرتدين من خلال موقف أهل اليمن من الردة وموقف الدولة الإسلامية منها .

٥- نتائج الردة على ولاية اليمن .

الخطوة الأولى : مفهـــوم مصطلح الردة ودلالته :

مصطلح (الردة) له دلالة لغوية ، ودلالة اصطلاحية . فأما دلالته اللغوية فتعني الرجوع و التحول[2] .

بينما الدلالة الاصطلاحية لكلمة الردة في التشريع الإسلامي هي : قطع الإسلام بنية كفر ، أو قول كفر ، أو فعل كفر ، سواء كان القول مزاحاً ، أو استهزاء ، أو عناداً ، أو اعتقاداً[3]. وسواء كان الفعل إثباتاً للفعل أو امتناعاً عنه .

---

[1] كان لعلي عبد الرزاق الدور الأول في وجهة النظر هذه بغرض الحط من قدر الخلافة الإسلامية وتشويه سمعتها خدمة لأعداء الأمة الإسلامية (انظر : كتاب حقيقة الإسلام وأصول الحكم للشيخ / محمد بخيت ، وكتاب : نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم لمحمد الخضر حسين المنشوران في المكتبة السلفية . القاهرة) .

[2] لسان العرب ١٦٢١/٣ .

[3] الزهري . شرح على متن المنهاج لشرف الدين النووي ٥١٩ ، وحاشية قليوبي وعميرة على شرح المنهاج ١٧٤/٤ .

فمن جحد أو رفض حكماً من أحكام الإسلام مُجْمَعاً عليه كان كمن جحد جميعه[1] ، ومن نصب الحرب في منع فريضة أو منع حق يجب عليه لآدمي وجب قتاله[2].

ويصبح – بهذا المفهوم – الفرد والمجموع مرتداً إذا ما حصل منه ما يقتضي ذلك المفهوم ، وإذا كان الفرد يكون مرتداً إذا ما انطبق المفهوم عليه ، فإن المجموع – قبيلة أو مجتمعاً أو أمة – يدخل ضمن هذا المفهوم .

لأن الإسلام يقسم الأرض إلى دارين لا ثالث لهما : إحداهما دار الإسلام ، وهي الأرض التي نزلها المسلمون ، وجرت عليها أحكام الإسلام ، وإن كان أغلب سكانها من غير المسلمين ، والأخرى دار الكفر وهي الأرض التي لا تجري عليها أحكام الإسلام ، وإن كان أغلب سكانها من المسلمين[3].

وتتفرع دار الكفر إلى دارين : دار عهد ودار حرب . أما دار العهد فهي الدار التي عقدت عهداً أو صلحاً مع دار الإسلام ، وتظل معصومة من المقاتلة إلا إذا نقضت عهدها .. وأما دار الحرب فهي التي رفعت راية الحرب والقتال على الدولة الإسلامية أو دار الإسلام .

وتتفرع دار الإسلام إلى دارين : دار بغي ودار ردة .. أما دار البغي فهو جزء من دار الإسلام لأن الباغي إن لم يعد إلى رشده قوتل حتى يفيء إلى أمر الله .. وأما دار الردة فهي التي قطعت الإسلام ورفعت راية غير راية الإسلام فتتحول دارهم إلى دار حرب .

وقد اتفق علماء التشريع الإسلامي على أنه إذا جرت أحكام المرتدين على بلد ما صارت دار حرب في مقاتلتهم وفي اغتنام أموالهم وسبي ذراريهم[4] .

فإذا تبين لنا حقيقة مفهوم الردة ، فلابد من معرفة حقيقة الواقع من خلال الحديث عن مظاهر الأحداث .. لنعرف ما إذا كانت ردة أم لا ؟ وما دوافع كل مظهر ؟.

---

[1] ابن قدامة المقدسي . الشرح الكبير على متن المقنع ٧٧/١٠ (بهامش المغني لابن قدامة) .

[2] العيني . عمدة القاري في شرح البخاري ٨١/٢٤ .

[3] ابن قيم الجوزية . أحكام أهل الذمة ٣٦٦/١ .

[4] ابن قدامة . المغني ١٠ / ٩٥ .

الخطوة الثانية : تشخيص الواقع بتحديد المظـــاهـــر والدوافع :

بدأت تلك الأحداث في عهد الرسول ﷺ بعد حجة الوداع وقبل وفاته ، إذ ادعى النبوة كل من مسيلمة الكذاب في اليمامة ، والأسود العنسي في اليمن ، ثم بعد وفاة رسول الله ﷺ برزت مظاهر أخرى من الأحداث وتوسعت رقعتها ومسمياتها .

وإذا ما تناولنا مفهوم الردة السابق وطابقناه على المظاهر العملية والقولية اللذان يدلان على حقيقة الاعتقاد لتلك المظاهر التي برزت في الواقع اليمني فإن بالإمكان الحصول على أكثر من مظهر ، وليس بالضرورة وجود فصل كامل بين مظهر وآخر، بل هناك تداخل واضح بينها .

المظهر الأول : ادعاء النبوة ..

ظهر أصحابها في أكثر من قبيلة في الجزيرة العربية ، وشاركت اليمن فيها حتى صارت ظاهرة في حاجة إلى رصد وتحليل .

فقد ظهر عبهلة بن كعب العنسي الذي عُرف بالأسود العنسي ، ولم ندر ما إذا كان زعيماً لقومه أم كان شخصاً مغموراً واتته الظروف ليظهر ويشتهر ، ولكن ما نعرفه عنه انه كان كاهناً مختفياً في منطقة بعيدة عن عنس نفسها[1]، ويتمتع ببنية قوية ومنطق معسول[2]. وقد شبه نفسه بمسيلمة الحنفي (المعروف بمسيلمة الكذاب) الذي أطلق على نفسه

---

[1] خرج في منطقة خبان – بفتح الخاء وتشديد الباء –عند الطبري . التاريخ ٣/١٨٥، ٢٤٠ – وهي كذلك عند : ياقوت الحموي . معجم البلدان ٣٤٣/٢ تحت مادة خبان وحدد موقعها بأنها : في وادي خبان قرب نجران . وقال البكري . معجم ما استعجم ٤٨٥/١ : خبان – بفتح الخاء وتشديد الباء المفتوحة– : أرض بأسفل نجران من ديار مراد اليها ينسب كهف خبان وهو الكهف الذي مات فيه مرقش الأكبر . وفي تعليق الأكوع على صفة جزيرة العرب ١٦٣ قال : وادي خب وهو واد مشهور وتسكنه يام عنس المذحجية .. ومنه ظهر الأسود العنسي .. وفي كهف خبان آثار ورسوم للنخيل والحيوانات الوحشية .. ولتأكيد ما قاله الأكوع فإن الجوف كان مقراً لمملكة المعينيين (با فقيه . تاريخ اليمن القديم ٣٣) . ويقع وادي خبان (خب) حالياً في شرقي شمال جبال برط . (المقحفي . معجم ٢١٧ ، ٢١٨) .

[2] الطبري . التاريخ ١٨٥/٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(رحمان اليمامة) ، فأطلق الأسود هو الآخر على نفسه (رحمان اليمن[1]) . و يعترف الأسود بنبوة من قريش ونبوة من ربيعة ليمثل هو نبوة اليمن أو قحطان[2] !! فالأمر في حسه كما هو في حس مسيلمة لا يعدو أن يكون مجرد منافسة قبلية ، فقد رأي – من خلال نظرته هذه – قريشاً المُضرية صارت صاحبة السيادة في الجزيرة العربية ، ومن ثم فلابد من مواجهتها بإثارة الصراع القبلي القديم بين مضر وقحطان ، وتجاهلوا قضية مهمة وهي أن قريشاً رأس مُضر كانت أول المعادين لدعوة الإسلام .. فكيف تتحول الدعوة إلى الله دعوة لمضر ؟!.

وظن المتنبئون في أواخر حياة الرسول ﷺ أن محمداً ليس إلاَّ أحد الكهان العرب ، ومن ثم فليسوا هم بأقل منه كهانة وهذا دافعهم الشخصي للظهور ، فادعوا النبوة ، وحاولوا – عبثاً – مضاهاة القرآن الكريم بأسجاعهم الواهية[3].

وقد يتساءل البعض : هل الأسود كان قد أسلم حتى يقال بأنه ارتد بعد إسلامه ؟ والحقيقة أننا لا نستطيع أن نجزم بأن الأسود العنسي كان قد أسلم ، ولكن بالتأكيد أن قبيلة عنس والقبائل التي انضمت إليه كانت قد أسلمت ، فجاء الأسود وغيَّر الأحكام الجارية على الأرض والناس من أحكام الشريعة الإسلامية إلى أحكام أخرى أياً كانت سواءً

---

[1] البلاذري . فتوح البلدان ١/١٢٥ يبدو أن اسم (رحمان) كان اسماً مشهوراً في أوساط كهانهم الوثنيين ، ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يدعو باسم الرحمن ظنوه يدعو باسم وثني فنزلت آية الإسراء تبين حقيقة ما يدعو به رسول الله ﷺ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (الإسراء : ١١٠) . (الشوكاني . فتح القدير ٣/٢٦٦) . والدراسات الآثارية والتاريخية تؤكد على أن اسم (الرحمن) انتشر في أوساط من بقي من الحنيفية . دين إبراهيم عليه السلام . من العرب ، وقد ظهر بشكل ملحوظ في جنوب الجزيرة العربية وشرقها في اليمامة .. وهناك روايات تشير إلى أن مسيلمة كان من هؤلاء ، وأنه كان كاهناً ويُعرف قبل الإسلام بأنه رحمان اليمامة .. (انظر : الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية . رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة / ذكرى عبد الملك مطهر ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الله الشيبة) .

[2] السهيلي . الروض الأنف ٧/٤٤٥ ، ٤٤٦ – المقدسي . البدء والتاريخ ٥/١٥٤ (وينسب إلى أبي زيد أحمد ابن سهل البلخي) .

[3] العمد . حركة الأسود العنسي في صدر الإسلام ١٢٦ وراجع الأسجاع التي أوردها ابن حبيب في المحبر ١٨٤ – ١٨٨. وتعليق ابن حزم في كتابه الفصل والملل والأهواء والنحل ١/١٠٦ .

من عنده أو من الأعراف القبلية ، فتحول وضع القبائل التي كانت مسلمة – بتغييرها لأحكام الإسلام – إلى قبائل مرتدة ، والأسود فرد ضمن القبلية كلها .

وقد حرص الأسود العنسي على جمع الزعامات اليمنية من حوله ، ولكنه لم يفلح إلاَّ في نطاق ضيق ، ومعظمهم من قبيلة مذحج ، وبالذات من عنس وزُبَيْد وبني الحارث بن كعب[1] ، أما القبائل الكبرى كهمدان وحمير وأقيال حضرموت ومعظم خولان فلم يستجيبوا لدعوته ، ولم يقدموا له ولاءً ، بل كانوا على النقيض من ذلك ، فقد ساعدوا (الأبناء) على الخلاص منه بعد أن تلقوا رسائل من رسول الله ﷺ تحثهم على الاستمساك بدينهم ، والتجمع يداً واحدة ضد الأسود العنسي[2] . وسيأتي الحديث فيما بعد عن كيفية القضاء على الأسود العنسي .

المظهر الثاني : الادعاء بأن الإسلام تلاشى بوفاة رسول الله ﷺ ..

فقد كان الإسلام – حسب زعمهم – موجوداً ببقاء رسوله أما وقد مات واختفى فلا داعي من الخضوع له ، وقد تمثل هذا المظهر بأولئك الذين اظهروا البهجة والفرحة بموت رسول الله ﷺ سواء في كندة أوفي أوساط بعض قبائل حضرموت[3]، أو بأولئك الذين بادروا إلى إحياء مآثرهم الوثنية القديمة مثل بعض خولان وعودتهم إلى صنم لهم يسمى (عَمِى أنس)[4]، أوبعض من خثعم وبجيلة غضباً (لذي الخلصة) ، فحاولوا إرجاعها وإقامة الطقوس الوثنية لها[5] .

المظهر الثالث : التجزئة للإسلام ..

بمعنى أنهم تناولوا الإسلام من منظور تقسيم الحياة إلى شطرين : شطر يتعلق بالحياة الشخصية وهي الشعائر التعبدية ، فهم يعترفون بالله وبنبوءة محمد بن عبد الله . لكن

---

(1) حيث كانوا متجاورين في منطقة متقاربة – البلاذري . فتوح البلدان ١/١٢٥ – الكلاعي . تاريخ الردة ١٥١ ، ١٥٢ (جزء نفيس من كتابه الاكتفاء) – ابن كثير . البداية والنهاية ٦/٣٠٧ .

(2) الطبري . التاريخ ٣/٢٣٢ .

(3) ابن حبيب . المحبر ١٨٤ – ١٨٨ – ابن الأثير . الكامل ٢/٣٧٨ .

(4) البلاذري . فتوح البلدان ١/١٢٩ .

(5) الطبري . التاريخ ٣/٣٢٠ .

الشطر الآخر الذي يتعلق بحكم الواقع بالشرع الإسلامي أي : تدبير أمر الأمة تحت قيادة واحدة وبنظام متكامل اقتصادياً وإدارياً وولاء ونصرة ، فهذا لم يدخل في مفهومهم للإسلام ، ومن ثم اعتقدوا أنه من الحماقة أن يسلموا لمن خَلَفَ رسول الله ﷺ مقاليد أمورهم ، وكان الدافع لهذا هو شعورهم بأن قريشاً ستتحكم بمقاليد حياتهم – إن هم استسلموا لها – ، وأن الصراع القبلي القديم بين المضريين والقحطانيين قد تجدد الآن بعلو مكانة قريش المضرية ، وأنه من الأصوب – حسب رأيهم – وقوف اليمانية القحطانية في هذا الوضع الجديد ، ونلحظ الأسود العنسي – مع ادعائه النبوة – كان ينطلق من هذا المنطلق ومثله قبيلة كندة .

وأما الدوافع لتلك المظاهر فهي تنحصر في عدم الاقتناع بالإسلام .. وهذا يظهر من خلال ما حصل في كندة وحضرموت فقد مارسوا سلوكيات مناقضة للإسلام ، وأظهروا البهجة والسرور والشماتة بوفاته[1] ﷺ ، ولا دليل لمن قال بأن هذه السلوكيات هي اعتراض على ما فرض عليهم من أموال ، وسوء معاملة الوالي (زياد بن لبيد البياضي) لهم ، ذلك لأنه رفض إرجاع (ناقة) كانت قد سلمت إليه ضمن الصدقات ، فكانت تلك الواقعة المتعلقة بالناقة – بحسب الرؤية القصيرة للحدث – سبب اعتراضهم على الوالي ، ومقاتلتهم له .

وحقيقة الأمر غير هذا تماماً فموالاة كندة للأسود العنسي المُدعي للنبوة كانت قبل وفاة الرسول ﷺ ، وتمنيهم موته كان قبل موضوع الناقة هذه[2] ، وكذلك النزعة القبلية العصبية كامنة في نفوسهم من قبل هذا الحدث ، حيث ظنوا قريشاً تفرض عليهم سلطانها .

وقد جهلوا أو تجاهلوا مجموعة من الحقائق :

منها أن قريشاً نفسها هي أول من تصدى للإسلام وعاداه ، فأنى لها أن تفرض نظامها القبلي على اليمن ؟! .

ومنها أن الولاة الموجودون في اليمن ليسوا من قريش ، بل هم من القحطانيين أي من أهل اليمن ، فمعاذ بن جبل أزدي أنصاري ، وزياد بن لبيد البياضي أزدي أنصاري .. وأبو موسى الأشعري يمني من وادي زبيد ..

---

(1) ابن حبيب . المحبر ١٨٤ – ١٨٨ .

(2) أحمد . المسند ٣٨٧/٤ – ابن كثير . البداية والنهاية ٣٤٢/٦ .

ومنها أن موضوع الناقة وصفه واحد من أبناء كندة نفسها بقوله :" والناقة أخذت بحق وأن ارتجاعها باطل "[1] . وأياً كان أمر الناقة هذه فإن هؤلاء الذين غضبوا للناقة قد انتضموا في صف واحد مع الذين والوا وناصروا الأسود العنسي ، أو الذين تمنوا وفاة رسول الله وفرحوا بموته وشمتوا به ، وبالتالي أصبحوا داخلين تحت مسمى (المرتدين) لأنهم قطعوا الإسلام بتغيير الولاء له وأحكامه المطبقة في الواقع إلى ولاء آخر غير الإسلام ، ولا يخرج عن هذا الأشعث بن قيس نفسه لأنه ثبت أنه كان قد أسلم ، ثم إذا به يقود المعركة ضد المسلمين زعيماً لتلك الأخلاط من الناس[2] . فكيف لا تطلق عليهم (الردة) وهم يمارسون تلك الأعمال أو أنهم رضوا بأن يقسموا الإسلام إلى أجزاء : ما راق لهم أخذوه ، وما تعارض مع مصالحهم رفضوه .. ألم يجعلوا القرآن عضين (أجزاء) بعملهم هذا ؟ وما جزاء من فعل ذلك إلا أن يدمغ بالكفر .. لقول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ ﴾ (سورة النساء) .

والنتيجة التي نصل إليها هي : أن المظهرين الأول والثاني يمثلان رفضاً كاملاً للنظام الإسلامي عقيدةً وشعائرَ وشرائعَ لأن الناس لم يقبلوا الإسلام جملة وتفصيلاً ، وزعماء هؤلاء سواء كانوا قد أسلموا ثم رجعوا عنه ، أم أنهم لم يسلموا ابتداء فقادوا الناس تحت شعار ادعاء النبوة أو أي شعار آخر مناقض للإسلام ، فإن من المؤكد الجازم أن مجموع من تابعوهم كانوا قد أعلنوا ولاءهم للدولة الإسلامية ، وأصبح المصطلح العام الذي يطلق على الحركة التي تصدت للدولة الإسلامية هي حركة (الردة) ، ولم يكن من المنطقي أن يكون هناك حصر لكل فرد في هذه الحركة وتصنيفه على حدة .. هذا مرتد ، وهذا لم يسلم أصلاً ، وهذا كذا ، وهذا كذا .. لأن من المعروف أن رسول الله ﷺ توفي والجزيرة العربية كانت قد دفعت بوفودها إلى عاصمة الدولة الإسلامية لتعلن إسلامها ، وتحدد موقفها من الإسلام إما

---

[1] الطبري . التاريخ ٣٣٤/٣ – ابن حجر . الإصابة ٩٠/٣ ، ٩٥ ، ١٠٤ .

[2] البلاذري . فتوح البلدان ١٢٢/١ ، ٢٢٣ .

إسلاماً أو مصالحةً – إن كان من أهل الكتاب – وكونهم اتخذوا بعد وفاته موقفاً آخر مناقضاً للإسلام فماذا يسمى هذا إن لم يكن يسمى ردة ؟! .

وأما وجهة النظر التي ترى أن هؤلاء ليسوا مرتدين بل هم لم يدخلوا في الإسلام بعد فهي وجهة نظر تغفل أو تتغافل عن نظرة الإسلام لكل من المرتد والكافر الأصلي . فأما هذا – إن كان من أهل الكتاب ومن في حكمه – فيخير بين الإسلام أو الجزية أو القتال وليس القتل ، وأما إن كان وثنياً من أهل الجزيرة العربية وأغلبية أهل اليمن من هؤلإ فليس لهم خيار إلا الإسلام أو القتال ، ولا يتجاوز حكم المرتد هذا الحكم الخاص بالوثنيين سواء كان قبل إسلامه وثنياً أو من أهل الكتاب . وما عمله المسلمون لا يخرج عن هذا التصرف فقد دعوهم إلى الإسلام فلما لم يقبلوا قاتلوهم[1] .

ولا عبرة بمن يقول بأنها ليست ردة ، أو أنها (حركة وطنية) ضد النفوذ القرشي ، فهذا دافع وباعث للحركة كما هو شأن أي طاغوت تصدى للإسلام . فأبو جهل مثلاً لم يقف ضد الإسلام لأنه لا يرى فيه الحق ، بل لأنه يسلبه ويسلب قومه الزعامة والسيادة – حسب ما يراه هو – ، فهو – بهذا الاعتبار – أخلص واحد لقبيلته !! فهل عذره الإسلام لموقفه هذا ، ولم يدمغه بالكفر ؟!.

إن طبيعة الصراع بين الحق والباطل كانت هي الدافع وراء كل دعوة ضد الإسلام ، سواءً لبست ثوب العصبية القبلية ، أو الثأر الشخصي ، فالعصبية القبلية التي جاء الإسلام لاجتثاثها ظهرت بتلك المظاهر التي ذُكرت آنفاً والعبرة في نهاية المطاف : هل هي مخالفة لشعائر وقواعد الإسلام وأسس نظامه المتكامل ، أم هي متفقة معه ؟..

إن أقوال وأفعال ما حصل في الواقع يبرز بما لا يدع مجالاً للشك بأنه لا يتوافق مع الإسلام عقيدة ، وشعائرَ ، ونظماً اقتصادية وسياسية واجتماعية ، وبهذا دخلوا ضمن دائرة المرتدين ؛ لأن القول والفعل يعبران عن حقيقة ما يدور في النفس والنوايا من اعتقاد ، وما دام فكر الإنسان يفرز مثل هذه الأعمال والأقوال فإنه يدل على أنه فكر متناقض مع الإسلام . وإذا كان يحمل راية الإسلام ، ثم ناقض تلك الراية بقول أو فعل معلوم من الدين بالضرورة فيكون قد وقع تحت طائلة أحكام الردة .

---

[1] انظر : السامرائي . أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية .

الخطوة الثالثة : موقف جيل الصحابة من أحداث الردة :

إن جيل الصحابة هو ذلك الجيل الذي تلقى الرسالة من الرسول ﷺ ، وكلف بحمل الأمانة وتوصيلها إلى الأجيال التالية إلى يوم القيامة ، وكان صورة لهذه الرسالة على الواقع ، فهذا الجيل أعرف البشرية – بعد رسول الله ﷺ – بهذا الدين.

ومن هنا فقد عاشوا الأحداث التي صاحبت مرض رسول الله ﷺ وبعد وفاته ، وهي الأحداث التي عرفت بالردة . فكيف فهموا الحدث ؟ وكيف تعاملوا معه ؟

فقد سمعوا القرآن وهو يحذرهم الردة والارتداد ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ **(المائدة: ٥٤). ومن ثم فلم يكن غريباً في حسهم حدوث الردة عن الإسلام[١] .**

وكانوا على يقين مما قاله لهم نبيهم وهو على فراش المرض ، وقد سمع بخروج مسيلمة الكذاب في بني حنيفة والأسود العنسي في اليمن ، فقد أخبر أصحابه برؤيا رآها فقال : " بينما أنا نائم أُتيتُ بخزائن الأرض فوضع في كفي سواران من ذهب فكبروا عليَّ فأوحي إليَّ أن انفخهما (أي : انفضهما عن يديك) ، فنفختهما فذهبا . فأولتهما : الكذابين الذين أنا بينهما : صاحب صنعاء وصاحب اليمامة "[٢] .

وبالرغم من هذا وذاك فإن الصحابة ما كانوا يتوقعون هذه الموجة العارمة من الردة في وسط العرب حتى أصبحت مكة والمدينة كأنهما أحيطا من كل جانب بالمرتدين[٣] . وكان بعض هؤلاء يفرقون بين الصلاة والزكاة فيؤدون الأولى ويمتنعون عن الثانية .

فظهرت وجهة نظر بين جيل الصحابة – مبعثها الشفقة على المجتمع الإسلامي من مداهمة الأعراب له – وهي أن هؤلاء لا يعرفون ما يفعلونه فنتريث قليلاً ، ونقبل منهم فهمهم هذا ، ولو إلى حين ، ولكن أبا بكر ﷺ – بقوة وصلابة – قال : " والله لا أفرق بين

---

[١] انظر ما جاء عن هذه الآية عند الشوكاني . فتح القدير ٢/٥٢ .

[٢] الحديث رواه البخاري عن أبي هريرة (فتح الباري ١٦ / ٢١٣ ، ٢١٤) .

[٣] الواقدي . كتاب الردة ٣٠ ، ٣١ .

شيء جمعه الله ، ولو منعوني عقالاً مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه " وإذا بهم يجدون أنفسهم أمام بيان شافٍ فوقفوا صفاً واحداً في مواجهة الأحداث [1] .

فجيل الصحابة إذن – وفق مجموعة من المعطيات والبراهين الممثلة في كتاب ربهم وسنة نبيهم – أجمعوا على مقاتلتهم بعد دعوتهم واستتابتهم ..

ومما يزيد الأمر تأكيداً ما بذله الصحابة من نفوسهم وأموالهم ، كل هذا يجعلنا نعرف أن موقف وعمل الصحابة – وهو مصدر تشريعي – أكد على أن ردة حقيقية حصلت في ذلك المجتمع . ولهذا استند علماء التشريع الإسلامي فيما بعد في استنباط أحكام الردة على الوقائع الممارسة التي مارسها جيل الصحابة مع المرتدين . ولا سبيل لنا من أن نفتئت على جيل الصحابة في فهم ما قالوه وما عملوه .

ونخلص إلى أن تلك الأحداث تدل على أن ردة حقيقية حصلت في أوساط أهل اليمن .

ومما يؤكد ذلك أمران :

أ – أن أغلب أهل اليمن وعلى رأسهم القبائل الكبيرة لم ينجرُّوا إلى الردة بل وقفوا في مواجهة المرتدين .

ب – أن كل قبيلة حصلت فيها ردة قام بعض أفرادها ينكر على قومه ردتهم ، وهذا ما سنعرفه في الخطوة الآتية .

الخطوة الرابعة : جهاد المرتدين :

إن التصدي والمواجهة والجهاد للردة تحقق بوسيلتين اثنتين أوصلتا إلى هدف واحد هو القضاء على المرتدين وردتهم .. الوسيلتان هما :

١- وسيلة ذاتية تلقائية نبعت من قبل الثابتين على الإسلام ، من داخل المجتمع الذي أعلن تمرده أو ردته .. وهو مجتمع القبائل التي حصلت فيها مظاهر الردة السالف ذكرها .

---

[1] الشوكاني . فتح القدير ٥٢/٢ – الواقدي . كتاب الردة ٣١ ، ٣٢ . وجاء هذا في حديث رواه البخاري (فتح الباري ٣٨/١ – ٤٠و٩/٧) – ومسلم (شرح صحيح مسلم للنووي ٢٠٠/١ ، ٢١٠) – والترمذي (سنن الترمذي ١١٧/٤ ، ١١٨) .

٢- ووسيلة رسمية منظمة تولتها القيادة المركزية للدولة الإسلامية متعاونة مع الثابتين على الإسلام .

الوسيلة الأولى : المواجهة الذاتية ..

النابعة تلقائياً من أولئك الذين ثبتوا على الإسلام من أبناء القبائل المرتدة وقد تمثلت هذه المواجهة في أكثر من نوع من المواقف :

أ. نوع اتخذ أسلوب (التَّقِيَّة) نهجاً له .. وهم الأبناء ، وأهل صنعاء الذين قُهِرُوا بتغلب الأسود العنسي على صنعاء ، واستخدامه أساليب التعذيب والاضطهاد مع الثابتين على الإسلام[١] فلجأوا إلى وسيلة (التَّقِيَّة) طريقاً لنجاتهم من بطش الأسود العنسي ، فأظهروا الموافقة له وهم يبطنون الإسلام ، بل ويعملون على الانقضاض على الأسود العنسي[٢] ، لأن الأسود العنسي بعد أن خرج من كهف (خَبْ) أو (خَبَّان) ضم إلى صفه بني الحارث بن كعب ، ثم تمكن من الدخول عبر الجوف إلى صنعاء ، ودارت مع أهلها معركة بقيادة شهر بن باذان الفارسي في الباب الشمالي لمدينة صنعاء ، وهو باب شعوب ، وقُتل شهر ثم استولى الأسود على صنعاء ونزل قصر غمدان (قصر السلاح حالياً) بعد خمسة عشر يوماً من ظهوره[٣] .

ب. ونوع وقف على (الحياد) وهم زعماء همدان وحمير بالرغم من مكاتبة الأسود العنسي لهم ودعوتهم الانضمام إليه إلاَّ أنهم لم يستجيبوا له فيعاونوه ولم يقفوا ضده[٤] ، وربما كان هذا في البداية حينما حصل لديهم من الحيرة والارتباك ، فلم يتبينوا حقيقة الموقف قبل أن تأتيهم رسائل رسول الله ، لذا اتخذوا هذه الوسيلة مخرجاً لهم .

ج. نوع وقف موقفاً صلباً ضد أقوامهم .. متخذاً عدة وسائل :

---

(١) ابن سعد . الطبقات ٥/٥٣٥ .

(٢) مجهول . تاريخ في المغازي والفتوح (ق ٣٢ ب) .

(٣) المقدسي . البدء والتاريخ ٥/٢٢٩ .

(٤) الطبري . التاريخ ٣/٢٣٢ .

منها : وسيلة المناظرة ، والمحاجاة ، والنصيحة ، ودعوة أقوامهم إلى عدم النكث ، ونقض دينهم ، وتخويفهم من عواقب عودتهم إلى جاهليتهم .

ومنها : وسيلة مقاتلة أقوامهم ، وبالرغم من تعرض هؤلاء للإيذاء والتسفيه إلا أنهم لم يكفوا عن تصديهم لأقوامهم منافحين عن الإسلام بالكلمة أولاً ثم بالسيف ثانياً[(١)] .

فما الباعث لمواقف الثابتين مع أقوامهم ؟.. إن مواقف الثابتين على الإسلام في مواجهة أقوامهم وتحملهم المشاق إلى درجة القتل في سبيل ثباتهم على الإسلام ، يقرر حقيقة طالما غفل عنها كثير ممن كتب عن الردة وهي : أن الصراع والقتال لم يكونا على أساس قبلي أو دفاعاً عن وشيجة عرقية ، أو أرضية ، أو مصلحية ، فقد انقسمت القبيلة الواحدة إلى قسمين ، والقوم إلى فريقين . يجمعهم النسب وتضمهم العشيرة ولكن يفرق بينهم التصور والفكر والعقيدة .. ومن ثم فان الصراع صراع بين حق متمثل بالوحي المُبَلَّغ عن رب العالمين بواسطة محمد ابن عبد الله ﷺ ، وباطل متمثل بجميع تلك العناوين واللافتات المرفوعة هنا وهناك كما بيناها في مظاهر الردة آنفاً .

والأمثلة على ما قلناه كثيرة نورد هنا بعضها :

أ – الردة التي وقعت في وسط (عك والأشعريين) تصدى لها واحد منهم وهو مسعود العكي وبالتأكيد معه بعض الثابتين[(٢)] .

ب – ورِدة (مذحج) قاومها بعض أبنائها منهم فروة بن مسيك المرادي في مراد ، وعمرو بن الحجاج الزُّبَيْدي في زُبَيْد ، وعبد الله بن عبد المدان في بني الحارث وكلٌ منهم معه بعض الثابتين[(٣)] .

ج – ورِدة (كندة) أول من برز لقومه جماعة من (كندة) نفسها ، وكان منهم شرحبيل بن السبط الكندي ، فكان كلما وقف ثابت على الإسلام يدعو قومه طردوه ، حتى قال لهم الوليد بن محصن الكندي : أوَ كل من قال حقاً اتهمتموه ؟! . . فلما نابذتهم

---

(١) الواقدي . كتاب الردة ١٠٠ ، ١٠٢ – الطبري . التاريخ ١٨٥/٣ ، ٣٢٠ ، ٣٣٤ – ابن حجر . الإصابة ٣٣٨/١ و ٩٠/٣ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ٤٠٨ – الكلاعي . تاريخ الردة ١٥٧ .

(٢) الطبري . التاريخ ٣٢٠/٣ – ابن حجر . الإصابة ٤٠٨/٣ ويرد أحياناً باسم مسروق العكي .

(٣) الكلاعي . تاريخ الردة ١٥٧ – الطبري . تاريخ ١٨٥/٣ – ابن حجر . الإصابة ٣٣٨/١ و ١١٣/٣ .

قبائلهم العداء خرج بعضهم إلى المدينة ليعودوا فيما بعد مع الجيش الإسلامي لمقاتلة المرتدين من أبناء قبيلتهم ، وبعضهم انضم إلى والي حضرموت زياد بن لبيد البياضي[1] .

وهكذا فإن هذه المواجهة للمرتدين من داخل القبائل المرتدة تبين بوضوح أن من يدعي بأن ما حصل كان (ثورة وطنية) ضد المحتل !! تدمغه هذه الحقيقة التاريخية .

فأبناء القبيلة هم الذين تصدوا لزعمائهم ، وهم الذين واجهوا قبائلهم باسم الإسلام .. ولم تكن هناك (عَمَالة) و (خيانة) !! كما قد يحلو للبعض أن يطلق ذلك على أولئك الذين وقفوا في مواجهة أقوامهم .

ثم إن أولئك الكُتَّاب الذين زعموا ذلك الادعاء كان عليهم أن يكونوا جادين في تحري المنهج العلمي في التعاطي مع الوقائع والأحداث ، فلا يصح بأي وجه من الوجوه أن تُحاكم الأحداث بمقررات سابقة ، ولا بنظريات مُحْدَثة فهو عيب منهجي ، وتحريف تاريخي لا يليق لمن يتعاطى الكتابة التاريخية بصورة جادة ان يقع فيهما .

الوسيلة الثانية : المواجهة الرسمية المنظمة ..

وهذه الوسيلة تولتها الدولة الإسلامية المركزية ممثلة بقيادة الرسول ﷺ ثم قيادة أبي بكر الصديق ﷺ واستخدمت أسلوبين لتحقيق القضاء على الردة :

الأسلوب الأول : هو المراسلة لمن ثبت على الإسلام في داخل القبائل المرتدة أو القبائل المجاورة لها لتنظيمهم وتجميعهم في كيان واحد لمواجهة المرتدين من أقوامهم أو ممن حولهم ، أو مراسلة المرتدين أنفسهم ليعودوا إلى الإسلام .

وقد اتخذ هذا الأسلوب رسول الله ﷺ أولاً ثم أبو بكر ﷺ ليتحقق أكثر من هدف وأكثر من غاية .. منها :

١- **هدف سياسي :** فقد علم رسول الله ﷺ بظهور الأسود العنسي فور ادعائه النبوة في اليمن ، وعلم أنه تشبه بمسيلمة الكذاب الحنفي في دعواه .. وأدرك أن حركته هذه لن تقوم لها قائمة إذا اختفى الأسود العنسي من على مسرح الأحداث ، ومن ثم فأي خطة توضع للقضاء على

---

[1] الطبري . تاريخ ٣/٣٣٤ – ابن حجر . الإصابة ٣/٩٠ ، ٩٥ ، ١٠٤ .

هذه الحركة دون خسائر تذكر لابد أن تعتمد على التخلص من الرأس المدبر (الأسود العنسي) لتطفأ نار الفتنة كلها[1] ...

٢- **وهدف عسكري :** فالخليفة كان مضطراً وملزماً بإرسال معظم قواته إلى الشام ضمن الجيش الذي عرف بجيش أسامة بن زيد ، الذي جهزه الرسول قبل وفاته ، ولم يتمكن من القيام بمهمته قبل أن يموت رسول الله ﷺ ، فتولى الخليفة انفاذ هذه المهمة رغم إحداق الخطر بالمدينة ، ورغم الاعتراض الذي لاقاه من بعض كبار الصحابة – في مبدأ الأمر – إلا أنه كان مصراً على إنفاذ جيش أسامة للمهمة المحددة له باعتبار أن هذا تلبية لرغبة رسول الله ﷺ وهي رغبة مبنية على خطة حكيمة[2] .. ففي الوقت الذي خرج فيه الجيش إلى الشام استخدم أبو بكر سياسة إرسال الرسائل إلى بعض الشخصيات والتجمعات اليمنية بصفتها خطة حربية لكسب الوقت ، وللخلاص – ما أمكن – من بعض التجمعات المرتدة ، ولتجميع الثابتين على الإسلام في بعض المراكز انتظاراً لتوجيهات القيادة الإسلامية التي ستوجههم . فيما بعد . بصورة منظمة ضمن حملات عسكرية قادمة بعد عودة جيش أسامة من الشام .

وقد عبَّر المؤرخون عن هذه الخطة العسكرية بأنها : " ركوب من ارتد بمن لم يرتد وثبت على الإسلام "[3] وكانت توجيهات الخليفة واضحة لمن راسلهم أن يتجمعوا في مناطق حددها لهم وينتظروا هناك أوامره ، ولم يكن مع هؤلاء الرسل أو الذين راسلهم الرسول أو خليفته أي قوة عسكرية وإنما كان المطلوب منهم أن يقوموا بجهودهم الذاتية لتجميع الثابتين على الإسلام في فرق صغيرة خفيفة الحركة للتصدي لأي خطر طارئ عليهم .

---

(١) الطبري . التاريخ ٢٣١/٣ – مجهول . تاريخ في المغازي والفتوح (ق ٣٣ أ) مخطوط .

(٢) الطبري . التاريخ ٢٤٢/٣ ، ٢٤٣ .

(٣) المصدر نفسه ٣١٩/٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٥ – ومجهول . تاريخ في المغازي والفتوح (٣٦ / أ و ٣٧ / أ) مخطوط – الكلاعي . تاريخ الردة ١٥٦ .

٣- **وهدف تربوي : وهو غاية وهدف لا يقل أهمية عما سبق إن لم يكن أهم .. فالفرد في الأمة المسلمة كما أنه يتربى بوسيلة التلقين والتوجيه المباشر وغير المباشر ، فإنه أيضاً يتربى بالأحداث حيث يُمَرَّر بمجموعة من الأحداث هي بمثابة الابتلاء والاختبار ليُصْقَل ويصفو ويتخلص من الشوائب الضارة في النفس ، كما هو حال الذهب الذي لا يكون صافياً خالصاً إلا إذا مر على النار . فالمسلمون الأول خاضوا محنة مكة ، وهكذا كان نصيب الأنصار مع إخوانهم المهاجرين فقد خاضوا معمعة المعارك مع القوة الجاهلية من حول الدولة الإسلامية حتى صلب عودهم وزكت حياتهم ، أما المسلمون الذين أسلموا في أواخر عهد النبوة تحت أي عامل كان : رغبة أو رهبة ، حباً أو كرهاً فإنهم لم يُمَرَّرُوا على نار الأحداث ، ولم تُمَرَّن أعصابهم على اضطراب الأحداث ، فكان لابد من أن يُختبر إيمانهم من خلال وقائع ما كانوا يتوقعونها في وسط أقوامهم ليصبح أساس الولاء هو وشيجة الفكرة والمبدأ العقيدي الذي يميز الإنسان .. أي إنسان ، وليس ذلك الولاء القبلي الضيق المتناقض مع النظرة الشاملة للإنسان .**

لتلك الأهداف كاتب الرسول ﷺ بعض زعماء حمير وهمدان ، وكاتب رجالاً من (الأبناء) ، ومعاذ بن جبل ، وأبا موسى الأشعري ، وكتب إلى بعض من أهل نجران سواء أكانوا من الأعراب أم من المستقرين (ساكني الأرض كما يعبر عنهم في المصادر)[١] .

ولتلك الأهداف أيضاً بعث أبو بكر ﷺ رسله إلى الزعماء الذين راسلهم رسول الله أنفسهم بالإضافة إلى أنه كلف رسله أو من راسلهم أن يبذلوا ما في وسعهم لدعوة أولئك الذين ارتدوا على أعقابهم إلى دينهم الحق ، ثم يتجمعون في مناطق حددها لهم حتى تأتيهم أوامره[٢] .

---

[١] الطبري . التاريخ ١٨٧/٣ ، ٢٣٢ - ابن حجر . الإصابة ٢٨٢/١ .

[٢] الطبري . التاريخ ٢٢٣/٣ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ .

وتحققت الأهداف المرجوة من هذه الخطة كما رسم لها ..منها :

أ- تخلص رسول الله ﷺ من حركة الأسود العنسي دون أن يكلف الدولة شيئاً يذكر ، وذلك من خلال تحول الموقف السلبي عند (الأبناء) إلى موقف إيجابي ، واتخذوا خطة محكمة لاغتيال الأسود العنسي في مخدعه ، بالاتفاق مع المرأة الصالحة التي كانت زوجة شهر بن باذان فاتخذها الأسود العنسي زوجة له بعد قتل زوجها . إن قتل الأسود العنسي ورمي رأسه إلى أصحابه جعلهم يتفرقون شمالاً وجنوباً ، بعضهم وصل إلى نجران شمالاً ، وبعضهم إلى لحج جنوباً ، حتى عُرفوا بالفالَّة النجرانية والفالَّة اللحجية .. وكان هذا قُبيل وفاة رسول الله ﷺ[1] . وهذا يؤكد أن الأسود العنسي لم يكن يشكل قوة ذات بال ..

ب – وتخلص أبو بكر ﷺ من حركة قيس بن مكشوح المرادي الذي كان أحد قادة الأسود العنسي ، إلا أنه كان يتعامل معه بحذر خوفاً منه ، فقد كان يتوقع أن يبطش به في أي وقت ، لذلك أراد أن يبدأ هو بالتخلص منه ، ولما عرف أن (الأبناء) يسعون لقتله فقد وافقهم على ذلك ، وكان يظن أن عمله هذا سيأهله لقيادة صنعاء ، ولكن أبا بكر ولَّى فيروز الديلمي ، فما كان من قيس إلا أن خرج يجمع أنصار الأسود متخيلاً أنه سيحقق ما لم يحققه الأسود، ولم تكن حركته إلا ردة فعل لعدم توليه الإمرة على صنعاء[2].

ج – وتخلص أبو بكر ﷺ أيضاً من كثير من التجمعات القبلية الأخرى في تهامة و بلاد السراة و نجران[3] دون أن تبذل الدولة جهداً أو رجالاً أو مالاً في هذا السبيل .

د – وتجمعت – كما توقع أبو بكر – مجموعات إسلامية في أكثر من مركز .. في بلاد السراة ، وتهامة ، ونجران منتظرين التوجيهات بالتحرك حيث ترى القيادة .

الأسلوب الثاني : أسلوب تجهيز الفرق (الجيوش) العسكرية للقضاء على تلك القبائل التي أصرت على موقفها وشهرت السلاح في وجه الدولة الإسلامية تحت أي شارة كانت مادامت ليست شارة الإسلام .. وقد بدأ العمل بهذا الأسلوب بعد عودة جيش أسامة من الشام ، واستراح بعض الوقت فجهز أبو بكر ﷺ أحد عشر جيشاً ، وبثها في أرجاء الجزيرة العربية ليحقق السيادة الكاملة للدولة الإسلامية عليها ، وقد خص اليمن بثلاثة جيوش : [انظر خريطة جيوش الردة في ملحق رقم (٦)] .

---

(١) المصدر نفسه ٣٢٢/٣ ، ٣٢٩ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٧٣ – ابن حجر . الإصابة ٥٧٨/١ .

(٢) الطبري . تاريخ ٣٢٣/٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤١ و ٢٥/٤ .

(٣) المقدسي . البدء والتاريخ ١٥٥/٥ – الكلاعي . تاريخ الردة ١٥١ – الطبري . التاريخ ٢٣٤/٣ ، ٢٣٥ .

أحدها : كان إلى تهامة اليمن بقيادة سويد بن مقرن المازني ، وربما عاد بعد أداء مهمته الخاطفة التي لم نعرف عنها شيئاً سوى خروج الجيش إلى تهامة[1] .

وثانيهـا : جيش عكرمة بن أبي جهل ويضم سبعمائة فارس ، بالإضافة إلى من انضم إليهم ممن تطوع معهم من المسلمين من قبائل نجد الحجاز ، وكان خط سيره يبدأ بنجد وفيه اشتبك بجيش مسيلمة ولم يوفق ، ثم أمره الخليفة بالسير إلى البحرين (شرق الجزيرة العربية) ، ثم إلى عمان وتمكن من القضاء على الردة هناك ، ومنها إلى المهرة (شرق اليمن) ، فدعاهم إلى الإسلام فاستجاب بعضهم وقاوم البعض الآخر ، ثم سلَّم في آخر المطاف . وجاءته التوجيهات من الخليفة بمتابعة سيره لينضم إلى زياد بن لبيد البياضي أمير إقليم حضرموت لتشديد الخناق على كندة النافرة المعاندة[2] .

وثالثها : جيش المهاجر بن أبي أمية ، وكان هذا هو أكبر الجيوش المرسلة إلى اليمن ، ويضم عدداً من المهاجرين والأنصار ، وقد كانت مهمته تمشيط المنطقة على مساحة أكبر ، بادئاً من شمال اليمن بعد أن ضم إلى صفه المجموعات المتمركزة في كل من الطائف وبلاد السراة ونجران ، وبعد أن أخضع وادي نجران قسم قواته إلى فرقتين :

واحدة أسند قيادتها إلى أخيه عبد الله وكلفه بتتبع من بقي من المرتدين في بلاد السراة وأطراف تهامة .

والفرقة الأخرى تولى هو أمرها ، وكانت مهمتها تتبع من بقي من أتباع الأسود العنسي في مذحج ، فاقتحم بلاد مذحج من الشمال ، وتمكن من القبض على قيس بن مكشوح المرادي الذي تابع الأسود العنسي ثم انضم إلى الأبناء وشاركهم في قتل الأسود العنسي ، ثم ارتد مرة أخرى لعدم تحقق مراده من الإمارة ، ومثله عمرو بن معديكرب الزبيدي الذي كان موالياً للأسود العنسي ،

---

[1] الطبري . التاريخ ٢٤٨/٣ ، ٢٤٩ – ابن الأثير . الكامل ٣٧٣/٢ – الكلاعي . تاريخ الردة ١٥٥ ، ١٧٧ .

[2] مجهول . تاريخ في المغازي والفتوح (ق ٣٧ / أ) مخطوط – الكلاعي . تاريخ الردة ١٥٥ ، ١٧٧ – ابن أعثم . الفتوح ٧٣/٢ وقد حصل عنده لبس فخلط بين دور المهاجر ودور عكرمة – ابن الأثير . الكامل ٣٧٣/٢ – الطبري . تاريخ ٣١٦/٣ ، ٣١٧ .

فلما قبض عليهما المهاجر أرسلهما إلى أبي بكر في المدينة[١] ، ثم سار حتى وصل صنعاء مقاتلاً كل من تسول له نفسه منابذة الإسلام ، وهناك تلقى المهاجر الأوامر من الخليفة بالتوجه إلى حضرموت لمناصرة زياد بن لبيد البياضي على المرتدين في كندة[٢] ، فخرج ماراً بمدينة مأرب ، صوب حضرموت ليكون على رأس الضلع الثالث للمثلث المحاصر لكندة في حصن (النُّجير) الواقع في قلب حضرموت[٣] ، والآخران : زياد وعكرمة .. وكانت هذه آخر المعارك مع المرتدين في اليمن .

وتضطرب وتتعدد الروايات الحاكية نهاية الحصار المضروب على كندة في حصن (النُّجَيْر) ، إلاَّ أن الرأي الغالب يُحَمِّل الأشعث بن قيس مسئولية المصير الذي لحق بأهل الحصن الذين أحسوا بالنهاية فأوكلوا إلى الأشعث التفاوض نيابة عنهم ، فجرت مفاوضات بينه من ناحية والمهاجر بن أبي أمية وزياد وعكرمة من ناحية أخرى تمخضت عن تأمين الأشعث نفسه وبعض قرابته مقابل فتح الحصن للمسلمين ، فوفوا بهذا واقتحموا الحصن على أهله تاركين من أعطوا الأمان وأخذوا الباقي بالقتل . وفي أثناء قتلهم جاء رسول الخليفة برسالة إلى المهاجر وزياد بألاَّ يقتل واحدٌ من أشراف كندة ، فاعتذر زياد عمن قتل بأنه لو جاء الرسول قبل هذا لما قتل منهم أحداً . وأرسل بالأشعث بن قيس إلى المدينة ليرى الخليفة رأيه فيه فاعتذر الأشعث وتاب ، وزوجه الخليفة أخته تأليفاً لقلبه ، وتكريماً له ومسحاً لكل ما علق في قلبه من ضغائن وإحن[٤] .

---

[١] الطبري . تاريخ ٣/٣٢٦ - ٣٣٠ - ابن سعد . الطبقات ٥/ ٥٣٤ ، ٥٣٥ . وقد حسن إسلامهما ، وصار بعد ذلك من قادة الفتوحات الإسلامية .

[٢] الطبري . ٣/٣٣١ .

[٣] الطبري . التاريخ ٣/٣٣٥ ، ٣٣٦ - البلاذري . فتوح البلدان ١/١٢٠ - الأشرف الرسولي . فاكهة الزمن ٣٣ (مخطوط) - ابن أعثم . الفتوح ١/٧٠ .

[٤] الواقدي . الردة ١٢١ ، ١٢٥ - الكلاعي . تاريخ الردة ١٥٩ - ١٧٠ - ابن حجر . الإصابة ٣/٥٧٥ - اليعقوبي. تاريخ ٢/١٣٢ - الطبري . تاريخ ٣/٣٣٧ ، ٣٣٨ - البلاذري . فتوح البلدان ١/١٢٠ - ١٢٣ . ولكي تطلع على تفاصيل ما حدث يمكنك الرجوع إلى كتابنا : اليمن في صدر الإسلام ففيه تفاصيل أوفى .

الخطوة الخامسة : نتائج الردة في اليمن :

إن أحداثاً كهذه شملت مساحة اليمن كلها وتمكنت الدولة الإسلامية من بسط سلطانها .. لابد أن تخلف نتائج كثيرة ومنها ما تعود على أهل اليمن بوجه خاص .. ومن هذه النتائج :

١- جلاء وثبات التصور الإسلامي :

لقد كان من مظاهر الردة أن الناس كانوا يفهمون الإسلام مغنماً قبلياً ، أو أنه ممكن أن يُعنى بجزء من الحياة وجزء من العبادات ، و لا علاقة له ببقية شئون الحياة . أو أنه مجرد نطق باللسان أو مبايعة عابرة أو معاهدة سياسية[1] . ومن ثم لم يكونوا يروا بأساً أن يجتمع في قلب واحد مسمى الإسلام وممارسة الشرك . والولاء لله والولاء لغير الله . والحكم بالطاغوت والحكم بما أنزل الله .

وتشاء حكمة الله أن تكون أحداث الردة هذه فرصة سانحة لصقل النفوس والعقول ، فقد كانت خير وسيلة لتربية ذلك الجيل لأن الحرب كما عرفنا آنفا كانت بين رايتين أو معسكرين : معسكر الإسلام ، ومعسكر من ارتد عنه . فكان كل مقاتل واحداً من اثنين : إما مرتد أو ثابت على إسلامه[2] . فتميزت الصفوف وامتحنت النفوس ، ومحص الله الذين آمنوا ، وأُعيد للتصور الإسلامي وضوحه وصراحته بأنه : دينونة كاملة لله رب العالمين تشمل العقيدة في الضمير والشعيرة المقدمة لله وحده ، والشريعة في واقع حياة الأفراد والجماعات بصفتها منهج حياة كامل لا يند عنه أي جزء من حياة البشر ، وأن أي خلط بين هذا الدين ، وتصورات البشر يعد كفراً بما أنزله الله على محمد ﷺ .

---

[1] محمد حسن بريغش . ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي الأول ١٥٩ .

[2] أحمد عادل كمال . الطريق إلى المدائن ١٨١ . روي أن امرؤ القيس بن عابس الكندي كان ممن ثبت على الإسلام أيام الردة فقد بَدر إلى عمه فقتله ، فلما رأي السيف قال له : أتقتل عمك ؟ فقال : أنت عمي والله ربي (ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤٢٩) .

٢- مفهوم الأمة :

لم يكن في الحياة القبلية العربية أي وجود لمفهوم (الأمة) ، ولذلك حصلت الردة متمردين على هذا المفهوم الذي لا يلغي القبيلة ولا يعطيها أساساً للولاء والبراء ، فلما انتهت أحداث الردة كان مفهوم (الأمة) قد أصبح حقيقة واقعة ، وأصبح الناس يتجمعون حول مفهوم (الأمة) وليس مفهوم القبيلة أو العشيرة ، فصار الجميع لحمة واحدة لا تميزهم الأعراق .

٣- توحد اليمن إدارياً :

ما أن تبين للناس حقيقة الإسلام ، ووضحت صورته حتى تراجعت النفوس المريضة الانتهازية التي كانت تسعى لتحقيق المطامع والمكاسب الشخصية أو القبلية على حساب القيم العامة ، فبتوحد التصور توحد الهدف ، وتوحدت الوسائل ، ومن ثم توحدت أشتات اليمن في وحدة إدارية واحدة مرتبطة بقيادة الدولة الإسلامية ، التي حرصت على أن لا يكون للقبيلة اهتمام بل ينبغي أن تذوب في إطار التصور الإسلامي .. وأصبح التقسيم لليمن إدارياً وليس قبلياً . فاليمن ولاية عليها أمير ، ثم هو مقسم إلى وحدات إدارية ثلاث : صنعاء والجند وحضرموت[١] كما سنوضح هذا في فصل قادم من هذا الكتاب إن شاء الله .

٤- بروز قيادات يمانية :

كان لأحداث الردة دور في استخراج الطاقات الكامنة عند من ثبتوا على إسلامهم ، ومن خلال تصديهم للمرتدين ، فقد برزت قيادات ما كان لها أن تبرز لو لم تكن قد حدثت الردة ووجهت تلك المواجهة . وكان لهذه القيادات أثرها الواضح في حركة الفتوح الإسلامية .. من هؤلاء : ذو الكلاع الحميري ، ومسعود أو مسروق العكي ، وجرير بن عبد الله الحميري ، والقاضي حشك بن عبد الحميد (قاضي صنعاء) ، والمفتي سعيد بن عبد الله الأعرج ، والوالي شرحبيل بن السمط الكندي[٢] . هذا إضافة إلى تلك

---

[١] ابن خرداذبة . المسالك والممالك ١٤٤ .

[٢] الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٢٩٤ – الأفضل الرسولي . العطايا السنية ١٢٨ (مخطوط) – ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ٤٢٦ . راجع التفاصيل في كتابنا : اليمن في صدر الإسلام .

الشخصيات التي تزعمت الردة ، ثم عادت إلى الإسلام ، وحسن إسلامها ، وصارت مؤثرة في حياة المجتمع الإسلامي وميادين الفتوحات مثل : الأشعث بن قيس الكندي ، وقيس بن مكشوح المرادي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي .

٥- الطاعة والثقة بالقيادة :

فبالرغم أن العرب من أهل اليمن كانوا في الجاهلية لا يرغبون في أن يتجمعوا تحت قيادة واحدة . وفي مطلع الإسلام ظلوا مترددين بين التسليم وعدمه ، إلا أن أحداث الردة قطعت كل هذا التردد وأصبح الفرد منهم مرتبطاً بقيادة عامة سواء قيادة محلية أو مركزية . ولم يتردد الفرد منهم – إن تعرض لظلم – من أن يتوجه إلى عاصمة الدولة شاكياً الوالي إلى الخليفة[١] . وسنوضح هذا في الفصل الخاص بالتحولات الإدارية إن شاء الله ..

الحدث الثاني : موقف ولاية اليمن من الفتوح :

من المعروف أن أهل اليمن شاركوا في ميادين الفتوحات كلها ، وكان لهم أثرهم المشهود ، إلا أن حديثنا هنا سيقتصر على بلاد اليمن بصفتها ولاية من ولايات الدولة الإسلامية ، لنعرف موقفهم فيها ، ولن نتابع أهل اليمن في ميادين الفتوحات ، فبعد أن انتهت حروب الردة أجمع الصحابة – وفي مقدمتهم الخليفة الأول أبي بكر الصديق – على أن يسيروا في الآفاق ليحققوا المهمة المنوطة بهم ، بصفتهم حملة رسالة التبليغ عن الله دينه الذي ارتضاه للبشرية ، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله من خلال الجهاد في سبيل الله ..

والجهاد في سبيل الله هو بذل الجهد لإيصال الحق (الإسلام) إلى الناس ، وجعلهم ينعمون بالعيش فيه مسلمين ، أو يستظلون بظل عدالة نظامه بعد إزالة العوائق – بالقتال – الحائلة بين الناس وسماعهم لهذا الدين .. فالقتال ما هو إلا آخر مرحلة من مراحل الجهاد ، وهو ليس لإكراه الناس على تغيير دينهم ، ولكن لتحريرهم من العبودية للعباد ، ولتوفير الجو المناسب للناس حتى يسمعوا حقائق الإسلام ويتخذوا القرار بأنفسهم دون أي مؤثر عليهم ، فإما أن يسلموا ، وإما أن يعيشوا تحت راية النظام الإسلامي العادل دون حَجْرٍ على الفكر أو إكراه في الدين ..

---

[١] الهمداني . الإكليل ١١٥/١٠ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ١٦٣ .

من هذا المنطلق أرسل الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ الرسائل إلى الأقاليم المختلفة يدعو الناس للاشتراك في حركة الجهاد ، وكان لليمن نصيب من هذه الرسائل أرسلها مع أنس بن مالك ﷺ[١]، وكلفه بقراءتها على الناس ، وهذا يعني استبعاد الولاة من أن يقوموا بتبليغ الناس بالحشد للجهاد ، وإن كان المتوقع أن يكون للولاة دور في إرشاد حامل الرسالة ، وإيصاله إلى التجمعات السكانية لتبليغهم بمهمته .

ويعطينا هذا الموقف دلالة على عدم استخدام القوة ، أو انتهاج الإكراه وسيلة لتجييش الناس للمشاركة في الجهاد .. وقد أثبتت الكيفية التي استجاب بها اليمنيون للنداء صحة هذا فقد أبلغ أنس بن مالك بعد عودته الخليفة بمقدم أهل اليمن على إثره بذراريهم وأموالهم[٢] ، وكان هذا في رجب من عام ١٢هـ ، وبلاغه هذا للخليفة يقوم على أنه رأى بنفسه العديد من أهل اليمن يخرجون من منازلهم ليتجمعوا في مخيمات متجهزين للسير فور قراءته الرسالة عليهم دون إبطاء[٣]، وما لبث إلاَّ يسيراً حتى قدموا المدينة المنورة في وحدات عسكرية ، ولكن على شكل مجموعات قبلية وكأنها فرقاً حربية ، فكان في مقدمة القادمين مجاميع من حمير وهمدان[٤] .

وبالرغم من أن الدعوة للمشاركة في حركة الجهاد هي دعوة عامة لكل مسلم إلاَّ أن استثناء صريحاً أصدره الخليفة إلى جميع القادة بقوله :" لا يغزون معكم أحد ارتد حتى أرى رأيي "[٥] ، مستثنياً من هذا القرار بعض الشخصيات ، منها شخصيات يمنية مثل : قيس بن مكشوح المرادي ، وعمرو بن معديكرب الزبيدي[٦] ، وهو استثناء يؤكد القاعدة ولا ينفيها ، وعلى هذا فمن كان قد سبق له أن ارتد لا يسمح له بالاشتراك في حركة الفتوح ، وهذا يؤكد حقيقة عدم الإكراه على الخروج ، وعلى أن هذا الخروج لا يهدف إلى ما قيل بأنه إشغال العرب بحروب خارجية (قومية) بدلاً من الحروب الداخلية ، وهي دعوى ساقطة من

---

(١) ابن عساكر . . تهذيب تاريخ دمشق١/١٢٥ ، ١٣٠ – الأزدي . تاريخ فتوح الشام ٨ ، ٩ .

(٢) يحي بن الحسين . أنباء الزمن في تاريخ اليمن ٩ .

(٣) الأزدي . فتوح الشام ٩ ، ١٠ .

(٤) المسعودي . مروج الذهب ٢/٣٠٥ – الأزدي. فتوح الشام ٣٩ .

(٥) الطبري . التاريخ ٣/٣٤٧ ، ٤/٢٥ – ابن الأثير . الكامل ٢/٣٨٥ – ابن كثير . البداية والنهاية ٦/٣٤٢ .

(٦) الطبري . تاريخ ٣/٣٤٧ – ابن الأثير . الكامل ٢/٣٨٥ – ابن كثير . البداية والنهاية ٦/٣٤٢ – الأزدي . فتوح الشام ٢٦ ، ٢٧ ، ١٣٢ .

أساسها ، لأن الخليفة لم يجمع العرب كلهم وإنما من كان ثابتاً على الإسلام . ولو كان ذلك الزعم صحيحاً لجهز الخليفة العرب جميعاً ، وشغلهم في جهة واحدة لاعتبارات عدة ، ومنها الانتقام من الفرس والروم لاضطهادهم العرب . ولكن الحقيقة التي لا ينبغي إغفالها هي اختفاء النعرة العرقية ، أو القومية ، بل كانت الراية المرفوعة هي راية (لا إله إلى الله محمد رسول الله) وأن (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) وأنه لابد من أن يكون الدين – بمعنى النظام كله – لله .

دوافع الفتوح :

لسنا هنا في معرض الحديث المستفيض عن حركة الفتوح ودوافعها ، ولكن علينا أن نستعرض دوافع حركة الفتح الإسلامي بشكل مختصر لكي نعرف دوافع أهل للخروج من اليمن ومشاركتهم في ميادين الفتوح المختلفة .. فقد ذكر المستشرقون ومن تابعهم مجموعة من الدوافع للفتوح قد تجتمع عند البعض وقد يقتصر بعضهم على واحد أو أكثر .. وهي : ١– الدافع القومي . ٢– والدافع الاقتصادي . ٣– ودافع إشغال الناس بحروب قومية بدلاً من الحروب الداخلية . ٤– ودافع الدفاع عن الحدود . ٥– ودافع انتهاز فرصة ضعف كلٍ من الدولتين الفارسية والرومية ..

وهذه الدوافع لا تثبت إذا تعرضت للتشريح والنقد والتحليل ، لأنها عارية عن أي مسوغات حقيقية .. ولن نفند هذه الدوافع هنا فمكان ذلك في موضع آخر[(١)] .. ولكن سنتعرض لما يخص أهل اليمن .

١– فمن المؤكد أن اليمنيين لم يخرجوا من داخل اليمن ليقاتلوا الفرس والروم من أجل دافع قومي لتحرير الأرض العربية من الفرس والروم ، ولا لكي تسود القومية العربية ، لأنهم اصطدموا أول ما اصطدموا بأقوامهم – داخل اليمن في حروب الردة – ثم اصطدموا بعرب الشام ، وعرب العراق حيث تحالف الأولون مع الروم (بيزنطة) ، وتحالف الآخرون مع (الفرس[(٢)]) .

---

(١) من شاء التفصيل في هذا الموضوع فيمكنه الرجوع إلى كتابنا (تاريخ صدر الإسلام .. رؤية جديدة لدراسة عصري النبوة والخلافة الراشدة ٤٥٠–٤٦٧) وكان قبل الطبعة السابعة يسمى (دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة .. رؤية جديدة لتاريخ صدر الإسلام) .

(٢) البلاذري . فتوح البلدان ٦١٩ – الطبري . تاريخ ٩/٤ ، ٢١ .

علاوة على هذا أن هؤلاء الذين قاموا بحركة الفتح الإسلامي لم يتوقفوا عند حدود الجزيرة العربية بل تعدوها إلى كل مكان وصلوا إليه شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً . فإذا ما أضفنا إلى هذا أن مصطلح القومية العربية لم يكن مصطلحاً معروفاً في هذا العصر وإنما هو مصطلح مُحْدَث نشأ في العصر الحاضر ليكون بديلاً – مع غيره من المصطلحات غير الإسلامية – عن الإسلام الذي غُيِّب عن الحكم والواقع بسقوط الخلافة الإسلامية (العثمانية) .

٢– ولا يمكن أن يكون خروج أهل اليمن إلى الشام والعراق بحجة البحث عن مكان يطلبون فيه الرزق ، بحيث يمكن عدَّهم بمثابة هجرات بشرية خرجت من أرض فقيرة إلى أرض غنية ، أي أن الدافع كان دافعاً اقتصادياً . والحقيقة أن هذا الرأي كان الروم والفرس يعتقدونه لمعرفتهم بالعرب في جاهليتهم ، فقد ظنوا أن العرب خرجوا يبحثون عن (الميرة)[1] ، فخيبوا ظنهم وأعلنوا لهم أن ما يحملونه للناس من دين عقيدة ومنهج هو الذي أخرجهم ، وأن هذا الظن بهم كان قبل أن يسلموا ، أما وقد أسلموا فهم يحملون رسالة ، وينبغي إيصالها إلى الناس ، وهذا ما عبر عنه بوضوح رسول المسلمين إلى قائد الفرس رستم إذ وقف ربعي بن عامر يرد على سؤال رستم : ما الذي جاء بكم . قال : " الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة "[2] .

وإذا كانت عاصمة الدولة التي تقود هؤلاء الفاتحين هي المدينة ومكة فإننا لا نعرف أحداً قال بوجود أزمة اقتصادية حلت بأهلهما جعلتهم يفكرون بالهجرة إلى مناطق غنية ، بل على العكس من ذلك فقد كانتا تمثلان نقطة ارتكاز للتجارة العالمية حينذاك .. أما اليمن فهي منطقة زراعية ، وممر تجاري فأي أزمة اقتصادية دفعتها للفتوح .

ويكفي هذا حتى لا يطول بنا الحديث في الدوافع والبواعث التي كانت وراء حركة الفتح الإسلامي فلها كتبها ومجالها الخاص وتكفينا الإشارة والتلميح[3].

---

[1] الميرة : الطعام يجمع للسفر ونحوه .

[2] الأزدي . تاريخ فتوح الشام ١١٨ ، ١١٩ – الطبري . تاريخ ٣٩٩/٣ .

[3] انظر : المصري . جميل (الدكتور) . دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوي المستشرقين .

أما الدافع الحقيقي للفتوح فهو مستمد من مصادر الإسلام (كتاب الله ، وسنة رسوله ، وعمل الصحابة) وهو تحرير الناس –كل الناس – من أن يكونوا عبيداً لبعضهم بعضاً ، وأن يكونوا أحراراً في اختيار عقيدتهم ، وإسقاط الأنظمة الطاغوتية ليسود شرع الله العادل الذي لا يُظلم فيه أحد .. سواءً أسلم الناس أو بقوا على دينهم دافعين للجزية لأن " إبقاء أهل الكتاب بالجزية بين ظهور المسلمين لا ينفي كون كلمة الله هي العليا وكون الدين كله لله "[1] .

كيفية الخروج للفتوح :

مما يلفت نظر الباحث أن هؤلاء المجاهدين من أهل اليمن كانوا يخرجون بنسائهم وأولادهم وأموالهم .. فهل هو نوع من حض المقاتلين لكي يقاتلوا عن أموالهم وذرياتهم ؟ أم هو التأسي برسول الله ﷺ لما كان يأخذ بعض أزواجه حينما كان يخرج في غزواته ؟ أم له دافع آخر ؟

إن ما حصل لا علاقة له بالافتراضين الأولين . فالذي يخرج ذريته ليثيروا حميته كان يخرج إلى المعركة ويعود إلى مقر إقامته ، أما هؤلاء فلم يعودوا[2]... ولم يكن تأسياً برسول الله لأنه كان يأخذ إحدى زوجاته وليس كل زوجاته وذريته وأمواله .

ومما يزيد الأمر وضوحاً في عدم صحة الافتراضيين الأولين أنه كان للخليفة أبي بكر رأي متأخر في هذا الشأن ولكنه لم يمضه ، وهو أن يستبقي الذرية والأموال في العاصمة (المدينة) حتى إذا ما فرغ المقاتلون من مهمتهم أرسل إليهم أموالهم وذرياتهم[3] ، وهذا يعني أن حمل الذرية معهم ليس عاملاً من عوامل التحفيز .. ويبقى أن نبحث عن سبب آخر ، ولعل ما ذكره ابن سمرة الجعدي[4] هو الذي يفسر حقيقة خروجهم بذريتهم وأموالهم وأموالهم حيث يقول : " فاستنفر (أي عمر بن الخطاب) أهل اليمن إلى الشام ثم إلى العراق ، فهاجر أهل اليمن فكانت لمهاجرتهم الأيام المشهورة ، وسكن من سكن منهم

---

[1] ابن قيم الجوزية . أحكام أهل الذمة ١٨/١ .

[2] الطبري . التاريخ ٢٨٠/٤ .

[3] الأزدي . فتوح الشام ٢٥ ، ٢٦ جاء هذا الرأي بناء على مقترح من ابن ذي السهمين الخثعمي الذي جاء على رأس قومه ليشارك في الفتوح .

[4] طبقات فقهاء اليمن ٣٨ ، ٣٩ .

المِصْرَيْن : البصرة و الكوفة "وهذا قيس الخارفي الهمداني يؤكد هذا المعنى فيقول لعمر بن الخطاب : " إن أهلي يريدون الهجرة "[١] .. فهي الهجرة إذاً .. تاركين الديار والأموال والأصول[٢] بهدف الإقامة على ثغور دار الإسلام . ولا ينفي هذا العموم وجود من يبغي المزيد من جمع المال . فطبيعة الأشياء والانسان تقتضي ذلك ولكننا ننظر إلى الغالبية ، وليس إلى الاستثناء .

نتائج الفتوح على أهل اليمن :

لا يعنينا هنا نتائج الدور الذي قام به أهل اليمن في ميادين الجهاد قتالاً ، وإدارةً ، وقيادة ، وجندية ، وبسالة ، وتضحية ، ودعوة ، وبياناً للغاية التي يقاتلون من أجلها ، فهذا مجاله الحديث عن ميادين الفتوح الإسلامية عموماً لا ولاية اليمن[٣] .

ولكن الذي نراه أجدر بالذكر هنا هو الحديث عن النتائج التي جناها أهل اليمن داخل اليمن من جراء مشاركتهم في حركة الفتح الإسلامي .

إن النتائج التي نذكرها هنا ليست على سبيل الحصر والاستقصاء وإنما هي أبرز النتائج :

أولاً : استقرار أهل اليمن في الأمصار المفتوحة ، وتفرق **بطونهم فيها . إن نظرة واحدة إلى تخطيط الأمصار وتوزيعات القبائل فيها ترينا توزع القبائل اليمنية في كل مصر ، وداخل أحيائه المختلفة مما أدى إلى اندماج القبائل اليمنية فيما بينها ومع قبائل عربية أخرى[٤]، وذلك لتذويب العصبية القبلية ، وإزالة النخوة الجاهلية .. ولهذا نرى أكثرهم لم يعد إلى اليمن وكانت نظرتهم لمن يعود إلى اليمن بعد هجرته كمن رجع على عقبيه ، أو كمن رجع عن هجرته[٥] ، لذلك كان أقصى ما يفعله المهاجر إلى الثغور والأمصار المفتوحة أن يبيع أو يستبدل ما يمتلكه في مكانه الذي كان يسكن فيه في اليمن**

---

[١] ابن سعد . الطبقات ١٢٩/٦ ، ١٣٠ .

[٢] الأزدي . فتوح الشام ٢٥ ، ٢٦ .

[٣] للمؤلف تفصيل في هذا أورده في كتابه : اليمن في صدر الإسلام .

[٤] الطبري . التاريخ ٤٨/٤ ، ٥٠٠ – نصر بن مزاحم . وقعة صفين ١١٧ ، ١١٨ – ابن عبد الحكم. فتوح مصر ١٢٨، ١٢٩ – ابن تغري بردي . النجوم الزاهرة ٦٥/١ – البلاذري . فتوح البلدان ١٥٥ – ابن الأثير . الكامل ٤٩٢/٢ – الهمداني . الإكليل ٣٣٤/٢ ، ٣٣٥ .

[٥] أبو نعيم . الحلية ٣٤٢/١ .

بأخرى في الأمصار المفتوحة .. وهذا العمل ليس إخلاءً لليمن كما قد يتصور البعض لأن من حق أي واحد من الأمة أن يستقر في أي مكان من دار الإسلام ، وما اليمن إلا وحدة إدارية في الدولة الإسلامية يتنقل الفرد منها وإليها ، وتعان بالرجال من أي ولاية ، وتعين الولايات الأخرى بأي رجل منها .

ثانياً : ومن مستلزمات النتيجة الأولى أن **المشاركة في الفتوح أفرزت مواهب عدة** فظهرت شخصيات قيادية تولت المناصب العسكرية والسياسية والقضائية والإدارية المختلفة على مستوى الدولة الإسلامية كلها ... وشخصيات تسنمت مقاليد الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية حيث كان منهم رجال من كبار التابعين . هذا بالإضافة إلى مشاركتهم في إدارة أحداث الفتنة التي عصفت بالمجتمع الإسلامي في نهاية عصر الراشدين وحتى في مطلع الدولة الأموية كالأحداث التي حصلت في عهد يزيد بن معاوية ثم في عهد عبد الملك بن مروان .

ثالثاً : أن ولاية اليمن صارت مرحولاً إليها (أي بلداً يُرحل إليه) علمياً للتلقي عن جيل التابعين فيما بعد ، وذلك من خلال وجود علماء في اليمن قَصَدَهم طلَّاب العلم [1] .

الحدث الثالث : موقف ولاية اليمن من الفتنة :

إن من أبرز ما حصل في آخر عصر الخلافة الراشدة هو ظهور أحداث عرفت بالفتنة التي بدأت من عام ٣٥هـ/٦٥٥م وانتهت في عام ٤١هـ/٦٦١م بتسليم الحسن بن علي الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم جميعاً ، فكان عام الجماعة الذي اجتمعت فيه الأمة على خليفة واحد .

والفتنة مصطلح قرآني ورد في القرآن الكريم كثيراً وفي مجالات من الحياة كثيرة.. وكونه أطلق في هذه الأثناء على أحداث حدثت من أطراف عدة .. وعدها رجال الأمة فتنة لأنها تفتن وتمتحن مجموع الأمة ، وتصقل عودهم ، وتجعل المنتبهين والواعين لها يخرجون منها وهم أقوى وأشد مما كانوا .. لأنه من المعروف أن الأبناء فتنة .. والأزواج فتنة ..

---

[1] ابن سمرة الجعدي . طبقات فقهاء اليمن ٥٦ – ٦٥ .

والأموال فتنة ..وجعل الناس بعضهم لبعض فتنة .. فالغني للفقير فتنة .. والصحيح للمريض فتنة[1].. وهكذا ... والسعيد هو الذي يعي أنها فتنة ويتقي الولوج فيها .. والشقي هو من يلج فيها ويعمل على تأجيجها أو يغتر بمظهرها .. وقد تمثلت الفتنة في عهد الخلافة الراشدة بمقتل الخليفة الثالث عثمان ﷺ ، ثم موقعة الجمل ، وصفين، والتحكيم ، وقتال الخوارج في يوم النهروان ، ثم مقتل الخليفة الرابع علي ﷺ.

وعلينا الاقتداء بجيل الصحابة الذي أطلق على هذه الأحداث مصطلح الفتنة بمعنى الامتحان والاختبار .. نتيجة ما يقع بين الناس من القتل والحروب والاختلاف بسبب تحزب المسلمين[2]. وليست الفتنة بمعنى (الفتنة الكبرى) كما زعم بعض الدارسين المحدثين[3] لأن ما ورد في القرآن " والفتنة أكبر من القتل " يقصد به فتنة الناس عن دينهم ، ولا يستبعد أن يكون وراء إشاعة مصطلح (الفتنة الكبرى) غرض غير سليم النوايا.

وعلى العموم فإن الجميع قد وقعوا في الفتنة بتلك المعاني التي وعاها جيل الصحابة والمسلمون من بعدهم وصار الجميع يعاني من تلك الفتنة .. سواء من كان مثيراً لها ، أو كان وقيداً لها ، أو من حاول إطفاءها ، أو المنعزل عنها. فكلهم قد امتحنوا في تلك الأحداث ، ولهذا أصابت شرارتها المجتمع كله ، ولا سبيل هنا لتتبع أحداثها وتفاصيل وقائعها وإنما يعنينا – إيجازاً – البواعث التي كانت تكمن خلف هذه الأحداث ودفعت بها إلى هذا الحد البعيد .. مع التنبيه إلى أن لا مجال هنا لتفصيل بواعثها وعوامل كل حدث من أحداثها فقد فصلنا هذا في كتاب تاريخ صدر الإسلام[4] .

أما هنا فإننا نوجز البواعث ، ثم نتابع ما دار في ولاية اليمن من أحداث الفتنة في المدة بين عامي ٣٥هـ إلى ٤١هـ .

بواعث الفتنـة :

لأحداث الفتنة بواعث عامة ، وبواعث وعوامل خاصة لكل حدث ، والذي يعنينا هنا البواعث العامة ، ولن نتحدث عنها كلها ولكننا نشير إلى بعضها ، وهذا البعض يتولد منه

---

[1] الشوكاني . فتح القدير ٤/٦٨ تحت تفسير قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ (الفرقان : ٢٠) .

[2] لسان العرب ٥/٣٣٤٦ .

[3] مثل : طه حسين في كتابه : الفتنة الكبرى .

[4] ص ٥٠٥-٥٢٣ .

بواعث وعوامل كثيرة :

الباعث الأول : التغيير في بنية المجتمع الإسلامي :

البشرية ، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية .. وجاء هذا الوضع من عدة ملابسات وهي البواعث والعوامل الفرعية منها :

١- اتساع دار الإسلام مكانا وأجناساً وألواناً وثقافات ولغات وعادات .

٢- ضعف القوة الاستيعابية لهذا الاتساع الأفقي للدولة ، فبنية المجتمع الأساسية - الصحابة وتلاميذهم - لم تسعفهم طاقتهم ولا أعدادهم التي تتناقص مع كل حدث - موتاً أو استشهاداً - لكي يقوموا بالاستيعاب التربوي لهذه القوة البشرية التي انضمت إلى المجتمع الإسلامي ، وكانت في حاجة إلى عناية خاصة .

٣- الرخاء .. فالتوسع جلب على الناس رخاءً لم يقنع بعضهم ، بل زادهم طلباً للدنيا ورغبة في جمع المال ، والتطلع إلى ما في أيدي الآخرين ، وقد جاء هذا الرخاء مما أصابوه من غنائم ومخصصات من الدولة[١]، ومن أراض استقروا فيها فما زاد بعضهم ذلك إلا نهماً وطلباً للمال .

٤- توقف الجهاد .. لقد توقف الجهاد في معظم ميادين القتال[٢]- لعوامل كثيرة - فعاد المقاتلون من الثغور إلى الأمصار ، فشاهدوا عمراناً ، وتوسعاً في البنيان ، والضِيَاع ، فتنوعت مشارب الناس أمام ذلك التغير .. منهم من أقبل على هذه الحياة الجديدة بجلب الضياع والأموال .. ومنهم من وجد نفسه غير قادر على هذا النمط من العيش لزهده وورعه فآثر الانكفاء على نفسه ، بعيداً عن معترك الحياة ، عابداً لله ، زاهداً عما في أيدي الناس ، ولم يخالط الناس ، ولم يعمل على إعادة التوازن في بنية المجتمع ، ومن ثم صار يفهم النصوص القرآنية والنبوية فهماً محدوداً نابعاً من تذوقه الخاص .. ومنهم من اعترتهم البطالة والدعة فتجمعوا حول القيل والقال وكثرة السؤال ، وإصدار الأحكام ، وتوزيع التهم بلا مسوغ في معظم الأحوال أو لسوء في الفهم وقلة في العلم[٣] .

---

[١] الطبري . تاريخ ٤/٢٧٤ .

[٢] الطبري . التاريخ ٤/٣٣٣ . نصح البعض أمير المؤمنين عثمان بأن يخرج الناس للجهاد حتى يشغلوا عن الفتنة .

[٣] الطبري . التاريخ ٤/٣٢٥ .

٥- تأثر المجتمع الإسلامي بالأفكار والتصورات والفلسفات والأنظمة والتقاليد التي وردت إلى داخل المجتمع من الأمم التي فُتِحَت بلدانها ، وصارت تابعة للدولة الإسلامية . ومن هذه المؤثرات ظهرت صور عدة من الممارسات التعبدية أو الأفكار التصورية في وسط المجتمع المسلم ، وكانت هذه أساساً وسبباً لنشؤ الفرق المختلفة مثل (الخوارج) و (المرجئة) و (القدرية) و (الشيعة) ..

٦- بُعْد عاصمة الدولة عن الأمصار المؤثرة ، وفي الوقت ذاته البطء في تحديث الأساليب الإدارية المكافئة .. ولين في سياسة الدولة تمثلت في الاستجابة لعزل والٍ أو تغيير عطاء أو تعديل إجراء ، مما جرأ – من في قلبه مرض – على الأمراء والخليفة طعناً وعيباً وعبثاً في مقدرات الأمة[١] .

ولم تنفع المحاولات التي بذلها الخليفة عثمان ﷺ – بعد فوات الأوان – للضرب على أيدي العابثين[٢] لأنها جاءت في وقت اتسع فيه الرقع على الراقع .

الباعث الثاني : وجود عناصر في وسط المجتمع كانت ناقمة على الإسلام

، والدولة ، والخليفة ، والولاة .. وقد قامت هذه العناصر بأدوار عدة في أحداث الفتنة ، هذه العناصر هي :

١- عنصر من كان مرتداً ومنع من المشاركة في حركة الفتوح في عهد أبي بكر ، وسمح له في عهد عمر على نطاق محدود ، وأطلق له العنان في عهد عثمان استصلاحاً له وتأليفاً لقلبه لنكتشف أن كثيراً من هؤلاء كانوا مشاركين في تأجيج أحداث الفتنة[٣] .

٢- عنصر الأعراب الذين شاركوا في الفتوح ، ولم تَصْقُل معظمَهم تلك الحركة الجهادية نفوسهم ، وظلوا – على سجيتهم – غير قادرين على فهم حدود ما أنزل الله على رسوله[٤] .

---

[١] الطبري . تاريخ ٣٣٦/٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٥ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ – اليعقوبي . التاريخ ١٦٤/٢ .

[٢] المصدر الأول نفسه ٣٩٨/٤ – ٤٠٣ .

[٣] المصدر نفسه ١٥٨/٤ .

[٤] وقد كشفت الآية رقم ٩٧ من سورة التوبة هذه النفسية بوضوح وهي : ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ (التوبة : ٩٧) . وانظر : نصر بن مزاحم . صفين ٣٣٢ .

٣- عنصر الموتورين من أبناء الفرس والروم الذين سقطت دولهم وأممهم . فما كان متوقعاً منهم أن يغمضوا أعينهم عن أي ثغرة ينفذون منها إلى جسم الدولة والمجتمع ، خاصة أن بعضا منهم صاروا ضمن (السَّبي) الذين صاروا في كنف المسلمين حتى من أسلم منهم فإن إسلام بعضهم كان فيه دخن[١] .
يتضح هذا من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لمن كانوا محاصرين عثمان بن عفان ﷺ : " إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين "[٢]. ويندرج في هؤلاء من وقع عليهم حد من حدود الله ، أو عزر لأمر حدث منه ، فكانوا موتورين راغبين في إحداث أي شيء ضد من أقام عليه الحد أو التعزير خاصة أنهم كانوا بعيدين غالباً عن التقوى والورع[٣] .

٤- عنصر اليهود ونصارى العرب ، وقد أخرج عمر بن الخطاب اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، وذهب كثير منهم إلى الكوفة[٤]، وفي هذا المصر نبتت بذرة الفتنة ، وأورقت ، وتشعبت ، وفرعت ، وأثمرت ثمرة مُرَّة .
ومن هنا فلا يستغربن أحد أن يكون لبعض الأفراد أو لفرد واحد دور في توجيه الأحداث في وسط كهذا قابل لسماع الشائعات ، ومستعد للسير وراء مروجيها ..

الباعث الثالث : التوجيه المنظم للأحداث .. إن الوضع في ظل الباعثين الأولين يجعل البيئة مهيأة صالحة لمن يوجهها تحت شعارات متعددة حيثما يريد ، ومن ثم فلا يتعجب أحد من الدور الذي قام به عبد الله بن سبأ في هذه الأحداث ، فهو من صنعاء ، وظهر في المدينة معلناً إسلامه عند الخليفة عثمان ﷺ ، ثم رغب في الخروج إلى العراق للمشاركة في الفتوحات ، فلما وصل إلى البصرة والكوفة عمل على تجميع بعض أولئك الموتورين ممن وقع عليهم حدٌ أو تعزيرٌ ، وصار ابن سبأ على صلة بهم، ثم خرج إلى الشام وسعى إلى إثارة بعض الرجال المؤثرين في المجتمع بطرح قضايا مغلوطة وغير صحيحة مثل إثارته لأبي ذر الغفاري – سواءً التقى به أو لم يلتقِ به – الذي كان

---

[١] المقدسي . البدء والتاريخ ١٩٤/٥ – الطبري . تاريخ ٤٣٧/٤ ، ٤٥٤ ، ٤٦١ – ابن سعد . الطبقات ٣٤٩/٣ .
[٢] ابن الأثير . الكامل ١٧٣/٣ .
[٣] الطبري . التاريخ ٣٢٦/٤ ، ٣٢٧ .
[٤] المصدر نفسه ١١٢/٤ – ابن كثير . البداية والنهاية ١٠١/٧ .

زاهداً في الدنيا راغباً عنها ، فجعله زهده – وما طرحه عبد الله بن سبأ غير البريء – أن ينقد بشدة سياسة الوالي معاوية ، ورغم اكتشاف ابن سبأ في الشام وهو يقوم بدوره المشبوه إلاَّ أن معاوية اكتفى بأن أمره بالخروج من الشام ، فخرج إلى مصر .. وتمكن هناك من أن يلم حوله من كان له موقف من الوالي ، وانتظم دوره في تحريك المجموعات المشبوهة في كل من البصرة والكوفة ومصر . ولا سبيل إلى نكران شخصيته[1] بحجة أن دوره هذا غير مستساغ داخل المجتمع الإسلامي ، أو لأنه يستبعد أن يقود هذه الأحداث بهذا الشكل المؤثر ، والحقيقة أن دوره غير هذا كله ..

إن دور عبدالله بن سبأ الحقيقي لم يخرج عن دور ترويج الشائعات ، وإطلاق المصطلحات ، والأفكار غير البريئة والتي لها جذور غير إسلامية أو التي تتناغم مع أطماع بعض الناس ، أو تتفق مع مصالح فئات منهم . فليس له دور قيادي ولكنه دور من وراء الصفوف ، وتهييج المشاعر ، وإثارة الحفائظ ، والمعروف أن المكر اليهودي لا يصنع الأحداث ولكنه يحرك الذين يقومون بالحدث من خلال الأفكار ثم يستغلون الحدث لصالحهم . وبما أن عبد الله بن سبأ لم يقم بهذا الدور داخل اليمن وإنما في الأمصار الأخرى (عاصمة الدولة والبصرة والكوفة والشام ومصر) فإن حدود هذا الكتاب يلزمنا بالإطار المرسوم له[2] .

أحداث الفتنة في اليمن :

لم نسمع بأي مصدر أشار إلى أي دور لمثيري الفتنة داخل اليمن قبل مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ، فلم تذكر المصادر شيئاً عن شيوع رسائل ملفقة تشكو ولاة اليمن ، ومن ثم لم يرسل إليهم الخليفة من يتقصى الحقائق فيهم لعدم الموجب لذلك ،

---

[1] حاولَت دراسات شيعية واستشراقية إنكار شخصية عبد الله بن سبأ ، ولا شك أن المستفيد من الإنكار معروف ، إنه من يريد نفي أي جذور غير إسلامية عن تصوراته وأفكاره فإذا استبعدت شخصية عبد الله بن سبأ استبعدت معه الأفكار التي روجها .. بينما شخصيته ثابتة تاريخياً في جميع المصادر التاريخية وكتب أهل الجرح والتعديل وكتب الفرق (انظر : الذهبي . ميزان الاعتدال ٤٢٦/٢ – ابن حجر . لسان الميزان ٢٨٩/٣ – ابن حزم . الفصل ١٨٠/٤، ١٨٦ – الشهرستاني . الملل والنحل ٢/ ١١ بهامش الفصل) .

[2] راجع تفصيل هذا في كتاب للمؤلف : دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، عُرِف من طبعته السابعة بتاريخ صدر الإسلام .

ولم نرَ أثراً لتدبيرات وترتيبات لخروج أحد من داخل اليمن ليشارك في الانقضاض على المدينة كما حصل في الكوفة والبصرة ومصر ..

ولكن المصادر تخبرنا بأن الخليفة عثمان ﷺ أرسل رسائل إلى الأمصار المختلفة يبين لهم دوافع هذه التي سماها (الهوجة) والتي تعني الغوغائية ، وأن التهم الموجهة إليه ردها عليهم ودحضها بالحجج والبراهين ، وأنه قد صبر عليهم سنين ولكن دون جدوى حتى فوجئ بغارتهم على المدينة ، وشبههم بغارة أهل الأحزاب على المدينة ، وأن الفرق بين هؤلاء وأولئك ادعاء الإسلام . ثم يناشد الأمصار النصرة[١] ...

وبالطبع وصلت نسخة من هذه الرسائل إلى اليمن فتسارع الناس لنصرة الخليفة ، وكان في مقدمة المناصرين له هو أمير منطقة الجند ، ولعله كان طليعة لوالي اليمن العام يعلي بن أمية ، ولكنه سقط في الطريق من على دابته فقتل[٢] . فأدى هذا إلى عرقلة الخروج ، وسرعان ما تنامى إلى أسماعهم مقتل الخليفة فكان هذا دافعاً آخر للأمير يعلي بن أمية الذي كان قد استكمل استعداده فنزل مكة[٣] . ولا نظنه خرج إلا للمساعدة في الخلاص من هذه الفتنة التي ألمت بالأمة ، وليس صحيحاً ما قيل من أنه هرب من اليمن خوفاً من عبيد الله بن العباس والي اليمن الجديد من قبل الخليفة الجديد علي بن أبي طالب ﷺ ؛ لأن المصادر لا تشير إلى هذا لا تصريحاً ولا تلميحاً ، لأنه ليس من الحنكة أن يهرب إلى مكة وهي أقرب إلى عاصمة الدولة من اليمن ، في الوقت الذي يكون فيه – كما زعموا – من المعارضين لها ، وإذا كان يريد أمراً خاصاً لنفسه لعمل على الانفصال والاستقرار في منطقة (طرفية) – مثل اليمن – يعرفها جيداً ، وله فيها مكانة خاصة وقد تزوج منها . وأما ما أحضره معه من اليمن من أموال سواء أكان نقداً أو عيناً ، أو قوة عسكرية فقد جعله كله بين يدي طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم ، أولئك الذين كانوا يفكرون في رأب الصدع الذي أصاب الأمة بقتل الخليفة ، وعدم اجتماع الكلمة على خليفة

---

[١] الطبري . التاريخ ٣٥١/٤ ، ٣٥٢ ، ٩٥/٥ .

[٢] كان هذا الأمير هو عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي والد عمرو بن أبي ربيعة الشاعر المشهور (ابن الأثير . الكامل ٢٠٠/٣) .

[٣] الحمزي . تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار ٢٩ .

واحد ، فخرجوا من مكة ليصلحوا بين الناس ، ويتخلصوا من قتلة عثمان[١] . وحدثت موقعة الجمل سنة ٣٦هـ وقد نسبت إلى الجمل التي كانت تركبه أم المؤمنين عائشة ﵂ ، وهو جمل مما جاء به يعلي بن أمية من اليمن[٢] .

أما أهل اليمن في الداخل فلا أظنهم كانوا خاملين لا يحركون ساكناً ، ولم يستنكروا هذه الفِعلة في خليفة المسلمين ، وإن لم تشر المصادر إلى شيء من هذا إلا أن من البداهة أن يقفوا مذهولين أمام الحدث ، ولم يعملوا على إذكاء الفتنة بل انضووا تحت لواء القيادة الجديدة ، والخليفة الراشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ ، الذي يعلمون عنه الكثير من مكانته في الإسلام وله تقديره الكبير في نفوسهم .

مما يؤيد هذا انه حينما تولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخلافة أرسل إلى اليمن والياً من قبله وهو عبيد الله بن العباس[٣] ، وإلى جواره سعيد بن نمران الناعطي الهمداني[٤]، فانقاد أهل اليمن لهما دون اعتراض ، ودون أي حوادث تذكر في اليمن بل خرجت بعض تجمعات قبلية وخاصة من همدان لتشارك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الأحداث كلها خارج اليمن[٥].

ولكن في عام أربعين من الهجرة تغير الحال في ولاية اليمن ، وانقلب إلى وضع هائج ، ولعل ذلك يرجع إلى أسباب عدة .. منها :

أ. الأحداث التي تلاحقت في العراق والشام .. كموقعة الجمل وصفين والتحكيم والنهروان مع الخوارج[٦] . هذه الأحداث كلها وصلت أخبارها

---

[١] راجع عن خروج طلحة والزبير وعائشة للصلح ما جاء عند القاضي أبي بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة – وما ذكره القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن ٣٨٢/٥ و ٧٣/١٠ و ١٧٩/١٤ – ١٨١ و ٣١٥/١٦ – النووي . شرح صحيح مسلم ١٤٩/١٥ .

[٢] كان الجمل من وادي ظَهر شمال صنعاء .

[٣] ابن الأثير . الكامل ٢٠١/٣ .

[٤] ابن سعد . الطبقات ٨٤/٦ .

[٥] الهمداني . الإكليل ١٠ / ٣٤ – يحي بن الحسين . أنباء الزمن ١٣ (مخطوط) .

[٦] موقعة الجمل كانت في ٣٥هـ/٦٥٥م وموقعة صفين كانت في ٣٧هـ/٦٥٧م . والاتفاق على التحكيم وقع في ١٣ صفر ٣٧هـ / يوليو ٦٥٧م ووقع يوم النهروان في شعبان ٣٨هـ/ يناير ٦٥٩م .

إلى اليمن ، ولا أشك في وجود آثار سلبية لهذا داخل اليمن ، وربما كان هذا قد أدى إلى تململ في الداخل .

ب. ما تسرب إلى نفوس الناس من أن صلح التحكيم ينص على أن أمر الخلافة عاد إلى الأمة ليختاروا من يشاءون ، فكأن هذا رفع عنهم حرج البيعة المعقودة في أعناقهم لأمير المؤمنين علي ﷺ ..

ج. أنه نمى إلى علم أهل اليمن بأن أمير المؤمنين علي ﷺ قد اتفق مع معاوية ﷺ على تنفيذ بنود صلح التحكيم ، وهذا معناه كما يراه المراقب منهم أن الضعف قد تسرب إلى معسكر أمير المؤمنين علي ﷺ وتقلص نفوذه، بينما ازداد سلطان معاوية ﷺ .

د. تقريب معاوية الناس إليه ، وما يبذله لهم من العطاء .

نتيجة لذلك كله حصل تذمر داخل اليمن تمثل في الاحتكاك الذي حصل في كل من صنعاء والجند ونجران[1] مع أمير اليمن عبيد الله بن العباس الذي لم يتمكن من إثنائهم عن تمردهم رغم أنه سجن بعضهم ، مما زاد من جرأتهم على الامتناع عن الطاعة له ، وعن دفع زكاة أموالهم إليه ، وأُبلغ أمير المؤمنين علي ﷺ بذلك فأرسل إليهم أحد زعماء همدان يحمل إليهم كتاباً منه ، فما زادهم ذلك إلا استمساكاً بما قد أزمعوا عليه . وزادوا على هذا بأن كتبوا إلى معاوية يطلبون منه أن يرسل إليهم أميراً من قبله ، وهم على استعداد لمساعدته والوقوف إلى جانبه ، فأرسل إليهم بسر بن أرطأة العامري الذي وصل إلى اليمن عن طريق مكة ، وتمكن من الاستيلاء على اليمن . وتحكي الروايات بأنه تتبع (شيعة) علي قتلاً وحرقاً في أكثر المناطق اليمنية ، وهي روايات لا نستطيع أن نتأكد منها ، وظلت همدان أكثر القبائل ثباتاً على ولائهم لأمير المؤمنين علي ﷺ[2] . هذا في بداية العام الأربعين من الهجرة ، وذلك بعد أن اتفق معاوية مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على الالتزام بشروط التحكيم وأهمها أن يدير كل واحدٍ منهما ما تحت يده حتى تجتمع الأمة على خليفة واحد[3] . ولعل طلب أهل اليمن من معاوية التدخل كان مبرراً كافياً لمعاوية في

---

[1] اليعقوبي . التاريخ ١٩٧/٢ – ابن اعثم . الفتوح ١٤٠/٤ – الطبري . التاريخ ١٤٠/٥ .

[2] ابن أعثم . الفتوح ٢٢٥/٢ – ٢٣٤ و ٤/ ٥٣ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٩ – يحي بن الحسين . غاية الأماني ٩٦/١ ، ٩٧ – ابن منظور . مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٨٣/٥ – ١٨٧ .

[3] يراجع : الطبري . التاريخ ١٤٠/٥ .

مخالفة ذلك الالتزام ، أو أن شروط التحكيم لم تنص على عدم توسع أحد الطرفين على حساب الآخر .

وقد أرسل أمير المؤمنين علي ﷺ جيشاً آخر بقيادة جارية بن قدامة السعدي على إثر جيش بسر إلى الحجاز واليمن ، وسار سيرة بسر في القتل[1] .

وما لبث أن قُتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مظلوماً كصاحبه عثمان رضي الله عنهما ، فعاد جارية بن قدامة السعدي إلى المدينة المنورة ، وأخذ البيعة من أهلها للحسن بن علي ﷺ ، ولم يحصل أي رد فعل داخل اليمن ، ربما لذهولهم لما حصل للخليفة إلى أن تولى معاوية ﷺ الخلافة بعد أن تنازل له بها الحسن بن علي ﷺ، واجتمع شمل الأمة حتى أطلق المؤرخون على هذا العام : عام الجماعة[2] .

نتائج أحداث الفتنة المتعلقة باليمن :

بما أن خط سير البحث في هذا الموضوع يتجنب التعرض لما هو حاصل لأهل اليمن أو منهم في الأمصار المختلفة ، على الرغم من وجود الكثير منهم في مواقع الأحداث المختلفة المتنوعة . فقد كان منهم من شارك في إثارة الفتنة . ومنهم من كان في المعسكرين المتنازعين (علي ومعاوية ﷺ) . ومنهم من كان في معسكر المصلحين بين الفريقين (معسكر طلحة والزبير وعائشة ﷺ) . ومنهم من كان مشاركاً في المفاوضات بين الفريقين . ومنهم من كان متطوعاً قد نصب نفسه في مواقع القتال يحول بين الفريقين إذا حصل بغي أو اعتداء من أحد الطرفين . ومنهم من كان داعياً للتحكيم مشاركاً فيه . ومنهم من كان معارضاً للتحكيم مقاتلاً من دعا إليه . ومنهم من كان مع الحسن بن علي رضي الله عنهما موافقاً لتوجهه . ومنهم من كان معارضاً له مقاتلاً عن رأيه . ومنهم من انعزل عن الفتنة منذ البداية ، أو في أثناء معترك الأحداث لعدم قناعتهم بانتهاج أحد السبيلين فآثر بعضهم الانتقال إلى الثغور من أن يشاركوا في أحداث الفتنة ..

---

[1] ابن منظور. المختصر ١٨٦/٥ .. ويقال إن اسمه حارثة ، وقيل لقب بالمحرق لكثرة تحريقه الناس في اليمن ، وقيل ما لقب بالمحرق إلاَّ لتحريقه دار ابن الحضرمي في البصرة (ابن منظور . المختصر ٣٦٤/٥) .

[2] ابن الديبع . قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ٨٨/١ – ٩١– قتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ في يوم الجمعة ١٨ ذي الحجة ٣٥هـ/١٨ مايو ٦٥٦م ، وطُعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يوم ١٥ رمضان ، فمات يوم الجمعة ١٧ رمضان ٤٠ هـ/ ٢٤ يناير ٦٦١م ، وتنازل الحسن بن علي في الخامس من ربيع الأول ٤١ هـ/١٣ يوليو ٦٦١م (صحح هذا التاريخ المسعودي في التنبيه والإشراف ٢٦٠) وانظر ابن كثير . البداية والنهاية ١٨/٨ .

على الرغم من مشاركة أهل اليمن في الأمصار المختلفة بتلك الصور والألوان كلها وفي تلك الميادين المتعددة ، إلا أن مساق موضوعنا ينحصر في داخل ولاية اليمن . ومن ثم حينما نستخلص النتائج التي ترتبت على أحداث الفتنة لا نبحثها إلا من خلال ما عاد على اليمن بصفتها ولاية لا بصفة أبنائها الموجودين في جميع رقعة بلاد الإسلام .

ومن هنا فإن أهم هذه النتائج العائدة على ولاية اليمن هي :

١- أن ولاية اليمن صارت مما يحسب حسابها في الأحداث التي تجري في الدولة الإسلامية . فإذا كانوا قد أبدوا أسفهم على ما حصل للخليفة القتيل عثمان بن عفان ﷺ وأعطوا بيعتهم للخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ بهدوء ، إلاَّ أن تتابع الأحداث ومرارتها جعلتهم يتخذون موقفاً آخر متمرداً . كان هذا الموقف بمثابة البذرة التي أصبحت تُسْتَنْبَت وترعى كلما اقتضت الحاجة لدى الطامحين . ومن هنا وجدنا معاوية ﷺ يسارع في إرسال جيش إليها وعلي ﷺ يبادر بإرسال جيش لإخراج جيش معاوية ﷺ لأن اليمن إن انفصل فسيشكل طعنة في خاصرة الدولة الإسلامية .

٢- أن ولاية اليمن نتيجة للصراع الذي تم بين بسر بن أرطأة العامري قائد جيش معاوية ﷺ ، وجارية السعدي قائد جيش علي ﷺ داخل اليمن على أساس أن فريقاً موالياً لعلي وآخر موالياً لمعاوية رضي الله عنهما ، فقد أصبح هذا لدى الشيعة في القرون التالية أسلوباً يحتذى ، حيث صاروا ينظرون إلى اليمن على أنها تضم شيعة لعلي ﷺ ، ومن أراد الخروج على الدولة كان بصره يرنو إلى اليمن ليكون مقراً للخروج .. وأقرب مثل على هذا أن عبد الله بن عباس نصح الحسين بن علي رضي الله عنهم جميعاً أن لا يتوجه إلى العراق وإنما إلى اليمن ففيه شيعة لأبيه[1] . ولعل ما سيأتي فيما بعد أكبر دليل على هذا .

٣- أن ولاية اليمن لبعدها عن مركز الدولة الجديد بعد انتقال الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ إلى الكوفة متخذاً منها مقراً للدولة ، فقد أصبحت ولاية اليمن مكاناً مؤهلاً لأن يهرب إليها المناوئون للدولة ، فبعد موقعة النهروان (٣٨هـ/٦٥٩م) هرب من بقي من الخوارج إلى أطراف الدولة ،

---

[1] ابن كثير . البداية والنهاية ٨/ ١٦٠ .

ومنهم من وصل إلى اليمن ، وصاروا يشكلون أساساً للخوارج وللتمردات التي قامت في اليمن على أسس فكر الخوارج[١] . وسيتضح هذا بالتفصيل فيما بعد إن شاء الله .

ثانياً : ولاية اليمن في عصري بني أمية[٢] وبني العباس[٣] :

يُعد العصر الأموي (٤١ - ١٣٢هـ /٦٦١-٧٤٩م) استمراراً لعصر الخلافة الراشدة في السياسة العامة للدولة ، وإن حصل اختلاف في تفصيلات هذه السياسة .. وأما الاختلاف الكبير فقد حصل في عصر بني العباس (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٧م) وإن بقيت جوانب مهمة من جوانب الاستمرار .. منها :

١- أن الراية الإسلامية هي المرفوعة ، ويتم الفتح باسمها وفي ظلالها ، والتعامل والعلاقات مع القوى باسم الإسلام ، لم ترفع أية راية أو أية دعوة .. مهما قيل عن بروز العصبية القبلية ، إلا أنها لم تكن باسمها تدار الأمة ، ولا يتقاضى الناس إلى القضاة بشرع غير شرع الله ، ولا يحكم الولاة بأسس غير الإسلام ، ولا تحدد العلاقات بين الدولة وغيرها إلا على أساس الإسلام .. فلم يتغير شرع الله ويستبدل بأي شرع ، وإن حصلت بعض المخالفات فذنبها على أصحابها ، ولم تكن يوماً ما منهجاً تتبناه الدولة وتسير عليه .

٢- مركزية الدولة وهذا أساس سياسي لم يتغير ، ولكن كيفية التطبيق حصل فيها تعديل ، وذلك للتغير في العقلية التي تدير الدولة ، وللظروف التي صاحبت قيامها . وللأطماع التي اشرأبت في أكثر من موقع . ولطبيعة الدولة التي قامت على غير ما قامت عليه دولة الخلافة الراشدة ، ولاهتمام الدولة بقضايا لم تكن تهم الخلافة الراشدة . ولما حصل من متغيرات في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، ولكن هذه المركزية اختلت في العصر العباسي الثاني حينما سمحت الدولة لقيام كيانات سياسية أضعفت قوة الخلفاء .

---

[١] البغدادي . الفرق بين الفرق ٦١ .

[٢] انظر مشجر خلفاء بني أمية في ملحق رقم (٧) .

[٣] انظر مشجر خلفاء بني العباس في ملحق رقم (٨) .

٣- الارتكاز على استمرارية الفتوح ، ولكنه كان مُرَكَّزاً على الشمال (بيزنطة) والمغرب والأندلس . لأن الدولة الفارسية بعد أن انتهت في عصر الخلافة الراشدة فلم تعد تشكل تلك البلاد خطراً يذكر .. وإن استمرت الفتوحات في بلاد الترك وبلاد الهند أيضاً .

أما جوانب الاختلاف فتتمثل في :

١- التوارث في تولي منصب الخلافة بحيث ألا يخرج عن البيت الأموي ولا العباسي فيما بعد .. وهذا تقليد جديد بدأ بخلفية ومسوغات قد تكون مقبولة في عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ دون أن يكون هذا قانوناً يطبق في كل العصور .. إلا أنه من عهد عبد الملك بن مروان صار محصوراً ومقصوراً في البيت المرواني . على أن يكون الخليفة مؤهلاً للخلافة ، إلى أن جاء عصر الانحلال فتسلم الخلافة من ليس لها أهلاً ..

٢- وهذا الوضع السياسي سارت عليه الدولة العباسية نفسها في عصرها الطويل ، وكذلك الدول والدويلات التي نشأت على أساس الإسلام في ظل الدولة العباسية أو متمردة عليها كالعلويين ، والبويهيين ، والسلاجقة ، والغزنويين .. الخ .

٣- قيام حركات للمطالبة بالخلافة أو إلغاء الخلافة الأموية .. مثل حركة الحسين بن علي ﷺ (ت ٦٤هـ/٦٨٣م) . وحركة (التوابون) التي قامت على إثر مقتل الحسين بن علي ﷺ ، وحركة زيد بن علي بن الحسين بن علي (ت ١٢٢هـ/٧٣٩م) .. وقيام ثورة على بني أمية تحت شعار الرضا من آل محمد تم على أساسها سلب بني العباس لهذه الثورة وإقصاء العلويين .

٤- قيام خلافتين في آن واحد وصار الصراع بينهما وهي خلافة عبد الله بن الزبير (ت ٧٣هـ/٦٩٢م) وخلافة مروان بن الحكم (ت ٦٥هـ/٦٨٤م) ، ثم ابنه عبد الملك (ت ٨٦هـ/٧٠٥م) لينتهي الصراع لصالح عبد الملك بن مروان وتبقى الدولة الأموية قائمة حتى أسقطت سنة١٣٢هـ/٧٤٩م على يد العباسيين.

وهذه الصورة تكررت في العصر العباسي حينما تم السماح لقيام دولة أموية في الأندلس ثم خلافة .. وخلافة فاطمية في المغرب ومصر .

وأما اليمن في عصر بني أمية فقد كان ضمن السياسة العامة للدولة لإدارة الولايات البعيدة عن عاصمة الدولة مهما كانت بعيدة .. فلم تهمل ولم تترك ، بل كانت الدولة يقظة لما يدور فيها حتى تتوفر مركزية الدولة ..

ومما يؤكد هذه الرؤية أن الهدوء قد ساد الأوضاع الداخلية في اليمن في العهد الأموي إلى حد كبير . فلم تشارك اليمن في الأحداث الكبيرة التي وجدت داخل الدولة مثل حركة الحسين بن علي رضي الله عنهما ، والنزاع على الخلافة بين عبد الله بن الزبير ، ومروان بن الحكم وابنه عبد الملك ، ولم تتمرد اليمن على الدولة إلاَّ على أساس مذهبي ، وفي نطاق محدود في أوساط الخوارج كما سنوضحه فيما بعد إن شاء الله .

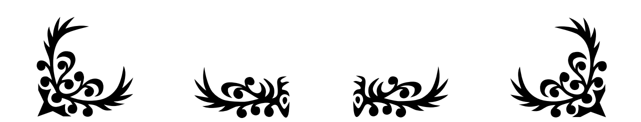
وهكذا كان عصر بني العباس فقد عاصر المدة التي نؤرخ فيها لليمن في ظل حكمهم (خمسة وعشرين خليفة) أولهم أبو العباس السفاح (ت ١٣٦هـ/٧٥٣م) ، وآخرهم القادر الذي تولى الخلافة سنة ٣٨١هـ/٩٩١م وتوفي سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م .

فقد كان عصر بني العباس الأول الذي انتهى في عهد المتوكل (ت ٢٤٧هـ/٨٦١م) عصر قوة واستقلال الخلفاء بقراراتهم .. ثم انتكست الدولة نتيجة عوامل كثيرة منها : ضعف الخلفاء ، وظهور قوى مستحوذة على الحكم متخذة من الخلفاء ستاراً لحكمهم ابتداءً بحكم العسكر من الأتراك ، ثم البويهيين الذين كانوا ينشرون الفكر الشيعي الاثنا عشري بوسائل عدة .

وفي هذا الوقت ظهرت الدولة الفاطمية (العُبيدية) في المغرب ثم في مصر لتصبح المنافس القوي للدولة العباسية ، فقد اتخذت من الفكر الشيعي الإسماعيلي الباطني سبيلاً للهيمنة والسيطرة والتأثير على الناس .

أما اليمن في هذين العصرين (الأموي والعباسي) فلم يسجل المؤرخون شيئاً يذكر داخل اليمن في العصر الأموي وبدايات العصر العباسي مما يحتاج إلى توقف عنده ، ماعدا نزول الأمطار، أو الثلوج ، أو الزلازل ، أو توسع عمراني ، وإنشاء مرافق هامة للناس ، أما الحوادث فلا وجود لها إلا شذرات هنا أو هناك ، وأبرز هذه الحوادث هي وفيات أو تحركات العلماء أصحاب المدارس العلمية المتنقلة . أو هذا ما رصدته لنا مصادر التاريخ .

أما العصر العباسي الثاني فقد برزت فيه ظاهرة انفصال اليمن أو أجزاء منه إما على أساس مذهبي أو قبلي . وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل القادم إن شاء الله .



الفصل الرابع

الاتجاهـات المذهبيــة

أولاً : الاتجاه المذهبي الخارجي .

ثانياً : الاتجاه المذهبي الشيعي :

- **الاتجاه الزيدي .**
- **الاتجاه الإسماعيلي (الباطني) .**

تمهيد :

من البداهة بمكان أن وحدة الأمة المسلمة كانت حقيقة واقعة في جميع رقعة دار الإسلام . تلك الوحدة القائمة على العقيدة الواحدة ، والتوجه الواحد ، والولاء الواحد ، والاهتمامات الواحدة ، والثقافة الواحدة ، والتعاون معاً للقتال تحت راية واحدة أمام عدو واحد مهما تعددت شاراته .

ولذلك لم يؤثر على وحدة الأمة ذلك الاختلاف القائم على غير أساس من مذهب أو فكر معاد للإسلام مثل الذي حصل بين عبد الله بن الزبير وبني أمية .. ومن ثمَّ فقد ظلت اليمن تابعة لسيادة الخلافة التي قامت في مكة وتولاها عبد الله بن الزبير فترة من الزمن ، وحينما دخل الحجاج إلى مكة وبسط نفوذه باسم عبد الملك بن مروان على اليمن صار الناس تحت ظل الدولة الجديدة دون وجود مشكلة أو تغيير في مفهوم وحدة الأمة .

ولا يُعتد بأية تحركات انفصالية في القرنين الأول والثاني للهجرة بل ظل الولاء والسعي لإبقاء الجسد الواحد للدولة الواحدة هو السائد فيها .

أما ما عرف داخل اليمن من تحرك لفكر الخوارج فهو تحرك لا يسعى إلى فصل اليمن عن الدولة الإسلامية الأم (الأموية أو العباسية) وإنما هي خطوة على طريق الوصول لتغيير النظام ممثلاً بالخليفة بصفته غير مرغوب فيه عندهم سواء أكفَّروه أم فسَّقوه فهو ليس – من وجهة نظرهم – ليس مؤهلاً لتولي الخلافة .

ولكن التحرك الشيعي المذهبي هو الذي سعي – في اليمن – إلى إقامة كيانات منفصلة عن الدولة الأم .

أولاً : اتجاه الخوارج في اليمن :

التعريف بالخوارج وبداية وجودهم في اليمن :

فرقة (الخوارج) سُموا بذلك لخروجهم على علي ﷺ يوم التحكيم حين اعترضوا على التحكيم وقالوا لا حكم إلاَّ لله .. ويطلق عليهم أكثر من اسم فهم يسمون (الشكاكية) لأنهم قالوا لعلي ﷺ : شككت في أمرك . ويسمون (الحرورية) لأنهم نزلوا أرضاً يقال لها

حروراء[1] ، ويسمون أيضاً (الشُّراة) لأنهم قالوا : اشترينا أنفسنا من الله ولذا فهم يتميزون بالإقدام ، وقد يُسمون بـ (المُحَكِّمة)[2] لقولهم لا حكم إلا لله .. رغم أنها كلمة حق يُراد بها باطل . وفرقهم ثماني عشرة فرقة .. والتي يهمنا هنا هي (الإباضية) أصحاب عبد الله بن إباض الذين كان لهم وجود واستقرار في اليمن[3].

ودون الدخول في التفاصيل نؤكد على أن نظرة (الخوارج) ليست نظرة انفصالية عن الدولة الأم – في الأقل في هذه الحقبة – وإنما كانوا يتطلعون إلى تغيير الخليفة حتى تستقيم أمور الدولة .. ومن ثم كان تحركهم على هذا الأساس .

وأما وجودهم في اليمن فقد كان وجوداً مبكراً ، فمنذ أن أجهز عليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في موقعة النهروان سنة ٣٨هـ/ ٦٥٩م بقي منهم بعض الأفراد وتفرقوا في الأمصار المختلفة ، وكان منهم من هرب إلى اليمن[4]. فنشأت بذلك فرقة من فرق الخوارج عرفوا فيما بعد بالإباضية[5] – نسبة إلى عبد الله بن إباض الذي خرج في عهد آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد الأموي (ت ١٣٢هـ/٧٤٩م) – إلا أن الفكر الخارجي كان في اليمن قبل عبد الله بن إباض في .

محاولات الخوارج في اليمن :

كان للخوارج أكثر من محاولة قاموا بها من داخل اليمن للانطلاق منه إلى دار الخلافة لتغيير الخلفاء غير المرغوب فيهم من وجهة نظرهم :

المحاولة الأولى : في عهد الخليفة عبد الله بن الزبير ..

ففي الوقت الذي كان عبد الله بن الزبير يواجه الحصار داخل مكة من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي باسم عبد الملك بن مروان ، انتهزت فرقة الخوارج الذين عُرفوا

---

[1] حروراء : قرية خارج الكوفة ، نزلها الخوارج لما خالفوا علي بن ابي طالب ﷺ فنسبوا إليها (ياقوت . معجم البلدان ٢/٢٤٥) .

[2] الشهرستاني . الملل والنحل ١/١٣٣ .

[3] السكسكي . البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ٩ – ١١ .

[4] الرازي . اعتقاد فرق المسلمين والمشركين ٥٤ (هامش) يقال الذي هرب إلى اليمن رجلان فقط – البغدادي . الفرق بين الفرق ٦١ .

[5] المصدر نفسه ٦٤ .

يومئذ بـ (الحرورية) بقيادة قدامة بن المنذر من داخل اليمن عام ٧٢هـ/٦٩١م قبل انتهاء حكم عبد الله بن الزبير بعام تقريباً ، فقدمت تلك الفرقة من حضرموت ، واقتحمت صنعاء متطلعة إلى تحقيق مكاسب لها في لحظة ضعف في دولة ابن الزبير ، ولكنها فوجئت بمقاومة من الأمة نفسها ممثلة في كبار علمائها ومفكريها . فحينما وصلت (الحرورية) إلى صنعاء قادمة من حضرموت التي كانت كامنة فيه ، هرب والي عبد الله بن الزبير من صنعاء مولياً وجهه شطر مكة عاصمة الدولة ، ولم يكن ليقف أمامهم سوى علماء الأمة ، وعلى رأسهم وهب بن منبه (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م) الذي كان على صلة وثيقة بعبد الله بن الزبير[١] ، فحذر الناس من تسرب فكر الخوارج[٢] ودعا الناس لقتالهم . وبالرغم من محاولات وهب بن منبه العديدة للتصدي للخوارج إلا أنه فشل ، لتسلل الوهن إلى نفوس الناس حينما سمعوا بقسوة الخوارج فأبوا قتالهم ، فما كان من وهب إلاَّ أن تركهم ولجأ إلى مكة ، فدخلت (الحرورية) صنعاء وصالحوا أهلها على مائة ألف دينار يؤدونه إليهم ، ومع هذا لم يقدروا على دفع ذلك فاستعانوا بالمخاليف المجاورة فأعانوهم بهذا المال اتقاء شر الخوارج ، ولم يزل أمر اليمن مضطرباً بقية عهد عبد الله بن الزبير إلى أن قُتل عام ٧٣هـ / ٦٩٢م[٣] . ولم تذكر المصادر كيف تم القضاء على (الحرورية) هؤلاء إلاَّ أن هناك احتمالاً قوياً بأن عبد الملك بن مروان بعد أن قضى على ابن الزبير عيَّن الحجاج بن يوسف الثقفي على الحجاز واليمن فلعله هو الذي قضى على خوارج اليمن .

المحاولة الثانية : في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ..

لم تقم الخوارج بشيء يذكر في اليمن حتى عام ١٠٧هـ/ ٧٢٥م في عهد هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ/٧٤٢م) وكان قد ولى عليها يوسف بن عمر الثقفي ، فخرج في عهده عباد وقيل (عبادة) الرعيني ومعه ثلاثمائة رجل ، فتصدى لهم يوسف وقتلهم جميعاً ولم نعرف عنهم الكثير ، ولكن هويتهم الفكرية لم نعرفها إلا من كلمة وردت في بعض المصادر ، وهي أن الرعيني خرج في ثلاثمائة (محكما)[٤]. بينما

---

[١] الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٣٦٧ . ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٥٣ .

[٢] الذهبي . سير أعلام النبلاء ٥٥٣/٤ – ٥٥٥ .

[٣] الخزرجي . العسجد ٢٢ – يحي بن الحسين . غاية الأماني ١/ ١٠٧ .

[٤] ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٢٦ .

مصادر أخرى[1] لم تذكر هذه الكلمة . ومع هذا ليس أمامنا إلا أن نقبل وصف الرعيني بأنه يحمل فكراً خارجياً ، فالخوارج كان يطلق عليهم (المُحَكِّمَة) لأنهم كانوا يقولون لا حكم إلا لله ، بفهم قاصر وبدون فقه وبصيرة . وربما يؤيد هذا الرأي ذلك الوصف الذي جاء عند المؤرخ يحي بن الحسين[2] بأن الرعيني كان يزعم بأنه " منصور حمير لما يجدون في السير انه يكون الرعيني في آخر الزمان "[3] . والحقيقة أن هذه الحركة لم تتخذ الأسباب الكفيلة لتحقيق أي نجاح ، ومن ثم لم تدون أخبارها بما يؤهلها لأن تكون محل دراسة وتمحيص .

المحاولة الثالثة : في عهد الخليفة مروان بن محمد ..

ففي الوقت الذي كان فيه مروان بن محمد (ت ١٣٢هـ/٧٤٩م) – آخر خلفاء بني أمية الملقب بالحمار لصبره وجَلَدِه وتحمله الفذ – يتلقى الضربات في شرق الدولة الإسلامية ، وفي شمالها ، فوجئ بضربة أخرى يتلقاها من الجنوب تلك الضربة التي أثارها الخوارج وكانوا (إباضية) ، فقد خرج عبد الله بن يحي الكندي الملقب بالأعور ويكنى بطالب الحق سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م وسيطر على حضرموت بعد أن انسحب واليها إبراهيم بن جبلة الكندي دون قتال ، ثم تابع الخوارج سيرهم حتى دخل صنعاء ، وكان عليها القاسم بن عمر الثقفي الذي لم يصمد أمام اكتساح الخوارج (الشُّراة) ، الذين بسطوا نفوذهم على اليمن سنة وأربعة أشهر، وقد حاول الكندي في هذه المدة مد نفوذه إلى مكة والمدينة فأرسل جيشاً بقيادة المختار بن عوف الأزدي المعروف بأبي حمزة ، وفاجأ الناس في عرفات معلناً بأنه يمثل الأمير طالب الحق وأعلن نفسه أميراً للحج ، بينما الخليفة مروان بن محمد كان قد أرسل أميراً للحج من قبله ، ثم أصلح الناس بينهم على أن لا يحدثوا حدثاً في أثناء الوقوف بعرفة .. ولكن بعدها دخل أبو حمزة مكة ثم المدينة وخطب خطباً هَيَّجت الناس عليه[4] ، لأنه أراد أن يحركهم نحو الشام للاستيلاء على

---

[1] الخزرجي . العسجد ٢٣ – اليمن في عهد الولاة ٧٠ (الفصول الخمسة الأولى من كتاب الكفاية والاعلام للخزرجي).

[2] غاية الأماني ١١٩/١ .

[3] هذا المصطلح (منصور حمير) مثله (منصور اليمن) تعلقت به بعض الفرق .. منها الإسماعيلية التي اطلقت على ابن حوشب منصور اليمن كما سيأتي فيما بعد .

[4] ابن خياط . تاريخ خليفة بن خياط ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

عاصمة الخلافة .. ولكن ما لبث أن جاء جيش مروان الذي تمكن من مطاردة أبي حمزة حتى قُتل .

ونتوقف عند تقييم هذا النجاح الذي نالته حركة الخوارج في عهد مروان بن محمد من حيث الأسباب والنتائج :

أما من حيث الأسباب فأهمها :

١- بعد اليمن عن مركز الدولة وعاصمتها دمشق .

٢- ضعف الدولة الأموية وتعرضها للضربات من كل ناحية فهي تعيش مرحلة التهاوي من كل جوانبها رغم ما بذله مروان بن محمد من الإمساك ببعض أركانها .

٣- قوة الخوارج من حيث التنظيم والتنسيق مع خوارج الأمصار الأخرى مثل خوارج البصرة فقد حصل تنسيق بينهم .. بالإضافة إلى قوة التدبير العسكري المحكم، ولعلهم استفادوا من تجاربهم السابقة التي تلقوا فيها الضربات تباعاً ، لأنهم تمكنوا في وقت قياسي من الاستحواذ على اليمن ، والتحرك نحو الحجاز ، وبسطوا سلطانهم عليه ، ومدوا أبصارهم سراعاً إلى العراق والشام .

وأما النتائج التي ترتبت على هذا النجاح الساحق السريع فلم تكن متكافئة معه ؛ لأنه بقدر ما وصلوا إلى ذلك النجاح في ذلك الوقت القصير بقدر ما سقطوا وطوردوا من بقعة إلى أخرى ولم يتركوا أثراً يذكر .

وهذا يرجع إلى عدة أسباب منها :

١. معتقداتهم التي يحملونها بين جوانحهم ، التي أفرزت ممارسات وأعمالاً لا تليق بمسلم لأنهم يرون مخالفيهم كفاراً .

٢. استخدامهم العنف والقسوة سبيلاً ، حيث كانوا يقتلون المخالفين لهم في المذهب .

٣. لم يعملوا على جذب الناس وكسبهم إلى صفهم ، بل نفَّروا الناس عنهم .. والدليل على ذلك أنه حينما جاء جيش الخلافة الأموية من الشام وعمل على مطاردتهم ، فلم يقف معهم أحد لا في الحجاز ولا في اليمن إلى أن قتل أبو حمزة نائب طالب الحق في مكة ، ثم قتل هو الآخر في بلاد السراة شمال اليمن .. وظل الجيش بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي والي اليمن يطارد فلول الخوارج فيها حتى حضرموت ، إلاَّ أنه لم يتمكن -كما

يبدو – من إخضاعها تماماً ؛ لأنه كُلِّف من قبل مروان بن محمد بتولي إمرة الحج عام ١٣٠هـ / ٧٤٧م فاضطر إلى مصالحة أهل حضرموت ، وعاد إلى مكة ، ولكنه قتل في الطريق فأرسل إليهم مروان بن محمد قائداً آخر استمر فيهم إلى أن سقطت الدولة الأموية[1] .

المحاولة الرابعة : في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ..

يبدو أن خوارج حضرموت ظلوا متمردين – فيما بعد – على الدولة العباسية مدة من الزمن وقد مارس معهم معن بن زائدة الشيباني الوالي العباسي من قبل أبي جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ/٧٧٤م) التقتيل المتواصل جزاءً وفاقاً على ما فعلوه من قتل في المسلمين في مكة والمدينة في عهد مروان بن محمد[2]. ولم نسمع بعد هذا التاريخ عن أي تحرك خارجي من حضرموت .

حال الخوارج بعد المحاولة الرابعة :

ظلت تطلعات الخوارج للانقضاض على قيادة الأمة أُمْنِيَةً تراودهم بين الفينة والفينة ، وكانت محاولاتهم أحياناً تتخذ شكلاً انفرادياً ، حيث كانوا يحاولون الضغط على أفراد أو مجاميع قبلية لتخويفهم من دفع زكاة أموالهم إلى أمراء الدولة لأنها غير مقبولة ، وأنهم هم الأقدر على أخذها وتصريفها في مصارفها الشرعية[3] .

ولكن هذا الاتجاه المناوئ للخلافة من قبل الخوارج لم يكن مرضيا عنه عند علماء الأمة[4] ، ومن ثم فلم تستجب الأمة لدعوتهم ، بل إن أعمالهم زادت الناس نفورا وعزوفاً

---

[1] ابن خياط . تاريخ خليفة بن خياط ٣٩١ – ٣٩٥ – الطبري . التاريخ ٧/ ٣٧٤ – ٣٩٣ ، اليعقوبي . التاريخ ٢/٣٤٠ – ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٢٧ – الخزرجي . العسجد ٣٤ – اليمن في عهد الولاة ٧٣ ، ٧٤ – يحي بن الحسين . غاية الأماني ١/١٢٤ – ١٢٦ .

[2] ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٣٠ ، ٣١ .

[3] ابن منظور . مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٦ / ٣٨٩ – ٣٩٢ .

[4] يقول وهب بن منبه في توضيحه دعاوي الخوارج :" وما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج ، ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم فسدت الأرض ، وقطعت السبل ، وقطع الحج من بيت الله الحرام ، وعاد أمر الإنسان جاهلية ، وإذاً لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلاً ليس منهم رجل إلاَّ وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة " (ابن منظور . مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٦ / ٣٩٠ ، ٣٩١) .

عن التعاون معهم ، أو حتى التعاطف مع مطالبهم .

وكانت نتائج هذه المحاولات الفاشلة بالنسبة للخوارج هي :

١. الانطواء الفكري .
٢. الانهزام العسكري .
٣. البحث عن سند قبلي يحتمون به .
٤. تحلقوا حول إمام لهم في حضرموت ليس له سلطة إلا على أتباعه وربما كان نشاطه سريا.. وهذا ما أشار إليه الهمداني[1] في القرن الرابع الهجري .
٥. انحسارهم عن اليمن .. ومما زاد من انحسار هذا الفكر فوق ما سبق أمران :

أ- بروز (الزيدية) في شمال اليمن ، حيث تصدت لاستئصاله فكراً عبر الكتب والرسائل[2] .

ب- مجيء الإمام المهاجر الشريف أحمد بن عيسى العلوي الحسيني - الشافعي المذهب ذا الاتجاه الصوفي - جاء إلى حضرموت في العقد الثاني من القرن الرابع الهجري الذي تمكن - وأنصاره - من تذويب وتفكيك خوارج حضرموت وهم إباضية إذ تراجع مذهبهم من هناك ليستقر في نهاية المطاف في عُمَان[3] .

ثانياً : الاتجاه المذهبي الشيعي في اليمن :

بداهة يحتاج الموضوع هذا وقبل الدخول في تفاصيله أن نلفت النظر إلى نقطتين نطرحهما على شكل سؤالين :

---

(1) صفة جزيرة العرب ١٧٥ .

(2) مسلم اللحجي . سيرة الامام أحمد بن يحي الناصر لدين الله ٩ ، ٣٣ ، ٣٩ - ابن أبي الرجال . مطلع البدور ٤٢/٣ (مخطوط) .

(3) العلوي . تاريخ حضرموت ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ - الشاطري . أدوار التاريخ الحضرمي ١/ ١٤٦ ، ١٤٨ . عن تاريخهم انظر : الباروني . مختصر تاريخ الإباضية . وبالمناسبة فإن إباضية عمان والمغرب لا يرون أنفسهم من الخوارج بل هم أحد المذاهب الإسلامية ، والفقهاء المحدثون يعدون المذهب الفقهي الإباضي أقرب المذاهب إلى أهل السنة .

أ- لماذا كان الانفصال عن دولة الخلافة في العصر العباسي ؟

ب- ما هي حقيقة (الشيعة) كمصطلح وكفكر ؟ .. ومتى كان له حضور تاريخي ؟

ثم بعد الإجابة عن هذين السؤالين نتوجه إلى تفاصيل الاتجاهات المذهبية الشيعية الساعية إلى انفصال اليمن عن دولة الخلافة .

أ- النزعة الانفصالية في العصر العباسي :

أطل القرن الثالث الهجري على دولة الخلافة العباسية وهي منهكة القوى من جراء نزاع مرير بين قطبين أساسيين من أقطاب الدولة العباسية وهما : الأمين والمأمون (١٩٣هـ-١٩٨هـ/ ٨٠٨م - ٨١٣م) ابْنَي الخليفة هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ/٨٠٨م) . ولقد جرأ هذا الحدث العديد من أطراف الدولة على التفكير في الانفصال . وكان للخلافة دور مبكر في التمهيد لأولئك الطامحين لكي تسول لهم أنفسهم الابتعاد عن الدولة الأم .

فلقد غض الطرف أبو جعفر المنصور (ت ١٥٨هـ/٧٧٤م) عن قيام دولة أموية بالأندلس منفصلة انفصالاً تاماً عن الدولة العباسية وهي تلك الإمارة التي أقامها عبد الرحمن الداخل (ت ١٧٢هـ/٧٨٨م) في الأندلس التي جعلت من هذه البلاد جزءاً منفصلاً كليةً عن عاصمة دولة الخلافة العباسية .. ثم أقدم هارون الرشيد - الخليفة القوي الذي دوخ الدولة البيزنطية - على إعطاء الفرصة لقيام دويلة صغيرة في المغرب وهي دولة الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩م) ولا يمكن قبول تلك الحجة القائلة بأن الأغالبة كوفئوا بهذا الانفصال لوقوفهم في وجه الدولة العلوية (الأدارسة) (١٧٢ - ٣٧٥ هـ / ٧٨٨ - ٩٨٥م) ودولة بني أمية التي قامت في الأندلس ، فلا يعني أن من يدافع عن دولة الخلافة أن يكافأ بقيام دولة منفصلة عنها مهما قيل من روابط رسمية .

إن الدولة العباسية نفسها هي التي أعملت السكين في جسدها من حيث لا تدري سواء بالسماح لقيام دويلات هنا أو هناك ، أو بتقسيم الدولة في عهد هارون الرشيد إلى قسمين ليرضى ولديه ، ولخوفه من حصول شقاق بين الأخوين .. وبالرغم من دقة فراسة الخليفة وحصول ما توقعه إلاَّ أن سياسته هذه في التقسيم كانت عاملاً من عوامل تشجيع قيام حركات مضادة للدولة .

من هذا كله كان عصر المأمون مليئاً بكثرة الخارجين عليه سواء أكانوا من

العلويين[1] أم من غيرهم ، ليس في الأطراف فحسب بل في أقرب الأمصار إلى عاصمة الدولة كخروج محمد بن إبراهيم المعروف بـ (ابن طباطبا) في الكوفة[2] .

ولم يكن اليمن بعيداً عن هذه النزعة الانفصالية بل لقد اتُّخذت – لبُعدها وطبيعة تضاريسها – مقرا منعزلا للكمون والانقضاض .. وعلى سبيل المثال فإن في عهد المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـ / ٨١٤ – ٨٣٣م) تعاقب على اليمن أربعة عشر والياً[3] وهذا دليل على اضطراب اليمن وعدم استقراره .

وإذا كانت النزعة الانفصالية قد بدأت مذهبية على يد العلويين ، إلاَّ أن الطموح القبلي والشخصي وجد له متنفسا أيضاً في هذا الجو ليوجد له مكانا بين المتصارعين . ويحار الباحث ولا يجد سبباً مقنعاً لنشأة مثل تلك الدويلات التي قامت في خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة إلاَّ ضعف الدولة الأم .

فقد سمح هذا الضعف لقيام الفاطميين (العبيديين) في المغرب (سنة ٢٩٧هـ/٩١٠م) على أساس مذهبي اسماعيلي وامتد سلطانهم فيما بعد إلى مصر والشام والحجاز ثم اليمن . وصاروا يمثلون خلافة في مواجهة الخلافة العباسية .

وهذا الضعف نفسه وَلَّد قيام أسر حاكمة ، أو قيادات عسكرية متحكمة في قيادة الخلافة العباسية ، وفي أراضيها ، بل وقيام كيانات سياسية تعادي الدولة ، وتتغلب عليها ، طالبة من الخليفة – الضعيف – سنداً شرعياً لبقائها واستمرارها .

إنه وضع أهَّل الدولة للسقوط قطعة قطعة ، ومجيء غزاة من خارج دار الإسلام – الصليبيين ثم المغول – لتتغير الخريطة السياسية لدار الإسلام بشكل كامل ..

ب- الشيعة مصطلحا وفكرا :

من المعروف أن لفظ (الشيعة) كان يطلق في بداية الأمر حسب دلالته اللغوية على من شايع وتابع وسار مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، بل كان اللفظ مشتركاً فيطلق على شيعة علي وشيعة معاوية ، وهكذا على غيرهم .. ثم تطور هذا المدلول إلى أن

---

[1] ابن خلدون . تاريخ ٥/٥١٤ – ٥٤٢ .

[2] الأشعري . مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ٥٦ ، ١٥٧ – المحلي . الحدائق الوردية من مناقب أئمة الزيدية ١٩٧/١ .

[3] ابن الديبع . قرة العيون ١٣٨/١ – ١٤٩ .

صار عَلَماً على جماعة من الناس ، لها معتقد فكري يقوم على مبدأ الإمامة ، وانبثق منه سلوك عملي ، وكان المسمى العام المشهور تاريخياً في المصادر المطلق على الشيعة بفرقها المختلفة هو مسمى (الرافضة) .. إما لرفضهم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، أو لرفضهم زيد بن علي رحمه الله لمَّا قال بإمامة أبي بكر وعمر[1] ..

وتقوم (الشيعة) – الاثنا عشرية والاسماعيلية – على مبدأ الإمامة فزعمت إثباتها عقلاً ونصاً ، وأن الأئمة معصومون ، ولا يجوز عليهم الخطأ والغلط والسهو .. وقالوا بتفضيل علي ﷺ على سائر الصحابة ﷺ ، وأنه الإمام بعد رسول الله ﷺ بوصية وبيعة منه ، وأن الأمة ارتدت بتركها إمامة علي ﷺ .. وهذا اعتقاد مشترك عندهم .أما الزيدية[2] فلها وضع آخر كما سيأتي .

مع التأكيد على أن ما قد ينسبه الشيعة المتأخرون إلى أن حركة الحسين بن علي ﷺ هي حركة شيعية ، وكذا الحركات التي قام بها علويون من بعده فإن هذه النسبة غير صحيحة ، لأن المصادر التاريخية لا تطلق على تلك الحركات مصطلح (الشيعة) ، بل إن من كتب عنها من الموالين لها أسموها بالحركات العلوية أو الطالبية[3] .. إن مصطلح (الشيعة) لم يستخدم فكراً ومذهباً وحركة إلا في القرن الخامس الهجري . أما حركة الحسين بن علي ﷺ (ت ٦٤هـ/٦٨٤م) فهي حركة تقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وأكبر منكر كان في نظر الحسين هو أن الخليفة ليس مؤهلاً للخلافة .. ولم يكن قط يدعو إلى الحق الإلهي له بالخلافة كما جاء في ثقافة الفكر الشيعي المتأخر ، ولو عدنا إلى الأدبيات الصحيحة التي رويت عنه ، فلن نجد ذلك الادعاء ، ولا ذلك التقديس الذي يضفيه عليه أتباع الفكر الشيعي في عصور ما بعد البُويهيين والعُبيديين (الفاطميين) .

[1] الطبري . تاريخ ١٨٠/٧ – نشوان الحميري . شرح رسالة الحور العين ١٨٤ ، ١٨٥ – المرتضى . المنية والأمل ١٠١ – ابن كثير . البداية والنهاية ٣٣٠/٩ – المقبلي . العَلَم الشامخ ١٠٨ – يحيى بن الحسين (الإمام الهادي) . رسائل العدل والتوحيد ٧٦/٢ .

[2] انظر : محمد البنداري . التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ، دار عمار – عمان ١٩٨٨م – عارف تامر . الإمامة في الإسلام ٦١-٦٤ .

[3] هناك كتاب يسمى : مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) .

والشيء نفسه يطلق على حركة زيد بن علي بن الحسين بن علي ﷺ (ت ١٢٢هـ/٧٣٩م) كما سنوضحه لاحقاً ، بل إن حركة محمد النفس الزكية (ت ١٤٥هـ/٧٦٢م) ومحمد بن طباطبا (ت ١٩٩هـ/٨١٤م) وكل من خرج في القرن الرابع الهجري من العلويين لم تكن لهم صفة إلا العلوية نسبة إلى علي بن أبي طالب ﷺ .

وهذا الوصف نفسه أطلق علي يحيى بن الحسين الذي خرج في اليمن سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م وبالرجوع إلى المصادر المعاصرة له أو القريبة من عصره لا تطلق عليه لقب شيعي ولا لقب زيدي كما سنوضحه فيما بعد .

أما المعتقدات الشيعية التي أشرنا إليها (الإمامة – العصمة – الوصية – الرجعة – وتكفير الصحابة) فلم تُجَذَّر ولم تُقَعَّد إلا في ظل نظام البُويهيين (٣٢٠-٤٤٧هـ/٩٣٢-١٠٥٥م) ثم العُبيدين (الفاطميين) (٢٩٧-٥٦٧هـ/٩١٠-١١٧١م)، وفي كل عصر كانت تزداد اتساعاً وغلواً .

رغم أن بعض هذه الأفكار ظهر على استحياء على يد عبد الله بن سبأ (اليهودي – الصنعاني) حيث تردد حينذاك : أفضلية علي ﷺ على بقية الصحابة ، والوصية الواجبة له ، والعصمة ، والرجعة .. وهي مصطلحات غريبة عن الفكر الإسلامي[1] .

وقد افترقت الشيعة إلى ثماني عشرة فرقة[2]، والذي يعنينا منها هنا هم : الزيدية ، والاسماعيلية (القرامطة) ، والاثنا عشرية . لوجودهم الفعلي في اليمن :

الفرقة الأولى : الاثنا عشرية :

هذا المصطلح لم يوجد في كتب الفرق والملل والنحل القديمة التي كتبت قبل القرن الرابع الهجري سواء من كان منهم يحمل اتجاهاً شيعياً كالقُمِّي (ت ٢٩٩هـ أو ٣٠١هـ/٩١١هـ أو ٩١٣م) في كتابه (المقالات والفرق) ، والنوبوختي (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) في كتابه (فرق الشيعة) ، ولا من كان يحمل اتجاهاً سنياً

---

[1] انظر : القفاري . د. ناصر بن عبد الله بن علي . أصول مذاهب الشيعة الاثنا عشرية ص ١١-١٢٣ . أورد السيد حسين الموسوي في كتابه (لله .. ثم للتاريخ .. كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار) سبعة نصوص نقلها من مصادر شيعية تتحدث عن ابن سبأ بأنه كان وراء نشر الأفكار التقديسية الأولى المتعلقة بعلي ﷺ كالوصية ، والرجعة ، والعصمة ، بل المغالاة بعلي ﷺ حتى جُعل إلهاً من دون الله .

[2] انظر : السكسكي . البرهان ٣٦ .

كالأشعري (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م) في كتابه (مقالات الإسلاميين) .. ولكن المسعودي[١] (ت ٣٤٩هـ/٩٦٠م) ذا الميول الشيعي يذكر هذا المصطلح : فهل هو أول من ذكر ذلك أم أنه نقل عن غيره ما كان موجوداً في عصره ولم يصل إلينا ؟ليس لدينا إجابة عن ذلك . أما المؤلفات المتأخرة فترجع وجود هذا المصطلح إلى التاريخ الذي يعتقده الشيعة الاثنا عشرية ، من أنه تاريخ ولادة إمامهم الثاني عشر وهو محمد بن الحسن العسكري الذي قيل إنه ولد سنة ٢٥٥هـ أو ٢٥٦هـ / ٨٦٨م أو ٨٦٩م ويطلق عليه المهدي ، وهو الذي يعتقدون حياته حتى اليوم . والأئمة الاثنا عشر أولهم علي ﷺ وآخرهم محمد بن الحسن العسكري[٢] .وتعتقد هذه الفرقة أن هذا الإمام اختفى سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م وقيل ٢٦٦هـ/٨٧٩م وأنه هو المهدي المنتظر ، وعليهم انتظاره حتى يخرج[٣] ، فلا يجوز إقامة دولة باسم الإمام عند الاثنا عشرية ، ويبدو أن هذا الفكر قد حصل فيه بعض التعديل في العصور التي تلت العصر البُويهي مستفيدين من الفكر الشيعي الإسماعيلي . حيث قامت أنظمة شيعية اثنا عشرية لا تدعي ظهور الإمام ، ولكنها تمهد لمجيء الإمام كما هو حال البُويهيين ، وإن كانوا يمارسون هذا الفكر بصورة غير صريحة ، ثم جاء (الصفويون) ليمارسونه بشكل مكشوف[٤] .

ثم ظهرت فكرة (ولاية الفقيه) التي ابتدعت في العصر الحديث لتكون مقدمة بين يدي ظهور الإمام المهدي كما يقولون[٥] .

---

[١] التنبيه والاشراف ص١٩٨ .

[٢] انظر : الفقاري . أصول مذهب الشيعة ١/ ١٢٧-١٢٩ — عارف تامر (شيعي إسماعيلي) . الإمامة في الإسلام ١٠٩ ، ١٢٤-١٢٦ .

[٣] عارف تامر . الإمامة في الإسلام ١٢٦ .

[٤] الصفيون أو الصفوية نسبة إلى صفي الدين أبي إسحاق الأردبيلي ، وكان أحد أتباع أحد شيوخ الطرق الصوفية ، ولكن حفيده خواجه علي سياهبوش اعتنق التشيع ودعا إليه وبدعم من تيمور لنك المغولي (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م) وبعد حوالي مائة سنة من الصراع في إيران بين أحفاد صفي الدين والدول المجاورة تمكن إسماعيل بن حيدر – من أحفاد صفي الدين – من إعلان الدولة الصفوية سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م) وهو المعروف بإسماعيل شاه متخذاً التشيع الاثنا عشري مذهباً رسمياً لدولته ، وفرضه بالقوة إلى حد أنه نبش من لم يكن شيعياً من قبره (انظر : الدولة الصفوية وأثرها على العالم الإسلامي ١٥-٢٠) .

[٥] جاءت (ولاية الفقيه) لدى الشيعة المحدثين كبديل لغيبة الإمام الطويلة ، وأن الفقيه يُعطى من الصلاحيات ما هي للإمام حتى يخرج الإمام ، وقد كان للخميني دور في بلورة هذه النظرية (انظر : محمد عبد الملك عتوم . النظرية السياسية المعاصرة للشيعة الإمامية الاثنا عشرية ٩٣-١٣٨) .

أما في المدة التي نتحدث عنها أي في القرن الثالث والرابع الهجريين فإن الاثنا عشرية كانت هي القاعدة العريضة التي تحمل الولاء الشيعي ، ومن خلالها يتم استقطاب عناصر للاتجاهات الشيعية المنظمة كالإسماعيلية بكل طوائفها ، بل وحتى الزيدية من منطلق الولاء الشيعي .

ولم يكن للاثنا عشرية أي تحرك سياسي في اليمن إلا أن اسم (الرافضة) هو الاسم الذي كان يطلق عليهم ، وقد أشرنا قبل ذلك إلى أن هذه التسمية ظهرت في وقت مبكر حيث أطلقه زيد بن علي بن الحسين (ت ١٢٢هـ/٧٣٩م) على من رفض إمامة الشيخين أبي بكر وعمر والترضي عنهما[١] .

الفرقة الثانية : الزيدية[٢] (العلوية) :

الزيدية أقدم الفرق التي عُدت من الشيعة زمناً ، وتنسب إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٢هـ/٧٣٩م) الذي كان من كرام أهل البيت وأفضلهم ، وان كانت الزيدية بعده قد تنوعت فرقها وتكاثرت ، إلا أنها تنسب إلى (الزيدية) رغم بعدها عنها وافتراقها عن أصول الزيدية .. مع التأكيد على أن زيد بن علي رحمه الله لم يكن له مذهب خاص به لا مذهب فكري ولا مذهب فقهي ، بل لديه اجتهادات فقهية ، ورؤية في الإمامة لا تتفق مع رؤية الشيعة التي ظهرت في القرون التالية .. ولكن الانتساب إليه نابع من كون تلك الفرق تؤمن بإمامة زيد بن علي رحمه الله ، بينما بقية فرق الشيعة لا يرون ولا يعتقدون بإمامته .. لأنهم وجدوه لا يعتقد ما يعتقدونه من الوصية ، والرجعة ، والعصمة للأئمة . بل يرى الإمامة لا تستحق لأحد من ذرية الحسن والحسين إلا بالفضل أي توفر شروط الإمامة ، وبالطلب أي يقوم بطلبها ويقاتل عليها وأن الإمامة لا تثبت بالوراثة[٣] .

وقد أكد يحيى بن الحسين[٤] على " أن الزيدية افترقت إلى عدة فرق ، بعضها يرجع إلى ما بعد المائتين للهجرة ، وبعضها من قبل ذلك . فالذي كان من قبل هم : الصالحية

---

[١] أبو الحسن الأشعري . مقالات الإسلاميين ١/ ٨٩ – الشهرستاني . الملل والنحل ١/١٥٥ – الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ٧٧ – ابن المرتضى . المنية والأمل ٢١ .

[٢] انظر مشجر الدولة الزيدية في اليمن ملحق رقم (٩) .

[٣] أحمد بن يحيى المرتضى . المنية والأمل ويعرف بالملل والنحل ٥٦ بتصرف .

[٤] طبقات الزيدية الصغرى ٦ (ورقة ٣ ب) .

والحريرية ، وهما ما كان عليه مذهب زيد بن علي ويقرب منه . أما غيرهما فقد خالفت زيد بن علي في أصوله وفروعه ، ولم يوافقوه إلا في النزر اليسير ، وغلب علي الزيدية من بعد ظهور الهادي يحيى بن الحسين اتباع مذهبه المستقل عنه في الأصول – وهي معتزلية – والفروع (التي عرفت بالهادوية) . وقد سار الزيدية في الفروع على ما رآه الهادي كما ورد في كتبه . وقر مذهب الزيدية المتأخرة المتأخرين عليه . ولم يبق لمذهب زيد بن علي على الأول في الأصول والفروع منهم متابع أصلاً " .

ثم يقول يحيى بن الحسين أيضاً[1] : " والمتأخرون منهم (من الزيدية) في التحقيق هادوية لازيدية ، وهم الآن لا يخرجون عن أقوال هؤلاء الأربعة (الهادي يحيى بن الحسين – المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني – أبو طالب – وأبو العباس الحسني) بل مذهبهم دائر عليهم ، وما لم ينصوا عليه ، فهو محمل على مذهبهم ، والمتأخرون هم المحملون لمذهبهم ، ومتبعون لطرقهم ، وقواعدهم " .

ولا يعنينا هنا البحث عن فرق الزيدية ومعتقداتها التي وصلت إلى ست فرق وتفرع عن بعضها فرق أخرى ، ولكننا نتتبع دورها السياسي في اليمن ، حيث كان وجودهم الفعلي وبشكل واضح من أواخر القرن الثالث الهجري حينما دخلها الهادي إلى الحق يحي بن الحسين (ت٢٩٨هـ/٩١٠م) محاولاً القيام بإيجاد كيان منفصل عن الدولة العباسية .

إلا أن حركات العلويين كانت هي المقدمات لمجيء يحيى بن الحسين .. ولم تكن تلك الحركات ترفع اسم الزيدية اتجاهاً لهم . ومن هذه الحركات :

حركة ابن طباطبا في اليمن :

كان مقر العلويين الأصلي في الحجاز ، ومنه انساحوا إلى بقية البلدان[2]. وقد كان اليمن هو الأقرب إلى الحجاز فاستقر بعضهم في اليمن ، فلما قامت حركة محمد بن إبراهيم ابن طباطبا بالكوفة ، أرسل ابن عمه إبراهيم بن موسى المعروف بالجزار[3] إلى

---

[1] طبقات الزيدية ٧ (ق ٤م) .

[2] ابن المجاور . تاريخ المستبصر ٥٧ .

[3] هو إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وعرف بالجزار لكثرة ما قتل داخل اليمن (الهمداني . الإكليل ١٣١/٢ – المحلي . الحدائق الوردية ٢٠٤/١) .

صعدة ، لعلمه بوجود شيعة للعلويين لا يستهان بهم ، وقد هاجم إبراهيم الجزار الولاة العباسيين في اليمن داعياً (للرضا من آل محمد) – وهي الدعوة التي كانت سائدة قبل قيام العباسيين – ويعني به محمد بن إبراهيم طباطبا الخارج بالكوفة سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م ممثلاً للطالبيين أو العلويين هناك ، كما ذكره الطبري وابن خلدون وغيرهم[١] ، ومتعرضاً لكل من ظن أنه مبغض لأهل البيت من القبائل اليمنية ، مستخدماً القتل وسيلة للتمكين .

ومنذ أن قدم إبراهيم الجزار في مطلع القرن الثالث الهجري بدأ تعميق الوجود العلوي في اليمن ، وإن توارى عن الأنظار حينما أخمدت حركة ابن (طباطبا بقتله سنة ١٩٩هـ/٨١٤م) في العراق ، وقد استطاع المأمون أن يستدرج (الجزار) إلى صفه بتوليته على اليمن باسم الدولة العباسية وليس باسم العلويين[٢]. لأن (الزيدية) كمصطلح وفرقة لم يكن متداولاً ولا مرفوعاً بل مصطلح (العلوية) هو السَّائد في المصادر كما ذكرنا سابقاً .

استقدام الهادي إلى صعدة :

ظل التيار العلوي – بعد تلك الضربة التي لحقت بابن طباطبا – كامناً متوارياً عن الأنظار حتى كشف عنه يحيى بن الحسين ، الذي أطلق عليه الهادي إلى الحق عام ٢٨٠هـ / ٨٩٣م لما جاء إلى صعدة للمرة الأولى ، بناءً على استقدام وطلب من بعض زعماء من اليمن ، ولكن الفشل حالفه في تحقيق بغيته[٣] . ويرجع فشله هذا إلى استجابته السريعة غير المتروية للقبائل الداعية له ، وعدم إدراكه لطبيعة القبائل وكيف تكون إدارتها . ورغم ذلك فقد استفاد من الفشل استفادة كاملة ، وظل ثلاث سنوات تقريبا يُعد العدة للعودة إلى اليمن ، فرتب للأمر عدته ، وكان له دعاة وشخصيات متأثرة به تميل إليه ، ساعية إلى إقناع زعماء القبائل على دعوته للمجيء إلى اليمن[٤] ، كل هذا مهد للمجيء

---

[١] الطبري . التاريخ ٥٢٨/٨ ، ٥٣٦ – ابن خلدون . التاريخ ٥١٤/٥ – ٥١٨ – الأشعري. مقالات الإسلاميين ١٥٦، ١٥٧ – المحلي . الحدائق الوردية ١/ ١٩٧ .

[٢] الجندي . السلوك ٢١٦/١ – الخزرجي . اليمن في عهد الولاة ٩٨ – يحي بن الحسين . غاية الأماني ١٤٩/١ .

[٣] ابن أبي الرجال . مطلع البدور ومجمع البحور ١٢٩/١ – العلوي . سيرة الهادي إلى الحق يحي بن الحسين ١٣٦ – ١٤٠ – المحلي . الحدائق ١/ ١٩ – الجنداري . الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز(ق ٢٩ ب) .

[٤] ابن أبي الرجال . مطلع البدور ١٢٩/١ . العلوي . السيرة ٣٥ ، ٣٨ ، ٦٥ ، ٨٠ . الجنداري . الجامع الوجيز (ق ٣٠/أ) .

الثاني للهادي إلى اليمن حيث بدأت الدولة الهادوية – التي تعد المُؤَسِّسَة للزيدية – في اليمن بالظهور من شهر صفر سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م[١] ساعية لمد الجذور في الأعماق ، وباسطة نفوذها على حساب القوى المجاورة ، سواء أكانت أشلاء الدولة العباسية المتناثرة[٢] ، أم الدويلات القبلية التي ظهرت في تلك الآونة . ولم تكن الراية المرفوعة هي راية الزيدية بل عرفت حركة الهادي (بالعلوي) وهذا ما ذكره أكثر من مؤرخ[٣] .

دارت بين الهادي ومناوئيه معارك عدة ، وامتد نفوذه أحياناً إلى جنوب صنعاء ، وأحياناً ينحسر نفوذه إلى ما حول صعدة .. ولا مجال هنا لتفصيل تلك المعارك لأنها تقوم على قاعدة الكر والفر ، فتارةً يكون هو المنتصر ، وأخرى يكون هو المنهزم .

عوامل نجاح الهادي :

إلا أن هناك عوامل ساعدته على تحقيق تلك الانتصارات .. منها :

١- طموحه الجارف الذي لم يجعله يكتفي باليمن ، بل أوصله إلى التفكير بالخروج إلى خارج اليمن بعد أن حقق نصراً سريعاً في الميدان اليماني[٤] ، فقد حاول الامتداد نحو مكة ، ولكنه أخفق في تحقيق هذا الطموح .

٢- مساندة القبائل الخولانية ، وبعض الهمدانية له ، وهي التي رحبت بمقدمه، واستقبلته، وناصرته ، وشجعته لاتخاذ الإجراءات السريعة الخاطفة وبحماس جارف .

٣- وجود أتباع لا يقلون عنه حماساً ، وكان منهم من قدم من خراسان عرفوا بالطبريين وهم من زيدية خراسان[٥] ، فقد كانوا يشكلون رافداً مهماً للهادي .

٤- ضعف الدولة العباسية رغم ما بذله الخلفاء العباسيون إلا أن تلك الجهود المبذولة لم يحل دون اندفاع السيل الجارف لفصل جنوب الجزيرة العربية عن الدولة العباسية .

---

[١] العلوي . السيرة ٣٥ – ٣٨ ، ٦٥ ، ٨٠٠ – الجنداري . الجامع الوجيز (ق ٣٠ / أ) .

[٢] الهمداني . الإكليل ١/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ – العلوي . السيرة ١٩٥ – ١٩٨ – نشوان الحميري . الحور العين ١٩٦ – المحلي . الحدائق ١ / ٢٢ – الجنداري . الجامع الوجيز (ق ٣٠ / ب) .

[٣] ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٧٩ – ابن خلدون . التاريخ ٥/٥١٤ .

[٤] العلوي . السيرة ٦٦ – ٦٨ ، ١٤٨ ، ١٩٢ .

[٥] يحيى بن الحسين . طبقات الزيدية الصغرى ٤٧ .

الدولة في عهد الناصر :

ظل الهادي (يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم) يعمل على بناء الدولة الجديدة إلى أن توفي عام ٢٩٨هـ/٩١٠م ، فانتقلت الإمامة إلى ابنه محمد المرتضى دون عهد ولا وصية ، ولم يدم طويلاً لأنه لم يرض لنفسه تولي أمر الإمامة ، فظل عازفاً عنها إلى أن جاء أخوه أحمد فتسلمها ولُقِّبَ بالناصر فقبض على الدولة عام ٣٠١هـ/٩١٣م .

إن ولاية (إمامة) الناصر كانت أطول عمراً لأنه استمر حتى عام ٣٢٥هـ/٩٣٦م ، إلاَّ أن الناصر تحمل العناء الأكبر وذلك لمجموعة من العوامل :

١- أن الناصر لم يكن كشخصية والده الطموحة المقدامة والمغامرة أحياناً .
٢- أن قوة بني يعفر قويت بعد قضائها على دولة القرامطة ، فكان على الناصر أن يهادنها ويعمل على استرضائها حتى لا يصطدم بها .
٣- أن فلول القرامطة ظلوا نشطين فكرياً ومتجمعين على شكل قبلي في آن واحد فكانوا يثيرون للناصر القلاقل بين الفينة والفينة ليشغلوه بإخماد تحركاتهم عن استكمال بناء الدولة خاصة أنهم لم يعد لهم وجود إلا في المناطق التي تحت نفوذه وهي مناطق همدان .
٤- المعاناة من القبائل التي أقضَّت مضجعه ، وتكررت منهم نقض بيعتهم له ، وكان دائم الشكوى منهم إلى حد أنه اضطر لسحب عماله من بعض هذه القبائل ، وامتنع عن أخذ زكاتهم[1] ، وكأنه تخلى عن حكمهم لكثرة ما يسببوه من مشكلات .

الدولة بعد الناصر :

لم يستقر الوضع للزيدية بعد وفاة الناصر (سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م) ونتيجة لمبدأ (الزيدية) في شروط تولي الإمامة ، وهو عدم العهد إلى إمام آخر، إنما من رأى من نفسه قدرة ، وتتوفر فيه الشروط ، فعليه أن يخرج داعياً إلى نفسه شاهراً سيفه ، ونتيجة لهذا المبدأ فقد تنافس على الإمامة ثلاثة من أبناء الناصر (المنصور يحيى – والمختار

[1] مجهول . تاريخ اليمن (ق ٩٣ /ب) – مسلم اللحجي . سيرة الناصر ٥٨ ، ٥٩ .

القاسم – والحسن) ، كل واحد منهم يرى نفسه أحق بها من أخيه ، وثارت الحروب بينهم ، وانتهزت القبائل الفرصة لتقضي على الجميع . وكانت وفاتهم هي أبلغ وسيلة لكي تهدأ أحوال البلاد . فقد توفى الحسن سنة ٣٢٩هـ/٩٤١م ، ثم لحقه المختار سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م ، وكان آخرهم المنصور سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م ، وظهر على إثره ابنه يوسف الذي عرف بالداعي وليس الإمام (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م) ، وعارضه أئمة آخرون من فرع آخر من فروع أبناء زيد بن علي .. وكان أبرز هؤلاء هو القاسم بن علي بن محمد بن القاسم بن إبراهيم المعروف بالقاسم العياني (ت ٣٩٣هـ/١٠٠٢م) ، الذي تمكن من إعادة الهيبة والمكانة للدولة ولكنه لم يدم طويلاً فقد خلفه ابنه الحسين (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م) الذي اعتنق بعض أفكار الشيعة الإمامية الإسماعيلية فنُسبت إليه فرقة بعد ذلك باسم الحسينية[1]. ليبدأ منعطف كبير في مسار الزيدية في القرون التالية ، على غير ما سارت عليه دولة الهادي سواء في الأفكار ، أو في القوة والضعف .

عوامل سقوط الدولة الهادوية (الزيدية الأولى) ونهايتها :

وكما بدأت دولة الهادي شابة فتية مندفعة فقد خبت جذوتها ، وذبل عودها في وقت قصير. وتضافرت العوامل لتهدم الدولة على رأس أصحابها .. وسواء أكانت عوامل غائرة في تركيبة الدولة من داخلها .. في اتجاهها .. ونظامها .. أم كانت عوامل خارجية .

ونبدأ **بالعوامل الداخلية** وأهمها :

١- تمحور الدولة حول شخصية الهادي ، بالرغم مما بذله لإيجاد جيل يؤمن بالفكرة التي يعتقدها ويتحمس لها . ومصداقاً لهذا العامل نجد تضعضع الدولة بمجرد وفاة الهادي .

وتطلعت القوى المحيطة به – قبلية أو غيرها – إلى اهتبال أي فرصة للتخلص من أبناء الهادي[2] ، حتى ابنه الناصر رغم قوته إلا أنه أيضاً لم يبعد كثيراً عما

---

[1] مجهول . تاريخ اليمن (ق ٩٦/ب و ٩٧/ب) – ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٤٣ ، ٤٤ – المحلي . الحدائق الوردية ٦٠/٢ ، ٦٤ – الجنداري . الجامع الوجيز (ق ٤٠/أ – ٤٢/ب) ابن ابي الرجال . مطلع البدور ٥٢/٤ – ٥٦ ،– زباره . أئمة اليمن ٧١/١ – ٨٦ [انظر مشجر الدولة الزيدية الأولى في الملحق رقم (٩)] .

[2] مسلم اللحجي . سيرة الإمام أحمد بن يحيى ٧ ، ٨ .

فعله أبوه من الاعتماد على شخصيته في إدارة الدولة، واتخاذ وسيلة البطش بالقبائل، أو ضرب بعضهم ببعض مما أدى إلى عدم استمرار الوفاء والدفاع عن الدولة .

٢- مبدأ الإمامة عند الزيدية الذي يقتضي بأن الإمام لا يعترف له بالإمامة – بعد توفر الشروط – إلاَّ إذا خرج داعياً إلى نفسه ، وهو مبدأ في ظاهره السلامة وفي حقيقته الخطر ؛ لأنه لا يعصم من الهوى وتدافع المُدَّعين للإمامة ، مما يؤدي إلى الاقتتال بينهم حتى يتغلب الأقوى منهم . وواقع أحفاد الهادي خير مثال على هذا فما أن توفي الناصر سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٦م حتى انبرى ثلاثة من أبنائه يدعي كل واحد منهم أنه الأحق بالإمامة فهدمت صعدة على رأس أبنائها من جراء هذه الفتنة[١] .

٣- اعتماد الدولة على عواطف بعض القبائل الموالية لهم ، واتباع سياسة البطش والقسوة ضد القبائل المناوئة مما ولَّد لديها النفور والكراهية للدولة الهادوية ، بل ولَّد ثارات بين القبائل في المنطقة الواحدة ، ولهذا انتهزت القبائل من الطرفين الفرص للانتقام إما من أبناء الهادي ، وإما من بعضهم البعض .

وأما **العوامل الخارجية** فأهمها :

١- تصدي الدولة العباسية لدولة الهادي في مبدأ نشأتها . ورغم أن العباسيين لم يلقوا بثقلهم في هذا الجانب إلا أن إرسالهم علي بن الحسين المعروف بـ (جفتم) في بداية الأمر والياً على اليمن ، ثم إعطائهم الصلاحية لبني يعفر أن يتصدوا لدولة الهادي وأبنائه كانا عاملين مساعدين في إنهاك قوة الدولة في عهد الهادي .

٢- انشغال الدولة الهادوية في عهد الناصر بمصادمة كل من الإسماعيلية (القرامطة) والخوارج .

فأما الخوارج فقد اعتمدوا على انتماءاتهم القبلية ، وظلوا يسببون المتاعب للهادي وبنيه .. فكانت مواجهتهم في معظم الأحيان عبر المناظرات ، وكتابة الرسائل المفندة لآرائهم . وأما الإسماعيلية (القرامطة) فقد حقق لهم التنظيم الدقيق ، والمعتقدات السرية التي يعتقدونها نصراً سريعاً على معظم الرقعة

---

[١] مجهول . تاريخ اليمن (ق ٩٤/ب – ٩٧/أ) – زبارة . أئمة اليمن ١/٦٥ ، ٦٦ .

اليمنية مما أدى إلى إنهاك قوى دولة الهادي وإن لم يصطدموا بها ، إلا أن الناصر كان من أبرز من شارك في مقاتلة القرامطة في المذيخرة – كما سيأتي فيما بعد – وحتى بعد أن زالت دولة القرامطة ظل وجودهم السري ضمن المناطق التي تدين بالولاء للدولة الهادوية أو قريبة منها . وقد أولاها الناصر جزءاً من اهتمامه الإعلامي الذي كان ينشره ضد القرامطة (الباطنية) .

٣- إن القبائل التي دعت الهادي إلى اليمن ، وساندته وناصرته هي نفسها التي أنهكت قواه . وكادت تودي بحياته .. وهي التي كانت وراء سقوط دولة الهادي في عهد أحفاده[١] . ولعل الدارس لما جاء في سيرة الهادي عن طريقة تعامله مع القبائل المناوئة من بطش وتنكيل وإحراق للمزروعات ، وإطلاق الأحكام بالكفر والفسق والفجور ، كل هذا كان مثيراً للقبائل حتى للقبائل الموالية ، بالإضافة إلى طبيعة بعض القبائل غير المستقرة أو الطامحة إلى مغانم مادية[٢] .

ولقد أدرك الهادي نفسه – ولكن بعد فوات الأوان – هذه الطبيعة، لأن بعضها استغلت انضمامها إليه لتأخذ بثأرها من قبائل أخرى ، إما مناوئة للهادي أو موالية له ، بل إن استعانته وتقريب بعض القبائل أدى إلى استفحال الضغائن بينهم نتيجة الاحتكاك الذي حصل بينهم لقربهم أو بعدهم من مركز السلطة في دولة الهادي[٣] .

ولهذا لما رأت القبائل ما حصل بين أبناء الناصر من صراع وقتال على المصالح ، كان هذا الوضع مبرراً كافياً للانقضاض عليهم جميعاً فأنزلوا في أحفاد الهادي الهزائم المتلاحقة ، ولم يجدوا ملجأ يلجأون إليه[٤].

وهكذا ما أقبل القرن الخامس الهجري إلا والدولة الهادوية قد انتهت في الواقع خاصة بعد أن ادعى الحسين بن القاسم العياني (ت ٤٠٣هـ/١٠١٢م) الإمامة متأثراً

---

(١) مسلم اللحجي . سيرة الإمام أحمد بن يحيى ٥٩ .

(٢) واجه الهادي هذه المصلحة بدفع الكثير من الدراهم والدنانير .. ولعل هذا هو السبب الذي جعل الهادي يضرب دنانير ذات بريق خاص وتصرف بدراهم أكثر (الهمداني . الجوهرتين العتيقتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) ١٧ ، ٧٧ – المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٩٩ – ابن رستة . الأعلاق النفيسة ١١٢ .

(٣) الهمداني . الإكليل ٤٢٥/١ – العلوي . السيرة ٤١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٢٦ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ٢١١ .

(٤) الجنداري . الجامع الوجيز (ق ٣٦/أ و ٤٠/أ و ٤٢/ب) – ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٤٣ ، ٤٤ – المحلي . الحدائق الوردية ٦٠/٢ ، ٦٤ – ابن أبي الرجال . مطلع البدور ٤/ ٥٢ – ٥٦ – زبارة . أئمة اليمن ٨٥/١ .

بأفكار الشيعة الإمامية الاثنا عشرية والإسماعيلية لتنشأ بذلك فرقة (الحسينية) في القرن الخامس الهجري[١]. فاختفت الدولة الزيدية إلاَّ من بعض الجيوب النائية هنا أو هناك ، لتستعيد وجودها بعد ذلك في القرن السادس الهجري على أوسع نطاق .

الفرقة الثالثة : الإسماعيلية – الباطنية – القرامطة :

التعريف بالإسماعيلية ومسمياتها :

هناك أسماء كثيرة لفرق انبثقت من فرقة الإسماعيلية[٢] ، أو الباطنية أو هي مسميات لمسمى واحد ، ولكن الاختلافات قد تكون في التطبيقات لا في الأصول ومن هذه الأسماء (القرمطية) ، (الفاطمية) و (الصليحية) و (اليامية) و (المكارمة) و (النصيرية) و (العلوية) و (الحشاشين) و (البهرة) .. الخ .

فأما (الإسماعيلية) فهي نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق .. بينما (الباطنية) فقد أطلق عليهم هذا الاسم لاعتقادهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً . وقد تولى جعفر بن منصور اليمن في كتابه (سرائر وأسرار النطقاء) تأويل علم الباطن لكل ما جاء في القرآن الكريم من قصص الأنبياء[٣] .

ويطلق عليهم (السبعية) لاعتقادهم بأن تاريخ البشرية يمر بسبعة أدوار ، وأنهم وقفوا عند الإمام السابع : محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق[٤] .

أما (القرمطية) فهي نسبة إلى حمدان قرمط أحد دعاة الإسماعيلية ، وقد أُطلق هذا الاسم على إسماعيلية البحرين – الاحساء – وإسماعيلية اليمن . وقد انقرض اسم القرامطة الآن[٥] .

---

[١] أحمد بن سليمان . الحكمة الدرية والدلالة النبوية ١٣٧ .

[٢] رغم أن اسماعيل توفي قبل أبيه ، إلاَّ أن أتباعه يعتقدون أن جعفر الصادق عهد بالإمامة إلى ابنه إسماعيل فأخذها عنه ابنه محمد .

[٣] العبد الجادر . هامش كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم لأبي القاسم البستي ١٨٩ .

[٤] المصدر نفسه ٥٣، ٥٤ .

[٥] المصدر نفسه ٣٢ . يقول عنهم (دي خويه . القرامطة ١٦٣) : إنهم يشبهون في طرائقهم ما تفعله الماسونية من تنظيمات سرية (انظر :إحسان إلهي ظهير . الإسماعيلية . فهو من أوسع ما كتب عنهم) .

وأما (الفاطمية) فهم الذين أقاموا دولة في مصر والشام ابتداءً من المغرب ، ولكن بعض المصادر تطلق عليهم (العُبيدية) . (٢٩٧هـ/٩٠٩م – ٥٦٧هـ/١١٧١م) .

وأما (الصُّليحية) فهي نسبة إلى قبيلة الأصلوح التي يُنسب إليها علي بن محمد الصُّليحي الذي أقام دولة في اليمن (٤٣٩هـ/١٠٤٧م – ٤٩٥هـ/١١٠١م) وانتسبت في عقيدتها إلى الإسماعيلية .

وأما (المكارمة) فهي و (البهرة) و (الداوودية) و (السليمانية) قريبة من بعض مع وجود اختلافات بينهم ربما بعضها جوهرية .. فالمكارمة نسبةً إلى المكرم زوج الملكة أروى بنت أحمد الصليحي وهم إسماعيلية اليمن في العصر الحديث .. بينما (البُهرة) إسماعيلية تقوم في نشاطها على التجارة في أكثر من دولة ، ولكن مقرهم في الهند وزعامتهم هندية ، وأما (السُّليمانية) فهم إسماعيلية نجران ، وربما عُرفوا باليامية نسبة إلى قبيلة (يام) الهمدانية التي احتضنت الفكر الإسماعيلي في دور الستر ، وهناك تنافر بين المكارمة والداوودية لأن هؤلاء لهم طقوس شركية على خلاف المكارمة[1] .

وأما (النصيرية) و (العلوية) فهما اسمان لفرقة واحدة من غلاة الإسماعيلية في الشام ، وأصولهم إسماعيلية ، والنصيرية قيل نسبة إلى نصير غلام علي بن أبي طالب ﷺ ، أو إلى محمد بن نصير النميري ، وكان قد اتخذ لنفسه لقب الباب سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م وهذا هو الأشهر وهم لا يحبون هذه النسبة بل يفضلون نسبة العلويين وهم يجعلون لعلي رضي الله عنه قداسة إلهية ، ويعتقدون أن النبي مختص بالظاهر وأما علي فيختص بالباطن .. ولهم عقائد عجيبة[2] .

وأما (الحشاشين) فهي فرقة قد انقرضت ، وهذا الاسم أطلق عليهم من قبل مناوئيهم لاستخدامهم الحشيش في تدريب أتباعهم الذين كانوا يرون أنفسهم أنهم يقومون بأعمال فدائية ضد أعدائهم .

وجميع (الإسماعيلية) يعتقدون بوجود الإمام في كل العصور ، ولكنه إمام في الستر ، ويطلقون عليه (القائم) أو (المهدي) ، وللإسماعيلية مصطلحات هي التي يتعاملون بها فيما بينهم منها :

---

[1] علوي طه الجبل . الشيعة الإسماعيلية (رؤية من الداخل) ٢٥ ، دار الأمل ، القاهرة .

[2] محمد كرد علي . خطط الشام ٦/ ٢٦٥–٢٦٨ . وانظر : دائرة المعارف الإسلامية مادة (النصيري) .

- **(النطقاء) جمع ناطق وهو النبي وهم– في عقيدتهم – سبعة : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ثم القائم أي الإمام الإسماعيلي محمد بن إسماعيل[1] .**
- **(الأساس) وهو (الوصي) وهو الذي – حسب اعتقادهم – يبين الحقائق الباطنية لأن الشرائع تتغير[2] .**

وحسب مصادر الإسماعيلية نفسها فإن عقيدتهم تقوم على الفلسفة والرمزية ، والغموض، والعموميات، ومما يؤكد ذلك جزمهم بأن رسائل إخوان الصفا هي مما كتبوه[3] وهي تقوم على الفلسفة والرموز الفلكية ، وكتبهم التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي تؤكد ذلك .

فعقيدة الإسماعيلية عقيدة فلسفية متطورة كما يصفها أتباعها[4]، وهي تعتمد الباطن على الظاهر ، وتعتبر الباطن هو الحقيقة وهو ما يحيا به الخواص ، والظاهر هو الشريعة وهو ما يسير عليه العوام ، وأنه لا ظاهر إلاَّ وله باطن[5] . ومن هنا فان تأويلهم الباطني لكل مبادئ الإسلام جعلهم يخرجون بعقيدة خاصة بهم ذكرتها كتبهم ... هذه العقيدة شاملة : للألوهية ، والتوحيد ، والوحي ، والنبوة ، والرسالة ، والإمامة سواء أئمة الستر أو أئمة القيامة (أي قيامهم وظهورهم) ، وعصمتهم ، واليوم الآخر ، والبعث ، والحساب ، والجنة والنار ، ونظرتهم لشيوع المال والنساء[6].

---

[1] الحامدي . كنز الولد ٢٠٦، ٢١٦، ٢١٧ – جعفر بن منصور اليمن . سرائر وأسرار النطقاء ٢١ – غالب . الإمامة وقائم القيامة ٣٠٣ – البُستي . كشف أسرار الباطنية ٢٨٤ (في كتاب : العبد الجادر) .

[2] ابن منصور اليمن . سرائر وأسرار النطقاء ١٢١ – الحامدي . كنز الولد ٢١٩ – أبو القاسم البُستي . كشف أسرار الباطنية وعوار مذهبهم ٢٨٤ (في كتاب : العبد الجادر) .

[3] القرشي . إدريس عماد الدين . عيون الأخبار ٣٦٧/٤ – ٣٩٣ – مصطفى غالب . تاريخ الدولة الإسماعيلية ١٤٩–١٥١ – رسائل إخوان الصفا . تحقيق / عارف تامر ١٠–٣٠ .

[4] مصطفى غالب . تاريخ الدعوة الإسماعيلية ١٣ .

[5] جعفر بن منصور اليمن (إسماعيلي) . العالم والغلام ٣٤ (ضمن أربع كتب حقانية) – الطيبي . الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ٦٨ .

[6] انظر تفصيلات هذه العقيدة في كتاب : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها للدكتور / محمد أحمد الخطيب ٨٥ – ١٦٨ . ومن كتب الإسماعيلية : تأويل الدعائم للنعمان ، وأسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ، وشجرة اليقين لعبدان ، والذخيرة في الحقيقة لابن الوليد ، وكنز الولد للحامدي .

إن الغوص في عقائدهم تلك واعتماداً على ما جاء في كتبهم المعتمدة عندهم يرجح الباحث وصفهم بأنهم يحملون عقيدة خاصة بهم تقوم على فلسفة فارسية زرادشتية ويونانية قديمة وهندية بالإضافة إلى الأفكار اللاهوتية اليهودية والنصرانية .. أما رجوعهم إلى القرآن فلا يعني شيئاً يفيد التزامهم به "فليست تعاليم القرآن كلها إلاَّ صوراً للحض على طاعة الإمام طاعة تامة .. والمؤمنون الحقيقيون هم أولئك الذين يؤلون الوحي الإلهي على هذا النحو ، وأما الذين يأخذون القرآن والسنة على ظاهرهما الحرفي فلا يستحقون أن يسموا مسلمين بل هم حمير كافرون "[1] هكذا يقولون وهكذا يعتقدون .

خطة الإسماعيلية لقيام دولتهم :

حسب مصادر الإسماعيلية فإن الإمام الذي كان في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري كان يسمى الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح[2]، وهو والد عبيد الله المهدي أول إمام ظهر في المغرب[3]. وكان اليمن – بحكم موقعه كونه من أطراف بلاد الإسلام ، وبعيداً عن مركز الخلافة – مطمعاً لكل صاحب مذهب ، بل ولكل ذي مطمح شخصي .

فكانت الإسماعيلية من أوائل من رسم خطة ترمي إلى إقامة دولة في اليمن منفصلة عن دولة الخلافة العباسية ، ووضعت خطة بديلة موازية وهي إقامة الدولة الإسماعيلية في المغرب وليس في اليمن ، وقد تكون الخطة – كونها سرية – لا يعلم بها إلا القليل من القيادة الإسماعيلية ، فاليمن مكان متميز لقيام دولة إسماعيلية ، ولكنه يقع جنوب مكة وسرعة السيطرة عليه ممكنة ، ولذا لابد من مقر بديل ربما يكون أكثر أمناً للدعوة الإسماعيلية وهو المغرب ، وفي أوساط قبائل بدوية يمكن السيطرة على عقولهم بسهولة .. وقد ركَّزت القيادة الإسماعيلية على المغرب ، صارفة النظر عن اليمن . وربما حدث هذا التحول إضافة إلى ما سبق علم قادتهم بأن وجود (الزيدية) في اليمن ، وعلى رأسها يحيى

(1) دي خويه . القرامطة ١٣٩ . وهذه الأفكار نقلها من كتاب تأويل الزكاة للإسماعيلي جعفر بن منصور اليمن (مخطوط . ليدن رقم (١) ٢٦١٣) .

(2) النعمان . افتتاح الدعوة ٤٤ ، ٤٥ – دي خويه . القرامطة ١٥٢-١٥٧ .

(3) إدريس عماد الدين . عيون الأخبار . السبع الرابع ٤٠٣ .

بن الحسين يحول دون تحقيق هدفهم ، وأن من الخير لهم أن يحرثوا في أرض لا ينازعهم فيها أحد .

ورغم هذا فكما يبدو لم يستبعدوا اليمن من خُطَّتهم تماماً ، بل أبقوا عليها لأسباب منها : أن تكون بديلاً احتياطياً إذا ما فشلت الخطة في مكان تنجح في مكان آخر ، أو لفتح جبهة أخرى تشغل مناوئيهم عن تحركاتهم في بلاد المغرب ، أو لإحكام القبضة على الدولة العباسية من مغربها ومشرقها في آن واحد إن نجح الجناحان . ولا داعي هنا للحديث عن تنفيذ الخطة الإسماعيلية في المغرب ، وإنما سنركز على اليمن فقط .

تنفيذ خطة الإسماعيلية في اليمن :

لقد سارت الخطة الإسماعيلية في اليمن في خطوات وئيدة ، ونفذت على مهل ، وحسب ما رسم لها في أدوار ثلاثة :

أ. بدأت بدور الستر والسرية والإعداد الدقيق .

ب. ثم تلا ذلك دور الإعلان عن أنفسهم بأنهم يدعون إلى إقامة حكم عادل . غير الحكم القائم الظالم ، ولا يظهرون أياً من أفكارهم .

ج. ثم دور الإعلان أو الكشف ، الذي يكشف الباطن والذي عرف بمذهب القرامطة في بعض المصادر .. أو هو في الحقيقة كشف الأفكار الباطنية الإسماعيلية التي ما كانوا ليكشفوها إلا حينما يتمكنون من السلطة .

ورغم أن هذه الأدوار لها خلفيات اعتقادية ، وإجراءات تنظيمية كثيرة لا يتحملها مثل هذا الكتاب العام ، إلاَّ أنه لابد من الحديث عن كل دور على حدة فيما يتعلق بتطبيقها في اليمن مع الإشارة إلى المتطلبات الضرورية الفكرية والتنظيمية وآثارها في كل دور .

أولاً : دور الستر والإعداد :

كانت أولى خطوات الإسماعيلية هي الإعداد الدقيق معتمدين فيها على السرية ، ودغدغة عواطف الشيعة أو من كان يميل إلى العلوية ، وحب آل البيت ، وهذا شعور يوجد لدى كثير من المسلمين ، إلا أن الشيعة الإمامية (الاثنا عشرية) كانوا أكثر حماساً ، فكانوا هم (الرصيد) للشيعة الإسماعيلية ، فقد استقطبوا الكثير منهم إلى الفكر الإسماعيلي وتوجهاته ، رغم أن الشيعة (الاثنا عشرية) لا تؤمن بقيام أي نظام سياسي حتى

يأتي الإمام المنتظر ، ومع هذا فقد قامت النواة الأولى للإسماعيلية في اليمن في أوساط الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في كل من (عدن أبين) الواقعة في الجنوب الشرقي من اليمن، و (عدن لاعة) الواقعة في الشمال الغربي من اليمن . ومن هاتين المنطقتين خرجت الإسماعيلية [١] .

وتوحي الإشارات الواردة في المصادر الإسماعيلية والمصادر المناوئة لهم على حد سواء إلى أن ترتيبا سرياً قد جرى لإرسال علي بن الفضل (الذي كان اثنا عشرياً قبل تحوله إلى الإسماعيلية) من اليمن إلى العراق لمقابلة قادة الإسماعيلية والتعرف على ما ينبغي عليه أن يفعله[٢]. فقد ذهب علي بن الفضل لأداء الحج ، ومن هناك ذهب إلى الكوفة لزيارة المشاهد الشيعية –كما يعتقد بعض الشيعة بلزومية ذلك للحج – وفي الكوفة قابل الداعي أو الحجة أو الحجاب – حسب المصطلحات الإسماعيلية – الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح عام ٢٦٦هـ / ٨٧٩م والذي تقول المصادر الإسماعيلية بأنه إمام العصر المستور[٣] ، إلا أنهم هنا يطلقون عليه ألقاباً أخرى كالحجة كي لا يكشف ، وقد وجدت حكايات – في المصادر الإسماعيلية والمناوئة لهم – تؤكد على أن علي بن الفضل اسْتُقْبِل كأنه هو الشخص (المنتظر) لتحقيق آمال الإمام ، وعلى هذا ظل في الكوفة سنتين تحت التدريب ، حتى استكمل تأهيله الفكري ، ثم جمع بينه وبين الحسن بن فرح بن حوشب المكنى بأبي القاسم الذي أطلقوا عليه فيما بعد (منصور اليمن)، وزوّدا بالتعليمات اللازمة ، وكان من ضمن تلك التعليمات أن يستقر كل واحد منهما في منطقة من اليمن حددت لهما سلفاً ، فخرجا من الكوفة عام ٢٦٨هـ/٨٨١م ليستقر علي بن الفضل في الجنوب الشرقي من اليمن وهي (عدن أبين) ، بينما سار ابن حوشب إلى

---

[١] القاضي النعمان (إسماعيلي) . افتتاح الدعوة ٤٤ ، ٤٥ – الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٤١ – الوصابي . الاعتبار ٢٣ – ادريس عماد الدين (إسماعيلي) . عيون الأخبار وفنون الآثار ٣٦/٥ ، ٣٧ – ابن خلدون . التاريخ ٧٦٠/٦ .

[٢] الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٤٢ – إدريس عماد الدين (إسماعيلي) . عيون الأخبار ٣٦/٥ – النعمان (إسماعيلي). افتتاح الدعوة ٤٤ ، ٤٥ . كان علي بن الفضل قبل تحوله إلى الإسماعيلية شيعياً إمامياً (الوصابي . الاعتبار ٢٣ – الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٢١) .

[٣] إدريس عماد الدين (إسماعيلي) . عيون الأخبار ٤٠٣/٤ .

الشمال الغربي وهي (عدن لاعة) واستقر بها[1] .

استمرت هذه المرحلة – مرحلة الستر والإعداد والاستعداد – أكثر من عشرين عاماً استخدمت فيها أساليب عدة منها :

١) السرية المحكمة .

٢) إظهار الزهد والتعبد والتنسك واتخاذهما سبيلاً إلى قلوب الناس .

٣) تظاهرهم بالرغبة في العزلة عن الناس ، وكان لا يأتيهم إلاَّ المريدون لهم .

٤) التدخل لحل مشاكلهم ، وفض النزاعات بينهم ، ولم يتم هذا إلا بعد أن تمكنوا من التأثير على عقول الناس فوثقوا بهم وصار لهم وجود ملحوظ في حياتهم .

٥) تحولهم إلى وجهاء وللقبائل نصحاء ، فقد استغلوا تجمع الناس من حولهم ، ومن منطلق حماية حقوق القبائل دفعوهم إلى بناء الحصون حتى يحموا أنفسهم .

وحينما صار لهم نفوذ وقوة إذا بهم يصطدمون بمن حولهم من القوى القبلية المناوئة لهم ، أو المرتبطة بالدولة العباسية ، ولضعف هذا الارتباط سهل عليهم التغلب عليها بسرعة ، وضمها إلى نفوذهم . ولكن لم يصلوا إلى هذه النتيجة بسرعة بل لقد امتدت مرحلة الإعداد هذه أكثر من عشرين عاما حيث استمرت حتى عام ٢٩٠هـ / ٩٠٢م ، دون أن يظهروا أنهم يشكلون قوة مناوئة للدولة العباسية أو القوى المحلية الحاكمة .. مع العلم أن اليمن في هذا الوقت كانت تُحكم باسم الدولة العباسية ، والدولة اليعفرية هي الممثلة لهم ، إلا أنها كانت في هذه المدة في أضعف حالتها .. وإلى جوارها تقوم كيانات سياسية قبلية في أكثر من منطقة كالمناخيين في (المذيخرة) في الجنوب ، و(الشراحيين) في الغرب في تهامة وزبيد ، وكيانات غامضة التوجه في حضرموت ، من ضمنها كيان (الإباضية) الذين كانوا يدينون بالولاء لإمام لهم دون أن يكون له سلطة حاكمة معلنة[2] .

هذا إلى جانب الوجود العلوي (الزيدي) في صعدة وامتداده إلى صنعاء بقيادة الهادي يحيى بن الحسين ، فوضع اليمن السياسي مهلهل وقابل لأي قيادة مؤثرة تستطيع مسك الزمام بحكمة ، وقد بدأها يحيى بن الحسين في الشمال عام ٢٨٤هـ/٨٩٧م ،

---

[1] النعمان . افتتاح الدعوة ٤٤ ، ٤٥ – مصطفى غالب (الدكتور) . تاريخ الدعوة الإسماعيلية ١٥٢ – ١٥٧ – الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٤٢ .

[2] الهمداني . صفة جزيرة العرب ١٧٥ .

ولهذا كان الوقت مواتياً لتنتقل الإسماعيلية من الدور الأول (دور الستر) ، إلى الدور الثاني (دور إعلان الظاهر) .

ثانياً : دور إعلان الظاهـر :

بدأ دور التحرك الإسماعيلي ليظهروا على شكل قيادة وكيان ، دون أن يعلنوا أنهم يحملون فكراً مغايراً لما كان عليه الناس ، ففي الوقت الذي كان فيه التحضير لإعلان قيام دولة الإمام الإسماعيلي في بلاد المغرب وعلى رأسها (الإمام) عبيد الله المهدي ظهر كلٌ من علي بن الفضل من عدن أبين ، وابن حوشب من عدن لاعة عام ٢٩٠هـ/٩٠٢م فاكتسح كلٌ منهما المناطق الملاصقة له حتى وصل كلٌ منهما إلى صنعاء عام ٢٩٣هـ/٩٠٥م[١] .

وكان علي بن الفضل – حسب الخطة التي قيلت له حينما جاء من الكوفة – يهيئ اليمن لاستقبال الإمام ، ولكنه فوجئ بإعلان ظهور الإمام في المغرب عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م – وفق خطة القيادة الإسماعيلية التي ذكرناها آنفاً – فانقبض من ذلك التغيير في سياسة القيادة الإسماعيلية ، ومع هذا واصل تحركاته في التوسع لقيام دولة وتثبيت دعائمها .

وأحب أن ألفت النظر هنا إلى أننا لم نجد – من خلال ما استقصيناه في المصادر المتوفرة بين أيدينا – اسماً محدداً كان يطلق على هذه الدولة من قبل أصحابها داخل اليمن رغم ما بذلناه من جهد ، إلاَّ إذا اعتبرنا ما أطلق على (إسماعيلية المغرب) ينطبق على (إسماعيلية اليمن) وهو مسمى (الفاطميين) مع العلم أنهم كانوا يصدرون أعمالهم ومخاطباتهم باسم (الإمام) و (أمير المؤمنين)[٢] ويقصد به الإمام الإسماعيلي .

وكانت الطريقة والكيفية التي بدأ بها كل من علي بن الفضل وابن حوشب واحدة وهي الاستيلاء على أحد الحصون ثم الانقضاض على القوى القبلية المجاورة أولاً بأول[٣] .

لقد تمكن الإسماعيليون في غضون ثلاث سنوات من بسط نفوذهم على رقعة واسعة من اليمن ، فعلي بن الفضل استطاع أن يتغلب على كل القوى المحيطة به التي أثبتت

---

[١] الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٤٨-٥١ – إدريس عماد الدين (إسماعيلي) . عيون الأخبار ٣٧/٥ – الوصابي . الاعتبار ٢٣ .

[٢] النعمان (إسماعيلي) . افتتاح الدعوة ٤١ .

[٣] إدريس (إسماعيلي) . عيون الأخبار ٣٧ . الوصابي . الاعتبار ٢٣ .

– عملياً – هزالها وضعفها ، بينما لم يتمكن صاحبه ابن حوشب قياساً إلى ما فعله ابن الفضل من بسط سلطانه على من حوله ، لأن المنطقة التي كان فيها ابن حوشب تتميز بوعورة طبيعتها ، وشدة مراس أهلها ، بالإضافة إلى وجود دولتين قريبتين منه : اليعفرية المرتبطة بالدولة العباسية رغم ضعفها ، والهادوية ذات الهوية الزيدية وبقيادة شخصية قوية وهي شخصية الهادي يحيى بن الحسين .. ومع هذا فإن النصر الذي حققه ابن الفضل في المناطق الجنوبية من اليمن جعله يتقدم شمالاً لمواجهة تلكما الدولتين حتى استطاع دخول صنعاء عام ٢٩٣هـ/٩٠٥م[١] ، والتقى بابن حوشب في صنعاء ،ولم يتوقف ابن الفضل عند هذا الحد بل أراد ضم المنطقة الغربية التي كانت هي الأخرى ضعيفة وغير متماسكة ، على عكس المناطق الشمالية (همدان وخولان وصعدة) . ويبدو أنه لم يخطر في بال ابن الفضل ولا ابن حوشب أن يتوجها إليها لوجود دولة ناشئة وهي (الهادوية) لأن الصدام بها يُعد انتحاراً ، ولذا كانت خطة ابن الفضل الاستيلاء على المنطقة الغربية (تهامة) لتكتمل الحلقة بالتواصل مع المنطقة الجنوبية ، إلا أنه قوبل بمعارضة رفيقه ابن حوشب الذي كان يرى التريث ، وتمكين السيطرة على ما تحت أيديهم ، لكن ابن الفضل أصر على خطته فاكتسح مدن تهامة كلها[٢] . وهنا بدا لعلي بن الفضل بعد هذا النصر الكاسح أن يتخذ لنفسه خطاً آخر غير خط الإسماعيلية العام الظاهر الذي لا يعلن عن فكر الإسماعيلية الباطني .. وهو الانتقال للدور الثالث .

ثالثاً : دور كشف الباطن (القرمطة) :

تزامن ظهور الطور (القرمطي) الإسماعيلي الجديد في اليمن مع ما كان يدور وسط قيادة الحركة الإسماعيلية من خلاف حول إمكانية إظهار الباطن أو السير على ما هم عليه . ويبدو أن القيادة الإسماعيلية التي تمكنت من بسط سلطانها على المغرب تحت ستار الزهد والتنسك لم يكن في وسعهم أن يظهروا كل ما يبطنون من أفكار . ولهذا أعلن علي بن الفضل عدم رضاه عما يقوم به (الإمام) في المغرب ، مستغلاً طموحه الشخصي ،

---

[١] الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٢٦٣ – الهمداني . الاكليل ٤٨/٨ ، ١٠٨ – الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٥٦ – ٦١ – الجندي . السلوك ٦٤ – ٦٦ – عمارة . تاريخ اليمن ٦٤ .

[٢] الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٦١ – ٦٢ – الجندي . السلوك ٦٤ – ٦٨ .

والظروف التي ساعدته على النصر على القوى الموجودة في اليمن ، وكان طامعاً أن يكون هو وابن حوشب (منصور اليمن) يداً واحدة في هذا الاتجاه ، ولكن الأخير كان أكثر التزاماً بالخط الذي تسير عليه قيادة المغرب للحركة الإسماعيلية ..

وأما الأسباب التي أدت إلى إظهار الباطن وتولي ابن الفضل لهذا الدور فهي عديدة :

منها : الشقاق والانشقاق الذي حصل في القيادة الإسماعيلية نفسها في المغرب مما أدى إلى قتل أبي عبيد الله الشيعي عام ٢٩٨هـ/٩١٠م ، أي بعد عام واحد فقط من إعلان الدعوة (الفاطمية) الإسماعيلية ، والذي توحي بعض الروايات بأن سبب قتله أنه كان يشكك في شخصية عبيد الله المهدي ، وأنه ليس الإمام الذي كان يعرفه[١] .

ومنها : الغرور الشخصي الذي صاحب علي بن الفضل من جراء نشوة النصر الذي حققه .

ومنها : وجود سابقة تاريخية له حيث وجد أن مثل هذه الخطوة قام بها من قبله أبو سعيد الجنابي في البحرين[٢] عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م الذي استند في إعلانه على الأفكار الباطنية للإسماعيلية فأقام دولة قرمطية ، فكانت هذه السابقة هي السبب القوي والمباشر الذي دفع ابن الفضل للإقدام على هذه الخطوة .

فالمذهب الإسماعيلي معروف بأنه باطني الأفكار[٣] ، وينبغي حسب خطتهم العمل من خلال الظاهر ، ولا يكشف الباطن إلا إن أصرت بعض قياداتهم على كشف ما أبطن من أفكار لظروف يرونها كما فعل أبو سعيد الجنابي وابن الفضل أو ما يمكن أن نسميه الجناح القرمطي للإسماعيلية عموماً ، فقد أراد هذا الجناح كشف الباطن والعمل به[٤]. فالقرامطة هم جزء من الإسماعيلية إلاَّ أن القرامطة هم أكثرهم حماساً لتطبيق مبادئ الإسماعيلية غير المكشوفة للناس[٥] التي هي مستمدة من عقيدة فلسفية ، وهذا ما يقوله أتباعها[٦] .

---

[١] القاضي النعمان (اسماعيلي) . افتتاح الدعوة ١٤٩ – ادريس عماد الدين (اسماعيلي) . عيون الأخبار ٥/٩٥ ، ٩٦.

[٢] الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٣٨ .

[٣] والباطن هذا لا يعلم تأويله إلاَّ الإمام ، أما النبي فيختص بالتفسير للظاهر فقط (انظر : مصطفى غالب (اسماعيلي) . الحركات الباطنية في الإسلام ٩٢ ، ٩٣ .

[٤] عبد الجبار الهمذاني . تثبيت دلائل النبوة (ضمن كتاب أخبار القرامطة) ١٤٩ .

[٥] مصطفى غالب (اسماعيلي) القرامطة بين المد والجزر ٣٣٥ – ٤٤٠ .

[٦] مصطفى غالب (اسماعيلي) . تاريخ الدعوة الإسماعيلية ١٣ .

وكان من أبرز مظاهر هذا الطور في اليمن – طور كشف الباطن – هو الخلاف الدامي الذي حصل بين ابن الفضل وابن حوشب في عامي ٢٩٧ و ٢٩٨هـ/ ٩٠٩ و ٩١٠م ، وهما العامان الذي ظهر فيهما في المغرب عبيد الله المهدي ، وتم قُتل أبو عبيد الله الشيعي .. وهذا من الموافقات الملفتة للنظر.. فهل يا تُرى هي عفوية أم من ورائها تدبير؟!.

فقد نشبت بينهما حرب وصل خبرها إلى عبيد الله المهدي (الإمام الفاطمي) في المغرب وحاول التدخل بين الرجلين ليحول دون كشف المبادئ الإسماعيلية . لذلك أرسل رسولاً إلى اليمن ليحل الإشكال ، وليوقف التوجه لكشف الباطن في هذا الدور ، إلاَّ أن رسوله لم يفلح لأنه وجد أن القوم قد أظهروا الباطن ، ولا سبيل إلى رأب الصدع وأرسل بذلك رسالة إلى عبيد الله المهدي[١] .

قضايا تتعلق بكشف الباطن :

من أبرز ما حدث في هذا الطور ما أثارته المصادر غير الإسماعيلية صراحة حول علي بن الفضل ، فقد نُسبت إليه وأتباعه ثلاث قضايا عدها البعض تُهماً .. وهي : ادعاء النبوة ، وإسقاط الفروض الإسلامية أو تعديلها ، واستباحة المحرمات[٢] .

وفي الجانب المقابل هناك من استبشع ما وصمت به الإسماعيلية من معتقدات ، ودفعوا عنهم ما قيل عنهم بحجة أن هذه الأفعال لا تعقل عن أناس يعتقدون أنهم مسلمون ، وأنهم عرب أقحاح .

وقبل أن نناقش هذه القضايا لابد من توضيح أمر يتعلق بطبيعة الاعتقاد لأي إنسان ، أيّاً كان هذا الاعتقاد ، فليس كل شريف ووجيه لا يعتقد إلا المعتقد السليم ، فالاعتقاد لا علاقة له بالشرف والمكانة والحسب والنسب ، فقد كان كبراء قريش يعبدون أصناماً مصنوعة من (عَجَّة = تمر) ، فإذا جاعوا أكلوا آلهتهم ثم يصنعونها مرة أخرى ، وإذا ما رأيت إلى كبراء الهند كغاندي مثلاً الذي كان يعتقد أن البقرة إلهه وهذا في القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين للميلاد ، وتجد كبراء النصرانية يعتقدون أن للرب ابناً وأُماً ، ولا نستغرب أن نجد طوائف في هذا القرن من يعبد الشيطان .. فكيف يُستغرب وجود طوائف تعتقد مثل تلك المعتقدات التي تنسب إلى الإسماعيلية .. ومع ذلك فهل تلك المعتقدات

---

(١) عبد الجبار الهمذاني . تثبيت دلائل النبوة ١٤٩ .

(٢) الحمادي . كسف أسرار الباطنية ٥٨ – العلوي . سيرة الهادي ٣٩٣ – ابن الديبع . قرة العيون ١/١٩٦ .

مما يتضمنه هذا الدور من أفكار اسماعيلية باطنية يسعى أصحابها إلى كشفها ما داموا قد تمكنوا .. أم أن هذه الأفكار لها تأويل خاص عند الإسماعيلية لم يفهمها مناوؤهم ، فصارت تهماً موجهة ضدهم ؟!.

ولا أعتقد أننا في حاجة إلى تفنيد كامل لهذه القضايا ومدى صلتها بعلي بن الفضل والإسماعيلية أم لا ؟ ولكننا هنا سنضطر للإيجاز ، لافتين نظر القارئ إلى أننا سنرجع إلى المصادر الإسماعيلية وحدها ، وإذا أضفنا إليها مصادر أخرى فما هي إلا من قبيل الاستزادة من المعلومات فقط . حتى نبتعد عن شبهة التحامل عليهم ، ومن خلالها سنتعرف على حقيقة هذه القضايا الثلاث لدى الإسماعيلية ، وكيف كانوا يفهمونها ، وكيف كانوا يطبقونها أو يسعون لتطبيقها .

القضية الأولى : ادعاء النبوة لأئمتهم :

بالرجوع إلى كتب الإسماعيلية دون غيرها نجد تقديساً وتنزيهاً للأئمة ، وأولهم علي بن أبي طالب إلى حد أن أحدهم يقول[1]: "فكما أن الله واحد أحد فرد صمد لا شريك معه في ملكه ، ولا صاحبة ، ولا ولد . كذلك مولانا علي –عليه السلام– واحد في فضله ، أحد فرد صمد لا شريك له فيه ، ليس كفوا أحد" .

وللإسماعيلية تأويلات وأسماء ومصطلحات ومنها : (الناطق) وهو (النبي) الناطق بالشريعة ، أو صاحب الكشف الذي يأتي في بداية كل دور من أدوار الحياة الدنيا السبع ، ويعدون سبعة نطقاء : آدم ونوح وإبراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام جميعاً ويضيفون (القائم) وحسب اعتقادهم هو محمد بن اسماعيل . و(القائم) في اعتقادهم إذا ظهر وقام فإنه ينسخ الشريعة السابقة له وهو السابع من الرسل حسب اعتقادهم[2] .

وعندهم مصطلح (الأساس) وهو (الوصي) وهو صاحب مرتبة تبيين الحقائق المكنونة في الباطن التي لا تتغير ، بينما الشرائع المتعلقة بالناطق أي النبي فهي تتغير[3] ، لأن أهل

---

[1] الحامدي . كنز الولد ٢١٨ .

[2] ابن منصور اليمن (إسماعيلي) . سرائر وأسرار النطقاء ٢٢-٢٤ ، ٢٩ – مصطفى غالب (إسماعيلي معاصر) . الإمامة وقائم القيامة ٣٠٣ – الحامدي (إسماعيلي) . كنز الولد ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٦ – شهاب الدين . أبو فراس (إسماعيلي) . مطلع الشموس في معرفة النفوس ٣٢ ، ٣٣ (الرسالة الأولى من رسائل الإسماعيلية إخراج / عارف تامر).

[3] ابن منصور اليمن (إسماعيلي) . سرائر وأسرار النطقاء ١٢١ ، ١٢٢ – الحامدي (إسماعيلي) . كنز الولد ٢١٩ .

ظاهر الشريعة هم أهل الشك والارتياب ، وأما أهل الباطن فلهم الثواب والرحمة .

بناءً على ذلك كله فإن اعتقاد الإسماعيلية في أئمتهم هذا الاعتقاد هو الذي جعل مناوئيهم يعتقدون بأن علي بن الفضل ادعا النبوة . وهو في الحقيقة لم يدع النبوة ، وإنما أظهر اعتقاده الحقيقي في الإمام الإسماعيلي ، وأنه نبي أو هو في مرتبة فوق مرتبة النبي . فالنبي يختص بالظاهر بينما الإمام يختص بالباطن وهو الحقيقة.. إلى حد أن جعفر بن منصور اليمن يقول كما نقله عنه الحامدي[1] : " إن الله لا يقبل توبة نبي ، ولا اصطفاء وصي ، ولا إمامة ولي ، ولا عمل طاعة من عامل ، ولو تقطع في العبادة واجتهد إلا بولاية علي بن أبي طالب" .

القضية الثانية : إسقاط الفرائض الإسلامية :

فهم في الحقيقة – نتيجة رؤيتهم ا لباطنية للنصوص – يؤولونها تأويلات يخرجونها عن مفهومها المعروف عنها في الكتاب والسنة إلى صورة أخرى ، حيث جعلوها رموزاً لطاعة الإمام والولاء له : فالصلاة ليست هذه الصلاة المعروفة عند المسلمين ، بل هي الاتصال بالإمام[2] ، والصوم هو كتمان سر الإمام[3] ، والحج هو إقامة الإمام وتأييده[4] ، والزكاة هي معرفة الإمام ، فهم يعتقدون أن من يؤمنون بظاهر الشريعة الإسلامية هم أهل العمى والضلال ، وأن من عمل بالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد لا غيره فهذا العمل الذي لا يدخل جنة ولا يخرج من نار[5] .

ومما يؤيد هذا أن ناصر خسرو[6] الرحالة الإسماعيلي يصف مجتمع القرامطة في (الأحساء) بأنهم لا يصلون ولا يصومون ولا يوجد في مدينتهم مسجد .

---

[1] كنز الولد ٢١٨ .

[2] الحامدي (إسماعيلي) . كنز الولد ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

[3] المصدر نفسه ٢٠٨ – القاضي النعمان (إسماعيلي) . الرسالة المذهبية ، نشر عارف تامر ضمن أربع رسائل إسماعيلية ٥٧ .

[4] القاضي النعمان (إسماعيلي) . الرسالة المذهبية ٣١ .

[5] الحامدي (إسماعيلي) . كنز الولد ٢٨٦ ، ٢٨٧ . عند طباعة الكتاب لأول مرة أشرت إلى الباحث النجيب / عبد الله عبده إسماعيل أبو الغيث وأنه قام بمحاولة موفقة في دراسة للإسماعيلية ، ولكن الآن الأستاذ الدكتور أبو الغيث خط له طريقاً آخر غير طريق التاريخ الإسلامي فتخصص في التاريخ القديم وهو يحمل مشروعاً تاريخياً متميزاً وفقه الله .

[6] سفر نامة ١٤٢ ، ١٤٣ .

القضية الثالثة : استباحة المحرمات :

إن كتب الاسماعيلية تضم إشارات وتقريرات تجعل الحليم فيها حيراناً .. ولا تجعل الباحث يلوم من يدمغ الإسماعيلية القرمطية باستباحة المحرمات .

فنجد مثلاً في قصيدة – تعليمية – إسماعيلية وموثقة عند الإسماعيلية الحديثة ما يلي :

ولا تك مم يشرب الخمر دائما * فيصرع منك العقل أية صرعة

وخذ باعتدال من لطائف ذوقها * ....[1]

ومن ضمن إشاراتهم ومصطلحاتهم (قائم القيامة أو ليلة الإمام) و (ليلة الافاضة) و (الألفة) و (التشريق) وكلها مصطلحات تعني إباحة كل شيء ويحددون ذلك بيوم بعينه وهو يوم (قائم القيامة) الذي ينسخ كل الشرائع التي قبله بما فيه نسخ شريعة الرسول السادس وهو في ترتيبهم محمد بن عبد الله ﷺ ، يقول الداعي الإسماعيلي جعفر بن منصور اليمن[2] : " القائم لا شريعة له ، بل هو يزيل الشرائع وينسخها بإقامة التأويل المحض " .

ولا يستطيع الباحث أن يقتنع بصحة تلك القصيدة وألفاظها التي جاءت في كتاب الحمادي[3] لأنه لا يوجد لدينا مصدر إسماعيلي يؤيدها أو يؤيد مفرداتها .. وإنما تدلنا المصادر الإسماعيلية على أن الإمام بيده حق نسخ شريعة محمد ، وإسقاط التكاليف[4] .

وهكذا فإن ما نسب إلى علي بن الفضل لم يكن محض افتراء ، وإنما ربما أظهر العقيدة الباطنية التي من المفترض أن تُمَارس تَدَيُّناً ، وتلتزم كونها دليل على صدق المؤمن بهذه المبادئ . ولكن يبدو أن مفكري الإسماعيلية اشترطوا شروطا صارمة ينبغي تحققها

---

[1] عامر بن عامر البصري (إسماعيلي) . القصيدة التائية ١٠٣ (الرسالة الرابعة من رسائل الإسماعيلية إخراج عارف تامر) .

[2] تأويل الزكاة ١١٩ (مخطوطة) نقلاً عن إحسان الهي ظهير . الإسماعيلية ٥٦١ . راجع كتاب الإمامة وقائم القيامة لمصطفى غالب – زكار . أخبار القرامطة ٣٣ ، ٩٧ ، ٢٣٠ – دي خويه . القرامطة ١٢٩ – ١٣٢ – سامي العياش . الإسماعيلية في المرحلة القرمطية ٢٣٩ – الحامدي (إسماعيلي) . كنز الولد ٢١١ – علي بن الوليد (إسماعيلي) . الذخيرة في الحقيقة ٩٠ ، ٩١ .. وهناك نصوص كثيرة نقلها إحسان إلهي ظهير في كتابه الإسماعيلية من كتب الإسماعيلية نفسها ٥٤٦ وما بعدها .

[3] كشف أسرار الباطنية ٥٨ .

[4] (مسائل مجموعة من الحقائق العالية) ١٠ (ضمن أربعة كتب إسماعيلية نشرها : شتروطمان) .

قبل الوصول إلى هذه المرحلة ، بينما من الواضح أن القرامطة عموما استعجلوا الأمر وقرروا كشف الباطن مما أحرج الدولة الفاطمية القائمة بالمغرب فسارعت إلى التنديد بهم والتبرؤ منهم[١] ، وإن ظهرت بعض مبادئهم أيام الحاكم الفاطمي[٢] (ت ٤١١هـ/١٠٢١م) إلى حد أنه أمر بسب الصحابة ، وكتابة ذلك على أبواب المساجد ، وجدران المحلات التجارية والدور وغيرها[٣] ، وعده البعض مجنوناً بينما كان في الحقيقة يسعى إلى تطبيق الأفكار الباطنية ، وكان كلما اصطدم بالواقع تراجع عما أقدم عليه .

نهايــة دولة القرامطــة :

لقد تآزرت كل القوى داخل اليمن وربما خارجها (كالدولة العباسية والفاطمية) على التخلص من هذه الدولة ، بالإضافة إلى تبرؤ الفاطميين منهم لأنهم أحرجوهم بكشف ما كان مخبوءاً من أفكارهم .

ومن هنا فقد تشكل تحالف بشكل تلقائي داخل اليمن كان يضم الدولة الهادوية بزعامة الناصر بن الهادي ، وبني يعفر بزعامة أسعد الحوالي ، وبني زياد بزعامة محمد بن زياد ، والقبائل المجاورة لدولة القرامطة ، وأعطيت قيادة التحالف لأسعد بن أبي يعفر الحوالي . وكان الهدف من هذا التحالف هو سحق هذا الكيان الإسماعيلي مهما كان الثمن . وقد بدأت العملية باغتيال علي بن الفضل مسموماً عام ٣٠٣هـ/٩١٥م ، وادعى كل طرف أنه صاحب الفضل في إخماد أنفاس ابن الفضل[٤] .

---

[١] انظر : إحسان إلهي ظهير . الإسماعيلية تاريخ وعقائد ١٣٨ – ١٤٨ (طبعة الرياض) .

[٢] قد يقال إن حركة علي بن الفضل ومنصور اليمن ظهرت في اليمن قبل قيام دولة الفاطميين بالمغرب وهذا صحيح ولكن ما أظهر ابن الفضل الباطن إلا بعد أن قامت الدولة الباطنية الإسماعيلية (الفاطمية) في المغرب التي أعلنت عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م ومن ثم فدولة المغرب كانت مستاءة من كشف الباطن .

[٣] انظر : أيمن فؤاد سيد . الدولة الفاطمية في مصر .. تفسير جديد ١٦٩ .

[٤] العلوي . سيرة الهادي ٤،٣ – الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٦٩ – إدريس عماد الدين . عيون الأخبار ٤٣/٥ – الوصابي . الاعتبار ٢٤ – الجندي . السلوك ٢٤٣/١ . نسب قتله إلى العباسيين وإلى الفاطميين وإلى اليعفريين وإلى أهالي المنطقة . ومن المفارقات أن أبا سعيد الجنابي قتل في البحرين قبل مقتل علي بن الفضل في عام ٣٠٢هـ (أخبار القرامطة ٣٣٩) وهذا يؤكد احتمال أن الفاطميين كانوا وراء اغتيال الشخصيتين ويعتبر (GEDDES) في بحثه (THE APOSTASY OF “ALI B.AL.FADL”) أن ما قام به علي بن الفضل هو ارتداد عن الإسماعيلية وهذا بعيد عن الواقع مهما كانت المحاولات لإثبات ذلك فقد سقطت كل معطياتها بعد خروج بعض كتب الإسماعيلية إلى النور التي تثبت أن أفكار علي بن الفضل هي من صميم الفكر الإسماعيلي الباطني .

وفي خلال عام من بعد وفاة ابن الفضل كانت دولة الإسماعيلية (القرامطة) قد دكت وأزيلت على يد ذلك التحالف ، وسقطت عاصمتها (المذيخرة) عام ٣٠٤هـ/٩١٦م . وباختفاء سلطان الإسماعيلية ظهر سلطان أسعد بن أبي يعفر الحوالي بصفته صاحب قوة لها أثرها وتأثيرها في اليمن ، وإن كان للدولة الزيدية في شمال اليمن (صعدة) ، والدولة الزيادية في غرب اليمن (زبيد)[١] وجود إلاَّ أنهما كانا أضعف قوة من دولة آل يعفر – في هذا الوقت – بزعامة أسعد الحوالي ، ولهذا كانوا متحالفين معاً للعمل ضد القرامطة .

وإذا كان هذا هو مصير علي بن الفضل فان منصور اليمن (ابن حوشب) لم يكن أحسن منه حالاً ، فقد انكمش تحت الضربات التي وجهت إليه من قبل تحالف أبرم بين الناصر بن الهادي وأسعد بن أبي يعفر الحوالي[٢]، ثم حانت مَنِيَّة ابن حوشب ربما في حوالي عام ٣٠٨هـ/٩٢٠م[٣]. فأدى هذا إلى تناثر ملكه ، بل تراجع ابنه (الحسن) عن المذهب الإسماعيلي ، وسرعان ما انقلب الناس على أتباع المذهب قتلاً ومطاردة ، فانكفأ المذهب الإسماعيلي على نفسه يعمل بكتمان وسرية أي عودة إلى (دور الستر) من جديد حتى تحقق له الظهور مرة أخرى في العقد الخامس من القرن الخامس الهجري حينما ظهرت الدولة الصليحية عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م[٤] تابعة للدولة الفاطمية .

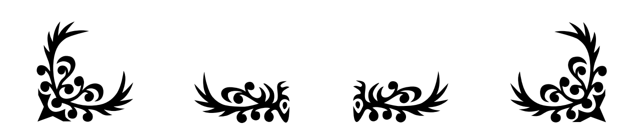
---

[١] نشوان الحميري . الحور العين ٢٠٠ – الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٧١ ، ٧٢ – الجندي . السلوك ٢٤٤/١ ، ٢٤٥ .

[٢] العلوي . سيرة الهادي ٤٠٤ – مسلم اللحجي . سيرة أحمد بن يحي ٣٠ وما بعدها – يحي بن الحسين . غاية الأماني ٢٠٦/١ – ٢٠٨ .

[٣] الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٧١ ، ٧٢ – إدريس عماد الدين (إسماعيلي) . عيون الأخبار ٤٤/٥ ، ١٣٦ – الهمذاني (إسماعيلي) . الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ٤٩ – وانظر للمؤلف : اليمن في عيون الرحالة ٤٢ وما بعدها – الجندي . السلوك ٢٤٥/١. ورد في السيرة للعلوي ص٤٠٢ أنه توفي سنة ٣٠٢هـ ، وهذا لا يصح لأن خليفة ابن حوشب كتب إلى المهدي وهو في مدينة المهدية ولم يكن فيها إلاَّ عام ٣٠٨ ، وهذا ما يؤيده إدريس عماد الدين (إسماعيلي) في المصدر المذكور آنفاً .

[٤] مسلم اللحجي . سيرة أحمد بن يحي ٤٢ – الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٧٢ وما بعدها – يحي بن الحسين . أبناء الزمن (ق ٢٤ و ٣٥) – غاية الأماني ٢٢٠/١ – ٢٢٢ – إدريس . عيون الأخبار ٤٤/٥ ، ٢٧٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ – الجندي . السلوك ٢٤٦/١ .



الفصل الخامس

الاتجاهات القبلية

- الدولة اليعفرية .
- الدولة الزيادية .

تمهيد :

ما الذي أَهَّل اليمن لأن يكون مسرحاً لقيام دويلات ، ونشوب صراعات فيما بينها ؟ للإجابة على هذا السؤال فإن اليمن يجتمع فيه أكثر من عامل أثَّر في الأحداث السياسية :

١- **عامل جغرافي** حيث الطبيعة المتعددة المناخات ، والمختلفة في الوعورة والسهولة .. بالإضافة إلى بعده عن مركز الخلافة ، ووقوعه جنوب مكة التي يأتيها الناس من كل فج عميق فيتأثر أهل اليمن بهؤلاء القادمين إلى مكة أو أن هؤلاء أنفسهم يرغبون في التوجه إلى اليمن ليكون لهم مأوى يلجؤون إليه ، أو مركزاً يعملون من خلاله ، أو يعلمون ويتعلمون فيه .

٢- **وعامل بشري** حيث البنية الاجتماعية القبلية ذات الكيانات الصغيرة أو المتقلبة الولاءات من ناحية إلى أخرى .. فالقبلية تجعل الثارات والأعراف القبلية أساساً للتعامل مع الغير .. وتغير الولاءات تبرز بوضوح عندما ينعدم المبدأ الأخلاقي الذي يحكم سلوك الناس ، فحيثما وجدت المصلحة وجد الولاء ، وحيثما انعدمت المصلحة انعدم الولاء أو نُقِضَ دون اعتبار لأي مبدأ أخلاقي .

٣- **وعامل مذهبي** هو أن اليمن كان –كما قلنا سابقاً– مقراً لتحركات مذهبية .. لهذه العوامل أُهِّلَ اليمن ليكون حضناً لقيام دويلات تقوم على أساس قبلي ، وأبرز هذه القوى التي قامت بعد ضعف الدولة العباسية هي : قوة بني يعفر في المناطق الجبلية ، وبني زياد في المناطق التهامية ، بالإضافة إلى قوى قبلية صغيرة سنعرض لها في حينه بإيجاز .

أولاً : الدولة اليعفرية[1] :

لم تستقر الدولة اليعفرية على حال واحدة منذ نشأتها . فقد تراوحت بين القوة والضعف ، وبين الظهور والكمون ، وبين الاستقلالية والتبعية .

نسبها ونشأتها :

تنسب هذه الدولة إلى يعفر بن عبد الرحمن بن كريب بن الوضاح بن إبراهيم بن مانع من آل ذي حوال الأصغر من حمير[2] الذي أطل برأسه عام ٢١٤هـ/٨٢٩م بصفته

(١) انظر : مشجر الدولة اليعفرية ملحق رقم (١٠) .
(٢) الهمداني . الإكليل ١٧٧/٢ .

شخصية قبلية مرهوبة ، يسعى لإيجاد موطن قدم له بين القبائل ، تحركه : الرغبة في الزعامة ، ونار ثأر تعتمل في النفس ضد قبائل مجاورة . ولكي يحقق تلك الرغبة كان لابد من أن يصطدم بالقوى من حوله ، ومن البداهة أن يصطدم بالولاة العباسيين لأنهم هم الذين يعملون على استتباب الأمن في المنطقة .

مراحل حكم آل يعفر :

تنقل حكم هذه الدولة في عدة مراحل :

١) مرحلة التأسيس الأولى التي تولاها يعفر الحوالي .
٢) مرحلة المحافظة على الدولة في عهد ابنه محمد بن يعفر .
٣) مرحلة الاضطراب والضعف في عهد إبراهيم بن محمد ، ثم في عهد أمراء متشاكسون .
٤) مرحلة التأسيس الثانية في عهد أسعد الحوالي .
٥) مرحلة الاضطراب ونهاية الدولة .

المرحلة الأولى : مرحلة التأسيس الأولى تولاها يعفر الحوالي :

بدأ يعفر الحوالي –كما تؤكد المصادر – صدامه مع ولاة بني العباس من عهد المعتصم عام ٢٢٠هـ/٨٢٥م ، إلاَّ أنه يعتقد أن توسعه على حساب جيرانه كان مبكراً ، وذلك حينما برزت شخصيته في رمضان من عام ٢١٤هـ/٨٢٩م[١] ، فقد كان بين بني حوال من ناحية ، والعمريين في الجوف وبني عَبَّاد الإكيليين من خولان من أخرى صراع ثأري ، وهو الذي أبرز شخصية يعفر الحوالي نتيجة ضعف خصمه وتوسعه على حسابهم، مما دفع بني عَبَّاد إلى رفع الشكوى إلى الخليفة العباسي (المعتصم) فأسندت إلى الوالي العباسي مهمة التصدي ليعفر فبدأ الصدام بينهم من عام ٢٢٠هـ/٨٣٥م[٢] ، فقد أدرك الولاة العباسيون خطورة ما يفعله يعفر فأرادوا إيقافه ولكنهم فشلوا في تحقيق ذلك ، لأنه كان قد تمكن من إرساء قواعده فصعب عليهم التخلص منه .

والولاة الذين جاءوا إلى اليمن في عهدي المعتصم والواثق واصطدموا بيعفر الحوالي هم : عبد الله بن عبد الله بن العباس ومدة إمارته (٢١٧–٢٢٠هـ) ، ثم عبد الرحيم بن

---

[١] الهمداني . الإكليل ٧١/٢ ، ٧٢ .

[٢] الهمداني الإكليل ٤٧٥/١ و ١٧٧/٢ — ابن سعد . الطبقات ٢٤٧/٦ .

جعفر بن سليمان ومدة إمارته (٢٢٠-٢٢٥هـ) ، ثم جعفر بن دينار وأناب عنه واليين : منصور بن عبد الرحمن التنوخي وعبد الله بن محمد بن ماهان .. وعزل جعفر بن دينار . وكلف مكانه (ايتاخ التركي) وأناب عنه نواباً إلى أن توفي المعتصم عام (٢٢٧هـ/٨٤٢هـ)، فاستمر نائباً عن الواثق على اليمن ، فأناب عنه أبا العلاء أحمد العامري ، رغم وجود التنوخي الذي كان في اشتباك مع يعفر وحقق هزيمة عليه ، وفي هذه الأثناء توفي أبو العلاء فخلفه أخوه عمرو بن العلاء العامري ، وتلقى الواثق شكوى من سيد بني عباد بما يفعله يعفر وكان هذا في عام ٢٢٩هـ/٨٤٣م .

فأرسل الواثق البشير هرثمة بن البشير[1] الذي وصل اليمن في غرة رمضان ٢٣٠هـ/٨٤٤م ، وبسبب نزاع حصل بين البشير وعبد الله بن عباد الشاكي إلى الخليفة الواثق لم يتعاونا على يعفر ، بل خرج بن عباد إلى بغداد ليكرر الشكوى ، فجاء وقد توفي الواثق وخلفه المتوكل في أواخر ذي الحجة ٢٣٢هـ/٨٤٦م فعين المتوكل جعفر بن دينار مرة أخرى ، فذهب إلى اليمن هذه المرة بنفسه ، فلما جاء اليمن اصطدم أولاً مع البشير هرثمة حتى تغلب عليه .. ولا ندري لماذا الاصطدام مع والي عباسي .. فهل كان يريد الانفراد باليمن أم ماذا ؟.

وما بين عامي ٢٣٢هـ/٨٤٧م و ٢٣٤هـ/٨٤٨م تمكن جعفر بن دينار أن ينهي هذا النزاع ويعقد اتفاقاً وصلحاً مع يعفر الحوالي أدى إلى جعل اليمن ولاية يديرها يعفر وأولاده باسم الدولة العباسية ، ليعود إلى مكة ويتولى إمارة الحج[2] .

وكانت العوامل التي دفعت جعفر بن دينار ويعفر لعقد هذا الاتفاق هي :

١- أن سياسة الدولة العباسية في حال ضعفها تلجأ للتعامل مع إقرار الواقع مع توفر شرط التبعية الاسمية للدولة الأم .. فطول الصراع لا يجدي ، ولذلك من

---

(١) ورد الاسم في المصادر هكذا (الشير) وربما حصل فيه تحريف عن (البشير) .

(٢) هذه المعلومات تجدها في المصادر التالية: الهمداني . الإكليل ٣٢٢/١-٣٢٧ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ – صفة جزيرة العرب ٢٣١ ، ٢٣٢ – ابن جرير . تاريخ صنعاء ٦٣ – ٦٦ – الجندي . السلوك ١٩٠/١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ – الخزرجي . العقد النافر الحسن ١١١٤/٣ (المخطوط ق٣٦/ب) – العسجد السبوك ٣٢ ، ٣٣ – ابن الأثير . الكامل ٤٣/٧ – الطبري . تاريخ ١٢٨/٩ ، ٢١٨ – يحي بن الحسين . غاية الأماني ٢٥٤/١ – ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٤٤ – ابن الربيع . قرة العيون ١٥٥/١ – اليعقوبي . تاريخ ٤٨٥/٢ – الحمزي . كنز الأخبار ٥٠ ، ٥١ .

الممكن كسب قوة يعفر إلى جانب الدولة العباسية ليدافع عنها كما فعل هارون الرشيد مع الأغالبة في المغرب .

٢- وهذا سبب شخصي ، فقد كان الوالي العباسي يرى إنهاء هذا الإشكال بسرعة لكي يعود إلى بغداد ، فقد كان أحد القادة الأتراك الذين يتحكمون بالخلفاء ، وكان يرى أن مكانه ليس في اليمن ، بل هناك في بغداد ، لكي يكون قريباً من مركز القرار .

٣- وسبب ثالث من جانب يعفر الحوالي ، فقد رأى الظروف مواتية على قبول هذا الصلح . فهذا الاتفاق هو اعتراف بقوته ودولته، ويمكنه من التفرغ لبناء دولته ، وسيؤهله لمواجهة كل القوى المناوئة باسم الدولة العباسية لأنه سيمنح بموجبه شرعية البقاء ، وشرعية ضم كل المناطق اليمنية باسم الدولة الإسلامية الأم .

ولا تعطينا المصادر شيئاً عن بنود الاتفاقية ، إلاَّ أننا نلمس من خلال الممارسات العملية التي نفذت أنها ربما تكون احتوت على :

- الاعتراف بقيام دولة يعفر .
- وأن يتوارثها أولاده من بعده .
- وأن يحصل كل منهم على مرسوم تولية من الخلافة .
- وأن تظل مرتبطة اسمياً بالدولة العباسية .
- وأن يخطب باسمها
- وأن يقف ضد من يناوئها ويعاديها في المنطقة .
- دفع مبلغ من المال إلى خزينة الدولة ليكون دليلاً على التبعية[1].

عوامل نجاح يعفر الحوالي :

وقد تهيأت ليعفر الحوالي بعض الظروف والملابسات والعوامل التي دفعته إلى أن يقف في مواجهة الدولة العباسية ويحقق تلك الانتصارات ويكسب دولة ، من هذه العوامل :

١- ما تعاني منه الدولة العباسية من تشقق بعد الصراع الذي تم بين الأمين والمأمون ،

---

[1] الهمداني . الإكليل ١٨٢/٢ - مجهول . تاريخ اليمن (ق ١٦٨ / أ ، ب) - راجع بحثنا : العلاقة اليعفرية .. في كتاب: من ملامح الوجه الحضاري لليمن ٣٥-٨٦ .

وإن كان قد حُسِمَ لصالح المأمون ، إلاَّ أن الصراع في حد ذاته جرأ الغير على الدولة ، فكانت سياسة الدولة تسعى في سياستها إلى ترضية الطامحين ، والقبول بالأمر الواقع .

٢- طرفية اليمن عن مركز الدولة .

٣- أن يعفر الحوالي كان شخصية طامحة وَعُدَّ من أحد رجال ثلاثة لهم مكانة مرموقة باليمن حتى أطلق عليهم الهمداني[١] بأنهم (ملوك) حسب العادة اليمنية قبل مجيء الإسلام .

٤- استخدامه المواقع الحصينة لكي تكون له مقراً أو مكمناً مثل (شبام) كوكبان ، وكوكبان نفسها[٢] الواقعتان في الشمال الغربي من صنعاء ، ويتميزان بمكانة تحصينية ممتازة .

٥- سياسة ولاة بني العباس في اليمن التي لم تتسم بإيثار سياسة الدولة على مصالحهم ، حيث فرط الوالي العباسي عبد الرحيم بن جعفر بالوالي العباسي الذي قبله وهو عباد بن الغمر الشهابي ، فقد تمكن يعفر الحوالي من أسر ابن الوالي العباسي ، ثم ساومه بأن يسلم له الوالي العباسي السابق مقابل الإفراج عن ابنه ، وذلك لوجود ثأر قديم بين آل شهاب وآل يعفر ، فوافق الوالي العباسي[٣] ناسياً أو متناسياً أن هذا الموقف يضعفه هو بصفته الوالي العباسي الحالي . بالإضافة إلى أن الخلفاء والولاة العباسيين كانوا غير مدركين لمخاطر ما يدور في اليمن فكان الوالي يرسل نائباً عنه إلى اليمن دون أن يكلف نفسه بالمجيء إليها[٤] .

٦- أن عرض الصلح جاء من قِبَل الوالي العباسي ، وهذا عرض مغرٍ لا يدل على أنه مجرد هدنة مؤقتة ، بل هو اعتراف ورفع مكانته في اليمن كلها .

---

[١] الإكليل ١٦/٢ - الوصابي . الاعتبار ١٨ . والاثنان الآخران هما : أبو إسحاق إبراهيم الجعفري في المذيخرة . وعبد الله ابن يوسف الشراحي ملك وصاب في عركبة وزبيد .

[٢] ابن رسته . الأعلاق النفيسة ١١٣ - الهمداني . الإكليل ٤٧٥/١ ، ٤٧٦ و ٧١/٢ ، ٧٢ و ١٥١/٨ (الأكوع) هامش صفة جزيرة العرب ٢٣١ .

[٣] الهمداني . الإكليل ٤٧٥/١ و ١٨١/٢ - ابن جرير . تاريخ صنعاء ٦٣ .

[٤] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٦٣ .

المرحلة الثانية : المحافظة على الدولة في عهد محمد بن يعفر :

في هذه المرحلة توارى يعفر الحوالي عن الأنظار ، وبرز ابنه محمد . في الوقت الذي كان الوضع العباسي نفسه يزداد ضعفاً وانحساراً نتيجة الصراع الداخلي بين أبناء البيت العباسي وقياداتهم العسكرية التي عُرفت بالأتراك[1] من ناحية ثانية ، والتمردات المذهبية التي تتوالى على العباسيين في أكثر من رقعة في دار الإسلام من ناحية ثالثة ، فلم تعد الخلافة العباسية ترسل نواباً لها إلى اليمن بل تولاها اليعفريون ، ولكن ابن المتوكل وهو محمد المنتصر كان يتولى باسم الخليفة الإشراف على الحرمين والطائف واليمن[2] .

ولا ندري على وجه التحديد لماذا اختفى يعفر الحوالي وتسلم ابنه محمد مقاليد الأمور ، إلاَّ أننا لاحظنا أن محمداً كانت تربطه علاقة طيبة بالموفق طلحة بن المتوكل (ت ٢٧٨هـ/٨٩١م) وكان محمد ملتزماً بالطاعة والولاء للخلافة ، بالإضافة إلى مؤهلاته القيادية التي كان يتميز بها ، ولذلك تلقى تباعاً المراسيم العباسية بإقراره على اليمن ، والرضا عن إمارته ، وإدارته للبلاد كلها[3] ، فقد أصدر الموفق مرسوماً لمحمد بن يعفر في المحرم من عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م[4].وبناءً على المراسيم العباسية لمحمد بن يعفر فإنه يُعد والياً على اليمن كلها ، ولكن هذه التولية لم تكن واقعية ، لأن هناك ثلاث قوى كانت تسيطر على مناطق كبيرة من اليمن ..

أولها : قوة المناخيين[5] ومقرهم المذيخرة[6]، وكانوا يشكلون كياناً قبلياً منفصلاً عن الدولة العباسية ، وقد استمد استمراريته من ضعف الدولة العباسية ، وموقعه البعيد عن السلطة المركزية والمحلية معاً .. وقد ظل هذا السلطان مناوئاً للولاة العباسيين

---

[1] ظل الصراع داخل البيت العباسي محتدماً حتى عصر المعتمد عام ٢٥٦هـ / ٨٧٠م .

[2] الطبري . تاريخ ١٦٢/٩ ، ١٧٦ — وابن خلدون . التاريخ ٥٧٩/٥ ، ٥٨٩ — الأكوع . الوثائق السياسية .

[3] مجهول . تاريخ اليمن (ق ١٢٣/أ) – الأكوع . الوثائق السياسية ٢٢٧–٢٣٤ – الهمداني . الإكليل ١٨٢/٢ .

[4] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٦٨ ، ٦٩ — ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٤٥ .

[5] المناخيون : نسبة إلى (ذي مناخ) أحد ملوك حمير ويطلق عليهم (الجعافر) – الهمداني . الإكليل ٩٣/٢ ، ٩٤ – نشوان . ملوك حمير وأقيال اليمن قصيدة نشوان وشرحها ١٦٧ .

[6] المذيخرة : مدينة أعلى جبل ثومان ، تقع حالياً في مديرية العدين التابعة لمحافظة إب (المقحفي . معجم البلدان والقبائل اليمنية ٦٠٤) .

إلى أن سقط على يد القرامطة في أواخر القرن الثالث ، ثم آلت ممتلكاته بعد استئصال شأفة القرامطة في مطلع القرن الرابع الهجري إلى سلطان آل يعفر الحوالي[(١)].

ثانيها : قوة الشراحيين في وصاب وزبيد[(٢)] ، فقد كانوا مرتبطين مباشرة بالدولة العباسية بعيداً عن آل يعفر ممثلي الدولة العباسية باليمن ، وربما كان ارتباطهم بالعباسيين من خلال تبعية تهامة اليمن لإمارة مكة .. وظل سلطانهم قائماً من عام ٢١٨هـ/٨٣٣م إلى عام ٢٧٩هـ/٨٩٢م . لا يمتون إلى الإمارة العباسية في صنعاء بأي صلة ، ولم يدخلوا ضمن السيادة اليعفرية .

ثالثها : قوة آل زياد .. ومن الراجح أن كلاً من الشراحيين والزياديين كانت صلاتهم عميقة بإمارة مكة لسيادتها المبسوطة على شمال تهامة اليمن ، بينما صلاتهم بآل يعفر كانت ضعيفة ، وإن كانت قد قويت حينما تم التحالف بينهم ضد القرامطة[(٣)] .. وسنتحدث بتفصيل عن بني زياد فيما بعد إن شاء الله .

المرحلة الثالثة : مرحلة الاضطراب والضعف وكانت في عهد إبراهيم بن محمد وما بعده .. فقد ظل محمد بن يعفر في الحكم إلى عام ٢٦٢هـ/٨٧٥م ثم خرج إلى الحج وعهد بالإمارة إلى ابنه إبراهيم[(٤)] ، ولما عاد من الحج اعتزل الحكم ولجأ إلى حلقات العلم ليستزيد منه[(٥)] ، إلا أنه كما يبدو لم يتخلَّ عن الحكم كُلِّيَةً لأن الوزير العباسي صاعد بن مخلد (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) والذي كان يلقب بذي الوزارتين عهد بولاية اليمن إلى محمد بن يعفر عام ٢٦٥هـ/٨٧٨م في عهد

---

(١) نشوان . ملوك حمير ١٦٧ – الوصابي . الاعتبار ١٠٢ – الهمداني . الإكليل ١٩٣/٢ – الخزرجي . العسجد المسبوك ٣٩ – الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٥٥ ، ٥٦ ، ٧١ .

(٢) وصاب . جبل متسع بجنوبي غرب صنعاء على مسافة ١٨٢ كم ويشمل ناحيتي وصاب العالي ووصاب السافل (المقحفي . معجم البلدان ٧٤٥) .

(٣) الهمداني . الإكليل ٣٤/٢ – صفة جزيرة العرب ٢٢٢ ، ٢٥٩ – نشوان . ملوك حمير ١٨ – الحور العين ٢٠٠ – الوصابي . الاعتبار ٢٥ ، ١٨ ، ١٠١ – العلوي . سيرة الهادي ٣٩٨-٤٠٣ – ابن الديبع . قرة العيون ٢٠٧/١ – ٢٠٩ – يحيى بن الحسين . غاية الأماني ٢٠٩/١ – الحمزي . كنز الأخبار ٦١ – إدريس عماد الدين . عيون الأخبار ٤١/٥ – ٤٤ .

(٤) ابن جرير . تاريخ صنعاء ٦٩ ، ٧٠ .

(٥) ابن جرير . تاريخ صنعاء ٧٤ — ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٤٦ .

الموفق[1] ، مما يدل على أن ولاية اليمن ظلت مرتبطة بمحمد بن يعفر رغم عزوفه عن الحكم . فكان دافعا لإبراهيم أن يعيث فساداً في الأرض ، فعم الاضطراب لأنه كان –كما قال الهمداني–[2]: "داعراً إذا سكر ، أديباً عالماً خطيباً بليغاً إذا صحى ، وحمله الإدمان على الشراب أن قتل أباه وعمه" وكان هذا عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م وظل يحكم وهو بهذه الحالة إلى أن قُتل هو الآخر عام ٢٧٩هـ/٨٩٢م[3] [انظر ملحق رقم (١٦)] .

وفي هذه الأثناء .. كانت الدولة اليعفرية شبه منعدمة لتولي موالي آل يعفر مخاليف البلاد ، فقد مكنوهم من إدارة أمور البلاد ، وربما هذا تشبهاً بما كان يحصل في بلاط الخلافة حيث كان للأتراك هيمنة على الخلفاء أنفسهم .

ومن أشهر غلمان محمد بن يعفر مسعود بن الحجاج ، وطريف بن ثاقب الذي صار من نفوذهما وقوتهما أن صارا يتنازعان نزاعاً دامياً على حكم صنعاء ، فكانا من عوامل ضعف بني يعفر[4] . بل سبباً في دعوة العلوي يحيى بن الحسين إلى اليمن ليتولى قيادته متوسعاً بعد ذلك على حساب أملاك بني يعفر[5] .

وصار هذا النزاع الداخلي وسط آل يعفر مستمراً من بعد مقتل إبراهيم أبي يعفر عام ٢٧٠هـ حتى عام ٢٩٢هـ .. وفي هذه المرحلة قامت دولتان على أملاك آل يعفر .. وهما : الدولة الزيدية ، والدولة الإسماعيلية (القرمطية).

وفي نفس الوقت وجدت شخصيات همدانية ذات بروز سياسي كابن الروية المذحجي في شرق صنعاء ، والدَّعام الهمداني ، وابن الضحَّاك الهمداني في شمال صنعاء ، وكان لهم دور في رفع تقرير عن أوضاع اليمن إلى الخليفة[6] مما دفع الخلافة العباسية للتفكير في التدخل المباشر فأرسلوا قائداً عسكرياً ووالياً محنكاً وهو علي بن الحسين المعروف

---

(1) ابن جرير . تاريخ صنعاء ٧٢ . وعن ترجمة صاعد بن مخلد انظر: الزركلي . الأعلام ٢٧٢/٣ .

(2) الإكليل ١٨٣/٢ .

(3) ابن جرير . تاريخ صنعاء ٧٤ – ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٤٦ .

(4) العلوي . سيرة الهادي ٢٤٥ ، ٢٥١ – المؤلف . ملامح ٦٠ – المؤلف . اليمن في عيون الرحالة ص ٤٧– ٥٦ .

(5) العلوي . سيرة الهادي ١٣٦–١٤٠ – المحلى . الحدائق الوردية ١٩/١ – الجنداري . الجامع الوجيز (ت ٢٩/ب) – ابن جرير . تاريخ صنعاء ٧٥ .

(6) مجهول . تاريخ اليمن (ق ١٤٢ ، ١٤٣) – الأكوع . الوثائق السياسية ٢٦٦ ، ٢٦٧ – ابن جرير . تاريخ صنعاء ٧٤ – ابن رستة . الأعلاق النفيسة ١١٢ .

بجفتم[١] ، وكأن مهمته لم تكن لتمكين اليعفريين من السلطة ، لأنه –كما يبدو– لم تكن فيهم شخصية تستطيع المسك بزمام الأمور قبل بروز أسعد الحوالي . فأقرهم (جفتم) على شبام[٢] ليتولى هو إدارة الولاية بطريقة غير مدرك لحقيقة القوى الموجودة في اليمن ، فاصطدم بالهمدانيين وبقايا اليعفريين والمذحجيين .

ولما لم يجد (جفتم) القدرة على إدارة البلاد عاد إلى العراق عام ٢٨٢هـ/٨٩٥م تاركاً وراءه أمراء على المخاليف ومنها صنعاء ، وجعلها لأحد موالي آل يعفر وهو بشير بن طريف ، ومعه طائفة من الجند عرفوا (بالجفاتم)[٣] .

وحينما خرج جفتم إلى العراق لم تعد اليمن –كولاية– مرتبطة بأمير لا محلي ولا قادم من الخلافة العباسية ، بل اسندت الدولة العباسية إدارتها إلى إمارة مكة . فقد ولى المكتفي بن المعتضد (ت ٢٩٥هـ/٩٠٧م) عج بن حاج (ت ٢٨٩هـ/٩٠١م) أحد موالي الخليفة المعتضد أميراً على مكة ، عام ٢٨١هـ/٨٩٤م ، ثم ضم إليه اليمن[٤] وهذا الأمير هو الذي أسماه الهمداني[٥] باسم عج بن شاح – أو هكذا وجد في المطبوع من الكتاب – وأطلق عليه لقب سلطان مكة .

ولما كانت الأحداث في اليمن تتلاحق ، فكان لابد من وجود قائد خاص ، وجيش يتولى مقارعة القوى التي تتنامى في اليمن ، فأُرْسِل (جفتم) مرة أخرى إلى اليمن عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م[٦] .

ولكنه لم يكن موفقاً لا في سياسته ولا في إدارته للأمور مع الأطراف الموالية أو المناوئة مما دفعته سياسته إلى حتفه فقُتل في العام نفسه الذي جاء فيه إلى اليمن[٧] .

وهكذا عادت إمارة اليمن إلى الارتباط بإمارة مكة مرة أخرى ، فأرسل عج بن حاج أخاه مظفر بن حاج إلى تهامة ، فاتخذ من مدينة زبيد عاصمة لولاية اليمن ، وأرسل إلى

---

(١) الخزرجي . اليمن في عهد الولاة ١١٦ .

(٢) مجهول . تاريخ اليمن (ق ١٢٤/ب) .

(٣) ابن جرير . تاريخ صنعاء ٧٥ .

(٤) ابن فهد . غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ٤٦٦/١ – الفاسي . شفاء الغرام ١٩١/٢ .

(٥) صفة ٣٢٣ .

(٦) يحيى بن الحسين . غاية الأماني ١٨٧/١ ، ١٨٩ .

(٧) ابن جرير . تاريخ صنعاء ٧٨ ، ٨٠ .

أسعد بن أبي يعفر وابن عمه عثمان بن أحمد يقرهما على ولايتهما ليكونا تابعين له[1] رغم ضعفهما . ولم يكن مظفر من القوة التي تجعله يساعد آل يعفر على الصمود ، فقد تعرضوا لهجوم علي بن الفضل ، وصار أسعد تابعاً له يحكم صنعاء باسمه عام ٢٩٩هـ/٩١١م[2] ، ولم يتلقَّ أي دعم من مظفر بن حاج الذي لم يستطع هو ولا من سبقه منع علي بن الفضل من اجتياح زبيد نفسها .

المرحلة الرابعة : مرحلة التأسيس الثانية في عهد أسعد بن إبراهيم الحوالي .. الذي كان يكنى بأبي حسان ، ولم يكن كأبيه بل كان يشبه جده يعفر ، فقد اتصف بالحنكة والسياسة والدهاء ، وحسن التعامل مع الناس وحسن الصلة بالدولة العباسية . فهو المؤسس الثاني للدولة اليعفرية بلا منازع . وقد وصفه الهمداني بقوله : " وأسعد هو أبو حسان ملك عصرنا ، وهو الذي اجتث عرقاة (أي أصل) القرامطة باليمن ، وهو فارس حمير في عصره.. وله تواقيع معجزة لا يُجَارَى فيها ، مع حسن السياسة وعظم الدهاء ، وبعد الغور ، وكتمان ما في النفس . وإذا غضب غضب ، وإذا رضي رضي "[3] .

أما العوامل التي ساعدته على حيازة هذه المكانة وجعلته يستمر في الحكم دون منازع حتى عام ٣٣٢هـ/٩٤٣م فهي عوامل عدة منها :

١- قدرته على القيادة التي جعلته يؤلب كل القوى القبلية والمذهبية ليتزعم جيشاً يتصدى للقرامطة ، وإنهاء وجودهم من عاصمته المذيخرة وكل المناطق التي كانوا يهيمنون عليها في رجب من عام ٣٠٤هـ/٩١٦م[4] .

٢- عقد صلات حسنة مع الناصر بن الهادي الذي كان يؤثر السلامة عن المصادمة ، بل جعله تحت قيادته أثناء قيادة الجيش الذي تولى القضاء على القرامطة[5] وكان وفياً له بعد موته حيث كفل أبناءه[6] .

---

[1] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٧٩ ، ٧٠ ، ٧٣ – الهمداني . صفة جزيرة العرب ٣٢٣ . ابن الديبع . قرة العيون ١/ ١٧٥.

[2] الرازي . تاريخ صنعاء ٣٠٩ ، ٣١٠ – الخزرجي . العسجد ٣٩ .

[3] الإكليل ١٨٤/٢ ، ١٨٥ .

[4] المسعودي . مروج الذهب ٢٤٠/٢ – الهمداني . الإكليل ٤٢٦/١ ، ٤٢٨ – العلوي . السيرة ٤٧ – مجهول . تاريخ اليمن (ق ٩٤/أ – ٩٦/أ) .

[5] المسعودي . مروج الذهب ٢٤٠/٢ – الهمداني . الإكليل ٤٢٦/١ ، ٤٢٨ – العلوي . السيرة ٤٧ – مجهول . تاريخ اليمن (ق ٩٤/أ – ٩٦/أ) .

[6] الأكوع . الوثائق ٢٥٨ .

٣- وقبل هذا القضاء على مناوئيه من آل يعفر وتفرده في الساحة[١]..

٤- تلقيه خطاباً أو مرسوماً رسمياً من الخليفة المقتدر (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) أعطاه فيه الولاية على " أعمال الحرب والمعادن والأحداث بصنعاء وأعمالها ، والمذيخرة ومخاليفها ، وعدن وأبين ولحج وما يصل بها "[٢] ويلاحظ على هذا المرسوم أنه لم يذكر تهامة لأنها كانت حينذاك تابعة لإمارة مكة ، ولم تذكر صعدة ضمن سلطان آل يعفر. ولا أدري لماذا ؟ هل رضي العباسيون بالأمر الواقع تاركين للزيدية أن تقيم لها دولة في أطراف الجزيرة العربية ؟! أم أنها أغفلت عن قصد لما يعرف عنها من وجود صلات ودودة بين أسعد الحوالي وبين الناصر بن الهادي[٣] ؟! أم أنها تدخل ضمناً في مسمى ولاية اليمن ؟.

وبهذه التولية أضفت على سلطة أسعد الصفة الشرعية ، وصار يتراسل مع الخليفة ويظهر له الولاء والطاعة الواجبة لدولة أمير المؤمنين[٤].

ولا يوجد تاريخ لهذه الوثيقة ، ولكنها كما يبدو كانت قبل توليه قيادة التحالف الذي قاتل القرامطة .لأن الخليفة المقتدر تولى الخلافة عام ٢٩٥هـ/٩٠٧م وتوفي عام ٣٢٠هـ/٩٣١م وبين هذين التاريخين يرجح تاريخ هذه الوثيقة .

٥- الإحسان إلى زعماء القبائل وإرجاع كل زعيم إلى قبيلته بعد أن تعرضوا للإبعاد والمطاردة من قبل القرامطة .

٧- أحسن إلى أبناء ذي حوال ، حيث استعملهم في الولايات المختلفة فضمن بذلك ولاءهم .

المرحلة الخامسة : مرحلة الاضطراب ونهاية الدولة :

كانت وفاة أسعد الحوالي عام ٣٣٢هـ/٩٤٣م ولم يكن له ولد يخلفه ، فكان هذا

---

[١] مجهول . تاريخ اليمن (ق ١٢٩/أ) – العلوي . السيرة ٣٨٨ .

[٢] مجهول . تاريخ اليمن (ق ١٣٣/ب) . الأكوع . الوثائق ٢٣٧-٢٤٢ .

[٣] المسعودي . مروج الذهب ٢/ ٢٤٠ – الهمداني . الإكليل ١/ ٤٢٦ ، ٤٢٨ – العلوي . السيرة ٤٧ – مجهول . تاريخ اليمن (ق ٩٤ / أ – ٩٦ / أ) .

[٤] هذا ما جاء في نص رسالة أرسلها أسعد الحوالي إلى الخليفة المقتدر يعلمه بالنصر الذي تحقق على القرامطة . (الأكوع . الوثائق ٢٤٠-٢٤٦) .

بداية لاضطراب آخر ونهائي داخل بيت بني يعفر الحوالي ، فقد أوصى أسعد بالسلطة إلى ثلاثة من آل يعفر في وصية طويلة[1] ، إلا أن (مواليه) الذي جعل تنفيذ الوصية بيدهم هم أول من نقض الوصية[2]، وأرادوا الاستفراد بالسلطة والانحياز لهذا الأمير أوذاك ، مما أدَّى إلى الاضطراب ، بل إلى اختفاء الدولة كلها . فقد تحول مسارها وتقلب أمر زعمائها بين ولاءات مختلفة : فقد جيء بعد صراع بين موالي يعفر بعبد الله بن قحطان (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) ليتولى قيادة آل يعفر من عام ٣٥٣هـ/٩٦٤م ، ولكنه – ربما لكون أمه بنت علي بن الفضل – فقد مال إلى الفاطميين وخطب باسمهم[3] ، ثم في عهد أسعد بن عبد الله بن قحطان (ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)[4] انقلب الولاء للإمام الزيدي يوسف بن يحيى بن الناصر ، ثم للقاسم العياني (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م) إلى أن تلاشت دولة بني يعفر نهائياً.

ولم تختف الدولة فحسب بل لقد اختفى معها تاريخها . فلم نجد لها تاريخاً مدوناً ولعل الأيدي العابثة كانت وراء هذا الاختفاء ، ومع هذا فالأمل في التنقيب على الآثار التي ربما نتحصل منها على ما يمكن أن نُنْسِج منه ما نطمح إليه من تاريخ هذه الدولة التي بدأت في مطلع القرن الثالث ، وانتهت بنهاية القرن الرابع للهجرة[5] .

وقبل أن نترك دولة بني يعفر لابد من الإشارة إلى بعض الجوانب السياسية المتعلقة بهم ، فمن المعروف أن أمراء بني يعفر لم يتخذوا صنعاء عاصمة لهم بل اتخذت شبام كوكبان في عهد يعفر وأبنائه[6] ، وفي عهد أسعد الحوالي اتخذ حصن كحلان ذي رُعين الذي يقع شرقي مدينة يريم بمسافة ٢٣ كيلومتراً[7]مقراً له .

---

[1] الأكوع . الوثائق ٢٥٥-٢٦٣ – الهمداني . الإكليل ١٨٧/٢ .

[2] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٨٥ ، ٨٦ .

[3] المصدر نفسه ٨٨-٩٠ – ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٥٩ – ابن الديبع . قرة العيون ٢٢٤/١-٢٢٧ .

[4] العلوي . السيرة ٤٠٤ – الحجري . مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٢/ ٦٦٣ – الهمداني .الإكليل ١٨٨/٢ – مجهول . تاريخ اليمن (٩٣ / ب – ٩٦ / ب) – الخزرجي . العسجد ٤٦ – الواسعي . تاريخ اليمن المسمى: فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ١٥٧ – الجرافي . المقتطف في تاريخ اليمن ٦٢ .

[5] راجع بحثاً للمؤلف بعنوان : (علاقة بني يعفر بالخلافة العباسية) كان ينبغي أن ينشر في موسوعة (اليمن ٣٠٠٠ عام من الحضارة) ، وقد نشر ضمن كتاب (من ملامح الوجه الحضاري لليمن) نشرته مكتبة الجيل الجديد – صنعاء ، ط الأولى ، ٢٠٠٨ ، ٢٠٠٩م .

[6] الهمداني . الإكليل ١٣٥/٢ – ابن جرير . تاريخ صنعاء ٦٩ . وكان محمد بن يعفر قد ولى على صنعاء أميراً هو أحمد بن حفص .

[7] المقحفي . معجم البلدان والقبائل اليمنية ١٦٩٢/٣ (طبعة الجيل الجديد) .

كما أن الأمراء اليعفريين لم يعرف عنهم أنهم اتخذوا لأنفسهم لقباً سياسياً محدداً .. ولم يظهر من مراسيم التولية من الخلفاء العباسيين أي لقب .. وقد اتخذوا لأنفسهم وزراء تَشَبُّهاً بالخلفاء –كما سيأتي في التحولات الإدارية – .

ثانياً : دولة بني زياد[1] :

لعلنا لا نبالغ إذا ما قلنا إن الاضطراب الذي حصل في تحديد تاريخ بداية دولة بني زياد ليس له شبيه في حقب تاريخ اليمن ، ومما يزيد الأمر اضطراباً وإرباكاً أن كل من أرخ لهذه الدولة أوقعنا وأوقع نفسه في هذا الإرباك والخلط . وإذا أردنا وضع أيدينا على بداية هذه المتاهة فإننا نعتقد أن هذا كله نشأ من مؤرخ واحد خلط بين المعلومات ، ولم ينتبه لهذا الخلط الذي وقع فيه ، أو أن النُسَّاخ أدخلوا فيه ما لم يكن في حسبان مؤلفه ، وكان كتابه هو أقدم من أعطانا تفصيلات عن هذه الدولة .. هذا المؤرخ هو عمارة بن علي اليمني الحكمي (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٣م) وكتابه : (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها) . ولاشك أننا ندين له بالعرفان كونه احتفظ لنا بمعلومات عن بني زياد لم يسبقه أحد ، ألا أن الخلط الذي حصل نرجح أنه جاء من قبل النساخ أو مُلاك النسخ من بعده .

وكان للأستاذ الأديب المؤرخ / محمد بن علي الأكوع الفضل في التنبيه أثناء تحقيقه للكتاب إلى وجود هذا اللبس عند عمارة دون أن يصل إلى إجابات شافية عن طبيعة هذا الوهم والإشكال وكيف يُحل ؟

وقد التقطتُ هذا الخيط وتابعت تاريخ الدولة الزيادية من مصادر عدة[2]. وأحسب أنني اكتشفت الثُغرة التي ولج منها الخلط واللبس ، وهي : أن كتاب عمارة اليمني – الذي عاش في القرن السادس الهجري بعيداً عن اليمن لأنه كان مقيماً في مصر – دخلت فيه معلومات حصلت في القرن الرابع الهجري وعدت من أحداث القرن الثالث ، وكما قلن قد

---

[1] انظر مشجر دولة بني زياد ملحق رقم (١١) .

[2] راجع بحثنا : نشأة الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال (مجلة الإكليل ، العدد الثاني ، السنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ونشر ضمن كتاب : اليمن في عيون الرحالة ٦٦ – أيضاً راجع بحثنا : زبيد بأقلام الرحالة .. ضمن الكتاب نفسه . وكان قد نُشر في مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد ١٢ ، السنة ١٩٩١م .

لا نحمله جريرة هذا اللبس بل نرجعه إلى النُّسَّاخ الذين كتبوا الكتاب أو المُلاك فضموا إليه مالم يكن فيه ، ظناً منهم أن هذا يضيف إلى الكتاب ولا ينقصه .

ولكي نصل مع القارئ إلى رؤية واضحة عن هذه الدولة ، وحتى لا نتعجل تلك النتيجة لابد من عرض الموضوع في محاور أربعة :

١) دولة بني زياد كما جاء في كتاب عمارة اليمني .

٢) حقائق في الساحة اليمنية تناقض ما جاء في كتاب عمارة اليمني .

٣) منشأ الخلط في كتاب عمارة اليمني .

٤) حقيقة مراحل وأطوار دولة بني زياد .

المحور الأول : دولة بني زياد كما جاء في كتاب عمارة اليمني :

جاء الحديث في كتاب عمارة اليمني عن دولة بني زياد في حوالي ست وأربعين صفحة وسار على منواله المؤرخون الذين جاءوا من بعده[1] . وسأضع هنا ملخصاً لما جاء في كتاب عمارة على شكل نقاط تجنباً للإطالة :

١- تبدأ قصة نشأة هذه الدولة في عام ١٩٩هـ/ ٨١٤م في مجلس الخليفة المأمون حينما استقبل ثلاثة من الوجهاء أحدهم يسمى محمداً وينسب إلى زياد بن أبي سفيان ، والآخر ينسب إلى هشام بن عبد الملك ، وثالثهم إلى تغلب بن وائل . وتجاذبوا أطراف الحديث .. وصاروا محط أنظار المأمون (لاحظ أن اثنين منهما ينتسبان إلى بني أمية ولا توجد علاقة ود بين الطرفين).

٢- تلقي المأمون في عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧م من واليه على اليمن (لم يحدد اسمه) بأن (الأشاعر وعك) في زبيد خرجوا عن الطاعة .

٣- كلَّف المأمون الثلاثة الرجال – السالف ذكرهم – أن يتولوا ولاية اليمن .. جعل أحدهم أميراً وهو : محمد بن زياد ، وجعل المنسوب إلى هشام وزيراً ، والتغلبي قاضياً ومفتياً (رغم أن الرواية لم تحدد مؤهلاتهم حتى يصيروا في هذه المكانة والثقة لدى المأمون) .

[1] عمارة . تاريخ اليمن ٣٨ – ٨٤ – الجندي . السلوك ٢١٩/١ – ٢٢٧ – الخزرجي . العسجد ٩٦ – ١٠٤ – الوصابي . الاعتبار ٢٢ – ٢٦ .

٤- دارت رحى حرب بين ابن زياد هذا عام ٢٠٣هـ / ٨١٨م وبين عرب تهامة وفتحها ، ودانت له (هكذا دون أن يحدد ما إذا كان يقود جيشاً جاء به من بغداد أم بقوى محلية) .

٥- اختط ابن زياد مدينة زبيد في عام ٢٠٤هـ / ٨١٩م .

٦- في عام ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م ذهب الوزير (وقد سمي في هذه المرحلة جعفراً وهو المنسوب إلى هشام بن عبد الملك) إلى بغداد وعاد منها عام ٢٠٦هـ/ ٨٢١م وزوده الخليفة بألفين من الجند ، وتمكن بهم من تملك اليمن كله باسم ابن زياد ، ولم يستثن منه جزءاً شذ عن سلطته .

٧- ونسب إلى جعفر هذا مخلاف جعفر (الذي تسكنه أسرة جعفر المناخي) والمذيخرة عاصمته .

٨- ارتبط ابن زياد اسمياً بالدولة العباسية حيث كانت لها الخطبة .

٩- كانت سلسلة سني ملك أمراء بني زياد عند عمارة على النحو التالي :
محمد ٢٠٤هـ/٨١٩م ، وخلفه ابنه إبراهيم عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م .. وجاء بعده زياد بن إبراهيم بن محمد عام ٢٨٩هـ/٩٠٢م ، ثم تولى أبو الجيش اسحاق بن إبراهيم الذي دام حكمه ثمانين عاماً (هكذا ليس عمره بل حكمه) إلى أن توفي عام ٣٧١هـ/ ٩٨١م أو ٣٩١هـ/ ١٠٠١م ، وجاء بعده أطفال أبي الجيش ، ثم عبيده ، وعبيد عبيده ، وكان أقواهم الحسين بن سلامة الذي توفي عام ٤٠٢هـ / ١٠١١م ، وبوفاته انتهت دولة بني زياد .

١٠- الحسين بن سلامة هو الذي اختط مدينتي (الكدراء والمعقر) .

هذه هي صورة دولة بني زياد كما جاء في كتاب عمارة اليمني .

المحور الثاني : حقائق في الساحة اليمنية تناقض ما جاء في كتاب عمارة اليمني :

إن العرض الذي جاء في كتاب عمارة اليمني ، ومن نقل عنه ليس هو حقيقة نشأة وقيام دولة بني زياد ولا علاقة له بتطورها .. بل إن وجود الدولة لم يبدأ في أول القرن الثالث وإنما في أواخره ، ولم يبدأ تمكنها إلا في مطلع القرن الرابع الهجري ، وأن محمد بن زياد الذي نسب إلى بني أمية وقيل بأنه هو الذي أقام الدولة الزيادية ليس هو

– في الحقيقة – الذي أقام الدولة أو نسبت إليه . وسأورد هنا بإيجاز شديد الأدلة على أن دولة بني زياد لم يصبح لها وجود إلا في نهاية القرن الثالث الهجري .. وأن اللبس الذي حصل في تاريخها جاء من جهة كتاب عمارة اليمني ..

من هذه الأدلة[١] ما يأتي :

أ. أن ما جاء في كتب المؤرخين بعد عمارة ناقلين عنه بالنص سواء أكانوا من أهل اليمن أم من غيرهم ،وهذا معناه أن كتاب عمارة لا يشاركه أحد من كتب المؤرخين في نقل هذه الأخبار عن بني زياد .

ب. أن الناظر إلى القوى التي كانت موجودة ومتصارعة باليمن في فترة قوة وازدهار بني زياد –كما جاء في كتاب عمارة اليمني – تنقض ما قيل عن نفوذ بني زياد الواسع في هذه المدة ، وإليك سلسلة من الحقائق التي تبين ذلك :

١– إبراهيم الجزار تمكن المأمون من استمالته وولاه على اليمن واستمر حتى عام ٢١٣هـ / ٨٢٨م[٢] .

٢– الحركة العلوية التي خرجت في تهامة سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م ما أُخمدت إلا بجيش أرسله المأمون ولا ذكر فيه لابن زياد[٣].

٣– خرج أحمد بن محمد العُمَري في همدان عام ٢١٢هـ / ٨٢٧م[٤] وتولى مواجهتها الوالي العباسي أبو الرازي محمد بن عبد الحميد .. ولا ذكر لبني زياد .

٤– المناخيون نسبة إلى ذي مناخ الحميريين في المذيخرة تمردوا على الدولة العباسية عام ٢١٢هـ/ ٨٢٧م . ولم نجد ذكراً لآل زياد في القضاء عليهم ، بينما إبراهيم المناخي اصطدم بأبي الرازي الوالي العباسي وتمكن من قتله[٥].

---

[١] راجع بتوسع بحث بعنوان : (نشأة الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال) ضمن كتاب : اليمن في عيون الرحالة – للمؤلف .

[٢] الجندي . السلوك ٥٩ .

[٣] الطبري . تاريخ ٨ / ٥٩٣ . كانت هذه الحركة بقيادة عبد الرحمن بن محمد .

[٤] اليعقوبي . تاريخ ٢/ ٤٦١ .

[٥] اليعقوبي . تاريخ ٤٦١/٢ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٢١١ – الجندي . السلوك ٥٩ – يحيى بن الحسين . غاية الأماني ١٤٨/١ ، ١٤٩.

٥- يعفر الحوالي وأبناؤه الذين تحدثنا عنهم سابقاً ، صادموا الدولة العباسية من عهد المأمون ثم اعترفوا بهم ممثلين للدولة العباسية من عهد المتوكل ، ولم نجد لابن زياد حضور في كل الأحداث التي استمرت من عام ٢١٤هـ/٨٢٩م إلى نهاية القرن الثالث ، وعلى العكس من ذلك أمدتنا المصادر بمعلومات عن مجموعة من الولاة تتابعوا على اليمن من أيام المأمون الذي بلغ عدد الولاة في عهده فقط أربعة عشر والياً ، وجاء أكثر من وال في عهد المعتصم ثم في عهد الواثق ، وكان آخرهم جعفر بن دينار الذي سلم أمر اليمن في عهد المتوكل ٢٣٤هـ/٨٤٨م ليعفر الحوالي ، ثم خمسة ولاة في فترات الاضطراب الذي لحق بالدولة اليعفرية حتى عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م[١] فأين بنو زياد في كل تلك الأحداث ؟!.

٦- الشراحيون وكانوا ملوك تهامة ومقرهم (عركبة) في وصاب ، وكانوا يمثلون قوةً لا يستهان بها في تهامة من أيام المعتصم إلى أيام المعتمد (٢١٨ - ٢٧٩هـ / ٨٣٣ - ٨٩٢م) وهذا ما قرره الهمداني العليم بتاريخ اليمن ، وامتد حكمهم إلى زبيد في بعض الأوقات حتى أنهم ممن تولى تسوير مدينة زبيد[٢] .

٧- بنو طرف الحكميون .. كان لهم كيان في شمال تهامة .

٨- بنو مجيد .. كانوا يمثلون قوة في جنوب تهامة ، وقد تمكنوا من بسط سيطرتهم على زبيد لأيام معدودة[٣] .

٩- المدن التهامية التي قيل -كما جاء في كتاب عمارة - بأنها بنيت في عهد بني زياد . وهي مدن زبيد والكدراء والمعقر تبين أنها من المدن القديمة[٤] ، وقد ذكرها الهمداني ، وذكرت في أخبار إسلام أهل زبيد.

---

[١] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٦٦-٦٩ .

[٢] الهمداني . الإكليل ٢/ ١٦ - صفة جزيرة العرب ٢٢٢ ، ٢٥٩ - نشوان الحميري . ملوك حمير ١٨٠ - الوصابي . تاريخ وصاب ١٨ ، ١٠١ . وقد أشار الوصابي إلى أن الشراحيين كانوا يضربون السكة باسمهم .

[٣] العلوي . سيرة الهادي ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ - الهمداني . الإكليل ٢٢٩/١ - ابن حوقل . صورة الأرض ٣٢ - المقدسي . أحسن التقاسيم ١٠٤ - ابن سمرة الجعدي . طبقات فقهاء اليمن ١٠٥ .

[٤] الأكوع . تعليقاته على تاريخ عمارة ٤٨ .

١٠- أبو الجيش الذي يتولى الإمارة ثمانين عاماً — في رواية كتاب عمارة —، ومع هذا لا يوجد من يتولى بعده إلاَّ أحد عبيده .

١١- أن المأمون عين أحد الولاة الثلاثة وزيراً ، ولا نعرف أن الخلفاء كانوا يعينون وزراء لولاتهم على الأمصار إلا إذا كان هذا يعني فصل اليمن عن الدولة ، وهذا لا نظنه يكون على يد الخليفة نفسه .

١٢- وصل علي بن الفضل إلى زبيد عام ٢٩٣هـ / ٩٠٦م واستولى عليها فلم تشر المصادر إلى بني زياد ، وإنما إلى مظفر بن حاج (ت ٢٩٨هـ/٩١٠م) الأمير العباسي التابع لإمارة مكة التابعة للدولة العباسية[١] .. فهو الذي تصدى لعلي بن الفضل ولم يستطع الصمود أمامه.

١٣- أن مظفر بن حاج هو الذي حارب الحكميين في شمال تهامة الذين استعانوا بالهادي تارة وبآل يعفر تارة ، ثم مالؤوا القرامطة لما اكتسحوا زبيد ولا وجود لبني زياد .

١٤- أن إدارة تهامة بعاصمتها زبيد ظلت تُحكم بعد خروج علي بن الفضل منها بقيادة عباسية تابعة لإمارة مكة ممثلة في مظفر بن حاج حتى توفي عام ٢٩٨هـ/٩١٠م وخلفه ابنه محمد ، ولكن إمارة مكة عينت ملاحظ بن عبد الله الرومي ، وظل أميراً على تهامة حتى عام ٣٠٣ه/٩١٥م فخلفه إبراهيم بن محمد الحرملي[٢] .

بعد وضع هذه الحقائق كلها أمام القارئ لا يسعنا جميعاً إلا أن نسلِّم بأن بني زياد لا وجود لهم طوال حوالي قرن من الزمان أي القرن الثالث الهجري كله ، ويتضح أيضاً أن ما جاء في كتاب عمارة اليمني من أن نشأة دولة بني زياد كان في مطلع القرن الثالث غير صحيح .

---

[١] الطبري . تاريخ ١٠/ ١٣٨ - العلوي . سيرة الهادي ٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، - المحلي . الحدائق الوردية ٢٥ - المقدسي . أحسن التقاسيم ١٠٤ .

[٢] المقدسي . أحسن التقاسيم ١٠٤ — الطبري . تاريخ ١٣٨/١٠ — العلوي . سيرة الهادي ٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ — المحلى . الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ٢٥ .

المحور الثالث : منشأ الخلط في كتاب عمـــارة اليمني :

أما كيف وقع هذا الخلط في كتاب عمارة اليمني ؟ إننا نرى أنه جاء من ناحية ما أدخل إلى الكتاب دون تمحيص ، فقد كان عند عمارة – أو النُسَّاخ الذين جاءوا بعده .. وهذا ما نرجحه – بعض الأقاصيص والأسماء عن بداية بني زياد ، فأدرجت في الكتاب ، ولفقت مع ما كتبه ابن حوقل الجغرافي المشهور في كتابه (صورة الأرض) عن اليمن في المدة الواقعة بين ٣٣١هـ/٩٤٢م و ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م . وكان حديثه عن اليمن وعمن خلف (أبا الجيش) الزيادي على تهامة فأخذ عمارة – أو النساخ من بعده – تلك المعلومات التي ترجع إلى القرن الرابع الهجري وجُعلت للقرن الثالث الهجري .. ولو عدنا إلى ما كتبه ابن حوقل لوجدناه حرفياً قد نُقِل إلى كتاب عمارة إلا أنه ليس في موضعه ، بل في غير موضعه مما أحدث اللبس .

ومن ثم فإن ما جاء في كتاب عمارة اليمني قد جانبه الصواب في موضوع نشأة الدولة الزيادية . وهذا يقتضي منا أن نتعرف على الدولة الزيادية من خلال المعلومات المتفرقة في المصادر الأخرى .

المحور الرابع : أطوار ومراحل الدولة الزيادية :

يمكننا أن نرسم عدة مراحل مما وصل إلينا من معلومات متناثرة والتي ممكن أن تكون في غير مظانها :

المرحلة الأولى : ما قبل التمكين : تفيد المصادر[(١)] بأن زياد بن محمد كان زعيماً لقومه أو عشيرته – وقد نسبه المقدسي[(٢)] إلى همدان وليس إلى بني أمية – وكانوا ينزلون في أطراف مخلاف جعفر[(٣)] ، وحينما استولى علي بن الفضل على (المذيخرة) عاصمة مخلاف جعفر طرد أبناء زياد هذا ، أو هربوا فاستقروا في وادي زبيد مجاورين

---

(١) الحمادي . كشف أسرار الباطنية ٦٢ .

(٢) أحسن التقاسيم ١٠٤ . وربما كانت رواية المقدسي تحمل درجة عالية من الصحة لأنه عاش عاماً كاملاً تحت حكمهم في زبيد وعدن .

(٣) مخلاف جعفر : ينسب المؤرخون المتأخرون مخلاف جعفر إلى جعفر بن إبراهيم المعاصر لعلي بن الفضل في نهاية القرن الثالث الهجري [نشوان . ملوك حمير ١٦٧ – الخزرجي . العسجد المسبوك ٣٩] إلاَّ أن الهمداني يقرر أن الملوك المناخيين يطلق عليهم (الجعافر) [الإكليل ٩٣/٢] فربما عرف المخلاف باسم أحد جعافرهم الأقدمين .

للشراحيين ، ولا تبين تلك المصادر كيف تمكنوا من أن يكون لهم حضور في زبيد حتى اختفى ذكر الشراحيين .. فهل زياد هو الذي خلفهم ؟ هذا هو الاحتمال ولكن دون أن يكون له إمارة لأن إمارة زبيد كانت تابعة لإمارة مكة وهذا الوجود لزياد كان عام ٣٠٤هـ أي بعد القضاء على القرامطة .

المرحلة الثانية : بداية التمكين : **لا نعرف كيف اختفى زياد ، ولكن الذي نعرفه من خلال المصادر أن ابنه إبراهيم بن زياد – الذي كان معاصراً للهمداني واستنجد به ليساعده على فك أسره[١] – كان في هذه الفترة أميراً على زبيد ، ولم يتول إبراهيم الإمارة على أساس أنه خلف أباه بوصية منه ، بل أسندت إليه إمارة زبيد بتكليف من أمير تهامة إبراهيم بن محمد الحرملي ، الذي كان متخذاً من مدينة زبيد مركزاً له وكان تابعاً لإمارة مكة المنضوية تحت الراية العباسية[٢].**

المرحلة الثالثة : مرحلة دولة آل زياد : **حيث قامت على أكتاف إبراهيم ثم ابنه إسحاق (أبي الجيش) ، فقد امتد نفوذهما إلى كبرى مدن تهامة (زبيد ، والكدراء ، والمعقر) ، حتى صار ملكهم يشمل ما بين الشرجة شمالاً وعدن جنوباً ، ولم يظهر أي وجود لأمراء آخرين يتبعون إمارة مكة .. ولعل إبراهيم نفسه وابنه كانا يمثلان العباسيين تابعين لإمارة مكة ، ولم يعرف لهما آثار في إدارة الدولة وعمرانها[٣]. وكانت تجاورهم في شمال تهامة سلطة بني طرف الحكمي في (عثَّر) ، وفي جنوب تهامة بنو مجيد المخائيين[٤] . ولأن بني زياد كانوا يستمدون شرعية سلطانهم من الدولة العباسية فقد مكنتهم من بسط نفوذهم على هذه المناطق ، بالإضافة إلى وجود علاقات حسنة مع آل يعفر لكونهما معاً يتبعان الدولة العباسية ، ولهذه العلاقة يترجح لدي بأن ما قيل من أن الدولة اليعفرية كانت تدفع أموالاً إلى ابن زياد[٥] ليس على سبيل القهر والغلبة والخضوع**

---

[١] الهمداني . الإكليل ٤٢٨/١ . وقد نقل الأكوع في الهامش المعلومات عن ابن زياد كما جاء عند عمارة فحصل الوهم والإرباك (الوصابي . الاعتبار ٢٥) .

[٢] المقدسي . أحسن التقاسيم ١٠٤ – المسعودي . مروج الذهب ٢ / ١٩٨ – الوصابي . تاريخ وصاب ٦٢ .

[٣] ابن حوقل . صورة الأرض ٣١ ، ٣٢ .

[٤] العلوي . سيرة ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٣ – الهمداني . الإكليل ٢٢٩/١ – ابن حوقل . صورة الأرض ٣٢ – المقدسي . أحسن التقاسيم ١٠٤ – ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ١٠٥ .

[٥] ابن حوقل . صورة الأرض ٣١ ، ٣٢ .

لهم ، وإنما كانت الدولة اليعفرية تدفع ما عليها من التزامات للدولة العباسية بواسطة بني زياد الذين كانوا على صلة وثيقة بإمارة مكة التابعة للدولة العباسية تبعية مباشرة .

المرحلة الرابعة : مرحلة دولة عبيد آل زياد : إن أكثر ما عُرف عن العمران الذي ينسب إلى بني زياد ليس في ظل أمرائها المعروفين وهم الثلاثة : زياد بن محمد ، وإبراهيم بن زياد ، وإسحاق بن إبراهيم ، وإنما ازدهرت وعرفت مآثرها بشكل واضح حينما كانت دولة بني زياد تحت سلطان عبيدها وعبيد عبيدها ابتداء من حوالي عام ٣٦٠هـ / ٩٧٠م أي بعد وفاة أبي الجيش[١]. وبالذات في عهد الحسين بن سلامة الذي كان عبداً لرشيد ، الذي كان هو الآخر عبداً من عبيد أبي الجيش ، وقد تولى الوصاية على آخر من تولى من أبناء بني زياد وهو طفل صغير يسمى المظفر قيل إنه لأبي الجيش وقيل ابن أخيه علي بن إبراهيم[٢].

وكان الحسين بن سلامة رغم أنه أحد عبيد بني زياد إلا أنه كان رجلاً حكيماً ، مدرباً على الحكم ، يحب الخير للناس . فقد قام بإصلاحات كثيرة غطت على ما فعله بنو زياد سواء من حيث البناء والعمارة ، أم من حيث تأمين طريق الحج وعمارتها ، أم من حيث إعادة الهيبة والصولة باسم بني زياد . لأنه كان يعد وزيراً لهم وحاكماً باسمهم ، حتى أنه استطاع في حكمه الذي دام حوالي ثلاثين سنة استرداد ما فقد من الأراضي التي تفلتت من تحت سيادة بني زياد . وقد وُصِفَ بأنه كان " عادلاً على الرعية ، كثير الصدقات والصلات في الله تعالى ، مقتدياً بسيرة عمر بن عبد العزيز في أكثر أحواله "[٣] .

المرحلة الخامسة : نهاية دولة بني زياد : إن الحسين بن سلامة – بالرغم من طول حكمه – لم يستطع وضع لبنات راسخة لاستمرار حكم بني زياد . فقد توفي ابن سلامة مخلفاً مجموعة من العبيد معظمهم من النوبة تشاكسوا فيما بينهم ، إلى أن خرج الأمر تماماً من يد بني زياد ، فقد تقلد أحد عبيده ويسمى مرجان الوزارة على الطفل المتبقي من آل زياد أو الرجل الضعيف من بني زياد . وكان لمرجان عبدان أحدهما نفيس

---

[١] مجهول . تاريخ اليمن (ق /٩٧) – المقدسي . أحسن التقاسيم ١٠٤ – الخزرجي . العسجد ٤٦ ، ٤٧ – يحيى بن الحسين . طبقات الزيدية الصغرى (ق/٤٨) وتسمى الطبقات في ذكر فضل العلماء وعلمهم ومصنفاتهم .

[٢] عمارة . تاريخ اليمن ٤٠ .

[٣] الخزرجي . العسجد ١٠٤ – عمارة . تاريخ اليمن ٤٥ – وانظر : الحريري . معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح باليمن وعلاقاتهم بالصليحيين .

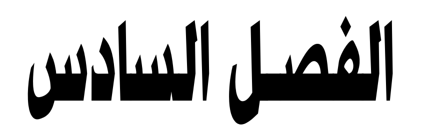
والآخر نجاح فبعد موت مرجان حدث التنافس بينهما إلى أن تغلب نجاح على نفيس بعد أن قتل من تبقى من بني زياد لتختفي الدولة الزيادية وتظهر الدولة النجاحية بدءاً من عام ٤١٢هـ/ ١٠٢٢م مع وجود خلاف حول هذا التاريخ .

عوامل سقوط دولة بني زيـــاد :

رغم ما ذكرناه في هذه الدراسة من نبش للمعلومات وتحليل لها إلا أن النتيجة التي ممكن أن نلمسها هي أن دولة بني زياد بدأت بغموض شديد ، وخُتمت أيضاً بغموض شديد ، مما يلقي على الباحث عنتاً ونَصَباً ؛ لأنه لا يملك المعلومات التي تعينه على تفسير المواقف وتجليتها ، ويرجع سبب الغموض إلى اختفاء مصادر تاريخهم حيث لم يعد لدينا إلاَّ التخمين المعتمد على القرائن ، وقراءة المعلومات القليلة والمتناثرة التي تؤهل من يريد أن يكتب عن دولة بني زياد .. ولكن يمكن أن نرصد بعضاً من عوامل انتهاء دولتهم فيما يأتي :

١- أن بذرة سقوطها يكمن في نواة نشأتها . فنشأتها المرتبط بإمارة مكة تجعلها شبيهة بإمارة بني طرف في شمال تهامة ، وبني مجيد في جنوبها ، حيث يضطرب وجودها بقوة وضعف إمارة مكة .
٢- أنها لم تكن تملك قوة عسكرية ، كما هو حال بني يعفر في المناطق الجبلية .
٣- انطوائها داخل وسط تهامة دون أن يكون لها تطلعات لبسط نفوذها على المناطق المجاورة .
٤- أنها ليس لها حضور في الأحداث التي جرت في اليمن وخاصة القرامطة والدولة الزيدية ولهذا اختفى تاريخها لعدم مشاركتها فيما كان يدور على ساحة اليمن . حتى شخصيات قياداتها صارت غير معروفة بينما الحسين بن سلامة الذي هو أحد عبيد عبيدها هو الأكثر شهرة في تاريخ بني زياد .
٥- عدم وجود قيادات منهم ، أو مكاتبات وبروز علاقات مع الدولة العباسية مثل بني يعفر مما أدى إلى ذوبانها وانتهائها .



التحولات الإدارية

تمهيد :

من خلال ما عرفناه في الفصل الأول من هذا الكتاب ، ونحن نستعرض حال اليمن السياسي والفكري عشية ظهور الإسلام ، خرجنا بنتيجة بارزة المعالم وهي : أن اليمن بالرغم من معرفته – في تاريخه القديم – بالنظام الإداري المركزي إلا أنه عند ظهور الإسلام كان في وضع إداري غير منضبط بشيء، وهذا الوضع جاء انعكاساً للوضع السياسي لليمن الذي وجدناه موزعاً بين العديد من القوى .. وقد لاحظنا ذلك من خلال تعدد وكثرة الألقاب الملكية التي كانت تطلق على زعماء حمير وكندة وحضرموت ، وكذلك من خلال ما أمدتنا به المصادر من معلومات عن عدد كبير من الوفود التي جاءت لمقابلة رسول الله ﷺ حيث كان كل وفد يعبر عن كيان قبلي له زعامة خاصة به .. سواء أكانت الوفود قادمة من مناطق نفوذ (الأبناء) المرتبطين بالفرس ، أم من النصارى المشدودين إلى الروم ، أو من القبائل – وهم الأغلب – بتعدد مشاربهم .

فالنصارى في نجران يقيمون لهم نظاماً إدارياً له طابع وبصمات رومية (بيزنطية) .

والفرس– أو من بقي منهم – يعملون على التشبث بالهيكل الإداري الفارسي الذي تمكنوا من المحافظة عليه أكثر من نصف قرن .

وأما القبائل – وهي الأكثر قوة والأوسع نفوذاً ورقعة – فهي مرتبطة بمصالحها ، ومن ثم فإن النظم الإدارية فيها لا تخرج عن كونها : ساذجة الترتيب ، منعدمة التنظيم ، لأنها مشدودة إلى شيخ القبيلة الذي يضع لنفسه أعواناً يسيرون أمره وجميع خيوط ذلك بيده .

أهداف الدولة الإسلامية من وراء النظام الإداري :

لذلك الوضع الإداري المتناثر كان على الدولة الإسلامية ممثلة برسول الله ﷺ أن تواجه الواقع بخطوات وئيدة منبعثة من طبيعة هذا الدين القائمة على المرحلية والتدرج والانتقال من خطوة أقل إلى خطوة أعم وأشمل دون اعتساف المراحل .

مع التنبيه إلى أن التصور الإسلامي الشامل يقتضي أن يكون كل نشاط إنساني هو عبادة لله .. لا فرق بين نشاط شعائري ، أو إداري ، أو سياسي ، أو علمي .. الخ .

ولذا فإن النظام الإداري في الدولة المسلمة لابد أن تتمثل فيه هذه الروح ، ولابد أن تكون العبودية لله مصاحبة لأي عمل يقوم به المسلم ..

وبناءً على ذلك كانت الدولة الإسلامية تسعى لتحقيق العبودية من خلال خطواتها الإدارية في اليمن أو في غيرها .. ومن تلك الأهداف ما يأتي :

١. إذابة العصبيات الجاهلية ، وجمع البشر على أساس العقيدة ، وليس على أساس القبيلة والعشيرة ، حتى يصبح الولاء لله وللقيادة المسلمة وللأمة المسلمة . ومن ثم العمل على اجتثاث الولاء القبلي بصفته مصادماً لآصرة العقيدة ، ولا مانع من بقاء القبيلة كوحدة إدارية واجتماعية ، لا انتماء عصبي .
٢. إيجاد نظام إداري يجمع بين المركزية واللامركزية بتوازنات دقيقة فلا يطغى جانب على آخر .
٣. إيجاد وحدات إدارية كبيرة ومنها اليمن ، إذ وحدت اليمن في ولاية إدارية واحدة .

وسنحاول تتبع التحولات الإدارية بدءاً من عهد النبوة حتى نهاية القرن الرابع الهجري – إن شاء الله – .

التحولات الإدارية :

ولكي تتحقق الأهداف السابقة وغيرها ،كان لابد من استخدام وسائل عديدة : نظرية وعملية أدت إلى إحداث تحولات كثيرة ومتنوعة من عهد النبوة إلى آخر القرن الرابع الهجري ... وأهمها :

التحول الأول : التحول في عهد النبوة من التفرق والتمزق إلى التوحيد الإداري :

فقد تنقل رسول الله ﷺ – لكي يتحقق هذا التحول – من خطوة إلى أخرى عن وعي وإدراك ، وليس هذا داخل اليمن وحده ، وإنما كانت سياسة إدارية عامة يرسم معالمها – عملياً لا تنظيرياً – في جميع المناطق التي انضوت تحت راية الدولة الإسلامية . فهو يخطو خطوة فيحقق بها أجزاءً من مجموع الأهداف التي يهدف إليها ، إذ نجد الأهداف والخطوات متداخلة ومتلاحمة لا فكاك بينها . ولا توجد أيضاً فوارق زمنية دقيقة بين كل خطوة وأخرى بالرغم من أننا – مضطرين فنيا – للتفريق بينها من حيث عناوينها .

وباستقراء هذه الخطوات نجد أنها ثلاث خطوات لا رابع لها :

الخطوة الأولى : إقرار زعماء القبائل على مناطقهم ..

لقد اتخذ رسول الله ﷺ هذه الطريقة مع جميع القبائل ..فكان يَطَّلِعُ على وضع القبيلة وزعمائها ، فيعرفهم عن قرب ، ويتعرف على كريمهم ومن يتجمعون حوله منهم فيوليه عليهم[١].

ولعله كان يراعي في هذا الاختيار قبول الرجل عند قومه ، وتميزه بصفات مقبولة لكي يكون مؤهلاً لتولي منصب كهذا ، ومسئولاً أمام الدولة الإسلامية .

وبما أن أول تجمع بشري داخل اليمن انضم إلى الدولة الإسلامية كان في العام السابع الهجري وهو التجمع الفارسي المعروف بالأبناء ، فقد كان زعيمهم (باذان الفارسي) أول من ولاه رسول الله ﷺ على قومه ، وصارت مناطق نفوذه – صنعاء وعدن وما حولهما – يديرها باسم الدولة الإسلامية[٢]..

وقد قيل عن تولية باذان الفارسي بأنه وُلِّي على جميع اليمن[٣]، وهذا قول غير واقعي – والإسلام يتعامل مع الواقع – فالمناطق اليمنية لم تسلم بعد ، وباذان الفارسي ليس له سلطان على اليمن كلها حتى قبل إسلامه ، ولكن سلطانه على مناطق نفوذه في الجاهلية ممثلاً للفرس ، وهذا ما نلحظه من قول رسول الله ﷺ لوفد باذان : " وقولا له (أي لباذان) إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء "[٤] .

وبعد هذه التولية – الأقدم زمناً – تطالعنا توليات عدة في أوقات مختلفة ، وأولاها تولية الطفيل بن عمرو الدوسي ، وعبد الله بن أزيهر الدوسي على قومهما ، ثم فروة بن مسيك المرادي على مراد وزُبَيْد من مذحج .. وهكذا ..

وهذه الخطوة ظل رسول الله ﷺ يمارسها طوال عهده ، حتى في ظل الخطوتين التاليتين كانت هناك مراعاة لمثل هذه الخطوة ، التي كان لها أثرها الواضح في أوساط القبائل ..

الخطوة الثانية : التنظيم الإداري في وحدات إدارية كبيرة ..

على ألا ترتبط بالعشيرة أو القبيلة ، لتحقيق هدف مهم وهو تذويب العصبية القبلية ، فلا تجعل الوحدات الإدارية على أساس قبلي ، ولا يولي عليها أحد زعمائها بصفته القبلية ،

---

[١] الخزرجي . طراز أعلام الزمن ١/ ٩٩ (مخطوط) .

[٢] ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٢٢ – ابن حجر . الإصابة ٢/ ٢٢٢ .

[٣] الطبري . تاريخ ٣ / ٣١٨ .

[٤] المصدر نفسه ٢ / ٦٥٦ .

بل على أساس الكفاءة والقبول ، ويراعى في هذه الخطوة جمع أكثر من قبيلة في وحدة إدارية واحدة ، وربما اتخذت العوامل الجغرافية وسيلة للتقسيم الإداري الجديد .

وتبدأ هذه الخطوة – زمنياً – من بعد غزوة تبوك في العام التاسع الهجري[1]، ويبدو واضحاً أن رسول الله ﷺ كان على علم بالطبيعة الجغرافية لليمن، والمصطلحات الإدارية المستعملة عند اليمنيين . فقد قسم الجزء الذي أصبح معظمه منضوياً تحت لواء الدولة الإسلامية في هذه الآونة تقسيماً يقوم على طبيعته الجغرافية وليس على أساس قبلي ، ومن ثم ضم في هذا التقسيم مجموعات قبلية يشرف عليها أمير واحد ، واستخدم لذلك مصطلحاً إدارياً يستعمل في اليمن – ومازال – وهو (المخلاف)[2]. فجعل مناطق اليمن التي إما قد أسلمت أو هي مجاورة لها فتربطها قبلياً أو جغرافياً ، جعلها في مخلافين اثنين .. أي وحدتين إداريتين كبيرتين هما :

- **المخلاف الأعلى : وتأتي صفة (الأعلى) هذه من كونه يضم المناطق الجبلية الممتدة من نجران شمالاً حتى لحج وعدن جنوباً . وأَمَّر عليه أميراً من قبله وهو أحد صحابته المعروفين ، وإن كان له أصل يمني إلاَّ أن أساس الاختيار هو الأفضلية في التقوى ، هذا الأمير هو : معاذ بن جبل الأنصاري، الذي وصفه رسول الله ﷺ بأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام[3] .**
- **المخلاف الأسفل : وسمي بالأسفل لقربه من البحر ، فهو يضم المناطق الساحلية أو (تهامة اليمن) ويبدأ بجازان شمالاً ، وينتهي بعدن جنوباً . وعين عليه أميراً أيضاً هو أحد الصحابة الكرام ومن أبناء المخلاف سكناً وعشيرة ، إنه : أبو موسى الأشعري الزبيدي[4] . وقد وضع على رأس هذا المخلاف لمكانته وكفاءته وليس لوضعيته القبلية .**

---

(1) أبو عبيد . الأموال ٢٥٩ ، ٢٦٠ – السهيلي . الروض الأنف ٤١٥/٧ – الزرقاني . شرح المواهب اللدنية ٣٦٧/٣ .

(2) المخلاف : جمعه مخاليف ، ويقابل الإقليم أو المصر أو المديرية (ابن منظور . لسان العرب ١٢٤٣/٢ – المعجم الوسيط ١/ ٢٥٢) .

(3) ابن حجر . فتح الباري ١٦ / ١٧٩ .

(4) الهمداني . صفة جزيرة العرب ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٢٥٩ – ابن حجر . فتح الباري ١٦ / ١٧٩ – ياقوت . معجم البلدان ٢٥٠/١ و ٣٠٥/٢ و ٨٥/٤ .

الخطوة الثالثة : التنظيم الإداري الدقيق ..

فهو يقوم على قاعدة إدارية تشبه قاعدة المثلث ، وينتهي برأس كرأس المثلث ، وتوقيت هذه الخطوة هو بعد حجة الوداع ١٠هـ ، ولهذا التوقيت أهمية .. فالدين قد اكتمل وتلقى رسول الله ﷺ والمسلمون الإعلان الإلهي الحاسم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة : ٣) .

وصار من واجبات الدولة الإسلامية أن تقوم بالترتيبات الإدارية الأخيرة قبل رحيل رسول الله ﷺ ، فقام عليه الصلاة والسلام بتشذيب وتهذيب وترتيب كل ما بقي من أوضاع لتكون خالصة ومتخلِّصة من كل الشوائب الجاهلية ، ولهذا أعلن رسول الله ﷺ وهو يودع الناس في حجة الوداع : " ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع "[١].

ومن أجل ذلك وضعت ترتيبات إدارية دقيقة لتحقيق هذا الغرض الكبير تربوياً وإدارياً.

فلم يُعتد بالزعامات القبلية كمقوم للاختيار الإداري ، بل أصبح زعيم القبيلة بمثابة (العريف) ، أو رئيس مجموعة سكانية يرتبط بسلسلة من الحلقات الإدارية ..

فاليمن أصبح ولاية من ولايات الدولة الإسلامية كولاية مكة والطائف ، يرأس جهازها الإداري أمير معين من قبل رسول الله ﷺ وكان هذا الأمير حينذاك هو معاذ بن جبل .. وحددت لهذه الولاية عاصمة أو مركز ومقر لقيادتها هي مدينة الجند[٢] – التي تقع وسط قبيلة حمير أكبر قبائل اليمن – ، وكان اختيار هذا الموقع له دلالته المؤثرة ، حيث كانت حمير لها وزنها التاريخي في اليمن ، ومن ثم فاختيارها مقراً أو مركزاً لعله يعطى إشارة إلى أن أهل اليمن لن يجدوا في أنفسهم حرجاً من أن يكون مركز تجمعهم في وسط حمير ذات السمعة التاريخية ، والإسلام لا يمانع من الاتكاء على أمور واقعية مالم تكن متعارضة مع قواعده وتصوراته وموازينه وقيمه ..

ولاية اليمن هذه قُسِّمت في هذه المرحلة إدارياً إلى خمس وحدات إدارية عرفت بالمخاليف وهي :

١. مخلاف الجند : وفيه مدينة الجند عاصمة الولاية ، وأميره وأمير ولاية اليمن هو

---

[١] ابن كثير . البداية والنهاية ١٧٠/٥ – ابن الديبع . حدائق الأنوار ٢/ ٧٤٠ .

[٢] تقع مدينة الجند على بعد ١٧كم من مدينة تعز شمال شرقي (المقحفي . معجم ٣٦٧/١ – طبعة الجيل الجديد) .

معاذ بن جبل [1] فهو يجمع بين الإمارة المحلية للمخلاف ، والإمارة العامة لولاية اليمن .

٢. مخلاف صنعاء : وهو من أكبر المخاليف ووضع على إمارته شهر بن باذان بعد وفاة والده[2] .

٣. مخلاف حضرموت الذي يضم أقسامه الثلاثة (المهرة ، وكندة ، وأقيال حضرموت) وأسندت إمارته إلى زياد بن لبيد البياضي الأنصاري[3] .

٤. مخلاف تهامة : وتولى إدارته الصحابي الطاهر بن أبي هالة[4] .

٥. مخلاف مأرب : ويبدو أنه جعل مخلافاً مستقلاً ليضم قبائل بلاد مذحج الواقعة في سرو مذحج الممتد من شرق الطائف ، ويمتد جنوباً بمحاذاة شرق نجران وصعدة ، ويدخل فيه الجوف ومأرب وحريب ، هذه المنطقة أسندت إمارتها إلى أحد الأمراء المحنكين المدربين وهو أبو موسى الأشعري[5] الذي كان في الخطوة الأولى أميراً على تهامة (المخلاف الأسفل) ، مما يشي بأهمية هذا المخلاف ، فهو يحتاج إلى إعداد تربوي خاص ، وأبو موسى أهلٌ لذلك ، ومما يدل على ذلك أن أول ردة ظهرت في اليمن من هذا المخلاف ، لأن الوقت لم يكن كافياً لإعداده تربوياً .

التحول الثاني : التحول في الارتباط التنظيمي :

هذا التحول لم يقتصر على عهد النبوة بل كان له وجود في العصور التالية ، وبما أن المناطق أصبحت – في عهد النبوة – مقسمة إلى وحدات إدارية لا علاقة لهذا التقسيم بالتجمعات القبلية . وعلى كل وحدة إدارية مسئول يتولى مسئوليته المناطة به: فهذا للتعليم ، وهذا لجمع الصدقات وتفريقها ، وهذا للإفتاء ، وهذا للقضاء .. وهكذا تجد

---

[1] الطبري . تاريخ ٣١٨/٣ – ابن الأثير . الكامل ٣٣٦/٢ .

[2] انظر تفصيل هذا في : اليمن في صدر الإسلام ٢٣٢ .

[3] ابن حجر . الإصابة ١ / ٥٥٨ .

[4] المصدر نفسه ٢ / ٢٢٢ والطاهر بن أبي هالة صحابي رباه رسول الله ﷺ فهو ابن زوجته خديجة رضي الله عنها من زوجها السابق .

[5] ابن سمرة الجعدي . طبقات الفقهاء ٢٤ .

أمامك نظاماً متكاملاً وإن كان بسيطاً وغير معقد إلا أنه لا يخلو من دقة ونفاذ بصيرة .

وتدليلاً على هذا الارتباط التنظيمي الدقيق أن الردة حصلت في اليمن ، ثم توفي رسول الله ﷺ ، وتأثر هذا الوضع التنظيمي الإداري بهذه المجريات الجديدة إلاَّ أن أمراء الوحدات الإدارية ظلوا مشدودي الوثاق إلى عاصمة الدولة الإسلامية ، فحينما اطمأنوا إلى وجود جيش إسلامي داخل اليمن يؤدي مهمته الرائدة في وأد حركة الردة طلب الجهاز الإداري ممثلاً بمعاذ بن جبل بصفته مكلفاً بالإمارة من قبل رسول الله ﷺ طلب من قيادة الدولة الجديدة – الخليفة أبي بكر الصديق – بأن يعودوا إلى عاصمة الدولة ، فأذِنَ الخليفة لمن شاء منهم شريطة ألا يتركوا فراغاً إدارياً وراءهم ، بل عليهم تعيين من يخلفهم ثم يقفلون راجعين إلى المدينة المنورة[1] وهذا ما كان .

وامتداداً لما كان عليه الوضع في عصر رسول الله ﷺ صار في عصر الخلفاء الراشدين والعصور التالية الحرص على الارتباط التنظيمي بقيادة الدولة في التنويع الوظيفي والتولية والعزل .

التحول الثالث : إقامة وحدات إدارية كبيرة :

وهذا التحول بدأ بوضوح من عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي سعى لإيجاد وحدات إدارية كبيرة يديرها أمير يمتلك من الصلاحيات الواسعة وفق الضوابط الشريعة المرعية ما يمكنه من إدارة الولاية ، ويكون وحده هو المسئول أمام الخليفة[2].

إلا أن أبا بكر الصديق قبل عمر وبعد الانتهاء من أحداث الردة جعل اليمن في ثلاثة مخاليف كبيرة حتى صارت اليمن تشتهر بها ، وكانت تذكر كلما ذكرت الوحدات الإدارية في اليمن وهي : صنعاء والجند وحضرموت ، واستمرت في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً ، وكانت مجموعة تحت وال واحد .

ولكن في عهد علي بن أبي طالب ﷺ ظهرت كلمة " وجمع المخلافين صنعاء والجند "[3] وهذا معناه أن مخلاف الجند أدمج إدارياً مع مخلاف صنعاء .

وقد تكرر هذا الوضع أكثر من مرة في العهد الأموي[4].

---

[1] الطبري . التاريخ ٢٤٩/٣ – ابن الأثير . الكامل ٢/ ٣٤٦ .

[2] صبحي الصالح . النظم الإسلامية ٣٠٩ .

[3] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٢٣ .

[4] المصدر نفسه ٣٥ ، ٣٧ .

وإن كانت هذه المخاليف الثلاثة (صنعاء والجند وحضرموت) تذكر أحياناً بالاسم ، وأحياناً تذكر ولاية اليمن ويقصد بها المخاليف الثلاثة .

مع العلم أن اليمن يحتوي من حيث عدد المخاليف (الوحدات الإدارية) على عدد كبير ، ولكنها كلها تدخل ضمن هذه المخاليف الثلاثة . فقد عدتها بعض الإحصائيات وأوصلتها إلى ثلاثة وسبعين مخلافاً[1] ، وبعضها جعلتها أربعة وثمانين مخلافاً[2].

وصارت مدينة صنعاء هي عاصمة الولاية بدلاً من الجند ، وابتدأ هذا من عهد أبي بكر الصديق ﷺ .

ونتيجة لتحول مقر عاصمة الدولة من المدينة إلى الكوفة في عهد علي رضي الله عنه ثم إلى دمشق في الشام في عهد بني أمية ثم إلى بغداد في عهد بني العباس .. نتيجة لذلك التحول في عاصمة الدولة أصبحت منطقة الحجاز وجنوب الجزيرة العربية في بعض الأحيان وحدة واحدة في نظر الدولة ، ولهذا كان أحياناً ما تعطى منطقة الحجاز واليمن لوالٍ واحد ، وهو الذي يتولى إدارة هذه الوحدة الإدارية الكبيرة ، ويعمل على تولية الولاة الذين يراهم مناسبين لإدارة الوحدات الإدارية الداخلية[3] .

ففي عهد عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ/٧٠٥م) ضمت ولاية اليمن إلى الحجاز تحت إمرة أمير واحد هو الحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ/٧١٤م) .

وفي عهد أبي العباس السفاح (ت ١٣٦هـ/٧٥٣م) أول الخلفاء العباسيين أوكل إلى عمه داود بن علي بن عبد الله بن عباس (ت ١٣٣هـ/٧٥٠م) إمارة الحجاز واليمن .

وتكررت هذه الصورة الإدارية أكثر من مرة ، حتى أن آخر ارتباط لليمن بالدولة العباسية كان من خلال ولاية مكة ، إذ كانت تهامة اليمن - وهي الباقية على صلات اسمية بالدولة العباسية - إدارياً مرتبطة بولاية مكة[4] كما ذكرنا ذلك أثناء حديثنا عن آل يعفر وآل زياد .

---

[1] ابن خرداذبه . المسالك والممالك ١٣٦ - ١٤٣ .

[2] اليعقوبي . التاريخ ١/ ٢٠١ البلدان ٣١٧ .

[3] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٣٣ ، ٣٩ .

[4] ابن الديبع . قرة العيون ١ / ١٧٥ .

التحـول الرابع : ظاهـرة الإنابـة الإدارية :

لاحظنا أن الولاة في عصر الخلافة الراشدة كانوا يذهبون إلى اليمن بأنفسهم ، بينما وجدت في عصر بني أمية –واستمر هذا الوضع في عصر بني العباس أيضاً – طريقة أخرى في إدارة الولاية ، فقد كان الخليفة يعين أميراً على اليمن فينيب عنه – أحياناً – غيره ليتولى النائب الولاية الفعلية بينما هو يستقر في مكة أو في مكان آخر ، فعتبة بن أبي سفيان – مثلاً – الذي كان أميراً على اليمن استدعاه أخوه معاوية من صنعاء فأناب عنه فيروز الديلمي ، وظل هذا أميراً على صنعاء ثمان سنوات نيابة عن عتبة[(١)]..

وجعل إقليم الحجاز وإقليم اليمن ولاية واحدة في عهد عبد الملك بن مروان ، وسلمت للحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥هـ/٧١٤م) الذي كان له الفضل في إخضاع الحجاز وإنهاء واستئصال الدولة الزُّبيرية ، فكوفئ الحجاج من قبل عبد الملك بن مروان على عمله هذا بإعطائه هذه الولاية الكبيرة ، ولكنه لم يذهب إلى اليمن وإنما أناب عنه ثلاثة ولاة على المخاليف اليمنية الثلاثة وهي : صنعاء والجند وحضرموت[(٢)] ، ويديرها كلها أمير واحد ولكنه نائب عن الأمير العام الذي يدير الحجاز واليمن فقد كان محمد بن يوسف الثقفي هو الأمير العام ، ثم لما مات خلفه ابن عمه أيوب الثقفي وأصبحت اليمن تُدار من قبل الحجاج وليس من قبل الخليفة .

وأناب والي اليمن يوسف بن عمر الثقفي في عهد هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ/٧٤٣م) ابنه الصلت بن يوسف ..

وحينما بويع أبو العباس السفاح بالخلافة عام ١٣٢هـ/٧٤٩م أوكل إلى عمه داود بن علي بن عبد الله بن عباس (ت ١٣٣هـ / ٧٥٠م) إدارة الحجاز واليمن مكافأة له على ما قام به من جهد أثناء قيام الدولة العباسية .

---

(١) الجندي . السلوك ١/ ١٩٩ ، ٢٠٠ . حصل مثل هذا الإجراء في عهد علي بن أبي طالب عندما خرج والى اليمن عبيد الله بن العباس من اليمن خوفاً من جيش معاوية ، وأناب عنه أميراً على اليمن ، ولكن هذه الحالة اضطرارية وليست نظاماً معترفاً به .

(٢) المصدر نفسه١/٢٠١ –الخزرجي .العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ٢٢،٢٣ – ابن الديبع . قرة العيون ١٠٠ – يحي بن الحسين .غاية الأماني ١/١١١ .

تولى داود بن علي اليمن والحجاز ، ولكن دون أن يكلف نفسه الدخول إلى اليمن حيث أقام في المدينة لأنها قد تكون مصدراً لأي اضطراب ، بينما اليمن – كما يبدو – لم تكن فيه أحداث تستحق الإشراف المباشر عليها ، فقد أناب عنه عمر بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب العدوي القرشي ليتولى شئون إمارة اليمن ، وما لبث أن توفي عمه بعد خمسة أشهر فبعث أبو العباس السفاح والياً آخر كان بداية سلسلة من الولاة تناوبوا إدارة اليمن في عهده .. هذه السلسلة من الولاة أغلبها تنتسب إلى بني عبد المدان من بني الحارث بن كعب وهم من اليمن وكان مقرهم في نجران[1] وذلك لأن أم السفاح منهم .

وتكررت الإنابة الإدارية في صور متعددة ففي عهد الخليفة المعتصم (ت ٢٢٧هـ/٨٤١م) الذي كان مشغولاً بالجهاد في الميدان الشمالي مع بيزنطة (الروم) أوكل إدارة اليمن إلى جعفر بن دينار ، فأناب عنه غيره وبقي هو في بغداد ، ولم يفلح نائبه في التصدي ليعفر الحوالي ، ولما تولى الواثق الخلافة (ت ٢٣٢هـ/٨٤٦م) واستشرى وضع يعفر الحوالي كلف جعفر بن دينار للمرة الثانية على اليمن ، ونتيجة لخطورة الوضع جاء جعفر بنفسه إلى اليمن في عهد المتوكل .. كما وضحنا هذا في الفصل الخاص بالاتجاهات القبلية .

وهكذا أصبحت هذه الخطوة الإدارية ظاهرة مارسها الكثير من الولاة وبرضى الخلفاء . وربما أدى هذا إلى تدهور وضع هذا الإقليم وعدم الاهتمام به كما ينبغي نتيجة لذلك الإجراء الإداري الذي قد يراه المراقب أنه لم يكن موفقاً ، بينما قد تراه الدولة حينذاك بأنه إجراء لا غبار عليه ..ولا نبالغ إذا قلنا إن النيابة في إدارة ولاية اليمن كانت ظاهرة ولم يتخلف عنها معظم الولاة العباسيين[2] .

التحول الخامس : ظاهرة الضمان الإداري :

ظهر نوع آخر في إدارة ولايات الأمصار طبق في اليمن ، وقد ظهر أول ما ظهر في أيام يزيد بن معاوية (ت ٦٤هـ/ ٦٨٣م) ، وهي التولية (بالضمان)[3]. ولعل ظهورها في

---

[1] ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٢٨ ، ٢٩ .

[2] الهمداني . صفة ٣٢٣ – ابن الديبع . قرة العيون ١/١١٨، ١١٩، ١٧٥ .

[3] الضمان : أن يتكفل الضامن أو المتكفل أو المتقبل بدفع مبلغ معين للدولة مقابل توليه الولاية وحمايتها ورعايتها .

هذا الوقت كان لشعور الخليفة الواجف من تفلت الأقاليم والأمصار من تحت يده فلجأ إلى تسليم اليمن إلى والٍ قوي على سبيل الضمان ، ويعني : أن يتولى أحدٌ الولاية ويضمن إدارتها وتأمينها وتحصيل المستحقات عليها ثم تقتسم بين الضامن والدولة .

فقد تولى بحير بن ريسان الحميري اليمن في عهد يزيد بن معاوية مقابل أن يدفع لبيت مال المسلمين مالاً معيناً بعضه نقداً وبعضه عيناً[1]، ولم نلحظ هذا الوضع مرة أخرى في عصر بني أمية ، وإن كنا نلاحظه في العصر العباسي الثاني الذي لم يعد الوالي مجرد ضامن مؤقت بل صار يمتلك الولاية ويتوارثها أولاده مع بقاء الارتباط الاسمي .

التحول السادس : الارتباط بدولة مركزية :

ظل هذا الارتباط متمحوراً حول بلاط الخلافة طوال أربعة قرون تقريباً .. ولا عبرة بالخروقات التي حصلت في ثنايا هذه القرون الأربعة من تمردات هنا أو هناك ، فهي استثناء يؤكد القاعدة .. ومهما اختلفت الترتيبات الإدارية إلا أن الارتباط المركزي هذا ظل معمولاً به حتى مطلع القرن الرابع الهجري .. ثم حل محله ارتباط غير مركزي بالخلافة حينما انفردت قوتان باليمن (اليعفرية في الداخل ، والزيادية في الساحل) ، وكانت لهم صلات بالدولة العباسية : ولاءً ، وشرعية وجود .. كما عرفنا سابقاً .

إلاَّ أنه بالرغم من ذلك فقد كانت هناك بعض المناصب مثل القضاء فأحياناً كان الخليفة العباسي يتدخل فيولي من يراه مناسباً على القضاء في اليمن[2] ، كما لاحظنا تولية القاضي محمد بن يوسف الحذاقي في ظل دولة بني يعفر . [انظر نص مرسوم التولية في الملحق رقم (١٢)]

التحول السابع : مركزية وتشابه الترتيبات الإدارية :

كانت هذه المركزية والتشابه في مختلف جوانب الإدارة ، إذ كانت تدار اليمن بما كانت تدار به عاصمة الدولة سواءً أكانت في المدينة أو الشام أو بغداد .. ومن تلك الجوانب الإدارية :

---

[1] الخزرجي . العسجد المسبوك ٢١ – يحي بن الحسين . غاية الأماني ١/ ١٠٠ .

[2] الأكوع . الوثائق ٢٣٠ .

أ- استحداث الدواوين لتسجيل وقيد كل ما يهم الولاية من دخل وخرج في شئون المال ، بالإضافة إلى حصر الأراضي المملوكة للدولة ، وما عليها من زكاة ، وحصر الأوقاف ، وشئون العطاءات والموظفين والجند ..

ب- اتخاذ إجراءات إدارية لتسهيل مهمة القضاء (كالشرطة واتخاذ الجيوش) ، وعلى سبيل المثال يوجد لدينا مرسوم التولية الذي أرسله الخليفة المعتمد (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) لمحمد بن يعفر الحوالي ينص فيه على العديد من التوجيهات الصريحة لكيفية إدارة الولاية ، محدداً الإدارات ومهماتها . وقد تصدر المرسوم بتذكير الأمير محمد بن يعفر بما عليه من التزامات شخصية ، كالتقوى والورع والإحسان إلى الناس .. ثم وجه عدة توجيهات منها :

١- تقريب القواد وإكرامهم والإحسان إلى الجند .

٢- من يولى على الشرطة يكون متصفاً بالقوة والدين .

٣- إنشاء الدواوين المطلوبة .. محدداً صفات ومؤهلات الموظفين فيها .

٤- إنشاء فريق المراقبة ومحاسبة العمال في الأقاليم لمجازاة المسيء ومكافأة المحسن .

٥- العمل على إيجاد منصب المحتسب الذي يتعهد الناس في أسواقهم.. محدداً شروط المحتسب بدقة .

٦- انشاء جهاز إداري مالي بمواصفات محددة ومهام دقيقة ، مبيناً متى وكيف يحصل المال الواجب تحصيله حتى لا يؤدي الإضرار بالناس[1] .

[انظر نص المرسوم في ملحق رقم (١٣)] .

وليس لدينا معلومات كافية عن مدى التزام آل يعفر بتلك التعليمات ، ولكن الذي نعرفه عنهم أنهم أنشأوا إمارة للشرطة[2] ، وكان لهم موظفون للشئون المالية .. ولكن بعضهم كان يتعامل مع الناس بقسوة كما فعل إبراهيم بن محمد بن يعفر الذي جعل اليمن أرضاً خراجية لا أرضاً عشرية وذلك لكي يتحصل على أكبر قدر ممكن من المال[3] .

---

[1] الأكوع . الوثائق السياسية ٢٣٤ – ٢٣٧ .

[2] الهمداني . الإكليل ١٥١/٢ .

[3] ابن رستة . الأعلاق النفيسة ١١٢ – مجهول . تاريخ اليمن (ق ١٤٢ ، ١٤٣) – الأكوع . الوثائق ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

ج- **إدارة القضاء : وكانت تولية القضاة كما يبدو تتم بمرسوم من الخليفة نفسه . ومن المحتمل أن يكون للأمير اليعفري دور في تحديد اسمه .**

وقد احتفظ لنا ابن جرير[1] – مشكوراً – بمجموعة من أسماء القضاة الذين تولوا القضاء في اليمن في عهد محمد بن يعفر.. ومن أبرز هؤلاء القضاة وأشهرهم محمد بن يوسف الحذاقي[2] الذي كان مشهوراً في اليمن وخارجه ..

وقد تلقى خطاب التكليف من محمد المنتصر –ولي عهد المتوكل الذي كان مشرفاً على اليمن– وهو خطاب من أدق المراسيم وأحكمها ، إذ تضمن أحكام القضاء الإجرائية للفصل بين المتخاصمين[3] وهو جدير بالدراسة . [انظر نص المرسوم في ملحق رقم (١٢)] .

د- **اتخاذ الوزراء : تفيدنا المصادر بمعلومات شحيحة عن أن بعض أمراء بني يعفر كان لهم وزراء ، ولكن المصادر لم تظهر أدوارهم بوضوح ، والمعلومات التي وصلت إلينا أن محمد بن يعفر كان له وزير[4] ، وكذا أسعد بن إبراهيم المعروف بأسعد الحوالي (ت ٣٣٢هـ/٩٤٣م) كان له وزير يسمى أبو الأشعث بن محمد بن يونس[5] .**

هـ- **استخدام غلمانهم (الموالي) لإدارة المناطق : فقد جعل بنو يعفر لأنفسهم (غلماناً) عرفوا بموالي آل يعفر مكنوهم من إدارة البلاد تشبهاً بما كان في بلاط الخلافة فكانوا سبباً في ضعف الدولة اليعفرية[6]، وهذا نفسه الذي فعله آل زياد، فقد أسندوا إدارة البلاد لعبيدهم حتى صاروا تابعين لهم .**

ولكن في عهد مرحلة الاضطراب ظهرت لدى موالي آل يعفر توجهات للانفصال عن الدولة العباسية حينما مال أبو العتاهية عبد الله بن بشر بن طريف أمير صنعاء

---

[1] تاريخ صنعاء ٧٠-٧٣ .

[2] ابن سمرة الجعدي . طبقات فقهاء اليمن ٦٤ – السمعاني . الأنساب – ابن الأثير الجزري . اللباب ١/٣٥٠ .

[3] الأكوع . الوثائق السياسية ٢٣ .

[4] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٦٩ يسمى أولهم محمد بن أبان ، ثم خلفه أبو رجاء روح بن عبد الرحمن حيث تولى الوزارة والكتابة والصلاة .

[5] الهمداني . الإكليل ٢/١٥١ .

[6] العلوي . السيرة ٢٤٥ ، ٢٥١ – المؤلف . اليمن في عيون الرحالة ٢٤ وما بعدها .

إلى تعيين القضاة والكتاب وأمراء المناطق دون الرجوع لا إلى آل يعفر ولا إلى الدولة العباسية ، وهذه الخطوة مهدت السبيل لتسليم صنعاء للهادي يحيى بن الحسين[1] .

و- اتخاذ الإجراءات التي تسهل العملية الإدارية كالبريد[2]، والتنظيمات الإدارية الداخلية ، وتقسيم المناطق إلى وحدات إدارية صغيرة (مخاليف) .

التحول الثامن : طبيعة الولاة وأحوالهم :

من خلال الرصد للولاة الذين تعاقبوا على ولاية اليمن يتبين أنهم ليسوا من جنس واحد ، أو من قبيلة واحدة ، أو أسرة بعينها[3]. وإنما كان الشرط هو ما يراه الخليفة من كفاءة وولاء ، ولهذا نجد فيهم الفارسي والثقفي والعباسي واليمني : الحميري والهمداني والحارثي .. الخ هذه ناحية .

والناحية الثانية .. يلاحظ أن الولاة في عصري بني أمية وبني العباس لم تثبتهم الدولة لفترات طويلة ، وإنما كانوا يتغيرون بين فترة وأخرى ، إلى حد أننا لم نستطع التعرف على أسباب العزل والتولية مما قد يوحي بفقدان الاستقرار المستمر ، أو التخوف من وجود ولاء منفصل مستقبلاً ، أو ربما كان العزل نتيجة مخالفات حصلت منهم . وهذا على خلاف ما كان في عصر الخلافة الراشدة ففي عهدي عمر وعثمان – مثلاً – ظل يعلي بن أمية أميراً على اليمن ولم يتغير (من عام ١٣هـ/٦٣٤م إلى عام ٣٥هـ/٦٥٦م) ، بينما نلاحظ في عهد معاوية وحده (٤١ – ٦٠هـ/ ٦٦١– ٦٦٩م) وصل عدد ولاة اليمن إلى ستة ولاة[4]، وفي عهد عبد الله بن الزبير (٦٤– ٧٣هـ / ٦٨٣– ٦٩٢م) زاد العدد على العشرة ،

---

[1] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٧٥ – العلوي . سيرة الهادي ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧٣ – ابن عبد المجيد . بهجة الزمن ٤٧ .

[2] كلمة (بريد) أصلها فارسية هكذا (بريده دم) وتعني محذوفة الذنب ، وهو وصف للبغال المحبوسة لحمل الرسائل ، ثم أعربت الكلمة فخففت وصارت (البريد) وأطلقت على الرسول .. ثم على النظام أو الإدارة التي تضم الدواب المرتبة لحمل الرسائل ، والرسل الذين يركبونها ، والمسافات التي يقطعونها (لسان العرب ١ / ٢٥٠) وبدأ استخدامه منظماً من بداية العهد الأموي وأنفقت عليه الأموال الكثيرة (أحمد عطية الله . القاموس الإسلامي ١ / ٣٠٩) .

[3] زعم بتروفسكي بأن الجهاز الإداري في اليمن كان من الحجازيين وأبناء الفرس (اليمن قبل الإسلام ٨٣) وهذا غير صحيح وبالرجوع إلى قوائم الولاة نجد عكس هذا تماماً . [انظر الملحق رقم (١٤)] .

[4] ابن الديبع . قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ٩١/١ – يحي بن الحسين . غاية الأماني ٩٨/١ – وأنباء الزمن ٢٣ ، ٢٤ (مخطوط) .

وكان بعضهم لا تزيد ولاية الواحد منهم عن شهور معدودة فقط ثم يعزل بغيره[1] وربما يرجع هذا لعدم استقرار الأوضاع لعبد الله بن الزبير ، وفي عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ/ ٦٨٤ –٧٠٥م) قل العدد إلى أربعة ولاة ، ولو عملنا إحصائية للولاة المعينين على اليمن من قبل خلفاء بني أمية لوجدناهم يزيدون على خمسة وعشرين والياً تولوا اليمن في حوالي تسعين عاماً .. [انظر على سبيل المثال قاعدة بيانات ولاة اليمن في العهد الأموي في ملحق رقم (١٤)] .

وفي عصر بني العباس سارت السياسة الإدارية على النهج نفسه في تولية وعزل الولاة : ففي عهد أبي العباس السفاح الذي دام حوالي أربع سنوات تولى اليمن أربعة ولاه بعضهم تولى أربعة شهور فقط ، إلا أن الموت – غالباً – كان سبب ذلك التغيير .. ووصل عددهم في عهد أبي جعفر المنصور إلى ثمانية ولاة .. وفي عهد هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ / ٨٠٩م) وصل عدد الولاة إلى ثلاثة عشر والياً وربما كان طول عهد هارون الرشيد هو الذي يبرر هذا العدد لأنه ظل في الخلافة حوالي ثلاثا وعشرين سنة ، وزاد عدد الولاة في عهد ابنه المأمون إلى أربعة عشر والياً[2]، وسبب ذلك يرجع إلى كثرة ما حصل في عهده من أحداث كما بيناه سابقاً .

ولا توجد وقائع محددة تجعل الباحث يقف عندها لتكون مبرراً لتغيير الولاة ، فلم يكن التغيير غالباً إلا لحاجة دار الخلافة إلى تغيير الوالي لأمر يراه الخليفة نفسه ، وربما جاء استجابة لشكوى بأحد الولاة[3] ..

التحول التاسع : التحول في المهام التي يقوم بها (الولاة) والمتولون للشئون الإدارية :

تختلف مهمة الولاة (العمال) من عصر إلى عصر ، فهي في عصري النبوة والخلفاء الراشدين غيرها في العصور التالية . وجاء هذا الاختلاف من طبيعة الولاة ومؤهلاتهم ، ومن متغيرات الأوضاع وتعقيدات النظم الإدارية .. ومن هذه المهام ما يأتي :

---

[1] ابن عبد المجيد . بهجة الزمن في تاريخ اليمن ٢٥ – الجندي . السلوك ١/ ٢٠١ – ابن سمرة . طبقات ٥٢ .

[2] ابن الديبع . قرة العيون ١/ ١٣٨ – ١٤٩ .

[3] الخزرجي . العسجد المسبوك ٢٨ .

١. الدعوة والتربية :

فأبرز مهام الولاة في عصري النبوة والخلافة الراشدة هي الدعوة والتربية ، تعبر عنها كلمة معاذ بن جبل لأبي موسى الأشعري وكلاهما كانا أميرين في اليمن في عهد النبوة : " إنما بعثنا لنعلمهم دينهم ونأمرهم بما ينفعهم"[١]، وتعبر عنها – أيضاً – الكلمة المدوية لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وهو يخاطب أهل الأمصار : " إنني لم أستعمل عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم (جلودكم) ، وليشتموا أعراضكم ، ويأخذوا أموالكم ، ولكن استعملتهم ليعلِّموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم "[٢] وكل من معاذ وأبي موسى الذين كانا مسئولين عن إدارة البلاد كانا من فيوضات التربية النبوية ،فقد كان رسول الله ﷺ هو الذي يعلَّم ولاتِه وهم يخرجون إلى الأمصار بأن يقوموا بمهمة الدعوة[٣] .

إن هذه المهمة وهي التربية والتقويم والإعداد هي مهمة – من حيث هي مجردة – تعد مهمة أي نظام قائم أو سيقوم " وهي مقوم من مقومات الحضارة ، فلابد أن يتربى أفراد الأمة – أي أمة – على أفكار ومعتقدات وتصورات وسلوكيات الدولة التي تحكم الأمة "[٤].

ومن هنا تنشأ المؤسسات التعليمية ، وأجهزة الأعلام المختلفة والمراكز الثقافية المتنوعة لكي تؤدي هذه المهمة ، لأنه إذا لم يؤمن أفراد الأمة بتصور الدولة فإنها ستفشل لا محالة في سياساتها كلها .. ومن ثم فإن (العمال) في عهد النبوة والخلافة الراشدة كانوا يقومون بهذه المهمة على أكمل وجه ..

والإعداد التربوي يقتضي التركيز – أولاً – على الأسس التصورية التي يقوم عليها بنيان المجتمع ، لأن العمل بجميع أبعاده لا ينبثق إلا من تصور سواء أكان التصور صحيحاً أم خاطئاً .. ويتوقف خطأ العمل وصوابه على خطأ وصواب التصور ، ولهذا كانت التربية

---

(١) الحديث رواه الطبراني ، وانظر : ابن حجر . فتح الباري ٦ / ١٠٦ .

(٢)ابن سعد . الطبقات ٣ / ٢١٨ .

(٣) قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن :" إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله [وفي رواية : فأول ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله] فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم . فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم . واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " الحديث رواه البخاري (انظر : فتح الباري ٧/ ١٢٣ – ١٢٦) .

(٤) المؤلف : النظم الإسلامية في اليمن ٤١ .

منصبة أولاً على التعريف بالله فقط ، فإذا سلم الإنسان نفسه لله ودعا للعمل بعد ذلك يصبح – بشكل تلقائي – سامعاً مطيعاً كما قال علماء الأمة :" إن الكفار غير مخاطبين بالفروع حيث دعوا أولاً إلى الإيمان فقط ثم دعوا إلى العمل "[1] .

ومن ثم فإن المتولين لقيادة الوحدات الإدارية للدولة المسلمة كان عليهم متابعة هذه المهمة ، والتربية العملية بناء على أصل التصور .

فالوالي كان يحرص على تنقية واقع الناس من كل ما من شأنه يناقض أصل التصور، فإذا كان التصور الإسلامي يقوم على جعل الألوهية والربوبية والعبودية لله وحده ، وعلى جعل الآصرة التي تربط الناس هي آصرة العقيدة وحدها فلا ولاء إلاَّ لله ، وكل ولاء غير هذا فهو ولاء مرفوض . من أجل ذلك كان الولاة في اليمن – كغيرهم في الأمصار الأخرى – في عصري النبوة والخلافة الراشدة يسعون إلى تنقية المجتمع من كل الشوائب التي تتناقض مع بهجة الإسلام وصفائه .. ومنها العصبيات القبلية التي تقوم على الثارات الجاهلية .

ولما انقضى عصر التأسيس وأعني به عصري النبوة والخلافة الراشدة سلمت مهمة التربية والإعداد لقيادة أخرى متخصصة ، وهي شريحة العلماء وذلك نتيجة لوجود شريحة من تلامذة الجيل الأول كانت تقع على عاتقهم هذه المهمة .. لقد أسندت لهم – بصورة عامة – مهمة التقويم والإعداد والتربية وكان لابد من إيجاد جهات رسمية تشرف عليها الدولة ، فصار القاضي أو القاص[2] هو الذي يقوم بهذه المهمة باعتبارهما جهة رسمية أما بقية شريحة العلماء فدورهم عام لم يتوقف عند جانب من جوانب التربية والتقويم بل تعدَّ ذلك إلى التخصص العلمي في ميادين العلوم المختلفة .

٢. رعاية مصالح الناس الحياتية :

تتعدد المصالح الحياتية للناس ومنها : بناء منشآت الري كالسدود والسواقي والآبار ، ومنشآت الشعائر التعبدية والتعليم كالمساجد وما يجاورها من منشآت ، وتمهيد الطرق ، ووضع علامات مراحل الطريق ، وبناء أماكن لإيواء المسافرين في مراحل الطريق ، والعمل على إسكان البدو الرحل في مناطق مستقرة ، ورفع الضيم عن شرائح المجتمع المختلفة

---

[1] ابن حجر . فتح الباري ٧ / ١٢٥ .

[2] ابن جرير . تاريخ صنعاء ٣٣ .

مثل إعتاق العبيد .. وهذا كله جزء مرتبط بدور الوالي وهو مفروض عليه سواء أكان قائداً مربياً أو كان إدارياً فقط[1] .

٢. إخضاع جميع أفراد المجتمع - رؤساء ومرؤوسين - لقانون واحد :

قانون لا يفرق بين فرد وفرد .. لا بنسب وحسب ، ولا بلون ولا طبقة ، ولا باعتبارات مادية أياً كانت ..

والأصل في هذا الأمر أن التشريع الذي أنزله الله على محمد رسوله ﷺ صار هو العروة الوثقى التي تشد إليه كل أطراف المجتمع – القادة والمقودين معاً – ومن ثم يطبق هذا الشرع على الجميع ، وبهذا يتحقق العدل المطلوب على البشر فليس للسادة قانون وللعبيد قانون .. وليس للقادة قانون يعطيهم حصانة .. ولأفراد الأمة قانون يفعل بهم الأفاعيل دون أي رحمة .

وبتطبيق الشرع على الجميع يسود العدل ويختفي أو يقل الظلم . والعدل مطلب هام لكي يقوم الحكم الذي يريده الله ، فلا يستقيم حكم بدون العدل . ولن يبقى حكم أسس بنيانه على الظلم .

ومن ثم نجد العدل قد طبق في وسط المجتمع الإسلامي في أبهى صوره على أمراء في الدولة وعلى أفراد المجتمع سواءً بسواء ، وقد رأينا صوراً من العدل يقف المرء أمامها مذهولاً وهي مقتبسة ولا شك من قبس الوحي : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ ﴾ (النساء : ٥٨) .

فالعدل في وسط المجتمع الإسلامي أصبح " حقاً لكل إنسان كائناً من كان على حسب مكانه في الحياة وموضوعه في المجتمع الذي يعيش فيه ، ولا يغض من حقه فيه جنس أو لون أو لغة أو عقيدة ، أو مذهب أو فكرة ، فكل إنسان – في نظر الإسلام – مأخوذ بالعدل ، وكل إنسان له في العدل حقوق وعليه واجبات ، يحيا بهذه الحقوق في مجتمعه ويتعامل مع الحياة بأداء تلك الواجبات "[2] .

---

[1] انظر تفصيل ذلك في كتاب للمؤلف : النظم الإسلامية في اليمن ٤٣ – ٥٣ .

[2] محمد الصادق عرجون . الموسوعة في سماحة الإسلام ١ / ٢٧٠ .

ولا يقصد بالعدل : العدل بين الناس في قضايا الحكم الفرعية فحسب بل العدل العام الشامل فالآية القرآنية السابقة كما يقول عنها القرطبي[1]: "هي من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع" .

ولذلك فالعدل الشامل لجميع مناحي الحياة (اقتصاد – فكر – عبادة – سياسة – إدارة – حياة اجتماعية بجميع جوانبها) هو المقصود في الإسلام ، ومن هنا جاءت الآية القرآنية لتؤدي هذا المعنى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ **(النساء : ١٣٥) .**

ولا يتحقق هذا الكمال حتى يكون العدل خلقاً للمؤمن يقوم به على نفسه – أولاً – فينصف منها ، ويعترف عليها ويجنبها المظالم في القول والعمل ، وحتى يكون – ثانياً – خلقاً يقوم به المؤمن على أعز الناس عليه وأحبهم لديه وأقربهم منه "[2].

ومن هنا نجد رسول الله ﷺ يقول – وهو الصادق – : " والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ".

وكما أمر هذا الدين بالعدل الشامل فقد نهى عن الظلم بجميع صوره فهو شامل للظلم في العقائد والتعبدات ، وشامل للظلم الاجتماعي والسياسي في علاقات الناس ومعاملاتهم في شئون الحياة التي يعيشونها في مجتمعاتهم[3] .

وللعدل مجالاته العديدة : مجال الإنصاف من النفس ، ومجال الإنصاف من ولاة الأمر ، ومجال إقامة العدل والإنصاف بين الناس ، ومجال الإنصاف في إدارة الأحكام القضائية ، ومجال النزول على الحق أيا كانت عواقبه ، ومجال سماع الولاة للشاكين ، وحرص الدولة على استحداث كل ما من شأنه ينشر العدل بين الناس ، ولن نستطيع أن نحصر صور كل جانب من تلك الجوانب ولكننا سنحاول الإتيان ببعض الصور التي تبرهن على مصداقية ما قلناه .ولا يعنينا هنا من كان في ساحة دار الإسلام كلها ، ولكننا نحصر أنفسنا في ولاية اليمن وهي مجال بحثنا .. فنشير إلى بعض النماذج :

---

[1] أحكام القرآن (تفسير الآية) ٤٧٢/٣ (تحقيق / إبراهيم محمد الجمل) .

[2] عرجون . الموسوعة ١/ ٢٨٠ .

[3] المصدر نفسه ١ / ٢٩٤ .

أ- " إما عدلت وإما اعتزلت " :

بلغت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شكوى أهل منطقة (مخلاف وصاب) وكانت عاصمته مدينة (عركبة) ضد أمير منطقتهم فبعث أمير المؤمنين توقيعاً من توقيعاته المشهورة قائلاً للأمير :" إما عدلت وإما اعتزلت "[١] .

فهذه الجرأة التي جعلت الأفراد يرفعون الشكوى إلى أمير المؤمنين لن تكون نابعة إلا من شعور غامر بأن العدل سيحقق على القريب والبعيد على الأمير والمأمور .

ب-استدعاء أمير اليمن :

خرج أحد أهل اليمن من صنعاء حتى وصل إلى المدينة ، وشكا أخاً لأمير اليمن (يعلي بن أمية) بأنه اغتصب منه فرساً له .. فلم يستدع الخليفة عمر خصم الرجل المعني بل استدعى أمير اليمن لعلمه بأن أخاه ما فعل ذلك إلا لاستقوائه بأخيه . ولما مثل الرجلان بين يدي الخليفة سمع منهما القضية ، وإذا بالشاكي يعترف بأنه باع فرسه لأخ الأمير ثم ندم على بيعه فأراد أن يسترجع ما باع فرفض المشتري مادام قد تم البيع ، فشعر الرجل بأنه غُبِن فذهب إلى أمير المؤمنين يطلب منه الإنصاف من أمير اليمن ، ولم يدر أن أمير المؤمنين يحكم بالعدل على القريب والبعيد بالسوية ، فحكم الخليفة بصحة البيع وإبطال دعوى الشاكي مادام البيع قد نفذ وبرضا الطرفين ، ومن ثم أعيد الأمير إلى عمله في اليمن[٢]. ولو ثبتت الشكوى لما تردد الخليفة عن عزله .

إن هذا الموقف يدعونا لأن نقرر : إن أمة يخرج أحد أفرادها – ليس له ذكر في التاريخ ولا يُعرف اسماً له – يخرج من أقاصي بلاد اليمن إلى المدينة المنورة بالحجاز ، ويقدم الشكوى ضد والي البلاد دون أن يخشى عقابه أو انتقامه .. وإن قيادة تستدعي الوالي العام من اليمن فتضعه في مجلس الخصومة مع خصمه الفرد المغمور لكي يقام العدل بينهما .. إن أمة ، وإن قيادة بهذه المواصفات لحرية بالبقاء والاستمرار لأنها بلغت من عزة النفس بالحق أقصى مداه .

---

[١] الأكوع . الوثائق السياسية ١٨٣ – الوصابي . الاعتبار ٨٧ ، ٨٨ .

[٢] الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ١٦٤ .

ج- الحكم على المتمالئين :

صورة ثالثة .. ترينا صرامة العدل وقوته ، فقد اشتهرت في كتب الفقه قاعدة فقهية جاءت على لسان عمر بن الخطاب ﷺ : " ولو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم جميعاً " وكان منشأ هذه القاعدة أن امرأة اتفقت مع بعض عشاقها على قتل ابن زوجها حتى لا يفضح ما تمارسه من الفاحشة ، وقتل الطفل واكتشفت الجريمة ، وحار الأمير في تطبيق الحكم على الجميع فأرسل إلى الخليفة يأخذ رأيه ، فاستشار الخليفة أصحاب رسول الله فأقروه على رأيه وأمره وحكمه وهو قتل المتمالئين جميعاً بما فيهم المرأة ، وقال تلك القولة التي أصبحت متداولة في كتب الفقه[١] .

د- إزالة الترسبات الجاهلية :

ومن العدل ما تقوم به الدولة المسلمة من إزالة الترسبات الجاهلية من واقع المجتمع نتيجة الثارات الجاهلية . فقد ثارت قضية بين (الأبناء) في صنعاء وبين قيس بن مكشوح المرادي ، فرفعت القضية إلى أبي بكر الصديق ، وكان لابد من التحقيق في القضية فوقع الاختيار على إبان بن سعيد بن العاص فأرسله الخليفة إلى صنعاء ، وبعد التحقيق تبين لإبان بن سعيد أن القضية ثأرية في حال جاهليتهم ، وكادت هذه القضية تتحول من إطار العصبية الفردية إلى مستوى عام حتى أن إبان بن سعيد جمع الأطراف وخطب فيهم بأن رسول الله ﷺ قد وضع كل دم كان في الجاهلية .. وأنه من أحدث في الإسلام حدثاً أخذناه به . وبعث بقيس بن مكشوح إلى الخليفة والحكم الذي أصدره في قضيتهم[٢] وهو بهذا التصرف العملي أبعد قيساً عن أعين أطراف الخصوم حتى لا تتأجج الحزازات في كل مرة .

هـ- العدل في إجلاءِ نصارى نجران :

والعدل في وسط المجتمع المسلم يشمل المسلم وغير المسلم ، لأن غير المسلم هو جزء من المجتمع ما دام في ذمة المسلمين ..

(١) ابن حجر . فتح الباري ٢٦ / ٥٠ ، ٥١ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ١٦٠ ، ١٦٢ ، ٢٣٠ .

(٢) ابن حجر . الإصابة ١/ ١٤ . وقد سمح أبو بكر بعد هذا لقيس بالمشاركة في حركة الفتوح رغم قراره عدم مشاركة من سبقت له ردة في الفتوح وهو استثناء لمعالجة موقف –كما يبدو – . الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

وقد عرفنا في فصل سابق أن مدينة نجران دخلت ضمن الدولة الإسلامية بناءً على صلح عقد بين رسول الله ﷺ وبين وجهائها . أقر على ضوئه نصارى ويهود نجران على البقاء في أماكنهم ، ودفع مال الصلح المفروض عليهم للدولة .

ولما جاء عهد عمر بن الخطاب وهو العهد الذي حصل فيه التميز الواضح للمجتمع الإسلامي لظهور هذا الدين وعلوه[1] . لما جاء هذا العهد برزت حيثيات من جانب النصارى تؤدي إلى الإخلال ببنود هذا الاتفاق .

فقد أخلُّوا – أولاً – بشروط الصلح وذلك بتعاطيهم الربا الفاحش حتى أقلقت هذه التصرفات الخليفة[2].

ثم – ثانياً – أن الخطة العامة للدولة كانت تعمل على تصفية الجزيرة العربية ممن يدينون بدين غير الإسلام تنفيذاً لما وصى به محمد رسول الله ﷺ مَنْ بعدَه بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب[3] .

ولهذين العاملين اتخذ الخليفة إجراءاته العدلية التي ترعى من في ذمته من النصارى واليهود .

وأول إجراء : هو أنه كتب إلى أمير اليمن يعلي بن أمية بتوصيات واضحة :

" لا تفتنهم في دينهم ، وأجلي من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح أرض كل من تجلى منهم ، ثم خيرهم البلدان ، ثم تعطيهم أرضاً كأرضهم ، إقراراً لهم بالحق على أنفسنا ووفاءً بذمتهم "[4].

والإجراء الثاني : أن الخليفة كتب إلى أمراء الأمصار التي سينزل فيها اليهود والنصارى هؤلاء أن تسلم إليهم بعضا من الأرض ويوسعوا عليهم ، وأن كل ما يجنوه من الأرض وحصيلة ذلك كله لهم .

والإجراء الثالث : أنه أمر ولاة الأمصار بأن لا يأخذوا جزية منهم فقد أسقطها عنهم أربعة وعشرين شهراً (عامين كاملين) من بعد استقرارهم في ممتلكاتهم الجديدة[5] .

---

[1] ابن تيميه . اقتضاء الصراط المستقيم ١٧٦ .

[2] البلاذري . فتوح البلدان ٧٨ ، ٧٩ – أبو عبيد . الأموال ٧٨ ، ٧٩ ، ١٣٠ – أبو يوسف . الخراج ١٦٢ .

[3] الحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ونصه :" لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً " (انظر : أبو عبيد . الأموال ١٢٨) .

[4] الطبري . تاريخ ٣ / ٤٤٦ ، ٤/ ١١٢ .

[5] البلاذري . فتوح البلدان ٧٨ ، ٧٩ – أبو عبيد . الأموال ٧٨ ، ٧٩ ، ١٣٠ – أبو يوسف . الخراج ١٦٢ .

و- تطبيق شرع الله في عصري بني أمية وبني العباس :

ولم يكن العدل قائماً في عصر الخلفاء الراشدين فقط بل وجدنا الدولة الإسلامية تحرص على إقامة العدل طوال هذه الفترة التي ندرسها .. وكانت صور العدل متمثلة في أكثر من جانب ..

منها جانب تطبيق شرع الله ، فحيثما طبق شرع الله كان العدل ، فما وجدنا شرعاً غير شرع الله يطبق في هذه القرون .

وحتى إذا حصلت تجاوزات للولاة والعمال أو للأفراد فليس على حساب الشرع ، أو إيجاد قوانين أخرى لتحل بديلاً عن الشرع ، بل هي مخالفات وتجاوزات ينظر إليها بهذه النظرة غير المحببة إلى نفوس الجميع ، فهي مخالفات فردية ، لا استبدال نظام بنظام ، ولا تشريع بتشريع .

ولدينا أكثر من مثال من شكاوى الأفراد بالولاة إلى الخلفاء وكان الخليفة يستجيب أحياناً وأحياناً أخرى يرى رأيه في إبقائه . وكثرة عزل الولاة كان من أسبابها الشكاوي الواصلة عنهم إلى الخليفة .

ومما يدل على هذا أن حماد البربري عزله الأمين بعد أن جاءته رسالة من أهل صنعاء[1] .

ومن هذه الجوانب الحرص على وضع قضاة على مستوى عال من العلم والتقوى والورع ويكفي أمثلة على هذا في عصري بني أمية وبني العباس أن يكون من القضاة وهب بن منبه (ت ١١٠هـ/٧٢٨م)[2]، وطاووس بن كيسان اليماني (ت ١٠٦هـ/٧٢٤م)[3]، وابنه عبد الله (ت١٣٢هـ/ ٧٤٩م)[4]، وأبو عبد الله يوسف بن يعقوب بن إبراهيم (ت ١٥٣هـ /٧٧٠م) قاضي صنعاء في عهد أبي جعفر المنصور[5]،

---

[1] الأكوع . الوثائق ٢٢١ .

[2] ابن سمرة . طبقات الفقهاء ٥٧ .

[3] المصدر نفسه ٥٦ . كان طاووس ينسب إلى الأبناء وهو من كبار التابعين .

[4] المصدر نفسه ٥٦ . كان عبد الله من فقهاء اليمن ومحدثيها وكان قاضياً بعد أبيه .

[5] الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٣٠٠ وكان من الفقهاء المعدودين (وانظر : البخاري . التاريخ ٨/ ٣٨٢ الجرح والتعديل ٩/ ٢٣٣ – لسان الميزان ٦/ ٣٣٠) .

وهشام بن عروة بن يوسف (ت ١٩٧هـ / ٨١٢م) قاضي صنعاء[١]، والقاضي محمد بن يوسف الحذاقي (من علماء القرن الثالث الهجري) وهو أحد رجال الحديث المعروفين[٢]، والحَكَم بن أبان العدني (ت ١٥٤هـ/ ٧٧٠م) قاضي عدن[٣] ، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر العدني (ت ٢٤٣ هـ / ٨٥٧م) قاضي عدن وهو شيخ الإمام مسلم والترمذي[٤] ، ويحيى بن عبد الله بن كليب (ت ٣٤١ هـ /٩٥٢م) قاضي صنعاء الذي وصل علمه إلى الأندلس[٥]، وغيرهم من المشهود لهم بالفقه والعلم ممن ولوا على ولاية القضاء الذي يعد جانباً واسعاً من تطبيق شرع الله على واقع الناس .

التحول العاشر : المراقبة الإدارية :

كانت هناك ما يمكن أن نسميه المراقبة المركزية على ولاة الأمصار وأعمالهم ، فما وجدنا والياً إلا وحوسب أمام الخليفة حتى على أعمال صغيرة حصلت بين قريب من أقرباء الوالي وواحد من أفراد الأمة ، ويكاد الخليفة أن يعزل الوالي لذلك لولا تبين الحق أنه مع الوالي[٦] . فيعيد تثبيته في الولاية .. هذا غير الرقابة الذاتية التي تنبع من تقوى الولاة الذين كانوا يختارون بمواصفات خاصة[٧] .

قال عمر بن الخطاب ﷺ وهو يخاطب الناس : " أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته أن يعمل بالعدل .. أقَضَيتُ ما عليَّ؟ قالوا : نعم ، قال : لا ! حتى أُطَالِعُه (أي أراقبه) في عمله فأنظر أَعَمِلَ بما أمرته أم ترك "[٨] .

وأما الرقابة المركزية من قِبَل الدولة على الولاة ، فقد تمثلت في أكثر من صورة :

١. النصائح المتوالية من الخلفاء لولاة الولاية في كل العهود .. من عهد النبوة إلى عهد المقتدر العباسي (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م) الذي أرسل بمرسوم التولية إلى أسعد الحوالي[٩] [انظر ملحق رقم (١٥)] ، وقبله تلقي محمد بن يعفر مرسوم التولية من الموفق كما أشرنا إليه سابقاً ، ثم نصائح واضحة

---

(١) ابن حجر . تهذيب التهذيب ١١ / ٥٧ – ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٦٦ كان قاضياً على صنعاء أيام حمَّاد البربري وهو من المحدثين وله أحاديث في الصحيح وكان ممن روى عن عبد الرزاق الصنعاني .

(٢) الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٣٠٩ – ابن سمرة . طبقات ٦٤ – الشعراني . اللباب ١ / ٣٥٠ .

(٣) بامخرمة . تاريخ ثغر عدن ٢ / ٦٤ – وكان فقيهاً مشهوراً من فقهاء التابعين .

(٤) ابن حجر . تهذيب التهذيب ٩/ ٥١٨ – ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٧٠ – بامخرمة . تاريخ ثغر عدن ٢/ ٢٣٠.

(٥) ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٧٣ .

(٦) الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ١٦٤ .

(٧) انظر ما جاء في كتب التولية لمحمد بن يعفر الحوالي وأسعد الحوالي [ملحق رقم (١٣) و (١٥)] .

(٨) الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٣٣٩ .

(٩) الهمداني . الإكليل ١/١٨٥ – مجهول . تاريخ اليمن (ق ١٣٣/ب) – الأكوع . الوثائق ٢٣٧ .

لإبراهيم بن محمد بن يعفر[1] .

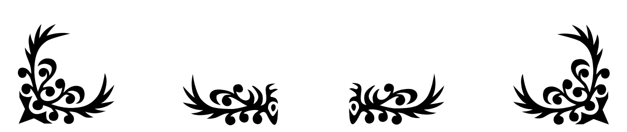
٢. السؤال عن الهدايا المقدمة للولاة ، ومعرفة مصادر أموال الوالي فقد يقتضي مشاطرة ماله ، فلا يترك له إلاَّ شطر ماله ، أما الآخر فيورد لبيت مال المسلمين كما فعل عمر مع يعلي بن أمية أمير اليمن[2].

٣. سؤال أهل الأمصار القادمين إلى عاصمة الدولة (المدينة أو دمشق أو بغداد) عن ولاتهم وعن مخالفاتهم ، وكان الخليفة إذا وصلته شكوى من أحد الولاة لا يتردد عن محاسبته مهما كانت مكانته ، وهذا لاحظناه في فترات تاريخية كثيرة .. في عصر الخلفاء الراشدين ، وفي عصري بني أمية وبني العباس .

٤. إنشاء ديوان (البريد) وإرسال منتسبيه بصورة سرية إلى الأمصار ، فقد كان عثمان بن عفان يرسل سراً من يثق به إلى اليمن للتعرف على أحول البلاد[3]، وهي المهمة التي تولاها صاحب البريد في العصور التالية[4] ، لأن البريد لم تكن مهمته كالمهمة المعروفة اليوم ، بل كان يقوم بمراقبة ما يدور في المصر، وما يقوم به الوالي . وكان من حق صاحب البريد أن يدخل على الخليفة في أي وقت يصل فيه من أي مصر .

٥. الاستماع لشكاوى وجهاء الأمصار ضد الولاة ، مما يدفع الخلفاء لتغيير الولاة وعزلهم ، كما استمع الخليفة العباسي إلى شكوى ابن عباد الشهابي لما يقوم به إبراهيم بن محمد بن يعفر من تعسف في حق الناس ... والأمثلة كثيرة .. فلو راجعنا ما قلناه عن الولاة في العصرين الأموي والعباسي لوجدنا هذا واضحاً .

إن المراقبة والمتابعة النابعة من قِبَل قيادة الأمة لازمة من لوازم إقامة العدل بين الناس ، وملازمة لإدارة الدولة في العصور كلها ، ولم تخفف أو ترفع قيادة الدولة هذه المراقبة في أي عصر من العصور التي ندرسها هنا إلا حينما تضعف قيادة الدولة أو يكون لها سياسة إدارية معينة .



[1] الأكوع . الوثائق ٢٢٧ [انظر ملحق رقم (١٦)] .

[2] اليعقوبي . التاريخ ١٥٧/٢ .

[3] ابن سمرة . طبقات ٤٠ .

[4] صبحي الصالح . النظم الإسلامية ٣٣١ ، ٣٣٢ .

الفصـل السابع

التحولات الاقتصادية والمالية والاجتماعية .. والعلمية

تمهيد :

تم دمج هذه التحولات في فصل واحد لتقاربها ووجود ترابط بينها ، فالاقتصاد والمال له علاقة بالنواحي الاجتماعية من زاوية ما، والتحولات العلمية لها ارتباط بالحياة الاجتماعية ، ولذلك سنتحدث عنهم في ثلاثة محاور .

المحور الأول : التحولات الاقتصادية والمالية :

النظرة إلى الاقتصاد :

للوضع الاقتصادي – عموماً – أهمية في أي مجتمع وفي أي وضع وفي أي وقت ؛ لأن هذا الجانب من الإنسان مرتبط بحاجته لتوفير مطالبه الضرورية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ، وما يزاد على ذلك من أسباب الرفاهية .

وتختلف درجة الاهتمام بهذه المحاور المعيشية باختلاف الأوساط التي يعيشها الإنسان .. من بدائية بحتة ، إلى مجتمعات أكثر تمدناً ، إلى مجتمعات لديها أعراف وتقاليد لتحقيق هذه المطالب الضرورية ، إذ أصبحت تتناولها بطريقة متأنقة من ناحية ، ومُستكثر منها بشكل ملفت من ناحية أخرى .

ورغم ذلك ينبغي الانتباه إلى أن النظرية الحياتية في العصر الحديث تقوم كلها على أساس الاقتصاد ، ولذا فُسِّرت حركة التاريخ على أساس الاقتصاد ، فصار هناك ما يسمى بالتفسير الاقتصادي للتاريخ ، وجعلت غاية حياة الإنسان على الأرض هي الاقتصاد ، وكل حدث في النشاط الإنساني لابد أن يفسر تفسيراً مادياً بصورة عامة ، واقتصادياً بصورة خاصة .. وهذا التفسير غير المتوائم مع فصرة الإنسان ولا طبيعته أدى إلى اعتساف الأمور اعتسافاً ، واغفال شق الإنسان الآخر المرتبط بالروح والعواطف والمشاعر والأحاسيس .. وهذا لاشك يقتضي التمرد على هذا التفسير الذي امتهن الإنسان واحتقره ، وصار الاقتصاد إلهاً يُعْبَد ، والإنسان خاضع له يدور معه حيث دار .. وهذا لا يعني إلغاء الاقتصاد بل هو ضرورة ولكنه ليس غاية ، وفي سبيل الغاية يمكن للإنسان أن يضحي بكل ضرورياته .

ولذلك تختلف النظرة إلى المال والاقتصاد باختلاف التصور الذي تقوم عليه حياة المجتمعات . فالجميع محتاج إلى هذه المطالب الضرورية ، ولكن التصور الذي يكمن وراء

تحقيق هذه المطالب الاقتصادية هي التي تختلف .. وينشأ التباين في وجهات النظر هذه من الأصل الفكري أو العقدي الذي يحكم هذه الرقعة من الأرض أو تلك ...

فالدولة الساسانية الفارسية كان يقوم نظامها المالي على نظرية أن المال هو ملك للكسرى يتصرف فيه كما يشاء ، فهو ابن الإله – كما يزعمون – ومن ثم فهو مالك كل شيء ، وتصبح الأرض – من خلال هذا التصور – عبارة عن إقطاعية خاصة مملوكة بكل ما عليها للكسرى .

والدولة الرومية (البيزنطية) لها نظرية أخرى للمال .. فهو ليس خاصاً بالملك وحده ولكن للطبقة الحاكمة معه أيضاً المتميزة بكل المِيزات ، فتُعَد الأرض مزرعتها الخاصة ، ولا عبرة بالناس فهم خدم لها . والأرض تحلب لمالكيها .. أعني تلك الطبقة الحاكمة .

وفي مقابل هاتين النظريتين .. وهاذين التصورين ، هناك تصور آخر له مقومات ومرتكزات غير المرتكزات التي كان يعرفها البشر حينذاك ، هذا التصور ينشئ سلوكاً – أمام المال – لا يتوافق مع التصورات السابقة . إنه التصور الإسلامي ..

هذا التصور يقوم على أن الكون كله خلقه الله العزيز القدير ، وأن الأرض جزء من هذا الكون ، وأن الإنسان مخلوق ميسر له العيش على ظهر هذه الأرض مستخلف فيها ، ومطلوب منه أن يعمرها بشرط أن يكون هو السيد عليها يملكها ولا تملكه ، ويدير المال بشرط مالكه الحقيقي وهو الله ، لا بأهواء البشر .

هذه التصورات الثلاثة هي التي كانت مطروحة على وجه الأرض حيث ظهور الإسلام .

واليمن الذي نحن بصدد الحديث عن جوانبه المالية والاقتصادية هنا يتطلب منا تتبع تحولاته الاقتصادية والمالية عبر قرون أربعة .

ومن خلال تتبع الفكر الذي ساد هذه التحولات فإننا نقف – أولاً – على أوضاع اليمن المالية قبل ظهور الإسلام ، أو الحالة التي كانت عليها اليمن حينما تحول إلى الإسلام ، ثم نتبعه – ثانياً – بالتحولات التي حدثت في ظل الإسلام .

أوضاع اليمن المالية قبل تحولها إلى الإسلام :

أولاً : الوضع المالي والاقتصادي في مناطق النفوذ الفارسي ..

ونبدأ بالنفوذ الفارسي لانتشاره الواسع ، وتحكمه في مركزي اليمن : العاصمة صنعاء

والميناء عدن[١] عندما جاء الإسلام إلى اليمن .

فبعد حوالي نصف قرن من حكم اليمن صار الفرس يُعرفون بمسمى خاص بهم اكتسبوه من طبيعة استقرارهم في اليمن .. فقد عُرِفُوا (بالأبناء) – أي أبناء الفرس الأوائل ولكن من أمهات يمنيات – وذلك نتيجة اختلاطهم باليمنيين ، واستقرارهم في اليمن ، وعدم عودتهم إلى بلاد فارس . وكان هذا تطبيق للاتفاقية التي أبرمت بين كسرى فارس وسيف بن ذي يزن لأول مرة حينما قرر الفرس الدخول إلى اليمن عام ٥٧٥م ، وكانت تنص هذه الاتفاقية على أن يندمج الفرس في اليمن ، ويتزوجوا منهم ، ويعيشوا فيهم ويصبحوا جزءاً من اليمن[٢].

إلاَّ أنه بالرغم من ذلك فإن (الأبناء) كانوا يمثلون السلطة الفارسية في الجزيرة العربية عموماً ، وإن كان نفوذهم الفعلي مقصوراً على جزء من اليمن ، وكان يعد وحدة إدارية فارسية ضمن هيكلهم التنظيمي الإداري[٣] .

ولا شك أنه سينطبق على هذه الوحدة الإدارية – الفارسية – ما ينطبق على الوحدات الإدارية الأخرى من جعلها ضمن الحق الملكي المقدس الذي أعطي للملك الساساني الذي يعد أنه ابن الإله[٤]، ولكن تختلف الصورة في اليمن عما هو عليه الحال في بلاد فارس . فهذه البلاد دخلها الفرس وفق اتفاقية ظلت سارية المفعول إلى أن جاء الإسلام . والحامية الفارسية اندمجت في اليمن تنفيذاً للاتفاقية أيضاً . ولبعد هذه المنطقة عن عاصمة الدولة الفارسية ، ولانشغال القيادة الفارسية في مهمات أخرى صارت القوة الفارسية في اليمن متأقلمة مع وضع اليمن الاجتماعي والسياسي ، ومن ثم فليست اليمن متطابقة تماماً مع الوحدات الإدارية داخل بلاد إيران ، إلا أنه بالرغم من ذلك فإن الإدارة الفارسية في اليمن كانت ماضية في إرسال (الخراج السنوي) من اليمن إلى العاصمة الساسانية ، ولم ينقطع حتى تحول آخر حاكم فارسي في اليمن إلى الإسلام وهو باذان[٥] .

ولكي يرسلوا هذه الأموال سنوياً إلى كسرى فارس لابد من مصادر إيرادات يحصلونها منها :

---

(١) السهيلي . الروض الأنف ١/ ٢٢١ – اليعقوبي . تاريخ ١/ ٢٠١ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٣٧ .

(٢) المسعودي . مروج الذهب ٢/ ٨٢ .

(٣) الطبري . التاريخ ٩٩/٢ (كان يطلق على اليمن في النظام الفارسي اصبهبذ نيمروز) .

(٤) الندوي . ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٦٦ .

(٥) الطبري . التاريخ ١٨٨/٢ – المسعودي . مروج الذهب ٢/ ٨٢ .

كالأسواق التجارية الموسمية الدولية التي تقع في مناطق نفوذهم فكانوا يسيطرون عليها ويجبون منها إيرادات مُجْزِية[١] .

وكذلك سيطرتهم على الصناعة ومواد الخام المطلوبة للصناعة كصناعة الحديد ، والسيطرة على مناجم الحديد والفضة في كل من صنعاء وعدن ، كل هذا وفر لهم دخلاً مالياً وفيراً[٢] .

هذا إضافةً إلى إيرادات الزراعة ، فاليمن بلد زراعي .. والإدارة الفارسية لن تألوا جهداً لبسط إدارتهم على هذه الأرض الزراعية إما استغلالاً مباشراً أو جباية خراج عنها .

وليس لدينا صورة لمقادير الخراج أو الضرائب التي تحصل على الأرض أو على الأفراد أو على المجموعة ، ولكن بالتأكيد كانت لهم إيراداتهم الضريبية لكي يغطوا متطلباتهم وما يرسل إلى عاصمة الدولة الفارسية . مع معرفتنا بأن الضرائب في بلاد فارس كانت " تختلف كل سنة وتزيد وتنقص ، ولم يكن دخل الدولة ومصروفاتها مقدرين مضبوطين "[٣] وهذا يجعل العنت على الناس قاسياً ، وإن كان – لعدم وجود ما يثبت العكس – من المحتمل عدم تطبيق نظام الجباية الفارسي على اليمن ، وخاصة في هذا الوقت المتأخر من حكمهم نتيجة اندماجهم في المجتمع اليمني وتأقلمهم القبلي .

ثانياً : الوضع المالي والاقتصادي في مناطق النفوذ الرومي ..

النفوذ الرومي يطبق في مناطق سيطرته عكس ما يطبق في مناطق النفوذ الفارسي الساساني . فالسيطرة الرومية على (مدينة نجران) هي سيطرة دينية ، لكي يحققوا من ورائها وجوداً سياسياً في المنطقة ، وأما السيادة الاقتصادية والمالية فلا وجود لها ، بل نلاحظ أن هذا الكيان السياسي الذي كان يدير (مدينة نجران) – كما سبق أن بينا – هو كيان يشبه الكيان القبلي ، إلاَّ أنه لا يقوم على أعراف قبلية بل على تنظيم تظهر فيه الروح الرومية بوضوح من وجود القيادات الدينية والسياسية والعسكرية وهي : الأسقف والعاقب والسيد التي كانت تدير (مدينة نجران) .

---

[١] اليعقوبي . تاريخ ١/ ٢٧٠ .

[٢] الهمداني . الجوهرتين ١٧١ – بامخرمة . تاريخ ثغر عدن ١٨ .

[٣] إيران في عهد الساسانيين ١٦١ (نقلاً عن ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ٦٩) .

هذا في الجانب التنظيمي الإداري ، أما الجانب المالي والاقتصادي فقد اكتفى البيزنطيون (الروم) من أهل نجران بالولاء الديني لهم ، وبالمقابل هم يدفعون لكيان نجران الأموال على شكل عطاءات وبناء منشآت دينية[1] رغم أن مدينة نجران كانت سوقاً تجارية مشهورة . ولم تصلنا أي مشاركة للروم في بناء منشآت معمارية أخرى مثل المرافق الحربية والزراعية كوسائل الري . وربما يرجع هذا إلى أن مدينة نجران التي تمثل النفوذ الرومي في المنطقة هي مدينة محصنة بطبيعتها ، وتعتمد أساساً على التجارة ؛ لأنها مدينة مفتوحة بشرياً لا يقوم كيانها البشري على عرق بعينه أو قبيلة واحدة بل يتنوع سكانها من قبائل مختلفة .

أما إيراداتها المالية فلعلها – إلى جانب ما يأتيها من بيزنطة – تعتمد على ما تتحصله من كونها تشرف على سوق نجران التجاري المشهور سنوياً[2]، بالإضافة إلى موقع نجران المهم لأنها تقع على طريق القوافل التجارية الغادية والرائحة باستمرار طوال العام .

ثالثاً : الوضع المالي والاقتصادي في مناطق النفوذ القبلي :

لا يجد الباحث مقومات لنظام اقتصادي في اليمن داخل المناطق التي تسيطر عليها زعامات قبلية .. لأن المال في هذه الأوساط يتمثل إما في الأرض وإما في التجارة ، وزعيم القبيلة هو الأكثر أموالاً وأولاداً في كلا الجانبين في الزراعة والتجارة معاً .

ويضاف إلى هؤلاء الزعماء الكهان الذين يسيطرون على أذهان الناس باسم الآلهة المصنوعة فيأخذون أموال الناس بالباطل ، وتحتجز للآلهة بينما هم يستغلونها باسم الآلهة المزعومة .. ومن ثم فإن القوة الاقتصادية للقبيلة مرهونة برغبة الزعيم وتحت تصرفه إذا حلت بالقبيلة مصيبة من حرب وقحط وغير ذلك . وربما لجأ إلى إشعال حرب ضد القبيلة المجاورة على أرض ، أو يجهز جيشاً لقطع الطريق واقتناص قافلة تجارية تمر عبر أراضيه .. أو يأخذ إتاوة على مرور القافلة .. أو يسمح لها بالمرور لحلف بينه وبين قبيلة أخرى .. وهكذا ..

كل هذا يجعلنا نقف عاجزين عن الوصول إلى تحديد نظام اقتصادي محدد في أوساط القبائل لا لشيء إلا لأن المصادر تفتقر من ذكر المعلومات الكافية .

---

[1] ابن هشام . السيرة ٥/ ٧، ٨ (مع الروض الأنف) – جواد علي . المفصل ٥٣٢/٣ ، ٥٣٣ و ٤/ ١٩٠ .

[2] الهمداني . صفة جزيرة العرب ٣٣٢ .

التحولات المالية والاقتصادية في اليمن :

حينما جاء الإسلام إلى اليمن وجد هذا الوضع المالي المتعدد المشارب . فكيف تعامل معه ؟ هل بدأ يضم أنظمة بعضها إلى بعض ليخرج بعمل توافقي ليرضي كل الأطراف؟ أم جاء بنظامه الخاص الذي يقوم على أساس من نظرية متكاملة ؟.

إننا إن دققنا النظر فيما حصل لوجدنا أن الإسلام تعامل مع الأرض كلها وفق نظرته الخاصة المنبثقة من تصور شامل دقيق ، وأن التنظيمات المالية سارت وفق ما قررته النصوص الإسلامية .. ولكن الممارسة التطبيقية ، والأدوات الإجرائية ، والأعمال المطلوبة لتحقيق ذلك تُرِكَتْ للناس يؤدونها وفق ضوابط عامة من العدل والإحسان وعدم تجاوز الآخرين ، ولا ضرر ولا ضرار .. الخ . لذلك فإننا في حاجة إلى رصد التحولات المالية والاقتصادية التي حصلت خلال هذه القرون الأربعة الأولى من عمر الإسلام في اليمن .

التحول الأول : التحول في النظرة إلى المال وإلى الأرض ..

تغيرت نظرة الناس إلى المال وإلى الأرض بتغير التصور الذي يعتقدونه ويدينون به ، فالتصور الإسلامي يجعل لله ملك السماوات والأرض ، ويجعل الإنسان عبداً من عبيد الله .. فهو وما يملكه مِلْكٌ لخالقه وسيده ، فهو سبحانه " الخالق المالك لكل ما في الأرض من أقوات وأرزاق وأموال .. وقد استخلف في الأرض (الإنسان) – كجنس – على شرط أن يتصرف في هذا الملك بشريعة الله ، فأيما خروج على هذا الشرط فهو مبطل للتصرف ، ناقض لعهد الاستخلاف "[1].. والإنسان على ظهر هذه الأرض ساكن بشروط وليس مالكاً[2] .

ويقول رسول الله ﷺ معبراً عن هذا المعنى " الأرض أرض الله ، والعباد عباد الله "[3] .

ويحصل الإنسان بحكم هذا الاستخلاف العام "على حق الملكية الفردية مقابل (عمل) ، ومن ثم يملكهم الشارع – وهو الله سبحانه – قسماً معيناً من هذا المال ،

---

[1] سيد قطب . العدالة الاجتماعية ١٦١ .

[2] فاروق الدسوقي . استخلاف الإنسان في الأرض ١٠٦ .

[3] الحديث رواه أبو داود في السنن ٣/ ١٧٨ ، ١٧٩ .

ويحوط هذا الحق بكل الضمانات التي تجعل الفرد عزيزاً مكرماً مطمئناً على رزقه كي يتفرغ للقيام بواجبه في رقابة تنفيذ شريعة الله "[1] .

والدولة الإسلامية هي (حارسة) هذا الاستخلاف في الأرض على الشروط المطروحة .

والأرض كلها أمام هذه الدولة – لكي تتعامل معها – تنقسم إلى قسمين : دار إسلام أو دار كفر .. ودار الإسلام هي : الدار التي تحكم بالنظام الإسلامي القائم على شريعة الله ، حتى ولو كان معظم أهلها غير مسلمين . ودار الكفر هي : الدار التي تحكم بغير النظام الإسلامي القائم على شرائع غير شريعة الله ، حتى ولو كان معظم أهلها مسلمين . لأن مناط الحكم على الدار هو هوية وانتماء النظام إما إسلامي أو غير إسلامي .. والعلاقة بين الدارين علاقة صراع ومواجهة ، ليس صراع مصالح ولكن صراع أفكار لأنه لا يلتقي التوحيد مع الشرك ، ولا الإسلام مع الجاهلية . فإذا صارت الأرض دار إسلام ، وأصبحت تحت إدارة الدولة المسلمة انقسمت – من حيث الملكية – إلى قسمين : إما أرضاً مملوكة لأفراد الأمة وإما غير مملوكة لهم .

أما الأرض غير المملوكة للأفراد ، أو الأرض الموات غير العامرة ، أو الأرض التي كانت من مقتنيات ملوك وقادة البلاد المفتوحة ، فهذه تصبح تحت تصرف الدولة : إما تستصلحها ، أو تجعلها تحت ملك أفراد بنظام الشراكة ، أو التمليك للاحتياج ، أو لمصلحة .. ومن ثم فما يتحصل منها من إيرادات يكون بحسب وضعها[2] .

ومن ضمن الأراضي التي صارت للدولة في اليمن ما تركه باذان الفارسي[3]، وما خلفه نصارى نجران بعد جلائهم عن اليمن[4].

وأما الأرض المملوكة للأفراد فتنقسم – من حيث التزاماتها أمام الدولة – إلى ثلاثة أنواع (عشرية ، وخراجية ، وأرض صلح) :

النوع الأول : الأرض العشرية وهي التي تطلق على زكاة الأرض :

وقد عُرفت بذلك لأنه يدفع عنها للدولة : إما العشر إن تم سقي الأرض بالمطر مباشرة ،

---

[1] سيد قطب . العدالة الاجتماعية ١٦٢ .

[2] أبو يوسف . الخراج ٦٢ – ٦٥ ، ٦٩ – وأبو عبيد . الأموال ٦١٦ .

[3] الرازي . تاريخ صنعاء ٦٩ ، ١٣٣ – الهمداني . الإكليل ٨٨/٢ ، ٣٨١ – وصفة جزيرة العرب ١٨٨ ، ٢٤٣ .

[4] ابن حجر . فتح الباري ٧٧/١٠ .

وإما نصف العشر إن بذل صاحبها جهداً في سقيها ، واستخدم أدوات ووسائل الري[١] . وهذه هي الزكاة المفروضة على المسلمين في أموالهم[٢] .

ويدخل في هذا القسم ثلاثة أصناف من الأرض :

أ – أرض أسلم أهلها طواعية لقول رسول الله ﷺ :" إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم "[٣] .. ويدخل في هذا القسم معظم أهل اليمن .

ب– وأرض هي جزء من جزيرة العرب ، وكان أهلها من عبدة الأوثان ، ولا يقبل من أهلها إلا الإسلام أو القتل ، وقد صاروا إلى الإسلام فأصبحوا مطالبين بالعشر[٤]. والقبائل اليمنية التي دخلت الإسلام بوسيلة السرايا والبعوث يندرجون تحت هذا القسم .

ج– الأرض التي فتحت عنوة ثم قسمت بين الغانمين من المسلمين فهي في حوزتهم وملكيتهم فعليها أيضاً (العشر)[٥] . ولم يدخل أي من أرض اليمن في هذا القسم .

النوع الثاني : الأرض الخراجيــة .. وهي أرض فتحت عنوة ، ولم تقسم بين الغانمين فهي ملكية عامة للدولة تصرف إيراداتها في مصالح الدولة ، وإن ظلت بأيدي أهلها غير المسلمين[٦] ، ولا صلة لليمن بهذا النوع .

---

[١] أبو عبيد . الأموال ٦١٥ – ابن آدم القرشي . الخراج ١١٢ – ١١٩ – الشوكاني . نيل الأوطار ٤/ ٢٠١ .

[٢] يقول البعض إن (نظام العشر) ضريبة يمنية قديمة ولما جاء الإسلام طبقها وأطلق عليها الزكاة (بيوثروفسكي . اليمن قبل الإسلام ٩٩) وهو استنتاج غير موفق فالإسلام فرض الزكاة بهذا المسمى وهي فريضة تعبدية مالية إسلامية بحتة ، وإذا كان قد أطلق على ما يؤخذ من الزكاة (العشر) فهي كلمة في الإسلام تشمل ربع العشر (٢,٥%) وهو ما يؤخذ من زكاة عن النقد والتجارة والأنعام. ونصف العشر (٥%) والعشر (١٠%) كلاهما يطبقان في زكاة الزراعة (أحمد عطية الله. القاموس الإسلامي ٥/ ٣٩٥ – إبراهيم فؤاد . الموارد المالية في الإسلام ٣٧، ٣٩ ، ٤٤ ، ٨٥) وحتى على فرض اشتراك لفظ (العشر) عند الأمم فإن الإسلام بواقعيته يقبل بعض ما هو في الواقع بعد أن يُدخل عليه من التعديلات ما يلائم تصوره وأسسه التنظيمية . وبهذا نهى رسول الله ﷺ عن التعشير لأن هذا النظام هو الذي كان يطبق في الأنظمة الجاهلية(حميد الله . الوثائق السياسية ٢٩٣) .

[٣] الحديث رواه أبو داود في السنن ٤/ ٢٦٢ .

[٤] أبو عبيد . الأموال ٦١٥ – أبو يوسف . الخراج ٦٤ ، ٧٥ .

[٥] يحيى بن آدم . الخراج ٢٦ – أبو عبيد . الأموال ٦١٥ .

[٦] أبو يوسف . الخراج ٦٨ ، ٦٩ – أبو عبيد . الأموال ٦١٦ ، ٦١٧ .

النوع الثالث : أرض الصلح .. وهي مأخوذة من الحالة التي تحولت بها الأرض إلى ضمن سيادة الدولة الإسلامية . فقد بَقِيَ أهلها على دينهم ، واختاروا طواعية التفاوض مع الدولة الإسلامية ، وقبلوا المصالحة معها ، وعقدت بين الطرفين معاهدة قبلوا بموجبها أن يكونوا من رعايا الدولة ، والتزموا أمامها بدفع مال معين – حسب ما جاء في المعاهدة – إما خراجاً على أرضهم ، وجزية على أفرادهم ، وإما مالاً عينياً أو نقدياً – كل عام – ويسمى مال الصلح[1] ، ولم يدخل من اليمن تحت هذا النوع إلا (نصارى مدينة نجران) فقط .

وخلاصة لهذا التحول : فإن اليمن صار جزءاً من الدولة الإسلامية . إما طواعية وإما عنوة ، وكان أهلها من عبدة الأوثان فتصير أرض اليمن في كلتا الناحيتين أرضاً عشرية[2] أي أرض زكاة لأن أهلها صاروا مسلمين ، ولم تبق إلاَّ (مدينة نجران بسكانها النصارى) والأرض التي تتبعها ويبسط عليها نصارى نجران سلطانهم ، فهؤلاء كان عليهم أن يدفعوا ما اتفق عليه في الصلح الذي عُقِدَ بينهم وبين الدولة الإسلامية[3] . وقد جاء في هذا الصلح أن يدفعوا : ألفي حُلَّة من حلل اليمن على أن يكون ثمن الحُلَّة (أوقية) من فضة ، فإذا زاد أو نقص كان ضمن الحساب ، لأن القيمة النقدية المطلوبة منهم هي ألفان أوقية من الفضة . وظل هذا الوضع إلى أن أُجلي نصارى نجران عنها في عهد عمر بن الخطاب ﷺ .

التحول الثاني : التحول في التنظيم المالي الدقيق ..

إن التنظيم المالي في الإسلام ينبثق من تصور متكامل مرتبط بأصل الإسلام كما عرفنا في التحول السابق . ومن ثم فإن هذا التنظيم المالي سواء أكان في الإيرادات الاساسية (الزكاة والجزية ومال الصلح والخراج) ، أم في المصروفات (المصارف) فإنها جزء من عملية متكاملة يراد منها بناء الدولة ، وبناء المجتمع ، وبناء مؤسسات الدولة .

فقد كان التنظيم الدقيق هذا مُفْتَقَدَاً قبل الإسلام . وإذا ما وجد ففي مجال احتلاب أموال الناس حيث يفرض على الضعفاء ويعفى منه الأقوياء . وتتنوع بتنوع حاجاتهم إلى مزيد

---

(1) راجع كتاب الخراج للدكتور ضياء الدين الريس .

(2) يحيى بن الحسين . أنباء أبناء الزمن ٨ (مخطوط) .

(3) أبو عبيد . الأموال ٦١٦ – أبو يوسف . الخراج ٧٥ – – ابن قيم الجوزية . زاد المعاد ٤٧/٣ (انظر : بالتفصيل ما كتبته الدكتورة / فاطمة مصطفى عامر في كتابها : نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة) .

من المال . بينما الإسلام جعل هذا النظام عاماً لا يتخلف عنه قائد ولا مقود ، ولا سيد ولا مسود . كلهم أمام هذا التنظيم سواء .. ومن جوانب هذا التنظيم :

أ- تنظيم عملية الزكاة .. إن أكبر موارد الدولة داخل اليمن هو (الزكاة) ، وهي فريضة تعبدية ، ملزم بها كل مسلم توفرت لديه شروط فرضية الزكاة (كما محددة في كتب الفقه) ، والرقابة عليها رقابة من داخل النفس فليست في حاجة إلى متابعة من قبل الدولة . فتؤدَّى ويسد بها حاجة الولاية حيث توزع على مصارفها الثمانية المعروفة (الفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وابن السبيل ، وفي سبيل الله) . وصار مقرراً ألا تنقل أموال الزكاة من مكان إلى آخر إلا بعد سد حاجة البلد الذي أخذت منه أو لضرورة قاهرة[1]. ولهذا وجدت صور رائعة في اليمن كأثر من آثار توزيع الإيرادات . منها : أن مفتي اليمن في عهد عمر يروي بأنهم كانوا يخرجون لجمع الصدقات ويتولون تقسيمها بأنفسهم ، فلا يرجعون إلا بما كان معهم قبل خروجهم[2] .

ب – تنظيم العملية الاقتصادية كلها ، من الأرض ونوعها ونوع ما تنتجه وما يخرج عنه حتى يصل إلى خزينة الدولة وما يمتلكه الإنسان من أموال نقدية وتجارة .. وكتب الفقه تتضمن الكثير من التفاصيل في هذا .

ج – تنظيم استغلال الأرض واستصلاحها . فالأرض التي لا مالك لها وأعطتها الدولة لمن يقوم باستصلاحها ليس من حقه أن يحتجزها أكثر من ثلاث سنوات دون استصلاح ، فإن عمرها و إلا أخذت منه وأعطيت لغيره ، يقول رسول الله ﷺ : " من أحيا أرضا ميتة فهي له ، وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين " ويُعفى مَن أحيا أرضاً مِن أن يدفع شيئاً لمدة عام[3] .

د – الاهتمام بالوسائل المؤدية إلى تحسين الإنتاج الزراعي مثل وسائل الري . فقد عمل المسلمون على الاهتمام بهذا الجانب اهتماماً واضحاً ، ويقوم على جهود مشتركة بين

---

(1) قررت هذه القاعدة من توجيه رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل :"خذها من أغنيائهم وردها في فقرائهم"[رواه الجماعة عن ابن عباس (نيل الأوطار ٤/ ١١٤)] وانظر تفصيل ذلك في كتاب : الفقه الإسلامي وأدلته لوهبة الزحيلي ٢ /٨٩٢ .

(2) أبو عبيد . الأموال ٧١١ – الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٢٩٥ – ٢٩٦ .

(3) رواه البخاري–ابن حجر . فتح الباري ٨٤/١٠ ، ٨٥ – وانظر : أبو عبيد. الأموال ٣٦٧ – أبو يوسف. الخراج ٧٠.

الأفراد والدولة معاً كالسدود والسواقي ، وحفر الآبار ، وتنظيم دوري لتوزيع الماء على الأراضي المحتاجة للري[1] .

ونظرة إلى العهود[2] التي كان الخلفاء العباسيون يرسلونها إلى أمراء بني يعفر تدلنا على مدى اهتمام الخلفاء بهذا الجانب ، وأن هذه الوصايا كانوا يزودون بها ولاتهم ، ولكن المصادر لم تدون لنا ما كان يفعله الولاة .

التحول الثالث : التحول في حرية النشاط التجاري وتنوعه ..

هذا التحول الذي طرأ على الوضع في اليمن بعد نيله الحرية بالإسلام أصبح من حق اليمني في أي مكان من اليمن أن يمارس نشاطه التجاري في أي بقعة من بقاع الدولة الإسلامية في الحجاز ، في الشام ، في العراق ، في مصر ، في المغرب . لا تحول دون نشاطه هذا أي عوائق ، ولا تتولى أي قبيلة حجز الطريق عليه حتى يدفع إليها الإتاوات كما كان الشأن في الجاهلية . فالتجار يأتون إلى اليمن وينتقلون منها لا يمنعهم مانع . والقوانين المنظمة للتجارة التي تطبق داخل اليمن هي نفسها التي تطبق في بقية الولايات . فانعدمت – تحت ظل الإسلام – كل مظاهر قطع الطرقات ، وفرض الإتاوات ، والتحكم بالسلع الرئيسية بل لقد أمنت الطرق ، وحددت المسافات بين المراحل ، وبنيت الخانات (الفنادق) في أكثر من مكان ليرتاح فيها المسافرون ، ، وكانوا يجدون فيها معظم الخدمات التي تسهل لهم هذه المهمة .

وصار الناس يستثمرون أموالهم في أي مكان وبأي وسيلة مادامت غير محرمة شرعاً ، ولهذا توحدت طرق استثمار الأموال في كل الرقعة الإسلامية الممتدة من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً .

ومما يتعلق بهذا التحول في النشاط التجاري المتجول ، اشتهار أسواقها التجارية الموسمية التي كانت بمثابة محطات لتلقي التجارة وتصريفها .. ومن ثم شكلت التجارة

---

[1] أبو يوسف . الخراج (فصل في الجزائر في دجلة والفرات) – صبحي الصالح . النظم الإسلامية ٣٨١ – وانظر: ديورانت . قصة الحضارة ١٣/ ١٠٥ – ١٠٩ . كان الاهتمام بالسدود لدى الولاة في اليمن واضحاً فكلما وجدوا مشكلة مائية بنوا سداً سواء المستفيد المساكن أم الأراضي الزراعية (ابن جرير . تاريخ صنعاء ٣٦ – ابن عبد المجيد . بهجة اليمن ٢٦) .

[2] الأكوع . الوثائق ٢٣٤ – ٢٤٢ .

مورداً للدولة من خلال (عشور التجارة) .. أي زكاة التجارة[1] .. وقد تنوعت وتعددت أصناف وسلع التجارة وبحسب احتياج الناس لها ، والحرص على تسويقها أياً كانت إلى حد أن صارت الخيل إحدى هذه السلع[2] ، وكذا العسل حتى عُرف اليمن ببلاد العسل[3] ..

وأيضاً يتعلق بهذا التحول الاهتمام باستخراج المعادن كالحديد والذهب والفضة والعقيق اليماني المشهور وصارت مما يؤخذ عليها الزكاة[4] ..

إضافة إلى ذلك ما يشتهر به اليمن من صناعات كانت تُقْتَنَى وتُسْتَورد منها مثل : الثياب والحلي والعطور والسلاح[5] .

وبما أن (الربا) كان ممارساً في الجاهلية فقد حرم الإسلام الربا وحدد رسول الله ﷺ بعض الأشياء التي كانت تمارس في اليمن بأنها من ألوان الربا .. كقول رسول الله لزعماء حضرموت : " ومن أجبا فقد أربا "[6] .. أي من باع الحاصلات الزراعية قبل النضوج فهذا يُعد (بيع الغرر) وهو من الربا .

التحول الرابع : التحول في الضمان المالي ..

وهذا مرتبط بالضمان الإداري الذي تحدثنا عنه في التحولات الإدارية ، فقد كان الوالي المعين أو المتغلب يشترط على الناس من خلال عرفائهم أن يدفعوا مبلغاً محدداً من المال بغض النظر عن أن يكون هذا من واردات زكاة أو غيره ، وهذا النظام وجد في عهد بني أمية[7] ووجد في عهد بني العباس حينما كان يعهد إلى الوالي بولاية اليمن مقابل أن يورد إلى خزينة الدولة مبلغاً من المال كما حصل في عهد يعفر الحوالي وأولاده . أو أنه يفرض على اليمن نظام الخراج ضارباً بحكم الإسلام الذي ينص على أنها أرض عشر عرض الحائط ، وليست أرض خراج كما فعل إبراهيم الحوالي[8] .

---

(1) البلاذري . فتوح البلدان ١/٨٨ – ابن آدم . الخراج ٣١ .

(2) الهمداني . الدامغة ٣٧١ – الرازي . تاريخ صنعاء ١٦٤ .

(3) أبو عبيد . الأموال ٦٠٧ ، ٦٠٨ .

(4) الهمداني . صفة ٣٦٤ – الأصطخري . مسالك الممالك ٣١ – ابن آدم . الخراج ٣٠ .

(٥) الرازي . تاريخ صنعاء ٥٥ ، ١٨٧ – الهمداني . الإكليل ٨/٢١٢ – حميد الله . الوثائق السياسية ١٧٥ ، ١٧٦ .

(6) حميد الله . الوثائق السياسية ٣٤٩ – ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٢٦ ، ٢٧ .

(7) الخزرجي . العسجد المسبوك ٢١ – يحيى بن الحسين . غاية الأماني ١/١٠٠ .

(8) ابن رستة . الأعلاق النفيسة ١١٢ .

المحور الثاني : التحـولات الاجتمـاعيـة :

إن النظام الاجتماعي لأي مجموعة بشرية تتكون من أفراد تربطهم علاقات اجتماعية متبادلة أساسها قيم ومبادئ النظام الأخلاقي للمجتمع الذي يعيشون فيه . إن هذا النظام الاجتماعي يشير إلى أشكال وأنماط التفاعلات ، والتنظيمات الاجتماعية ، ويشمل هذا وظائف الأفراد في نواحيهم الشخصية ، وكذلك ما يمكن أن يسمى بالنظام الحضاري الذي يضم المعتقدات والقيم والوسائل الرمزية للاتصالات بين الأفراد[1] .. وهذا يعني أن النظام الاجتماعي يشمل كل جوانب حياة الانسان .

ونحن هنا في حاجة إلى إلقاء الضوء على جوانب من التحولات : في العقيدة ، وفي آصرة التجمع ، وفي الاندماج السكاني ، وفي ضبط العادات الاجتماعية ، وفي النظرة إلى مكانة المرأة ، وفي استحداث مراكز للتجمعات البشرية . ولا يُعد هذا شرحاً للحياة الاجتماعية وأوضاعها ومظاهرها .

التحـول الأول : التحـول فـي العـقيـدة ..

فقد شاهدنا حال أهل اليمن في عقائدهم قبل الإسلام ، وأنهم كانوا موزعين بين آلهة شتى : فمنهم من كان على دين اليهودية أو النصرانية المُحرَّفَتين . ومنهم من كان على المجوسية الوثنية وإن كانوا قلة ، ومنهم من كان في وثنية قمئة ، فهم يعتقدون أن الله خالق لهذا الكون ، ومع هذا اتخذوا له شركاء وأصبحوا يعطون لهم أكثر ما يعطونه لله وصارت الأصنام والأوثان – التي تعبد مع الله في كل قبيلة بل في كل عشيرة وكل بيت – تقام من أجلها الحروب سواء من أجل موقع الصنم هذا في هذه القبيلة أو تلك أو من أجل التنافس على سدانتها .

وبالرغم من هذا فهم يزعمون أنهم ورثة أبيهم إبراهيم عليه السلام ، وقد بقي فيهم بعض مما ترك إبراهيم ولكنهم يحرفونه بحسب أهوائهم : فالأشهر الحرم ، ومناسك الحج والعمرة هي مما بقي من دين إبراهيم عليه السلام ولكنها خضعت للأهواء فأصبحت خاوية من أي معنى بل وتحمل ظلالاً وثنياً في جوانب كثيرة منها .

ومن البداهة أن وراء هذه الوثنية طواغيت لونوا وجوههم وأعمالهم بألوان

---

[1] معجم علم الاجتماع ٢٢٢ .

مختلفة .. فطواغيت الكهانة ، وطواغيت من الزعماء .. وكل له دوره في قيادة الناس لتلبية مطالبهم تحت ستار الخضوع للآلهة المدعاة .

ومما لا شك فيه أن هذا التصور الوثني ينشئ أحكاماً وتصرفات ومسلكيات تتلاءم مع ذلك التصور، ويقوم أولئك الطواغيت من الحُكَّام والكهان بتشريع ما يرونه يحقق مصالحهم ومصالح أقوامهم ليستمروا في الوضع الذي هم فيه ، فيحللون ويحرمون ، ويضعون من الأعراف والتقاليد والأحكام والتشريعات ما يروق لهم .

هذه الحالة التي كان عليها أهل اليمن قبيل دخول الإسلام إلى اليمن تقتضي منا معرفة ما حدث من تحول بعد الإسلام في هذا الجانب المهم لأن التصور هو الأساس الذي تقوم عليه الحياة .

فقد أصبح تصور الناس ومعتقدهم موحداً فالله خالق السماوات والأرض وهو مالكها ومدبرها ومسيرها وهو سبحانه المتصرف فيها إنشاءً وإدارةً ونهايةً .

والإنسان هذا جزء من هذا الكون وضع على ظهر هذه الأرض ليعمرها بإذن من خالقها وبالصورة التي يريدها هو لا بما يريده الزعماء والحكام والكهان فأنزل كتاباً (القرآن الكريم) لينظم حياة الناس : عقيدتهم ، وأخلاقهم ، وعبادتهم ، وتشريعاتهم لأنظمة حياتهم كلها .

وبهذا صار الناس يدينون لإله واحد ويتوجهون إلى قبلة واحدة ويتلقون من كتاب واحد . وتتنمط حياتهم على مسلك واحد مما أدى إلى تجمع الطاقات لأداء مهمة واحدة وهي تحقيق ما يريده الخالق سبحانه .

ويرجع البعض هذا التحول العميق من الجاهلية إلى الإسلام إلى وجود (استعماري)[١] فارسي في اليمن ، ومعرفة أهل اليمن بالديانات السابقة . وهو قصور في النظرة .كما بيناه في موضع سابق من هذا الكتاب . لأن مناطق الشام والعراق وهما تحت النفوذ الفارسي والرومي مباشرة قاومتا الإسلام مقاومة عنيفة ، ولم تتحولا إلى الإسلام إلاَّ بعد حقبة طويلة من السيادة الإسلامية .. وكذلك أهل الكتاب من أهل اليمن ظلوا على دينهم ولم يتحولوا إلى الإسلام إلاَّ بعض الأفراد .

وإذن فإن عوامل هذا التحول ترجع إلى مجموعة من المعطيات غير ما قيل آنفاً :

---

[١] الاستعمار : فحواها اللغوي : الإعمار .. وقد أطلقه الأوربيون على حركتهم لاستعمار الشعوب بحجة إعمارها ، واستخدمنا التعبير هنا بين قوسين لشهرة الكلمة فقط .

أ- معطيات راجعة إلى طبيعة الدعوة الإسلامية التي تخاطب الكيان البشري فتسعى إلى إنقاذه من براثن الوثنية وإعطائه الحرية الكاملة من كل عبودية للنفس أو للغير من دون الله ، وإلى أنها تربط حياة الإنسان بالكون كله بداية وتكوينا وإدارة ونهاية . وتجعل لهذا الإنسان شأناً وأي شأن في تسخير الكون كله .

ب- ومعطيات ترجع إلى أن الإسلام وهو يخاطب هذا الكيان البشري يقيم نظاماً منبثقاً من هذا الخطاب ، ويسعى بإصرار في رقعة واحدة إلى تحقيق أهدافه على رقعة الأرض كلها ، بحيث تحول أفراد هذه القبائل المتناحرة – في الجاهلية – إلى جنود لهذه الدعوة على مساحة واسعة من الأرض ، لتحقيق الأهداف الضخمة والكبيرة التي تنادي بها هذه العقيدة .

ج- وهناك معطيات وظروف صاحبت – ولا شك – طبيعة أهل اليمن (الامتصاصية)، فأهل اليمن عندهم قابلية للتحول والتغير التصوري العقدي بشكل جماعي[1] .

وهكذا اختفى التصور الوثني ، وساد تصور التوحيد ، وإن كان في أواخر القرن الرابع الهجري تسلل إلى اليمن التصور الفلسفي للتوحيد (الذي عُرف بعلم الكلام) ذلك العلم الغريب على الحس الإسلامي الذي ظل في صراع مع التصور الإسلامي .

التحول الثاني : التحول في آصرة التجمع ..

حينما دخل الإسلام إلى اليمن كان الواقع السكاني –كما هو حال الجزيرة العربية – يقوم على قاعدة العصبية القبلية العشائرية والعصبية كما فسرها ابن خلدون[2]هي : (النُّعْرَة) التي تقوم بين الجماعة المنتمية إلى نسب واحد ، أو من دخل فيه من مصاهرة ، أو ولاء وحلف . فالحياة الاجتماعية للواقع الجاهلي تقوم على أساس " أن كل قبيلة كانت وحدة

---

[1] بعث أمير المؤمنين عثمان ﷺ والياً على اليمن يسمى عثمان بن عثمان الثقفي فذهب إلى اليمن وعاد ولما سئل عن عودته قال : " رأيت قوماً ما سئلوا أعطوا : إن سئلوا حقا أعطوه ، وإن سئلوا باطلاً أعطوه " (ابن جرير . تاريخ صنعاء ٢٢ ، ٢٣) . وهذه الطبيعة يمكن أن نلحظها من موقف الناس والملأ من رسالة سليمان ﷺ فملكتهم تطالبهم بالمشورة ولكنهم قالوا : " نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ " ، ونلحظها أيضاً مما يسود في الموروث الشعبي من قولهم " من تزوج أُمَّنَا كان عَمَّنا " .

[2] المقدمة ١٧ . والنُّعْرَة : هي الكبر والخيلاء والعصبية وتطلق على الدواب إذا هاجت لأن حشرة تدخل إلى مناخيرهم فتهيجهم (المعجم الوسيط مادة نعر) .

قائمة بنفسها في النطاق الاجتماعي : في السياسة والاقتصاد لأن القبيلة كانت تعد نفسها وحدة مستقلة في النسب . ولم يكن الجاهلي يقدر الشعور الجامع للأمة ولا للعشيرة ، فكانت القبيلة (أو العشيرة) إذا كثر عدد أفرادها انقسمت فأصبحت أقساماً يجمعها النسب أحياناً كثيرة وتفرق بينها المصالح الاقتصادية والأهواء النفسانية فيأخذ كل قسم من القبيلة الواحدة يقاتل القسم الآخر منها كما لو كان يقاتل قبيلة أخرى أو جماعة أجنبية "[١].

ومن خلال السرد الذي كان في بداية هذا الكتاب حول الوضع القبلي لليمن حال ظهور الإسلام يتبين لنا مدى وجود هذه العصبية على حقيقتها . فالحروب تنشب بين القبائل من جراء هذه العصبية ، وتقام لتحقيق مصلحة هذه القبيلة أو تلك دون وجود قيم إنسانية راقية . فهناك حروب حضرموت وكندة ، وحروب قضاعة ، وحروب همدان ومذحج، وحروب همدان وخولان .. الخ . وهناك حروب بين فصائل القبيلة الواحدة أيضاً كحروب حاشد وبكيل من همدان ..

ومن عناصر (الآصرة) عنصر الولاء ، فقد كان الولاء السائد بين القبائل هو ولاء القرابة والنسب . وكلما تباعد النسب تباعد الولاء وتنافر .

فلما جاء الإسلام اتخذ من الخطوات والإجراءات والتوجيهات والتنظيمات ما يحقق جعل الآصرة إنسانية عقدية .. وهذه بعضها بإيجاز :

١- وضع موازين أخرى غير تلك الموازين الجاهلية . فالخالق واحد ، والكتاب المنظم لحياة الناس واحد ، والنبي الذي يقتدي به واحد ، والأرومة أو الوشيجة بين البشر واحدة فهم أبناء أب وأم . فتعدل التصور في البداية ثم صدرت التوجيهات والتوصيات والتكليفات والتشريعات بما يلائم هذه القاعدة : قاعدة " الناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب "[٢]

٢- وجعل الأخوة لازمة لقيام الإيمان ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات : ١٠).

٣- وجعل التفاضل بين الناس ليس على أساس الأحساب والأنساب والأجناس والألوان وإنما على أساس قيمة اعتبارية عالية وهي التقوى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا

---

[١] فروخ . تاريخ الجاهلية ٧٨ .

[٢] حديث رواه أبو داود والترمذي وأحمد (المسند ٢/٣٦١ ، ٥٢٤) وهناك نص آخر :" إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب" .

﴿ خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ (الحجرات : ١٣) . ولم يلغ الإسلام الأنساب ولكنه أبقاها ليتعلم منها المسلمون صلة الأرحام لا ليتقاتلوا عليها كما قال رسول الله ﷺ : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم "[١] .

٤- وجعل القتال من أجل العصبية جاهلية " ليس منا من دعا إلى عصبية ... الخ "[٢] .

٥- ووقف رسول الله ﷺ في آخر موقف عام يقفه أمام المسلمين كان في حجة الوداع ١٠هـ/٦٣١م ليعلن لهم عن وضع كل أمور الجاهلية ومنها العصبية الجاهلية[٣].

٦- ووجه رسول الله ﷺ وفد الأبناء الذي قدم ليعلن إسلامه ويخبر رسول الله بإسلام قومهم من الأبناء فأرادوا أن يكون لهم ولاءهم الخاص وتجمعهم القبلي أو المتجمع حول عصبية خاصة بهم فيلفت رسول الله نظرهم إلى حقيقة ولاء المسلم لمن يكون فقال لهم : " لله ورسوله "[٤] .

٧- وعمل رسول الله ﷺ أثناء التقسيم الإداري لليمن على دمج أكثر من قبيلة كانت دائمة الصراع في جاهليتها وجعلها في وحدة إدارية واحدة لكي يلغي الأواصر الجاهلية وليجعل العبرة عنده هي آصرة التجمع الجديد التي تقوم على مفهوم الأمة ، ولا اعتبار للعصبية القبلية كما لاحظنا ذلك في فصل سابق .. وصار المتنافرون في الجاهلية يتعاونون معاً لأداء مهمة واحدة في ظل النظام الاجتماعي الجديد ، وهي إرساء دعائم الإسلام في ربوع الأرض المعمورة .

وظلت المسميات (النَّسبية) والقبلية باقية ولكنها صارت محدودة التأثير ..

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ٣٧٤/٢ ، حديث رقم ٨٨٥٥ . وبقية الحديث : " فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، مِثراةٌ في المال ، مِنْسأةٌ في أثره " . ومعنى مثراة في المال : أي أنه سبب لكثرته ، ومنسأة في أثره : تأخير في الأجل وتطويل في العمر .

[٢] الحديث بكامله عن جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال : " ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية " رواه أبو داود .

[٣] ابن سيد الناس . عيون الأثر ٢٧٥ .

[٤] مسند أحمد ٢٣٢/٤ – أبو عبيد . الأموال ١٣٧ – ابن حجر . الإصابة ٢١٠/٣ – ابن هشام . السيرة (مع الروض الأنف) ٣٠٧/١ ، ٣٠٨ .

وبعد فترة من الزمن انشغل الناس بصراعات جديدة أدَّت إلى إحياء بعض المفاهيم الجاهلية كما حصل من بداية العقد الثاني للقرن الثاني الهجري ، وغذتها هجمة شعوبية قادمة من معسكر يترصد للإسلام والمسلمين لكي ينقض عليهم . فقد خرجت سهام هذه العصبية الجاهلية الجديدة وتلقفتها العصبية الجاهلية القديمة فأصبح للقبلية مكان في أوساط الناس ربما شجعتها على البقاء – دون قصد – بعض تلك التنظيمات الإدارية والمالية والعسكرية التي حصلت في عهد بني أمية وما بعدها ، التي قامت على أساس العشيرة والقبيلة في العطاء وتخطيط المدن ، وفي التقسيمات الحربية داخل ميادين القتال[1] .

إلاَّ أنه من الملاحظ – بالرغم من هذه الانتكاسة – ظل مفهوم الأمة هو السائد وما برح الولاء والنصرة للمسلمين أينما كانوا هو المعلم البارز في كيان الأمة .. وبدلاً من الآصرة التي تتجمع على مثلها القطعان الحيوانية (فصيل – عشيرة – قبيلة – نسبة إلى بلد ما) تحولت إلى آصرة تقوم على المبدأ والفكرة .

إن القبلية في هذه العصور – رغم ما ترفعه من عصبية –كانت تشكل قوة عسكرية (نسبية) استغلها ذوو السلطة أو الطموحات السلطوية المذهبية لتحقيق مآرب لهم وعملوا على كسب ودها .

ولما قامت دويلات داخل اليمن منتسبة إلى أسرة أو عشيرة أو شخصية لم يكن الدافع لهذا التصرف هو دافع قبلي بحت ، وإنما كانت الفكرة أو القيمة الاعتبارية هي التي تقف وراء هذا التصرف .

فالدولة اليعفرية مثلاً تنتسب إلى يعفر الحوالي ولكنها سعت لتوسيع نفوذها تحت مبدأ آخر لا يمت إلى القبيلة بصلة ، فقبل أن تعترف الدولة العباسية بدولة بني يعفر كانت تسعى إلى رفع ما تعتقده من ظلم واقع على الناس أو ضعف أصيبت به القيادة المحلية . ولما اعترفت بها الدولة العباسية أصبحت تحكم باسمها .. فالسيادة ليست قبليةً .. كذلك بقية القوى التي قامت في اليمن مثل بني زياد أو المناخيين أو الهمدانيين أو المراديين .

وإذا حصل صراع قبلي – وخاصة في نهاية الحقبة التي ندرسها – فقد كان الصراع بين فروع قبلية صغيرة على مشاحنات ثأرية أو أراض مشتركة أو مصالح متنافرة ، وكانت الدولة بما تمثله من بعد عن التجمع القبلي أو العشائري هي التي تتدخل لإزالة هذه الصراعات العشائرية فهي صراعات غير معترف بها وليست لها شرعية .

---

[1] العلي . التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ٥٢ – ٥٥ .

التحول الثالث : التحول في الاندماج السكاني ..

حينما تحول اليمن من أرض تقطنها مجموعات قبلية (متحوصلة) في بؤر ضيقة إلى وحدة إدارية ضخمة ضمن كيان سياسي واجتماعي كبير هو المجتمع المسلم صارت هذه الوحدة الإدارية على استعداد لأن تندمج في المجتمع الكبير ، وتستقبل أفراداً من أي مكان من المجتمع الكبير ليقيموا فيها فلا عبرة بالنسب العرقي وإنما بالولاء العقدي . فمادام الارتباط بالإسلام هو الأصل فمن حق المسلم أن يتنقل حيث يشاء من مناطق دار الإسلام ، ولم يعد ذلك الأسلوب التقليدي الذي كان يمارس في الجاهلية وهو ألا يدخل في القبيلة إلا بالولاء أو التحالف أو بالإجارة المؤقتة ، وإنما من حقه أن يستقر في أي مكان ، وأن يمارس نشاطه المتخصص فيه دون عائق يذكر ..

وصار معروفاً أن نجد اليمني في الشام أو العراق أو مصر أو المغرب أو الأندلس ، ونجد المغربي والفارسي والمصري والحجازي داخل اليمن مقيماً ومستوطناً ، له مكانته وله اعتباره ولا ينظر إليه على أنه غريب أو يمثل (جالية أجنبية) ، وإنما هو إنسان ضمن هذا الولاء الجديد وإنسان صالح من حقه العيش في أي مكان .

وقد ظلت هذه النظرة مستمرة لا تنقطع حتى برزت (النُّعْرَة) الوطنية والقومية المناطقية الضيقة في العصر الحديث .

وتدليلاً على هذا الاندماج السكاني فقد برزت حركة (النقائل) أي انتقال قبيلة أو جزء منها إلى مناطق تسكنها قبائل أخرى فتستقر فيهم وتعيش في أوساطهم وتصبح جزءاً لا ينفصل عن القبيلة السابقة . ومن وجهة نظر رجال علم الأنساب أن الاندماج هذا هو انتساب إلى القبيلة التي حل فيها فأطلق – مثلاً – الهمداني[1]على من دخل في همدان (التَّهَمْدُن) ومن دخل بكيل (التَّبَكُّل) وهكذا .. ولهذا دخل في القبائل بعضها بعضاً العديد من القبائل الأخرى ، وكان تجمعهم هذا يذوب ليشكلوا لحمة واحدة بدافع من الشعور بالأخوة في العقيدة ، والمشاركة في شرائح مجتمع واحد داخل دولة واحدة ، ولم يتسرب إلى نفوسهم شعور بالغربة ، ولهذا نجد اندماجاً واضحاً في المدن بين إنسان له أصل من قبيلة عربية (قحطانياً أو مضرياً أو ربيعياً) ومن هو فارسي أو رومي أو تركي ، ولا يميز بين واحد وآخر نسبه وحسبه ولكن مواهبه وقدراته ..

---

[1] الإكليل ٦٥/١٠ وصفة جزيرة العرب ٢٦٤ – وانظر : ابن سعد . الطبقات ٢٤٧/٦ .

وانظر إلى معظم رجال العلم والوجاهة الاجتماعية في عصر ما بعد النبوة تجدهم من الموالي أو من غير العرب ومع هذا لهم مكانتهم عند الناس أمثال : عطاء بن أبي رباح[١] (ت ١١٧هـ/ ٧٣٥م) الذي كان أصله أفريقيا –كما يقال – ، ووهب بن منبه الذماري اليمني[٢] (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م) وأسرته كلها تنتسب إلى الأبناء ، وعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م) أحد موالي حمير[٣] .

التحول الرابع : التحول في ضبط العادات ..

العادات –كما هي في علم الاجتماع – اصطلاح يشير إلى أشكال التفكير والسلوك المستقر الذي يقوم به الفرد في المجتمع .. وهي متشابكة متصلة الواحدة بالأخرى اتصالاً اجتماعياً بحيث تكون نظاماً متماسكاً يفسر الشيء الكثير عن أسرار وحقيقة المجتمع[٤].

وهي بهذا التعريف عبارة عن منظومة من الأعمال والممارسات والسلوك التي تساعد على معرفة تفكير ومعتقدات الناس .

واليمن – بصفته جزءاً من الجزيرة العربية – له عوامله المشتركة مع بقية الجزيرة في جاهليتها في عاداته وتقاليده وحياته الاجتماعية كلها حيث لليمن صلاته الواسعة مع جزيرة العرب كلها سواء من ناحية مواسمها التجارية أو مواسمها الدينية ، ومن خلال هذين المنفذين يتم التلاقح الاجتماعي والتأثر والتأثير والتشابهات في العادات الاجتماعية في هذا الوسط وذاك .

والعادات بطبعها هي ما اعتادها الناس ومارسوها سواء أكانت هذه العادات حسنة لها نصيب في بناء الشخصية الإنسانية السوية . أم كانت عادات غير حسنة تنبئ عن منطلقات فكرية غير سوية أدت إلى نشوء مثل هذه العادات السيئة .

---

[١] كان عطاء عبداً أسوداً أعوراً أفطساً أشل أعرج ثم عمي فيما بعد وانتهت إيه فتوى أهل مكة وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث .. وكان أصله من النوبة وكانت حرفته في البداية عمل المكاتل ثم صار معلم كتاب(ابن حجر . تهذيب التهذيب ٧/ ١٨٠ ، ١٨١) .

[٢] وهب بن منبه الذي كان أصله من خراسان . ومع هذا صار عالم أهل اليمن وتولى قضاء صنعاء وهو تابعي ثقة (ابن حجر . تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٧ – ١٤٩) .

[٣] كان عبد الرزاق الصنعاني مولى من موالي حمير وصار ثقة عالماً جاءت رواياته في كتب السنن الست ورحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم وكتبوا عنه (ابن حجر . تهذيب التهذيب ٢٧٨/٦ – ٢٨١) .

[٤] معجم علم الاجتماع ٧٠ .

وسواء أكانت هذه العادات تمارس على المستوى الفردي أم على المستوى الجماعي ولا شك أننا هنا لن نبسط كل العادات الحسنة والسيئة التي كانت في الجاهلية بالحديث والتفنيد ولكننا نجمل هذه العادات ثم نشير إلى ما أحدثه الإسلام فيها من تحول وتغيير ، سواءً أكان إلغاءً كاملاً دون بديل ، أو إلغاءً مع إقرار البديل ، أو إقراراً بعد تعديل المنطلقات .. وهذه هي بعض هذه العادات :

أ- الصفات الحسنة :

الصفات الحسنة كالكرم والشجاعة وحفظ الجوار والوفاء بالوعد والثأر لمقاومة الظلم والإباء كل هذه العادات والصفات الحسنة كانت موجودة لدى العربي ولما جاء الإسلام أقرها واعتبرها جزءاً من بناء الشخصية المسلمة ، ولكنه جعل لها أساساً عقدياً تصورياً ، فبدلاً من أنها كانت تؤدى للمحافظة على سمعة القبيلة أو الشخص أو ليقال ويذاع بأن فلاناً ، أو القبيلة الفلانية تتصف بالكرم والشجاعة وحسن الجوار . صارت في الإسلام تؤدى خالصة لوجه الله ويبتغى بها الأجر والثواب في الآخرة وصار مردودها يعود على جميع أفراد الأمة .

ب- عادات الأفراح والأتراح :

وأما العادات المرتبطة بأفراح الناس ومآتمهم في الجاهلية فقد كانت تمارس فيها من الطقوس ما هو نتاج طبيعي للتصور الوثني الذي كان لدى الناس .. ومن هذه المناسبات :

١. كان لأهل اليمن من الأعياد والمواسم ما يتناسب مع أعيادهم الدينية ، فالصنم (ذو الخلصة) – صنم خثعم وبجيلة – كان لهم فيه من السنة موسم وعيد[1]، ولأهل نجران عيد يجعلونه حول (نخلة) مقدسة لديهم يعلقون عليها كل ثوب حسن وحلي النساء[2] .
٢. واليهود والنصارى . بحكم وجودهم في اليمن . لهم أعيادهم الدينية كأعياد رأس السنة الميلادية ، وعيد الفطير (الفصح) الذي يقع في (١٥ نيسان)[3].

---

[1] الكلبي . الأصنام ٣٤ – ٣٦ – الألوسي . بلوغ الأرب ١/ ٣٤٦ .

[2] الطبري . تاريخ ٢/ ١٢٠ .

[3] الألوسي . بلوغ الارب ٣٦١/١ – ٣٦٤ .

ومثلهم المجوس الذين كان لهم وجود في اليمن قبل مجيء الإسلام وكان لهم يوم النيروز[١] .

٣. هذا إلى جانب حفلاتهم ومناسباتهم وولائمهم المتعددة في حالة النصر أو الموت أو الزواج أو المولود .. وقد عد المؤرخون ستة عشر وليمة كان العرب ومنهم اليمنيون يمارسونها[٢] .

ولما جاء الإسلام نظر لكل عادة من هذه العادات لها أصل وثني أو لا تتناسب مع روح الإسلام وتكريمه للإنسان فرفضه ، أما ما يليق بالإنسان وبكرامته فأبقاه مع تعديل الغاية منه ، وطريقة تنفيذه .

لأن منهج الإسلام أمام العادات هو :

١) إما الإقرار مع تعديل الغاية وطريقة أدائه .

٢) وإما الرفض الكامل دون بديل ، لأنها تتصادم مع مقررات الإسلام .

٣) وإما الرفض وإيجاد بديل لها .

وعلى أساس هذا المنهج تعامل الإسلام مع الواقع في اليمن وغيره بما يأتي :

١. فالأعياد الوثنية رفضها كلها .. وجعل للمسلمين عيدين اثنين لا ثالث لهما وهما : عيد الفطر وعيد الأضحى ولكل منهما وزنه ودلالته[٣] .

٢. وأقر الولائم المطلوبة لإسعاد الناس في معايشهم مثل : وليمة الزواج وجردها من كل ما من شأنه يعكر صفوها من رفث وفسوق ومباهاة وخيلاء[٤] .

٣. وهناك عادات وممارسات كانت من أخص خصائص المجتمع الجاهلي في الجزيرة العربية كلها ومنها اليمن مثل : الخمر[٥] والزنا ووأد البنات وهضم

---

[١] النيروز هو مأخوذ من (نورز الفارسية وتعني اليوم الجديد) .

[٢] الألوسي . بلوغ الأرب ٣٨٥/١ – ٣٨٦ .

[٣] راجع كتاب : دراسات في تاريخ صدر الإسلام ففيه بيان لهذه الدلالات .

[٤] راجع : الزفاف لناصر الدين الألباني .

[٥] كانت توجد قرى معروفة في اليمن تعرف بجودة الخمور مثل أثافت من همدان (صفة جزيرة العرب ٩٧) وتورد الخمور إلى اليمن أيضاً من بصرى وغزة (سعيد الأفغاني . أسواق العرب ١٦٧) لقد كانت الخمر إحدى لوازم الحياة الجاهلية العربية إلى حد أن الذين لم يتعاطوها أحصوهم فبلغ عددهم اثنين وعشرين رجلاً فقط ، اثنان منهم من اليمن (هما عفيف بن معد يكرب الكندي عم الأشعث بن قيس ، والأسلون اليامي الهمداني (ابن حبيب . المحبر ٢٣٧ – ٢٤١ – سعيد الأفغاني . أسواق العرب ١٧١) .

المرأة في حقوقها وظلم اليتامى ، فلما جاء الإسلام جعل هذه الممارسات موبقات يجب اجتنابها وأصدر في حقها تشريعات صارمة فحرم الخمر[1] والزنا ووأد البنات وجعل للمرأة مكانة كما سيأتي في التحول التالي .

التحول الخامس : التحول في النظر إلى مكانة المرأة ..

يكثر الحديث في الوقت الحاضر عن (المرأة) كلما جاء ذكر الحياة الاجتماعية لأي مجتمع ، وصارت قضية المرأة معلنة في المحافل الدولية والمحلية ، ولم تعلن – في العصر الحديث – للرجل قضية لتحريره كما أعلن عن قضية تحرير المرأة !!.

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على هدف خفي يراد منه دفع المرأة إلى إخراجها عن طبيعتها الفطرية ، هذا إلى جانب أن الأمم والشعوب لها نظرة خاصة حول المرأة مما ألجأ المفكرين في العصر الحديث إلى أن يعطوا للمرأة اهتماماً خاصاً لما يشعرون به من هضم واضح لحقوقها في الأوضاع والتصورات البشرية .. وفي الوقت الذي حصل فيه محاولة رفع الظلم والهضم عن المرأة وإعطائها مكاناً بين الرجال بالغ هؤلاء المدافعون عن المرأة – وهم رجال أيضاً – فيما عرف بحركة تحرير المرأة فأخرجت عن المكانة المعتبرة لها – سواء أكانوا قاصدين أم ساروا مع التيار إلى هذا المنحدر – وأُبْعِدَت المرأة عن فطرتها التي فطرت عليها ، ومسخت وتحولت إلى جنس لا هو بالرجل ولا هو بالمرأة حتى أُطلق عليها (النوع الاجتماعي) هكذا بهذا التجهيل الاحتقاري .

وسنشير إلى مجموعة من الممارسات الجاهلية وكيف عمل الإسلام على تغييرها فيما يأتي :

١ . الجاهلية العربية – كأي تصور جاهلي – تعاملت مع المرأة بتعاملين متناقضين : تعامل تمثل فيه الحرص الشديد والغيرة عليها . وتعامل آخر مناقض فيه هضم لحقوقها ، وحرمانها من أبسط مالها من حقوق داخل البيت الواحد .

فهم يغارون عليها من أن يمسها شيء يعكر صفو حياتها ويخافون من العار أن يلحق بها إلى حد أن أحد أسباب وأد البنات في الجاهلية هو الخوف من العار ، إلى جانب خوف الفقر ، أو وجود عاهة ، وهذه الظاهرة صارت عامة بين العرب

---

[1] لما أرسل أبو موسى الأشعري إلى اليمن سأل رسول الله ﷺ عن أشربة كان أهل اليمن يشربونها فأصدر رسول الله ﷺ حكمه بأن "كل مسكر حرام " [ابن حجر . فتح الباري ٨/ ٦٢ (كتاب المغازي) السلفية و ١٠/ ٤١ – ٤٣ السلفية – ابن سلام . الأموال ١٣٧ – ابن سعد . الطبقات ٦/ ٦٤] .

بما فيهم أهل اليمن وكان على رأسهم كندة[1] .. يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الإسراء : ٣١) .

٢ . وبالرغم من تعاطي الخمور عند العرب عموماً إلا أنهم حرصوا حرصاً شديداً على ألا تشرب المرأة الخمر[٢] ، وذلك خوفاً عليها من هتك عرضها . ولم يكن هذا عاماً في المرأة ولكنه كان مخصوصاً بالنساء الحرائر ، أما (الإماء) فالامتهان والاحتقار الحيواني البهيمي هو ديدنهم معهن فيعاقروهن الخمر بلا تحرج . وهذا التناقض الذي وقعوا فيه ناشئ من تصوراتهم للحياة وللإنسان فهم يغارون على المرأة ويصونونها حينما تكون في بيوتاتهم ، وفي الوقت ذاته وإن كانت حرة يمارسون معها كل أنواع المعاشرة الحرام إلى حد التقزز[٣] ، سواء أكانت حرة أم أَمَة حتى قال العرب عن هذا " ما استتر فلا بأس به ، وما ظهر فهو لوم"[٤].

وقد رأينا بعض زعماء كندة وحضرموت الذين فرحوا بموت رسول الله ﷺ يستخدمون العواهر صاحبات بيوت الدعارة للخروج في طرقات مدن حضرموت يغنين شامتات بموته ﷺ[٥] .

ومن المعروف أن غالب الشعر الغزلي في الأدب العربي الجاهلي كان مع النساء الحرائر . هذا إضافة إلى أنهم مارسوا مع المرأة ممارسات ظالمة غاية في السوء .

٣ . وكانوا إذا ولدت لهم بنتاً تشاءموا وتطيروا واختبأوا من الناس مخافة أن يعيروا

---

[١] الرازي . مختار الصحاح ٧٠٥ – الألوسي . بلوغ الإرب ٣/٤٢-٤٤ . وإن كان قد استثنى ابن حبيب في المحبر ص ١٧٩ ، ١٨١ . بعض أهل اليمن من وأد البنات إلاَّ أنه لا يمنع وجوده في اليمن (انظر : الهمداني . الدامغة ١٣٩ – وراجع النووي .شرح صحيح مسلم ١٠ / ١٧) .

[٢] الألوسي . بلوغ الأرب ٢/ ٢٩٧ .

[٣] كانت بيوت الدعارة مفتوحة وكان يطلق عليها (صاحبات الرايات) وكان أشرافهم يتاجرون بفتح بيوت الدعارة (ابن حبيب . المحبر ٢٣٩ ، ٣٤٠) .

[٤] ابن حجر . فتح الباري ١٩ / ٢٢٠ .

[٥] ابن حبيب . المحبر ١٨٤ – ١٨٨ .

بـذلك[1] يقـول الله سـبحانه وتعـالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ **(النحل : ٥٨ – ٥٩) .**

٤ . وإذا تزوجوا كانت عقود النكاح في معظمها اعتداء على حرية المرأة وكرامتها رغم تعدد الأنكحة الجاهلية[2] .

٥ . وكـان هنـاك زواج بعـض المحـارم والجمـع بـين الأختين[3] وكانـت عـادة منتشـرة ، ولهـذا جـاء حكـم الله سبحانه بـأن جعـل مـن المحرمـات مـن النسـاء الجمـع بـين الأختين .. وفي اليمن كان ممارساً وقد روى عن فيروز الديلمي بأنه كان متزوجاً بأختين .. فقال له رسول الله ﷺ : " اختر أيهما شئت " .

٦ . وإذا طلقوا عذبوهن في حريتهن فلا هو طلاق ولا هو زواج ، وقد أنكر القرآن الكريم هذه الصورة الظالمة وقال : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ ﴾ **(البقرة : ٢٣١) ، وقـــال :** ﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ ﴾ **(النساء : ١٢٩) .**

٧ . وإذا مات أحدهم لا تكون المرأة وفية لزوجها إلا إذا حلقت رأسها وخمشت وجهها[4] .

٨ . وإذا أكلوا فرقوا بين ما يأكله الرجال وما تأكله النساء من لحوم الأنعام .. يقول الله تعـالى وهـو ينكـر علـيهم هـذا التصـرف : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾ **(الأنعام : ١٣٩).**

---

[1] من العجيب أن هذه النظرة الجاهلية ما زالت متغلغلة في نفوس وعقول بعض اليمنيين في العصر الحاضر ، ومما يوحي بهذه الروح الجاهلية قولهم : موت البنات من المكرمات أو وأد البنات من المكرمات .

[2] انظر أنكحة العرب في الجاهلية كما روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (فتح الباري ١٩ / ١٩٥ –٢٢٢) .

[3] ابن حبيب . المحبر ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، الألوسي . بلوغ الأرب ٥٣/٢ وقد روى ابن ماجه (السنن ٦٢٧/١ حديث رقم ١٩٥١) والترمذي (الجامع ٣٩٩/٢) عن الضحاك بن فيروز الديلمي عن أبيه قال : قلت : يارسول الله إني أسلمت وتحتي أُختان . قال : اختر أيهما شئت " .

[4] لسان العرب . ٢/ ١٢٦٥ .

٩. وإذا حان وقت زواج البنت منعت من أن تتزوج ممن تريد فكان الولي يزوجها بالإكراه فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ (النساء : ١٩)، أو يمنع تزويجها إما طمعاً في مال يفتدين به أنفسهن ، أو في إرثهن بعد الوفاة ، ومن ثم عملوا على حرمان البنت من الميراث .. يقول الله تعالى مقرراً حق المرأة في التركة : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ (النساء : ٧) .

هذا التصور العربي الجاهلي – واليمن جزء من العرب – جاء الإسلام وقد صار واقعاً مُعاشاً فقرر أحكاماً واضحة لتصحيح الوضع ، فقد تعامل مع تلك الممارسات الظالمة مع المرأة لا لكي يجعل للمرأة قضية ضد الرجل ، ولكن ليتعامل مع الكيان الإنساني بأجمعه . فالمرأة هي أم وأخت وزوجة وبنت للرجل[1] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات: ١٣)، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١) .

ولم يجعل للمرأة كياناً منفصلاً عن المجتمع بحيث تصبح لها قضية خاصة ، ولم نلاحظ أن المجتمع الإسلامي – الذي خاض كل مظاهر الحضارة الإسلامية ، ومارس شتى أنواع العلوم والمعارف – لم نلاحظ أن المرأة أفردت في كتاب خاص ليعالج قضايا تحرير المرأة كما ظهر في العصر الحاضر ، لا لشيء إلا لأن المرأة في المجتمع الإسلامي صارت هي والرجل لا يستغني أحدهما عن الآخر لقيام المجتمع المسلم وبنائه . ووضعت تشريعات واضحة تحدد حقوق وواجبات الشقيقين (المرأة والرجل) ولهما أجرهما في الآخرة ، ولا فرق بينهما إلا فيما يخص الجانب الفطري الطبيعي لدور كل منهما .. فالرجال قوامون على النساء بما فضلوا من جوانب فطرية ، وبما يقومون به من إنفاق على المرأة .. والرجال لا يمكنهم القيام بالدور الذي تقوم به المرأة من حمل وولادة وتربية أطفال . ومن ثم أصبح

---

[1] جاء في حديث رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود " إنما النساء شقائق الرجال " .

لكل واحد مجاله المطلوب منه يتحرك فيه ويؤدي الدور المناط به دون أي شعور بأن الآخر أخذ أو استأثر بما لأخيه .

ولقد شاهدنا في تاريخ الحركة العلمية في اليمن مشاركات للنساء في مجالات شتى منه[1].

التحول السادس : التحول في استحداث مراكز التجمعات (المساجد)..

هناك تحول كبير حصل في الواقع الاجتماعي لليمن – بصفته جزءاً من كيان دار الإسلام – وهو تحول في إيجاد أماكن التجمع في كل قرية ، ومحلة ، ومخلاف ، ومدينة .

وكان معروفاً في البيئة العربية الجاهلية عموماً – وفي اليمن خصوصاً – أن أماكن تجمعهم هي : بيوت الزعماء ، أو حول أصنامهم ، أو بيوت معبوداتهم ، أو أماكن خاصة تعارفوا عليها لتكون موضعاً للتجمع ، أو هي الأسواق التجارية الأسبوعية على مستوى القرى ، أو الموسمية على مستوى المخاليف كلها .

وفي هذه المقرات والمراكز تعلن الحرب أو تطفأ ، ومنها إلحاق الشخص بقبيلة أو خلعه عنها ، وفي هذه المقرات تقام الأحلاف أو تنقض ، وفيها يعبر الشخص عما يريد قوله سواء بوسيلة الشعر أو بوسيلة النثر .

وأساس هذه التجمعات : إما عصبية لقبيلة أو عشيرة أو أسرة . وإما ولاءً لصنم أو معبود . وإما مصلحة اقتصادية تجمع بين مجموعة قبلية أو عشائرية .

وحينما جاء الإسلام وهو الدين الذي يرعى ما يتطلبه الإنسان من جوانب فطرية ، ويسعى للمحافظة عليها شريطة أن تظل نظيفة سامقة في المثل والقيم ، لم يجعل للتجمعات الوثنية أي اعتبار ، بينما أبقى على التجمعات في الأسواق لأنها تجمعات تجارية اقتصادية بضوابط الإسلام .

وفي مقابل ذلك كله أوجد (المسجد) ليكون هو المقر والمركز والمكان الذي يتجمع فيه الناس وصار المسجد هو العنوان الجديد للتجمع الإسلامي .

" فالمسجد هو أحب البقاع إلى الله تعالى فهو قلعة الإيمان وحصن الفضيلة ، وهو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم . وهو بيت الأتقياء ، ومكان اجتماع المسلمين يومياً ، ومركز مؤتمراتهم ، ومحل تشاورهم وتناصحهم . والمنتدى الذي فيه يتعارفون ويتآلفون . وعلى الخير يتعاونون ، منه خرجت جيوشهم ففتحت مشارق الأرض ومغاربها ،

---

[1] انظر للمؤلف : الحركة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة .

وإليه يرجع مسافرهم أول ما يرجع[1] . فيه السلوى ، وفيه يعزي المسلم أخاه المسلم إذا أصابه مصاب[2] . منه تخرج العلماء والفقهاء ، وفيه كان الجرحى يمرَّضون . وبسواريه كان الأسرى يربطون . وفي رحابه كان التقاضي والقضاء ومحاسبة الخلفاء ، وفيه كانت الملاعنة تجري بين الرجال والنساء ، وفيه كانت تتم قسمة الغنائم . كما كانوا يعلقون فيه العِذْقَ (من النخل) ليأكل الجائعون والغلمان[3]، فهو ملتقى الأمة وناديها وجامعتها ومكان شوراها "[4].

وبالجملة كما قال علي الطنطاوي[5] متجاوزاً في المصطلحات : " المسجد هو المعبد في الإسلام وهو البرلمان وهو المدرسة وهو النادي وهو المحكمة " .

وصحيح أن المجتمع الإسلامي حينما توسع طور ترتيباته الإدارية والعمرانية فصار للقاضي مكاناً ، وللمتعلم مدرسة ، وللمفتي داراً ، وللشرطة مقراً لحبس المتخاصمين ، وللأموال داراً للمال ، وللخليفة مقراً يقابل فيه رجال دولته ...الخ .

إلاَّ أنه رغم كل ذلك فإن المسجد ظلت له تلك الأهمية كلها .

ولهذا كان أول ما يلفت انتباه الباحث أن أول خطوة خطاها المسلمون في المدينة حينما جاء رسول الله ﷺ إليها هو تأسيس مسجد (قباء) وهو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم[6] ، فهو أول مسجد بُنِيَ في الإسلام ، ثم وضعت اللبنات الأولى للمسجد النبوي في المدينة المنورة ليكون مثالاً يحتذى ، سار على منواله – شكلاً ومضموناً – المسلمون يبنون مساجدهم في الأمصار والأقاليم والمناطق والمدن والقرى .

واليمن الذي نحن بصدد البحث فيه كان من أوائل المناطق التي بني فيها أول مسجد على غرار مسجد النبي ﷺ ..

---

[1] كان رسول الله ﷺ لا يقدم من سفر إلاَّ نهاراً في الضحى فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين (متفق عليه) .

[2] لا يقصد بهذا الجلوس في المساجد للعزاء فهذا منهي عنه .

[3] عقد البخاري في صحيحه باباً بعنوان (باب تعليق القنو في المسجد) والقنو : هو عنقود النخل .

[4] خير الدين وانلي . المسجد في الإسلام ٥ – ٧ .

[5] الجامع الأموي في دمشق ٤ .

[6] قال تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ (التوبة : ١٠٨) (انظر : ابن الديبع . حدائق الأنوار ٤٧٤ – ٤٧٨ . وفيه خلاف حول المقصود بالآية السابقة هل هو مسجد قباء أم هو المسجد النبوي .. ومقصودنا هنا أن أول مسجد بني هو مسجد قباء ثم المسجد النبوي) .

فقد أسلم (الأبناء) في نهاية العام السابع الهجري أو مطلع العام الثامن – كما أسلفنا – وكان من البدهي – حسب خطة رسول الله ﷺ – أن يرسل إلى اليمن من يعلم من أسلم منهم الإسلام ، ويقرئهم القرآن فأرسل أول معلم إلى اليمن وهو وبر بن يحنس الخزاعي ، وأمره أن يبني مسجداً في صنعاء في بستان باذان – الذي أسلم وجعل هذا البستان صدقة للمسلمين – وحدد له رسول الله ﷺ المكان الذي يبني فيه المسجد ، وَجِهَةَ القبلة وجعلها نحو جبل (ضين)[1]، وقد بني على غرار مسجد النبي ﷺ الذي صار مثالاً للمساجد الإسلامية الأولى[2].

ومما يلفت النظر أن كل منطقة يدخلها الإسلام كان أول ما ينشأ فيها هو إيجاد مكان التجمع وهو المسجد ، فبعد أن أعلن أهل حمير إسلامهم ، أرسل رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن في العام التاسع الهجري ودخل داعياً ومعلماً فاستقبله أهل صعدة ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا وبنى لهم فيها مسجداً .

ولما وصل صنعاء لم يبن مسجداً لأنه كان قائماً من أول ما أسلم الأبناء .. ثم تحرك جنوباً محققاً الهدف الذي أمره به الرسول ﷺوهو مدينة (الجند) فمر في طريقه على مدينة (ذمار) والأرجح أنه بنى فيها مسجدها المعروف[3] . ثم اجتاز جبل صيد (نقيل سمارة) وأقام فيه مسجداً عرف باسمه[4] . وربما كان له دور في بناء أو وضع البدايات لمسجد (إب)[5] . حتى وصل معاذ إلى (الجند) وكانت توجيهات رسول الله ﷺ إلى أهل الجند من السكاسك والسكون أن يعينوا معاذ بن جبل على بناء المسجد . وفي أول

---

(1) العرشاني . الاختصاص ٥٠٠ (في ذيل كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازي) وكل من الرازي والعرشاني يجعلان فروة بن مسيك هو الذي بنى مسجد صنعاء في السنة السادسة وذلك حينما ولاه على مراد ومذحج وحضرموت وهذه التولية لم تتم إلاَّ في السنة العاشرة بعد بناء مسجد الجند وقد سبق في صلب هذا الكتاب أن بينا وجاهة الرأي القائل بأن وبر بن يحنس هو الذي بنى المسجد أو بدأ في بنائه في السنة السابعة للهجرة وربما أكمله فروة بن مسيك ثم بنى المسجد المعروف بمسجد فروة بن مسيك وجبانة صنعاء (راجع كتاب : اليمن في صدر الإسلام ١٥٢ – ١٥٣) والجبانة : هي المكان الذي يتجمع فيه الناس لصلاة العيدين ، وتطلق الجبانة على المكان الواسع لأنه يطلق على الصحراء أو المقبرة .

(2) شيحة . مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية ٣٠ .

(3) الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٨٩ (ط٢) وانظر : الحجري . معجم ٣٤١/٢ – السياغي . معالم الآثار اليمنية ٨٣ .

(4) الحجري . المعجم ٤٨/١ ، ٣ / ٥٤٨ – الهمداني . صفة ١٤٤ .

(5) تشير الأخبار الشفهية بأن أصل بنائه قديم وأنه يرجع إلى عهد عمر بن الخطاب (بربارة فنتر . تقارير أثرية ٦٣/١) وإن كانت المصادر لم تشر إلى ذلك .

جمعة من رجب من العام العاشر الهجري التقى معاذ بالناس في الجامع فأقام فيهم صلاة الجمعة[1] ، وهذه (الجمعة) التي زعم من زعم بأن أهل اليمن أسلموا فيها ، وهي أول جمعة من رجب ، وهذا معناه أن اليمن أسلم دفعة واحدة ، وفي تاريخ واحد ، بينما ما قررناه سابقاً أن اليمن أسلم عبر مراحل وخطوات لا علاقة لجمعة رجب بها .

ولا يهمنا هنا سرد جميع المساجد التي بنيت في القرون الأربعة الهجرية الأولى ولكننا مهتمين بدور المسجد بصفته مركزاً لتجمع الناس في أمورهم كلها . ومما يلفت الانتباه إلى أننا لو تخيلنا خريطة لوضع المساجد . أو أماكن التجمع وربما ليس مسجداً مبنياً ولكنه (مُصَلًّى) حُوّط بالأحجار وصار مقراً لتجمع أبناء القرية ، لو تخيلنا هذه الخريطة لوجدناها ترتبط بعضها ببعض وكأنها سلسلة تسير مع كل مدينة أو قرية كبيرة .. ثم تلتحم معها مساجد صغيرة أو (مُصَلَّيات) على طرق القوافل أو في القرى الصغيرة . وتشكل هذه الشبكة من المساجد أو (المصليات) ساحات لتجمع الناس حتى الغرباء الذين ليسوا من أهل البلدة كان يُبْنَى لهم بجوار المسجد مكان ليسكنوا فيه أثناء ترحالهم ، أو يسكنون في المسجد ، ولا يتردد الناس عن استضافة الغرباء وإعطائهم ما يحتاجون إليه .

ولكي يكون المسجد مركز التجمع فقد كان عادة ما يبنى وسط القرية ، أو وسط المدينة، أو على مساحة يتجمع فيها الناس ثم تبنى من حوله أو بجواره البيوت والمساكن[2].

المحور الثالث : التحولات العلمية :

العلم – كما يقول الماوردي[3] – " أشرف ما رغب فيه الراغب ، وأفضل ما طلب وجَّد فيه الطالب ، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب . لأن شرفه يثمر على صاحبه ، وفضله ينمي على طالبه . قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩)، فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خصَّ به العالم من فضيلة

---

(1) الجندي . السلوك ١/ ٢٥ ، ٢٧ (مخطوط) – الطبري . تاريخ ٣/ ٢٣٠ – مسند أحمد ٥/ ٢٣٥ – عمارة اليمني . المفيد ٧٢ – ٧٤ . هذه الجمعة التي قامت حولها الأساطير عند أهل اليمن ، واتُخِذَت عيداً ، سواءً في المناطق الشمالية من اليمن ، أو كانت مناسبة لإقامة الموالد الصوفية في المناطق الجنوبية .

(2) محمد عبد الستار عثمان . المدينة الإسلامية ١١١ .

(3) أدب الدنيا والدين ٤٩ .

العلم . وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٣) . فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً أو يفهم منه زجراً " .

فالعلم مرتبط بإدراك وعقل الإنسان وفطرته ، والله سبحانه يوجه الإنسان إلى أن يتعلم ليكون في مكانة عالية تؤهله لأن يكون مُكرَّماً .

الوضع العلمي لليمن في الجاهلية :

وحينما ظهر الإسلام في الجزيرة العربية ودخل إلى اليمن كان العلم والتعلم نادراً في أوساط الناس لا يقبل عليه إلاَّ القليل من الناس وفي مقدمتهم الكهان، ولا يتعلمون إلاَّ ما يزيدهم سيطرة على الناس ، أو في أوساط الأحبار والرهبان لكي يضفوا على أنفسهم قداسة عند العامة[1] ...

وحتى المعارف العامة كالطب[2] مثلاً فهي مخصوصة بشخصيات نادرة جداً .

وهناك طائفة من الناس كان يطلق عليها (الحُكَّام) وهؤلاء كانوا مختصين بتعلم الأعراف والتقاليد ، وما تعورف عليه بين القبائل ليحكموا بين الناس في الأموال والدماء[3] ..

وهكذا فإن العلم لم يكن ميدانه مفتوحاً لجميع الناس ، ولم تكن له المراكز المقامة حتى أن العرب الجاهليين كانوا في معظمهم أميين لا يخطون ولا يقرأون الخط[4] .

ولما صار الإسلام هو دين الناس انقلب الأمر رأساً على عقب ومن هنا حصلت **تحولات كثيرة** في هذا المجال نشير إلى أربعة تحولات وهي :

التحول الأول : التحول من الإهمال إلى الإلزام ..

إن أول آية في القرآن الكريم نزلت على قلب رسول الله ﷺ ذكر فيها العلم والقراءة والقلم ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (العلق : ١ – ٥) .

---

[1] ابن حبيب . المحبر ٣١٩ .

[2] ابن حجر . الإصابة ٢/ ٢١٠ – مسلم . صحيح ٦/ ١٥٦ – ١٥٨ .

[3] اليعقوبي . التاريخ ١/ ٢٥٨ – وابن حبيب . المحبر ١٣٧ .

[4] فروخ . تاريخ الجاهلية ١٦٤ وانظر: الألوسي . بلوغ الأرب ٣٦٨/٣ .

ومن صفات الله سبحانه (العليم) ومن أسمائه (العالم) ، وأمر الله نبيه وكل إنسان بأن يعلم ويتعلم ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (محمد : ١٩) .

وما برح العلم والتعلم شرطان للإيمان ، فلا إيمان بلا علم . فأوجب الله على عباده أن يتعلموا ، وصار كل مسلم عليه أن يتعلم حتى يصبح مسلماً حقاً .. ومن ثم فالعلم هو الإسلام .. والإسلام هو العلم .

وحينما يقول رسول الله ﷺ : " طلب العلم فريضة على كل مسلم "[1] يصبح كل مسلم – سواء أكان ذكراً أم أنثى – مكلفاً بأن يقبل على التعلم ؛ لأن القرآن الذي يحتوي على كل الإسلام هو (كتاب) ويحتاج إلى (قراءة) وإلى (كتابة) و (فهم) .. ولأن محتوى هذا (الكتاب) من ضمن توجيهاته هو الضرب والسير في الأرض للتعلم وتلقي العلم وعدم التراخي في هذه الفريضة التي لا تخرج عن كونها فريضة كفائية أو فريضة عينية[2] .

ومن بدائع الموافقات أن أول نص قرآني يتلقاه رسول الله ﷺ بدأ بلفظ (اقرأ) ، وأن يكون الباب الثالث من كتاب صحيح البخاري – أصح كتاب في الحديث النبوي – مخصصاً للعلم ، لأن العلم أول ما يطلب ممن يريد أن يكون مسلماً .

ولهذا أقبلت الدولة الإسلامية تخصص دورات تعليمية تربوية لكل قادم على رسول الله ﷺ ، فيتعلم منه أو من أصحابه ما يؤهله لأن يكون قد أمسك بأول خيط في سلم التعلم . فيقبل على التلقي ويتولى بعد ذلك إيصال ما عنده إلى الآخرين .

فنشأت حركة التدوين – تدوين كل العلوم – وصار كل واحد من كبار الصحابة يُعد صاحب مدرسة يؤمه الناس فيتلقون منه ما يحمله من علم .

ثم صار (المِصر) الذي يقيم فيه الصحابي (المُعَلِّم) عَلَمَاً على مدرسة علمية ، ثم انتشرت حركة التأليف في شتى العلوم .. ثم جاءت حركة تقعيد العلوم وتبويبها وتفصيلها وتنويعها ... وإذا بالحركة العلمية تصبح ظاهرة في المجتمع الإسلامي تشمل فئات الأمة كلها لا تقتصر على فئة دون فئة أو منطقة دون أخرى .

فالمسلم في اليمن مثله في أي مكان مُطَالَب بأن يقبل على العلم والتعلم ، وكانت أول مهمة لـ (وبر بن يحنس الخزاعي) في صنعاء في العام السابع الهجري هي تعليم

---

[1] ابن عبد البر . جامع بيان العلم وفضله ٧ .

[2] الماوردي . أدب الدنيا والدين ٥٢ .

(الأبناء) الذين أسلموا وإقراءهم القرآن . وتلفت نظرنا تلك الإشارة التي ذكرها المؤرخون[1] وهي أن أول من أسلم وقرأ القرآن على يد وبر بن يحنس الخزاعي كانت امرأة في صنعاء إذ كان بيتها يتخذ (نزلاً) (فندقاً) ينزل فيه القادمون إلى صنعاء من ذوي الشأن ، وهي أم سعيد بنت النعمان بن بزرج ، فكانت أول من تلقت القرآن والإسلام عن وبر الخزاعي .

وأول واليين على اليمن أرسلهما رسول الله ﷺ كان كل منهما يشكل مدرسة علمية متكاملة سواء أكان معاذ بن جبل أم كان أبو موسى الأشعري .وقد أشرنا إلى مهمتهما التعليمية والتربوية في موضع سابق من هذا الكتاب ، ولكننا نشير إلى توجه الدولة في تنشيط الحركة العلمية في نفوس الناس ، وأنها في مقدمة مهام الدولة وولاتها لا لشيء إلا لأن المفروض على الدولة أن تحقق ما هو مطلوب منها لكل فرد من أفراد الأمة فأقبلوا يتعلمون .. صغيرهم وكبيرهم .. نساءهم ورجالهم .. وهذا ما سار عليه المسلمون في عصورهم التالية ، لوم يحرم أحد منهم من العلم رجالاً ونساءً ، قادةً أو رعايا ..

التحول الثاني : التحول من الخمول إلى الذكر :

فاليمن من الناحية العلمية لم يكن مذكوراً في أوساط المراكز والعلوم المتداولة في تلك العصور إلاَّ بعد أن تحول إلى الإسلام ، وبعد ذلك تغير الوضع ..

١- فقد تحول اليمن في الإسلام إلى مدرسة أو مركز علمي تَهْوِي إليه أفئدة المتعلمين من شيوخ العلم أو من طلابه يأتون إليه من كل فج عميق ، ليتلقوا من علمائه ، ويستقوا مما فيه من معارف . فيأتي إليه العلماء وطلاب العلم من العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس . ولم يكن هذا على سبيل التراخي بل كانوا يُلزِمون به أنفسهم لأنهم يبتغون به وجه الله . فالإمام أحمد بن حنبل يأتي إلى (عدن) فوجد أحد علمائها المقصود وهو قاضي عدن قد مات فيقول : " في سبيل الله تلك الدريهمات التي بذلناها للوصول إلى ابن أخيك "[2] .. هذا جانب ..

---

[1] الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٧٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ - ابن حجر . الإصابة ٢/ ٣٧٦ ، ٣/ ٩٩ ، ٥٨٥ - الخزرجي . طراز أعلام الزمن ٢/ ١٣٥ - ب (مخطوط) .

[2] الشرجي . طبقات الخواص ٥٠ وهذه الدريهمات التي صرفها تحصل عليها من كراء نفسه في خدمة القوافل التي ترحل إلى اليمن .

وجانب آخر أن هؤلاء العلماء الذين يأتون إلى اليمن ليتلقوا عن علمائهم هم أنفسهم يقعدون في حلقات العلم داخل اليمن ليلقوا ما عندهم من علم[١] ..

٢- وتحول اليمن أيضاً إلى مدرسة تخرج الرجال الذين كانوا يجوبون الأمصار والبلدان في دار الإسلام فتلقى عنهم المسلمون في أي مكان فخرجوا حتى وصلوا إلى أقصى دار الإسلام فدخلوا مكة وخراسان والعراق والشام ومصر والمغرب والأندلس .. فمثلاً : رحل الإمام عبد الرزاق الصنعاني إلى مكة والشام[٢] وهو الإمام المرحول إليه . وسمع علماء من الأندلس على يد علماء من اليمن[٣] ، بل إن أبا عبد الله الشيعي الذي مهد لقيام دولة الفاطميين (العبيديين) في المغرب كان ميدان تعلمه في اليمن[٤] .

لقد حصل تلاحم بين علماء المسلمين في أي مكان من دار الإسلام وأصبحوا يشكلون وحدة ثقافية متميزة لأن منابع فكرهم العلمي والثقافي واحد ، ومن ثم كان من لزومية التعلم أن يقوموا برحلات علمية تحصيلية متبادلة حتى جُعِلَت (الرحلة العلمية) شرطاً في تحصيل العلم[٥] .

ولو تتبعنا النشاطات العلمية في اليمن على مدار القرون الأربعة الهجرية الأولى لخرج الموضوع عما رُسِم له هذا الكتاب .

التحول الثالث : التحول في الإنتاج العلمي والثقافي ..

إن التحول السابق يجرنا للحديث عن الإنتاج العلمي الذي أنتجته هذه المدرسة أو المدارس المرتبطة بالعلماء سواء من ناحية المراكز العلمية الداخلية أو المدارس العلمية أو (الهِجَر) العلمية ، أو من ناحية حركة التأليف ، أو من ناحية ما أنتجته هذه الحركة من مذاهب وفرق داخل اليمن .

---

(١) نزل ابن الأصبغ البصري مسجداً في صنعاء وكان يحدث فيه [مجهول . تاريخ اليمن (ق ٧٧/ ب) مخطوط] ومثله أبو مسلم الكشي الذي تنقل في أكثر من مدينة من اليمن ، وأبو زيد المروزي الذي وصل إلى ذمار (ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٦٤ ، ٦٥ ، ٨١) وانظر : الحياة العلمية في اليمن ١٥٨ - ١٦٢ للمؤلف .

(٢) الجندي . السلوك ٣٠ (مخطوط) .

(٣) ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٧٣ ، ٨٤ .

(٤) النعمان . افتتاح الدعوة .

(٥) انظر : الحياة العلمية في اليمن ١٥٨ .

١. **أما من ناحية المراكز والمدارس : فإننا لو تتبعنا هذه المراكز لوجدناها كثيرة جداً شملت اليمن كلها ، ليس في المدن الكبرى وحدها بل القرى أيضاً حتى عرف في اليمن نظام انفرد به هو نظام (الهجَر) العلمية ، وقد تكفل الأستاذ المؤرخ القاضي / إسماعيل بن علي الأكوع بجمع معلومات قيمة بعد جهد دام عشرين عاماً ليخرج لنا سفراً ضخماً أسماه : (هجر العلم ومعاقله في اليمن) استدركه بمجلدين وفهارس دقيقة ، فالهجرة كما يعرفها القاضي إسماعيل الأكوع[(١)] بقوله : " اصطلح علماء اليمن على تسمية القرية التي يهاجر إليها من يرغب عن سكنى المدن (هِجْرَة) إضافة إلى اسمها مثل هجرة (دبر) ، ليجعلها دار إقامة له ، ويتخذ منها مكاناً لنشر العلم " ، وهو يقرر بأن هذا النظام تفرد به اليمن ، ولا يوجد في أي بلد من دار الإسلام[(٢)] .**

وهذه الموسوعة الضخمة ترينا أن أهل اليمن لم يصيروا كذلك إلاَّ حينما دخلوا في الإسلام الذي حثَّهم على التعلم ، وبما أن الإسلام هو الباعث فإن هذه المراكز العلمية بدأت منذ أن دخل الإسلام إلى اليمن ، وإن كانت كلمة (هجرة) لم تظهر لأول مرة في المصادر إلا في القرن الثالث الهجري[(٣)] . إلاَّ أن المراكز العلمية الكثيرة كانت منذ أن استقر معاذ بن جبل في مدينة الجند ، ومثله وبر ابن يحنس الخزاعي في صنعاء ، وأبو موسى الأشعري في زبيد ، ثم من جاء من العلماء إلى اليمن .. وصارت هناك من المدن والقرى مقرات للعلماء وطلاب العلم[(٤)] .

---

(١) هجر العلم ومعاقله ١/ ٥ .

(٢) المصدر نفسه ١/ ٧ .

(٣) المصدر نفسه . وذلك حينما ذكرت هجرة (دَبَر) التي تقع على مقربة من صنعاء وكان يقطنها إسحاق الدبري الذي تلقى الشافعي عنه العلم وقال :

لابد من صنعاء وإن طال السفر * ونقصد القاضي إلى هجرة دبر

[انظر: ابن سمرة . طبقات فقهاء اليمن ٦٤ - الرازي . تاريخ مدينة صنعاء ٤٦٨ — الهمداني . الإكليل ٣٠١/٢ - الجندي . السلوك ٣٨ (مخطوط)] .

(٤) انظر : تفصيل هذا في : الحياة العلمية في اليمن للمؤلف (رسالة دكتوراه) .

٢. **وأما من ناحية حركـة التـأليف والإنتـاج العلمـي التأليفي فهي غنية جداً شملت كل المعارف والعلوم (علوم القرآن وعلوم الحديث وعلم الفقه والفروع وعلوم اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والرحلات والعلوم العقلية والطبيعية من طب وكيمياء وفلك[١] .**

وقد ضمت هذه الكتب والمؤلفات إلى قوائم الفهارس التي جمعها المؤلفون في العصور المختلفة سواء أكانت عامة تشمل النتاج العلمي الإسلامي عموماً أم النتاج العلمي داخل اليمن[٢] .

٣. **أما من ناحية المذاهب والفرق التي نبعت من الحركة العلمية نفسها فقد صار من المعروف – على سبيل المثال – أن المذهب الزيدي لم يترعرع فقهه وفكره إلاَّ علـى أيـدي علمـاء مـن الـيمن ، بـل لـم يبـدأ فـي الوضـع والتقعيـد إلاَّ داخـل اليمن ، وهذا يدل على أن الإسلام الذي اعتنقه أهل اليمن هو الذي دفعهم إلى هذا الثراء العلمي .**

بل من الملاحظ أن دولاً كما ذكرنا في فصول سابقة قامت على أساس من المذهبية التي جاءت بعد التعلم . وسواء أكانت مذهبية صحيحة أم مذهبية منحرفة . فليس العيب في الدين الذي وجه الناس إلى العلم ، ولكن في النفوس البشرية التي انحرفت عن المسار العلمي الصحيح . فالعلم أداة إما أن تستخدم للخير وإما أن تستخدم للشر .

التحول الرابع : التحول في أن حركة التغيير بيد العلماء ..

إن المجتمـع الإسـلامي عمومـاً صـار – كلمـا أصـابه الظلـم والتخلـف – يتطلـع إلـى العلماء ففي أيديهم أسباب التغيير لما يمتلكونه من علم .. سواء أكان التغيير اجتماعياً .. أم سياسياً .. أم مذهبياً . فلم يعد التغيير مرتبطاً بالفرسان والعصابات العسكرية ..

وهذا تحول خطير وجد داخل اليمن .. فلما ذكرنا في السابق أن الخوارج بمذهبيتهم رأوا أنهم هم العلماء وعليهم تغيير المنكر الذي يرونه حالاً على المسلمين .

وفي المقابل نرى وهب بن منبه مع العلماء يهبون فيقفون ضد حركة الخوارج هذه ويرون أن حركتهم لا تزيد المسلمين إلاَّ خراباً فهبُّوا إلى مقاومتهم .

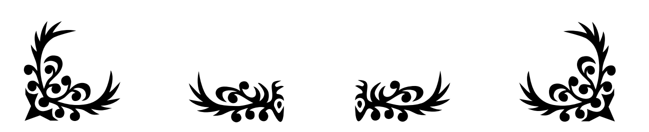
---

[١] انظر المصدر نفسه .

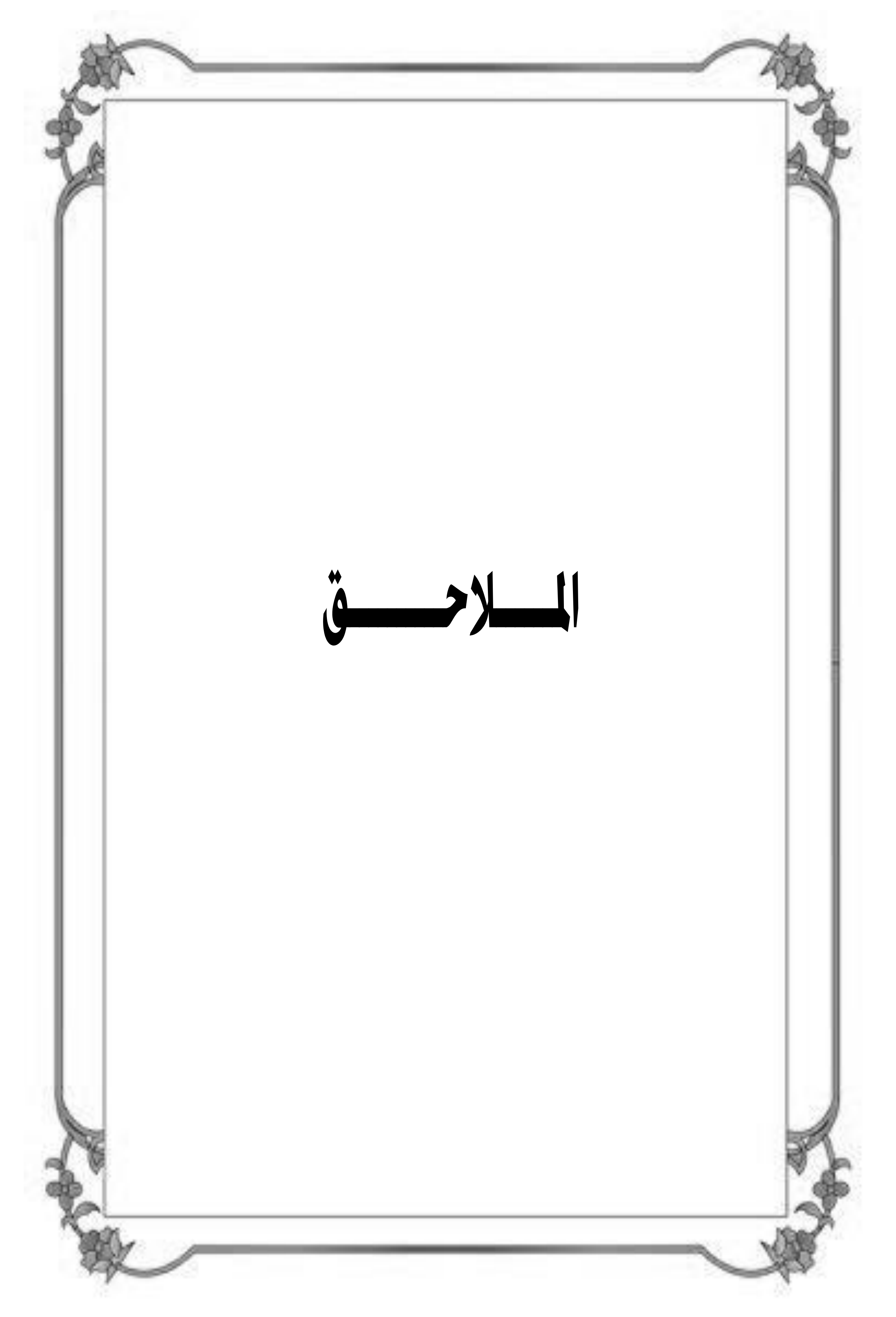
[٢] انظر : مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن للأستاذ المحقق / عبد الله محمد الحبشي ومصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي لأيمن فؤاد سيد .

والإمامة الزيدية مرتبطة بمدى محدد من العلم يشترط في الإمام ، وكان الإمام الهادي إلى الحق أول إمام زيدي في اليمن قام يدعو إلى التغيير بصفته أحد العلماء .. فالتغيير عموماً صار مرتبطاً بالعلماء إلى حد أن الأئمة الزيديين كانوا يخرجون من الهجر العلمية ليعلنوا عن أحقيتهم للإمامة[1] .

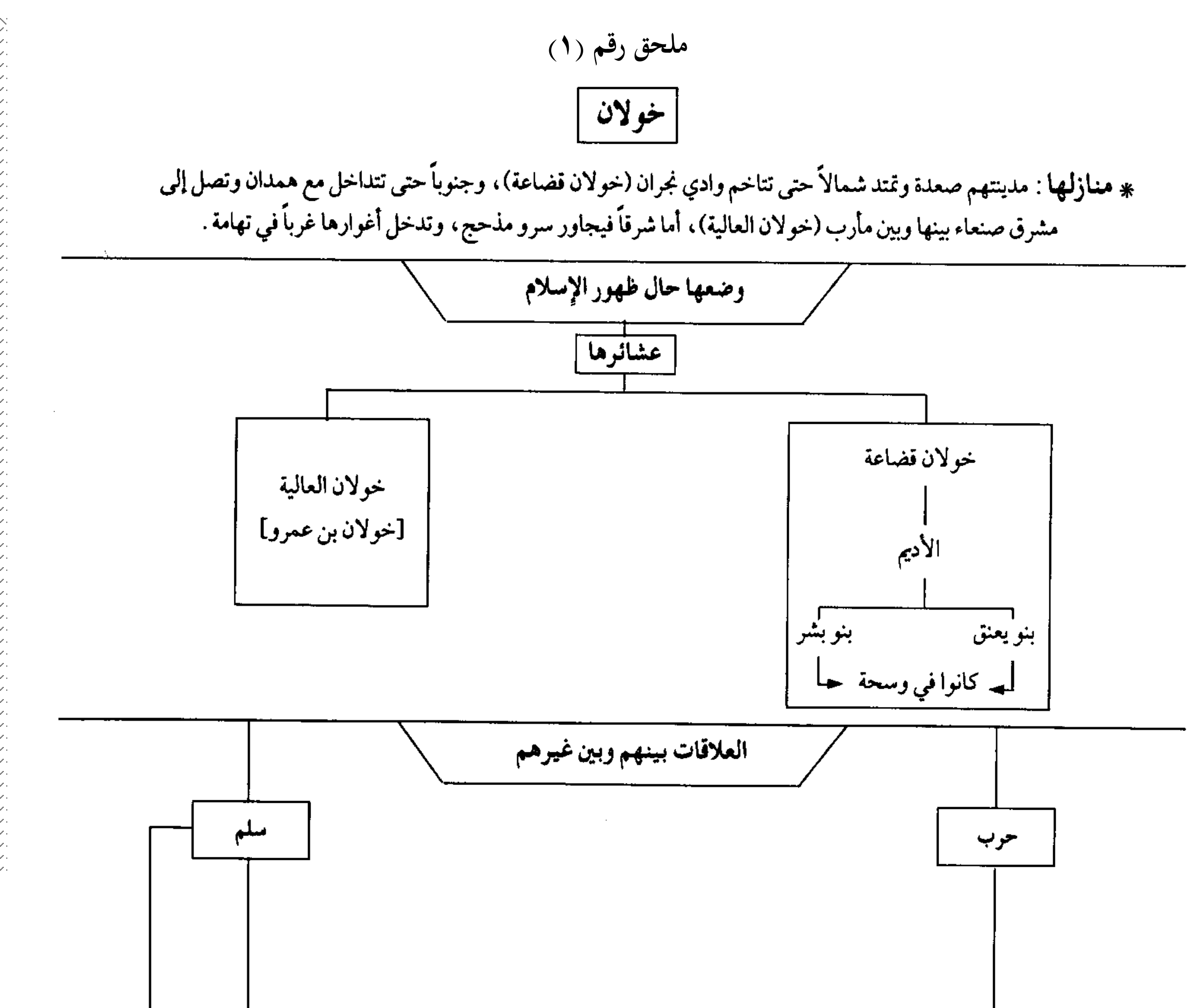
وكان الناس – وما زالوا – يتطلعون للنخبة من العلماء أن يكون لهم دور في التغيير إلى الأحسن .

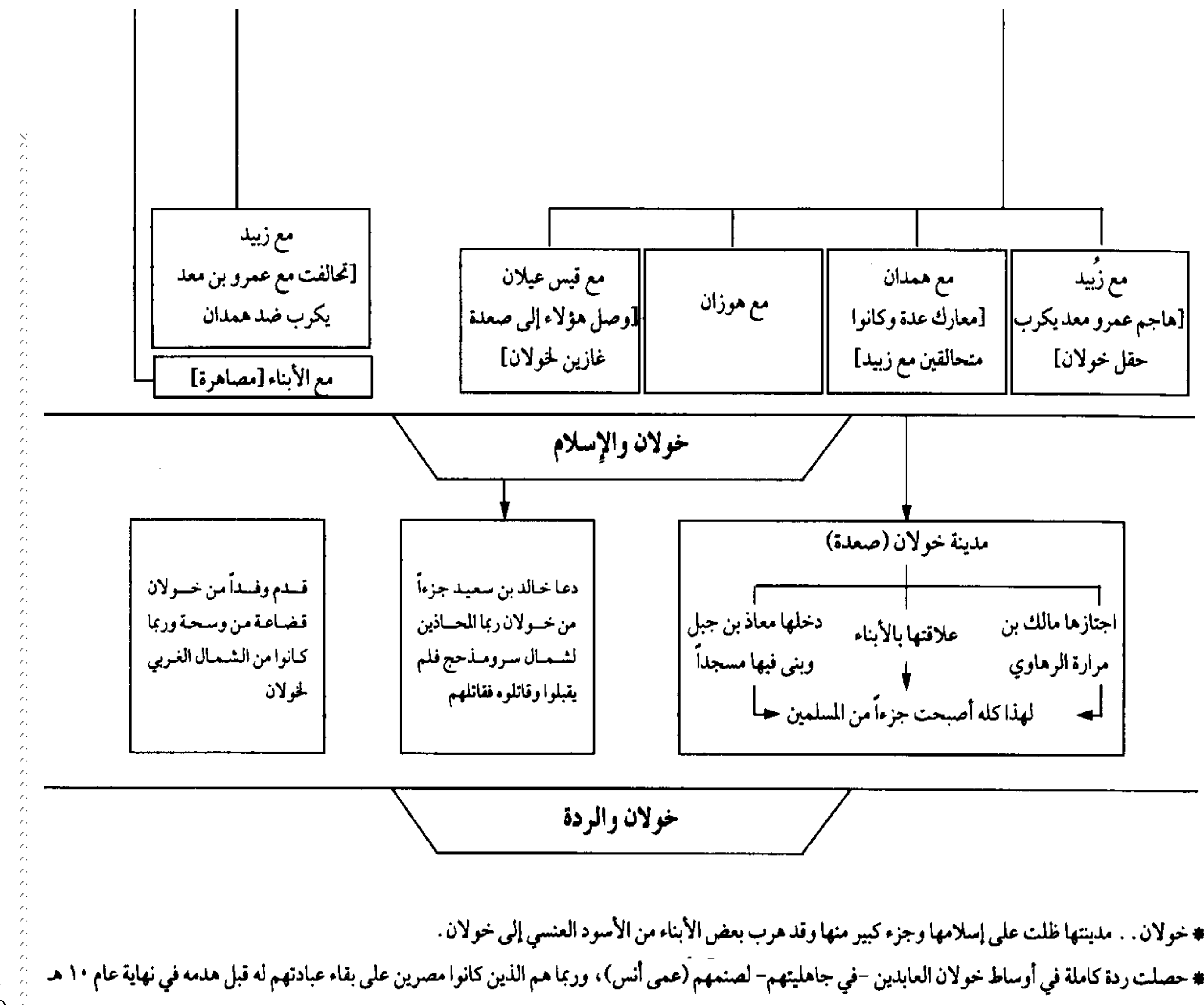


[1] الأكوع . المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن ١٠ .



الملاحـــــق


ملحق رقم (١)
خولان
* منازلها : مدينتهم صعدة وتمتد شمالاً حتى تتاخم وادي نجران (خولان قضاعة)، وجنوباً حتى تتداخل مع همدان وتصل إلى مشرق صنعاء بينها وبين مأرب (خولان العالية)، أما شرقاً فيجاور سرو مذحج، وتدخل أغوارها غرباً في تهامة.
وضعها حال ظهور الإسلام
عشائرها
خولان قضاعة
الأديم
بنو يعنق
بنو بشر
كانوا في وسحة
خولان العالية
[خولان بن عمرو]
العلاقات بينهم وبين غيرهم
حرب
سلم



* خولان . . مدينتها ظلت على إسلامها وجزء كبير منها وقد هرب بعض الأبناء من الأسود العنسي إلى خولان.

* حصلت ردة كاملة في أوساط خولان العابدين -في جاهليتهم- لصنمهم (عمى أنس)، وربما هم الذين كانوا مصرين على بقاء عبادتهم له قبل هدمه في نهاية عام ١٠ هـ

ملحق رقم (٢)

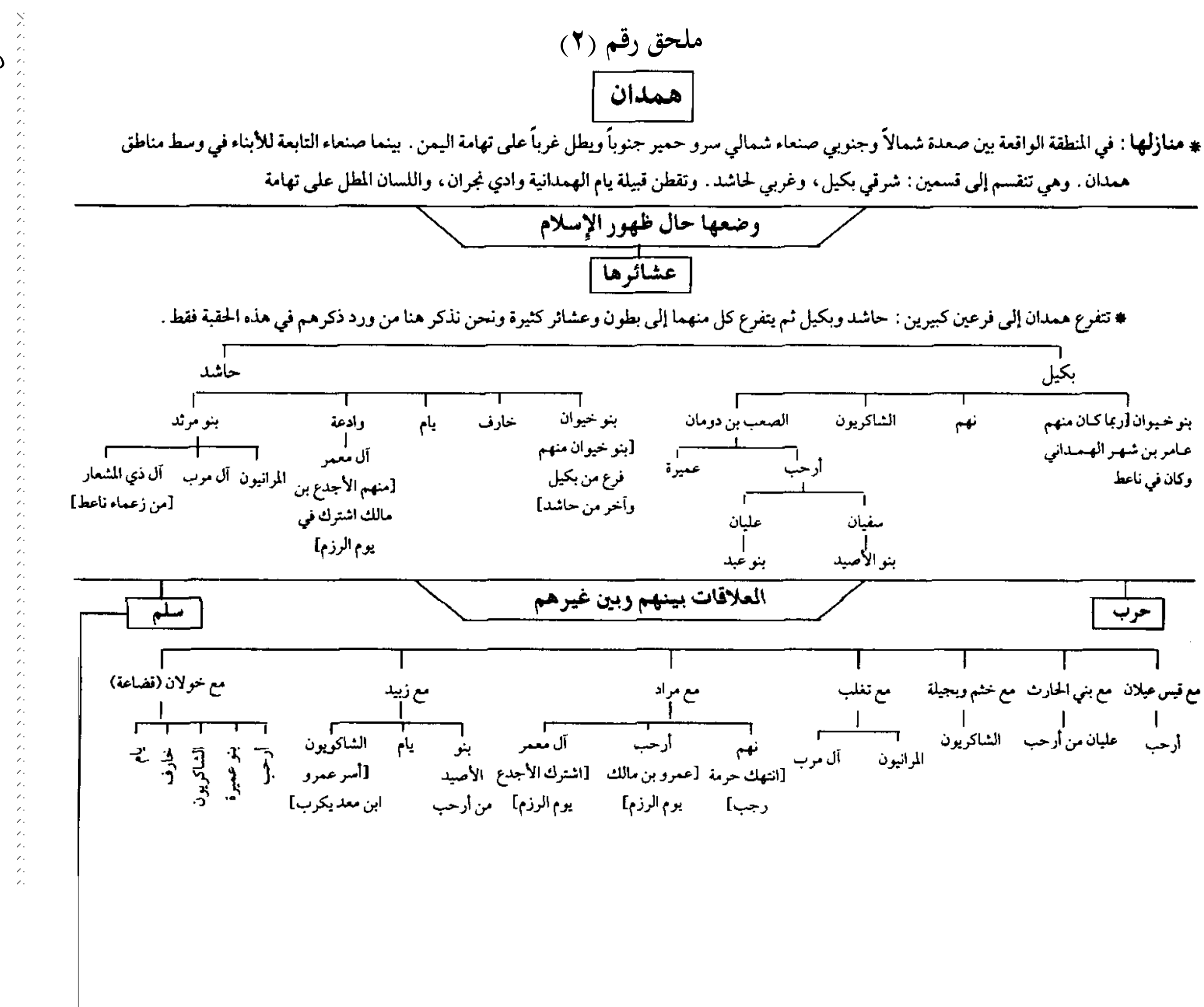
همدان

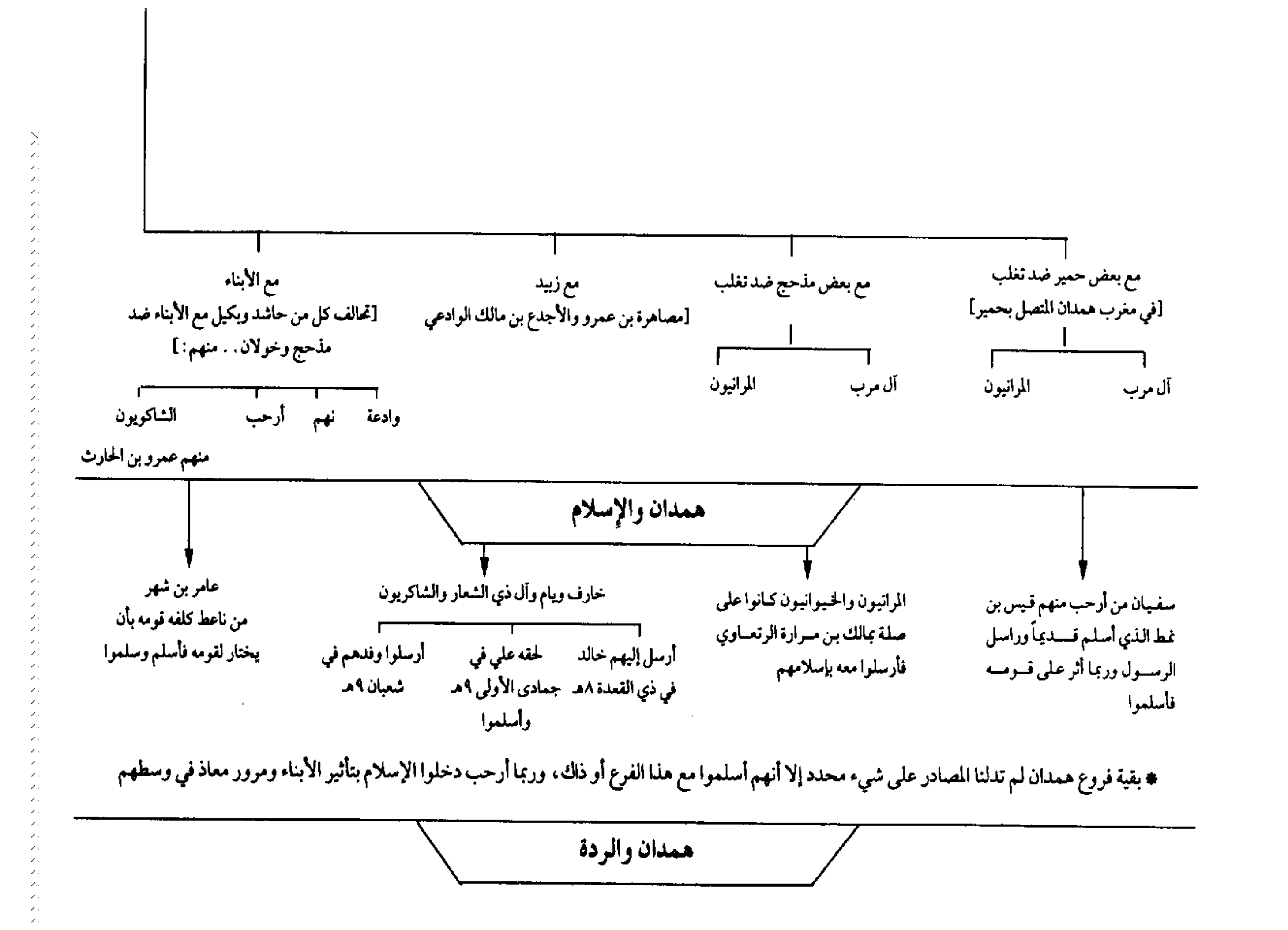
* **منازلها**: في المنطقة الواقعة بين صعدة شمالاً وجنوبي صنعاء شمالي سرو حمير جنوباً ويطل غرباً على تهامة اليمن. بينما صنعاء التابعة للأبناء في وسط مناطق همدان. وهي تنقسم إلى قسمين: شرقي بكيل، وغربي لحاشد. وتقطن قبيلة يام الهمدانية وادي نجران، واللسان المطل على تهامة

وضعها حال ظهور الإسلام

عشائرها

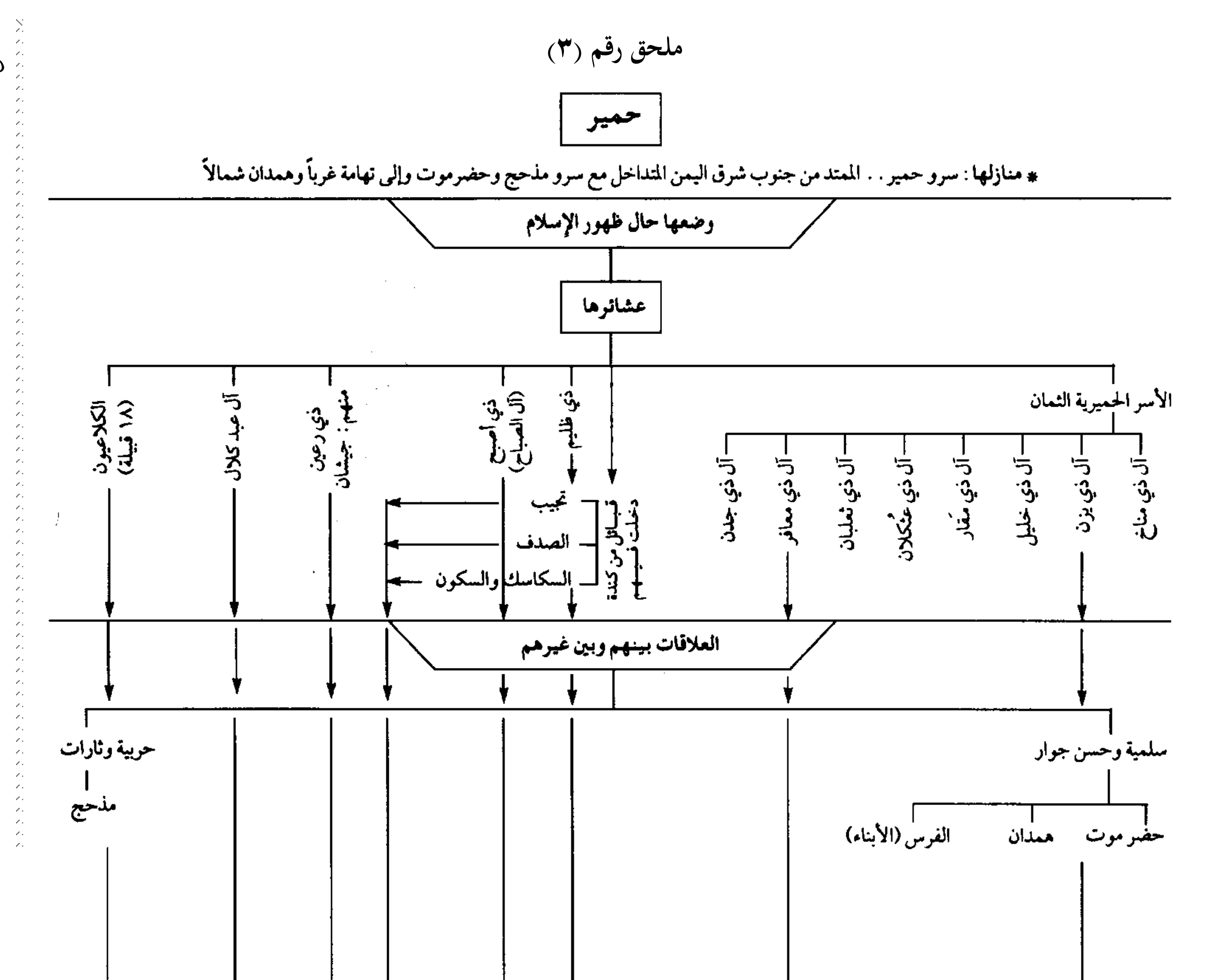
* تتفرع همدان إلى فرعين كبيرين: حاشد وبكيل ثم يتفرع كل منهما إلى بطون وعشائر كثيرة ونحن نذكر هنا من ورد ذكرهم في هذه الحقبة فقط.

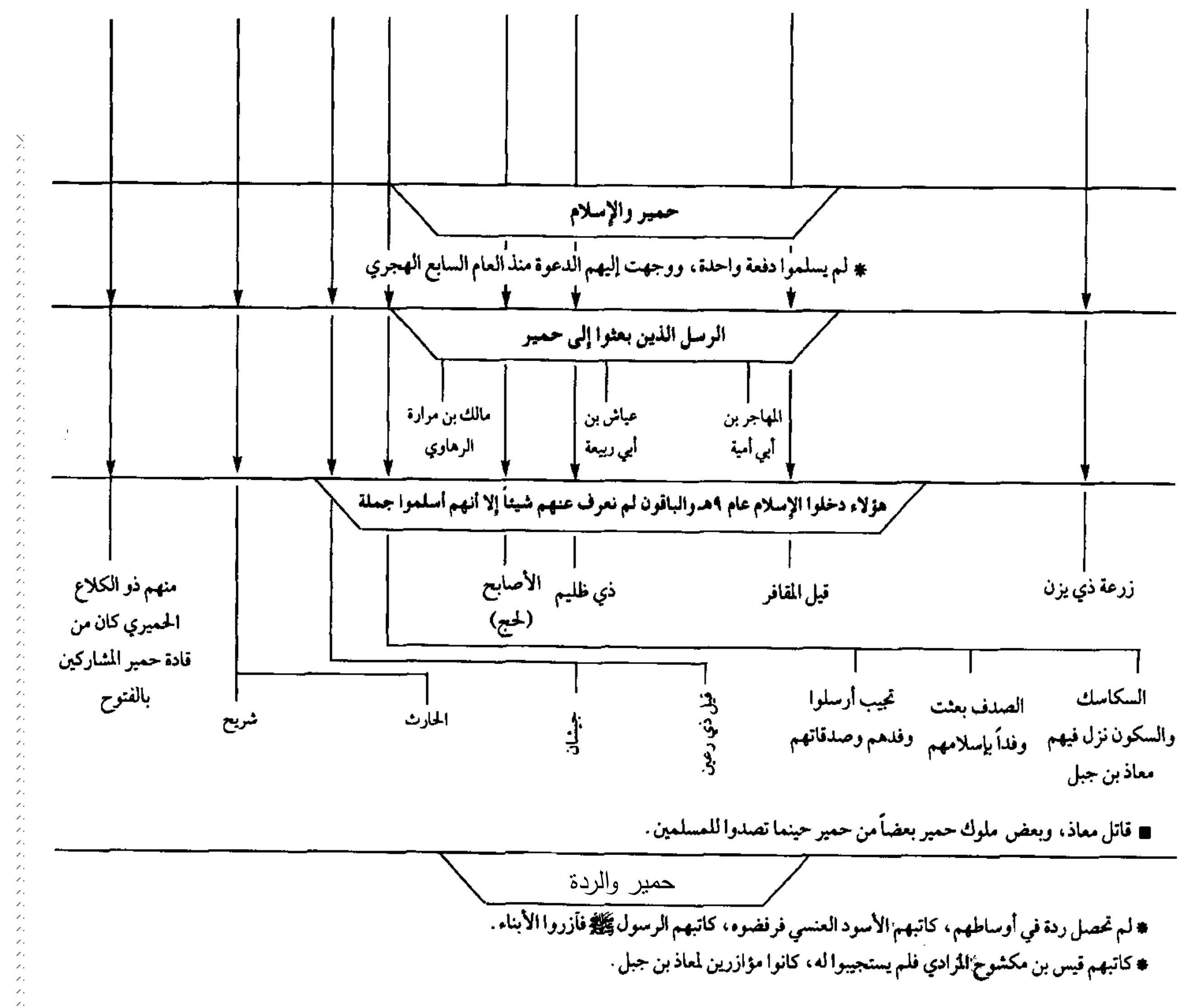




مع بعض حمير ضد تغلب
[في مغرب همدان المتصل بحمير]
آل مرب
المرانيون
مع بعض مذحج ضد تغلب
آل مرب
المرانيون
مع زبيد
[مصاهرة بن عمرو والأجدع بن مالك الوادعي
مع الأبناء
[تحالف كل من حاشد وبكيل مع الأبناء ضد
مذحج وخولان . . منهم:]
وادعة
نهم
أرحب
الشاكريون
منهم عمرو بن الحارث
همدان والإسلام
سفيان من أرحب منهم قيس بن
نمط الذي أسلم قديماً وراسل
الرسول وربما أثر على قومه
فأسلموا
المرانيون والخيوانيون كانوا على
صلة بمالك بن مرارة الرتعاوي
فأرسلوا معه بإسلامهم
خارف ويام وآل ذي الشعار والشاكريون
أرسل إليهم خالد
في ذي القعدة ٨هـ
لحقه علي في
جمادى الأولى ٩هـ
وأسلموا
أرسلوا وفدهم في
شعبان ٩هـ
عامر بن شهر
من ناعط كلفه قومه بأن
يختار لقومه فأسلم وسلموا
* بقية فروع همدان لم تدلنا المصادر على شيء محدد إلا أنهم أسلموا مع هذا الفرع أو ذاك، وربما أرحب دخلوا الإسلام بتأثير الأبناء ومرور معاذ في وسطهم
همدان والردة
* اتخذت همدان بأجمعها موقف الثبات على الإسلام، ولم تتسلل إليها الردة.

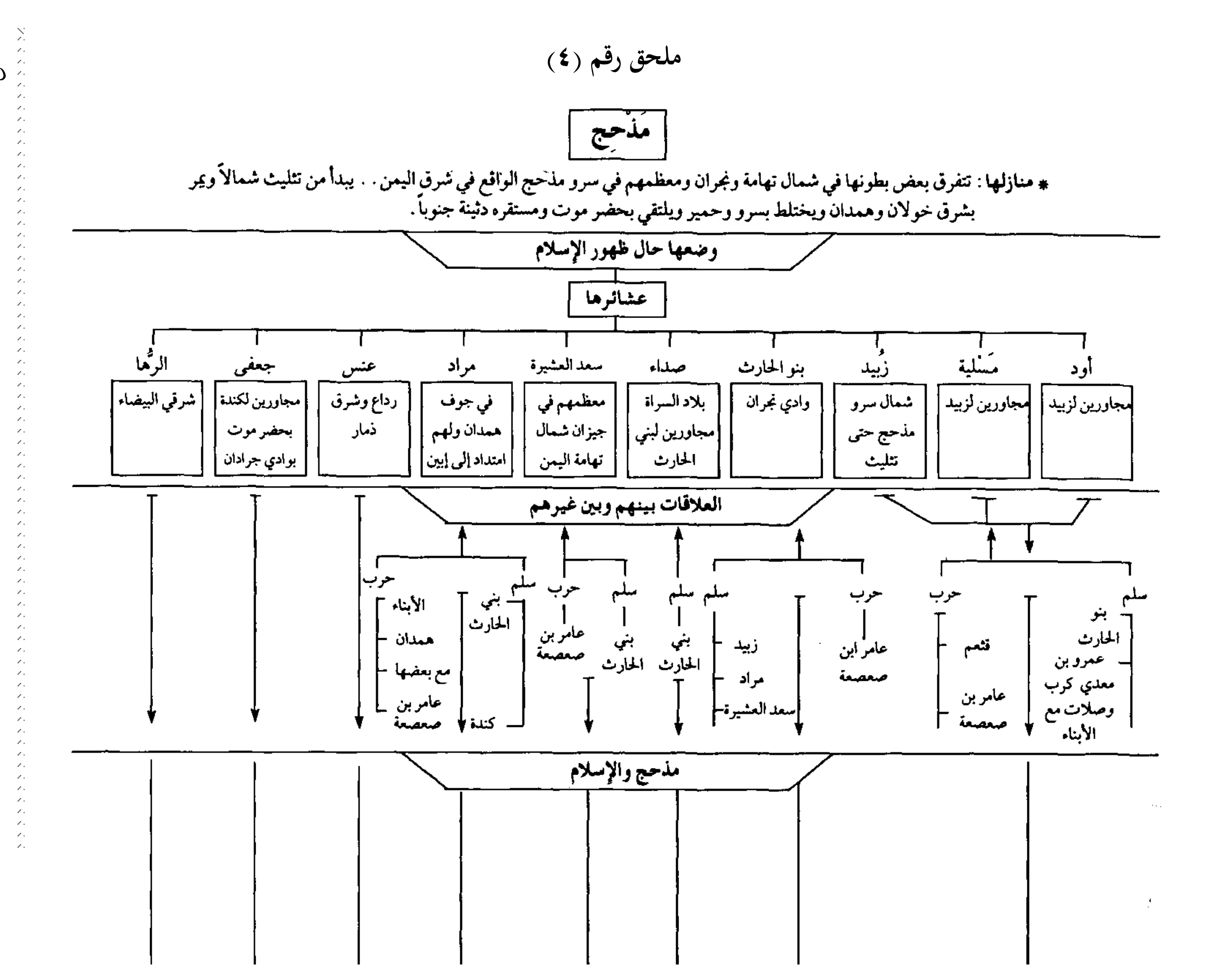
ملحق رقم (٣)

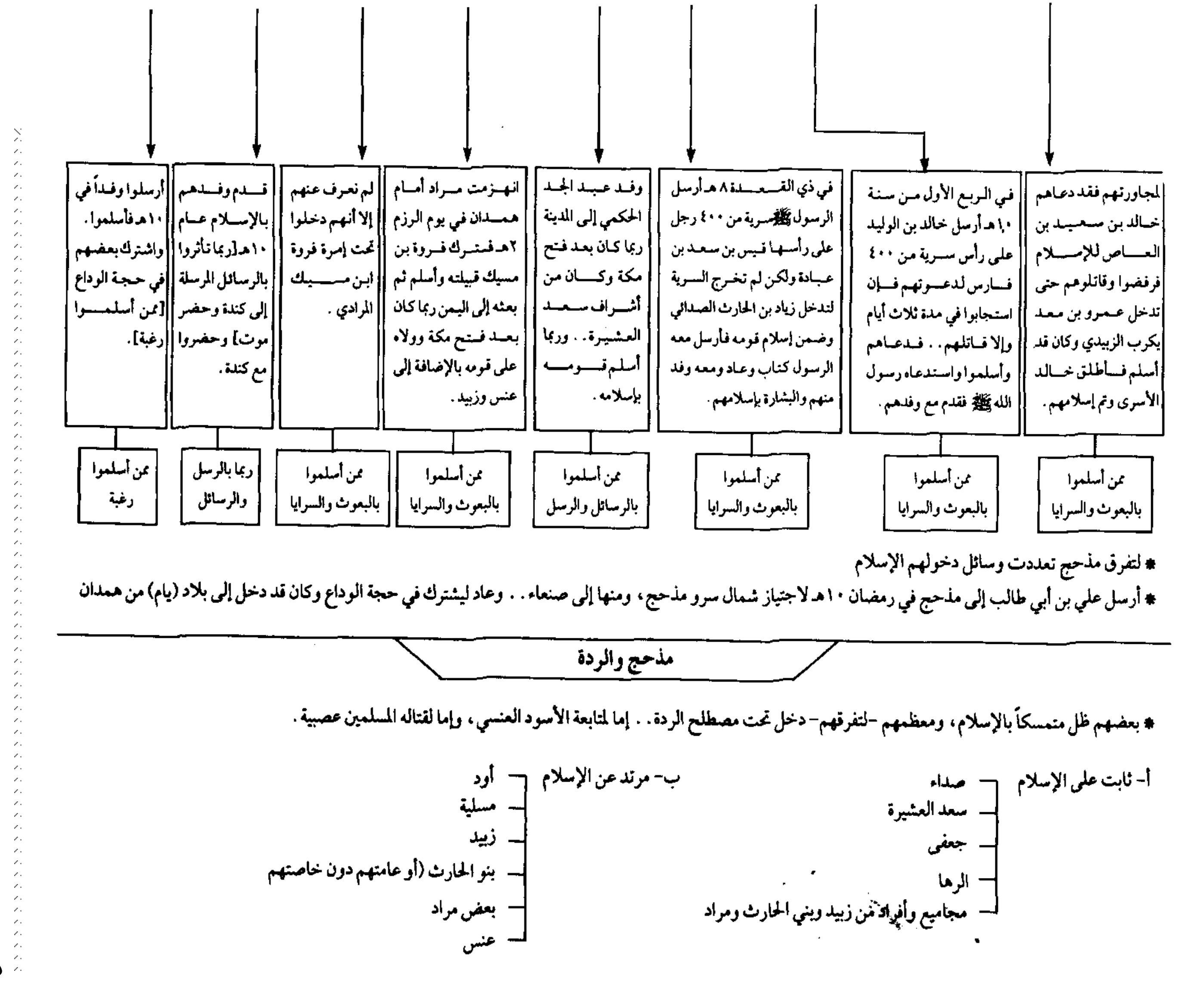

حمير
* منازلها : سرو حمير . . الممتد من جنوب شرق اليمن المتداخل مع سرو مذحج وحضرموت وإلى تهامة غرباً وهمدان شمالاً
وضعها حال ظهور الإسلام
عشائرها
الكلاعيون (١٨ قبيلة)
آل عبد كلال
ذي رعين منهم : جيشان
ذي أصبح (آل الصباح)
ذي ظليم
تجيب
الصدف
السكاسك والسكون
قبائل من كندة دخلت فيهم
الأسر الحميرية الثمان
آل ذي جدن
آل ذي معافر
آل ذي ثعلبان
آل ذي عُثكلان
آل ذي مَقار
آل ذي خليل
آل ذي يزن
آل ذي مناخ
العلاقات بينهم وبين غيرهم
حربية وثارات
مذحج
سلمية وحسن جوار
حضرموت
همدان
الفرس (الأبناء)



حمير والإسلام
* لم يسلموا دفعة واحدة، ووجهت إليهم الدعوة منذ العام السابع الهجري
الرسل الذين بعثوا إلى حمير
مالك بن مرارة الرهاوي
عياش بن أبي ربيعة
المهاجر بن أبي أمية
هؤلاء دخلوا الإسلام عام ٩هـ والباقون لم نعرف عنهم شيئاً إلا أنهم أسلموا جملة
منهم ذو الكلاع الحميري كان من قادة حمير المشاركين بالفتوح
الأصابح (الحج)
ذي ظليم
قيل المقافر
زرعة ذي يزن
شريح
الحارث
جيشان
قيل ذي رعين
تجيب أرسلوا وفدهم وصدقاتهم
الصدف بعثت وفداً بإسلامهم
السكاسك والسكون نزل فيهم معاذ بن جبل
■ قاتل معاذ، وبعض ملوك حمير بعضاً من حمير حينما تصدوا للمسلمين.
حمير والردة
* لم تحصل ردة في أوساطهم، كاتبهم الأسود العنسي فرفضوه، كاتبهم الرسول ﷺ فآزروا الأبناء.
* كاتبهم قيس بن مكشوح المرادي فلم يستجيبوا له، كانوا مؤازرين لمعاذ بن جبل.

ملحق رقم (٤)


مَذْحِج
* منازلها: تتفرق بعض بطونها في شمال تهامة ونجران ومعظمهم في سرو مذحج الواقع في شرق اليمن. . يبدأ من تثليث شمالاً ويمر بشرق خولان وهمدان ويختلط بسرو وحمير ويلتقي بحضر موت ومستقره دثينة جنوباً.
وضعها حال ظهور الإسلام
عشائرها
أود
مجاورين لزبيد
مَسْلية
مجاورين لزبيد
زُبيد
شمال سرو مذحج حتى تثليث
بنو الحارث
وادي نجران
صداء
بلاد السراة مجاورين لبني الحارث
سعد العشيرة
معظمهم في جيزان شمال تهامة اليمن
مراد
في جوف همدان ولهم امتداد إلى إبين
عنس
رداع وشرق ذمار
جعفى
مجاورين لكندة بحضر موت بوادي جرادان
الرُّها
شرقي البيضاء
العلاقات بينهم وبين غيرهم
سلم
بنو الحارث
عمرو بن معدي كرب
وصلات مع الأبناء
حرب
قثعم
عامر بن صعصعة
حرب
عامر ابن صعصعة
سلم
زبيد
مراد
سعد العشيرة
سلم
بني الحارث
سلم
بني الحارث
حرب
عامر بن صعصعة
سلم
بني الحارث
كندة
حرب
الأبناء
همدان
مع بعضها
عامر بن صعصعة
مذحج والإسلام



* لتفرق مذحج تعددت وسائل دخولهم الإسلام

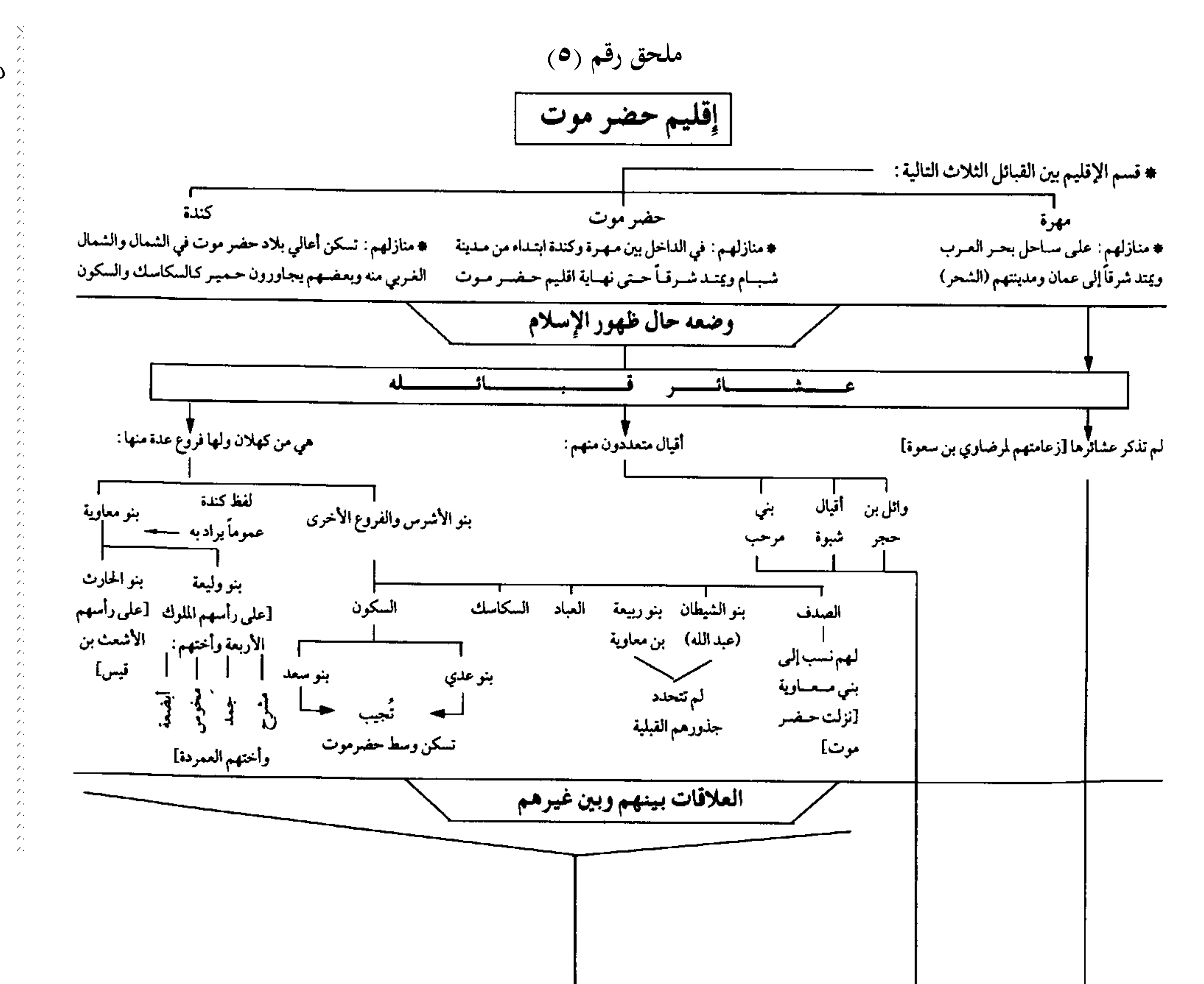
* أرسل علي بن أبي طالب إلى مذحج في رمضان ١٠هـ لاجتياز شمال سرو مذحج، ومنها إلى صنعاء.. وعاد ليشترك في حجة الوداع وكان قد دخل إلى بلاد (يام) من همدان

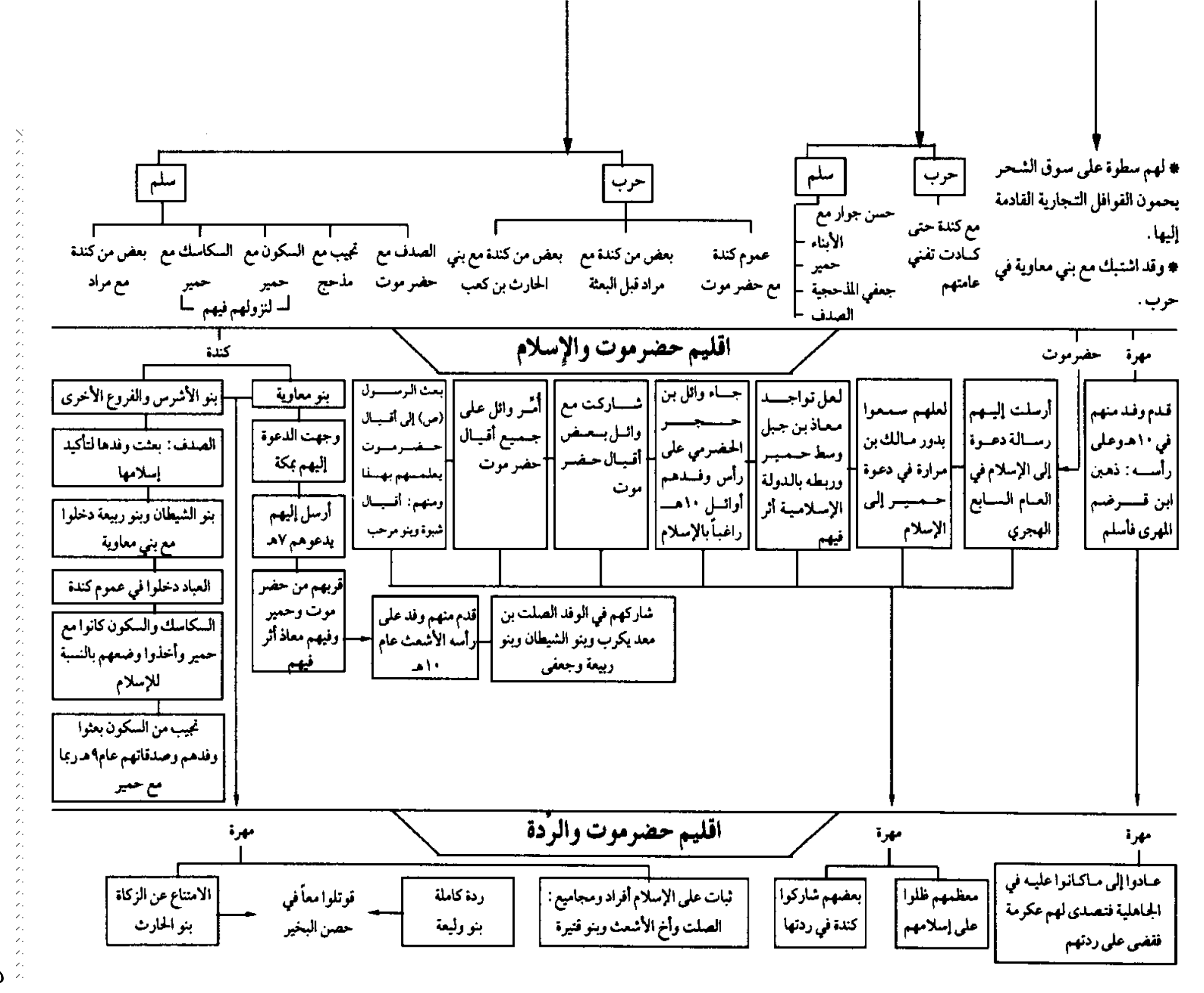
مذحج والردة

* بعضهم ظل متمسكاً بالإسلام، ومعظمهم -لتفرقهم- دخل تحت مصطلح الردة.. إما لمتابعة الأسود العنسي، وإما لقتاله المسلمين عصبية.

أ- ثابت على الإسلام
- صداء
- سعد العشيرة
- جعفي
- الرها
- مجاميع وأفراد من زبيد وبني الحارث ومراد

ب- مرتد عن الإسلام
- أود
- مسلية
- زبيد
- بنو الحارث (أو عامتهم دون خاصتهم
- بعض مراد
- عنس

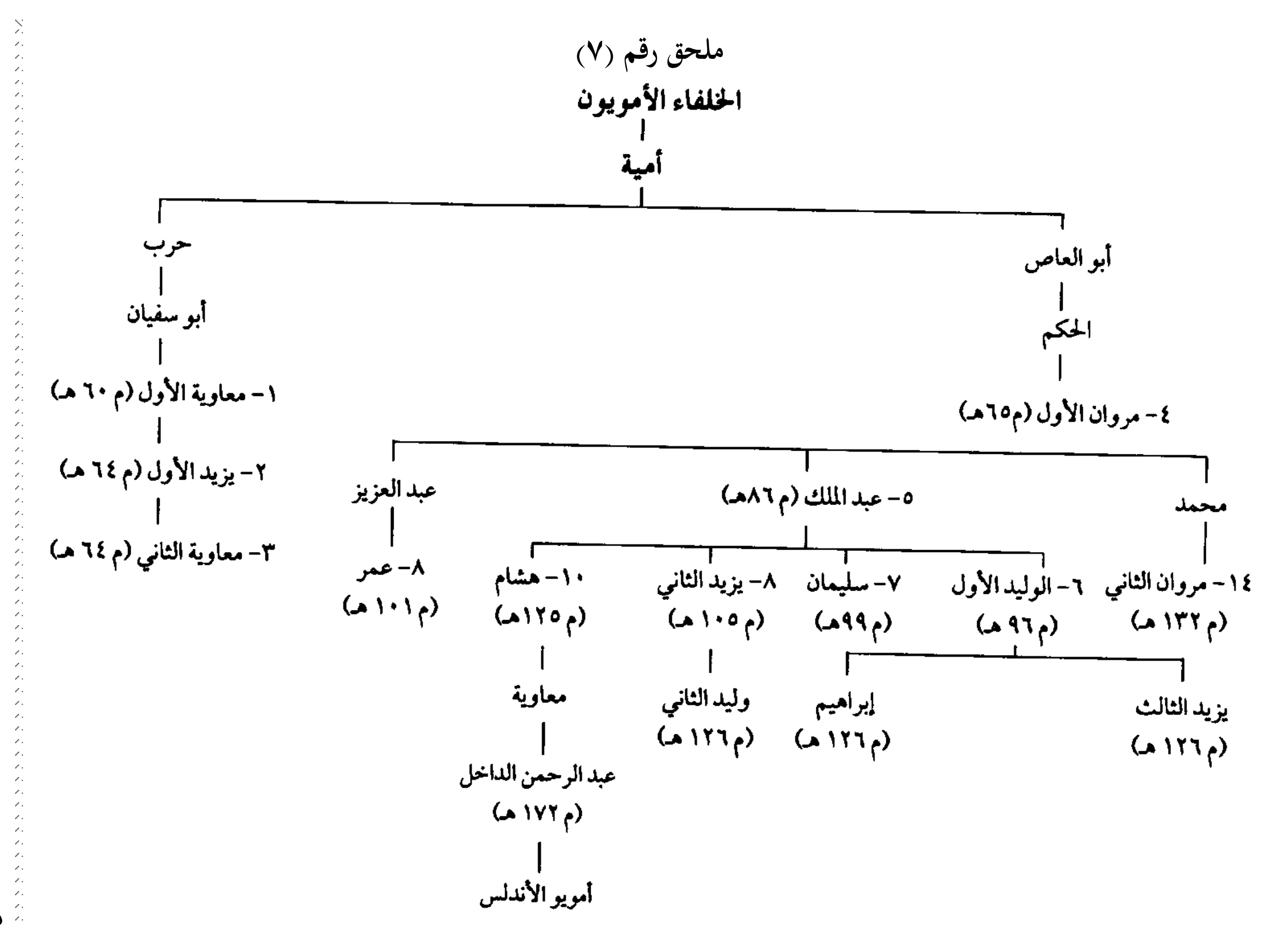

ملحق رقم (٥)
إقليم حضر موت
* قسم الإقليم بين القبائل الثلاث التالية :
مهرة
* منازلهم : على ساحل بحر العرب ويمتد شرقاً إلى عمان ومدينتهم (الشحر)
حضر موت
* منازلهم : في الداخل بين مهرة وكندة ابتداء من مدينة شبام ويمتد شرقاً حتى نهاية اقليم حضر موت
كندة
* منازلهم : تسكن أعالي بلاد حضر موت في الشمال والشمال الغربي منه وبعضهم يجاورون حمير كالسكاسك والسكون
وضعه حال ظهور الإسلام
عشائر قبائله
لم تذكر عشائرها [زعامتهم لمرضاوي بن سعوة]
أقيال متعددون منهم :
وائل بن حجر
أقيال شبوة
بني مرحب
هي من كهلان ولها فروع عدة منها :
الصدف
لهم نسب إلى بني معاوية [نزلت حضر موت]
بنو الشيطان (عبد الله)
بنو ربيعة بن معاوية
لم تتحدد جذورهم القبلية
العباد
السكاسك
السكون
بنو عدي
بنو سعد
تُجيب
تسكن وسط حضرموت
بنو الأشرس والفروع الأخرى
لفظ كندة عموماً يراد به
بنو معاوية
بنو وليعة
[على رأسهم الملوك الأربعة وأختهم :
مشرح
جمد
مخوس
أبضعة
وأختهم العمردة]
بنو الحارث
[على رأسهم الأشعث بن قيس]
العلاقات بينهم وبين غيرهم


* لهم سطوة على سوق الشحر يحمون القوافل التجارية القادمة إليها.
* وقد اشتبك مع بني معاوية في حرب.
حرب
مع كندة حتى كادت تفني عامتهم
سلم
حسن جوار مع
الأبناء
حمير
جعفي المذحجية
الصدف
حرب
عموم كندة مع حضرموت
بعض من كندة مع مراد قبل البعثة
بعض من كندة مع بني الحارث بن كعب
سلم
الصدف مع حضرموت
تجيب مع مذحج
السكون مع حمير
السكاسك مع حمير
بعض من كندة مع مراد
لنزولهم فيهم
اقليم حضرموت والإسلام
مهرة
حضرموت
كندة
قدم وفد منهم في ١٠هـ وعلى رأسه: ذهبن ابن قرضم المهرى فأسلم
أرسلت إليهم رسالة دعوة إلى الإسلام في العام السابع الهجري
لعلهم سمعوا بدور مالك بن مرارة في دعوة حمير إلى الإسلام
لعل تواجد معاذ بن جبل وسط حمير وربطه بالدولة الإسلامية أثر فيهم
جاء وائل بن حجر الحضرمي على رأس وفدهم أوائل ١٠هـ راغباً بالإسلام
شاركت مع وائل بعض أقيال حضرموت
أمّر وائل على جميع أقيال حضرموت
بعث الرسول (ص) إلى أقيال حضرموت يعلمهم بهذا ومنهم: أقيال شبوة وبنو مرحب
بنو معاوية
وجهت الدعوة إليهم بمكة
أرسل إليهم يدعوهم ٧هـ
قربهم من حضرموت وحمير وفيهم معاذ أثر فيهم
قدم منهم وفد على رأسه الأشعث عام ١٠هـ
شاركهم في الوفد الصلت بن معد يكرب وبنو الشيطان وبنو ربيعة وجعفى
بنو الأشرس والفروع الأخرى
الصدف: بعثت وفدها لتأكيد إسلامها
بنو الشيطان وبنو ربيعة دخلوا مع بني معاوية
العباد دخلوا في عموم كندة
السكاسك والسكون كانوا مع حمير وأخذوا وضعهم بالنسبة للإسلام
تجيب من السكون بعثوا وفدهم وصدقاتهم عام ٩هـ ربما مع حمير
اقليم حضرموت والردّة
مهرة
عادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية فتصدى لهم عكرمة فقضى على ردتهم
مهرة
معظمهم ظلوا على إسلامهم
بعضهم شاركوا كندة في ردتها
مهرة
ثبات على الإسلام أفراد ومجاميع: الصلت وأخ الأشعث وبنو قتيرة
ردة كاملة بنو وليعة
قوتلوا معاً في حصن البخير
الامتناع عن الزكاة بنو الحارث

ملحق رقم (٦)

خريطة جيوش الردة

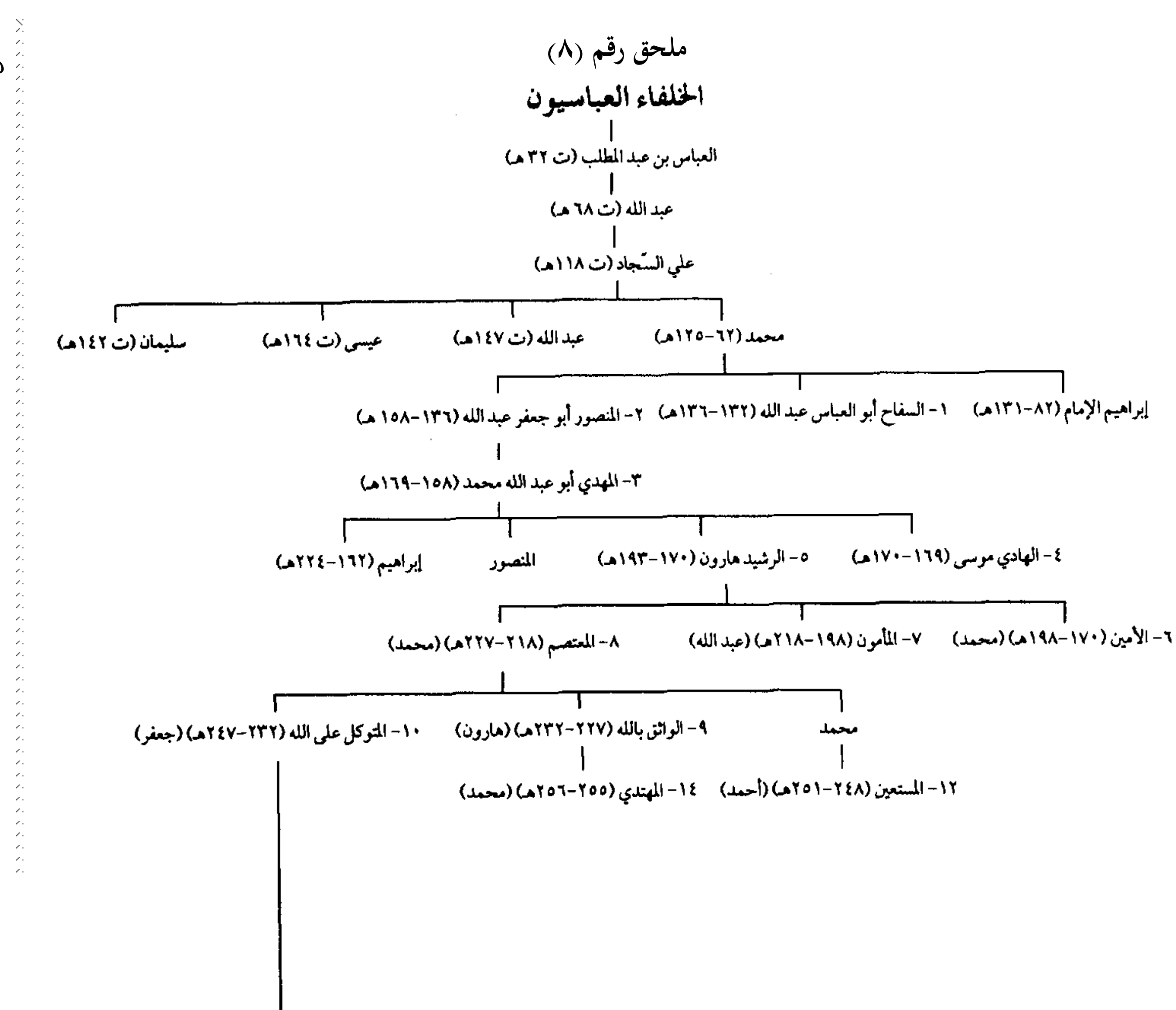
نقلاً عن / أطلس تاريخ الإسلام
لحسين مؤنس

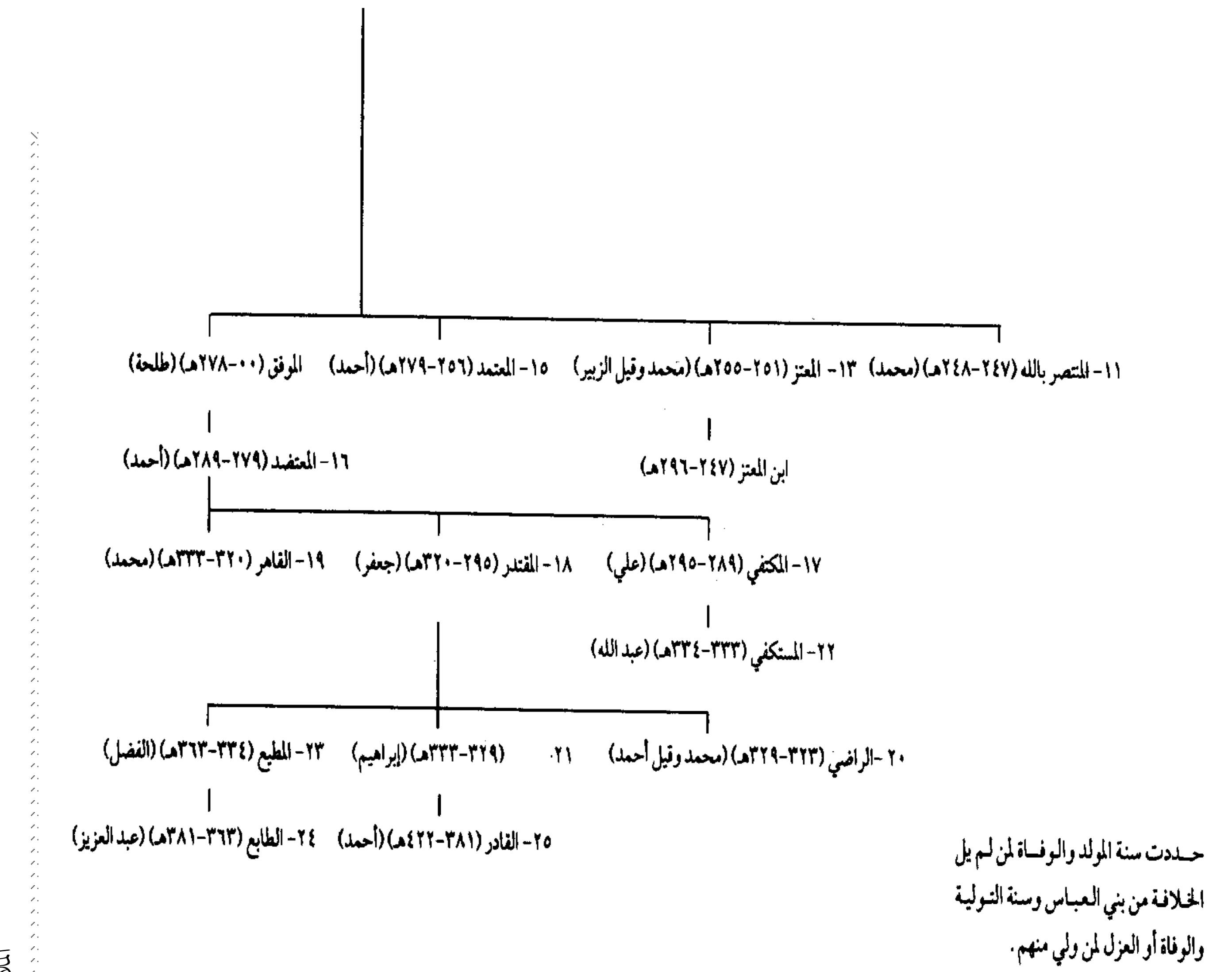


ملحق رقم (٧)
الخلفاء الأمويون
أمية
حرب
أبو سفيان
١- معاوية الأول (م ٦٠ هـ)
٢- يزيد الأول (م ٦٤ هـ)
٣- معاوية الثاني (م ٦٤ هـ)
أبو العاص
الحكم
٤- مروان الأول (م٦٥هـ)
عبد العزيز
٥- عبد الملك (م٨٦هـ)
محمد
٨- عمر
(م ١٠١ هـ)
١٠- هشام
(م١٢٥هـ)
٨- يزيد الثاني
(م ١٠٥ هـ)
٧- سليمان
(م٩٩هـ)
٦- الوليد الأول
(م ٩٦ هـ)
١٤- مروان الثاني
(م ١٣٢ هـ)
معاوية
وليد الثاني
(م ١٢٦ هـ)
إبراهيم
(م ١٢٦ هـ)
يزيد الثالث
(م ١٢٦ هـ)
عبد الرحمن الداخل
(م ١٧٢ هـ)
أمويو الأندلس

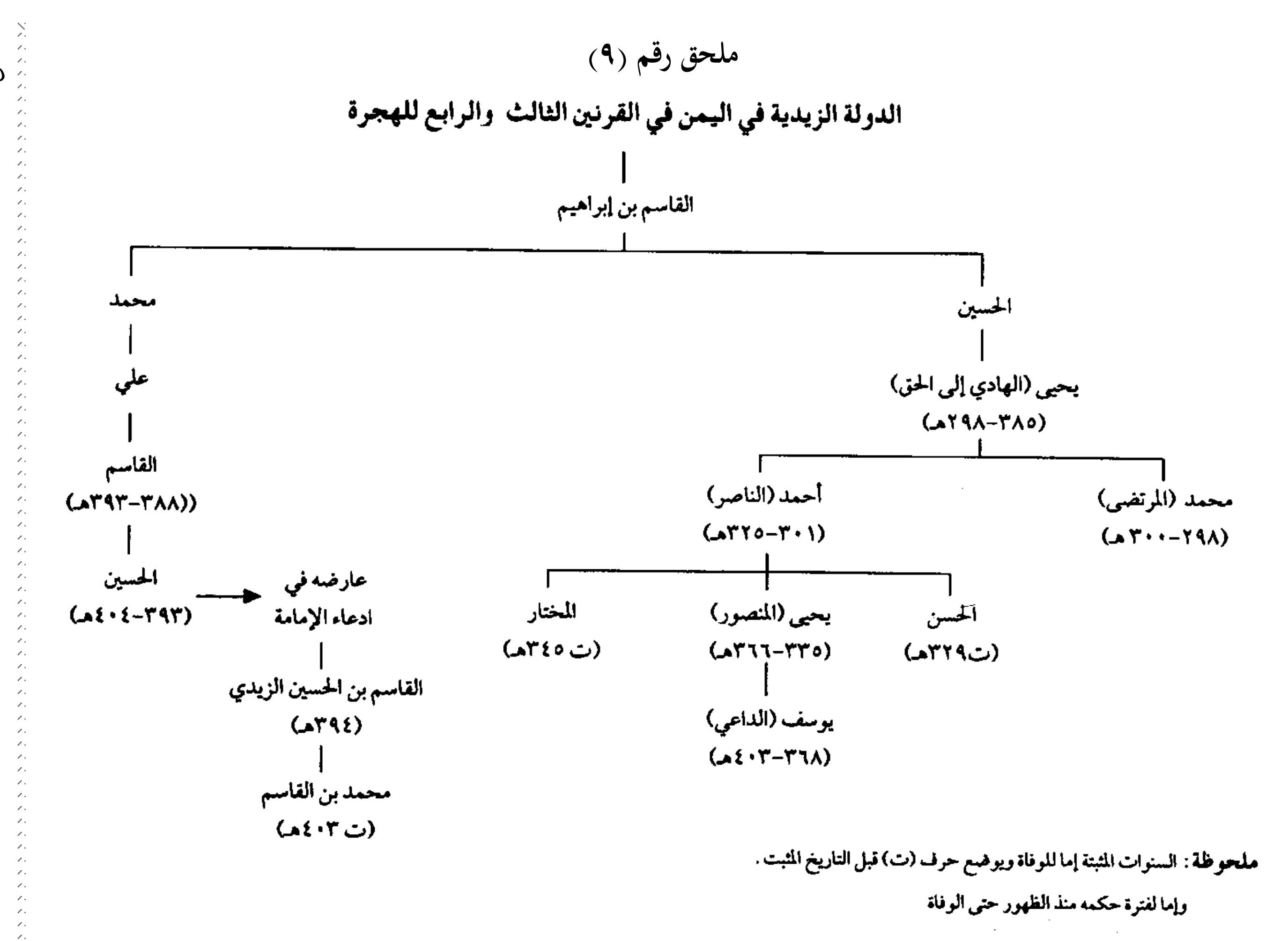
ملحق رقم (٨)

الخلفاء العباسيون



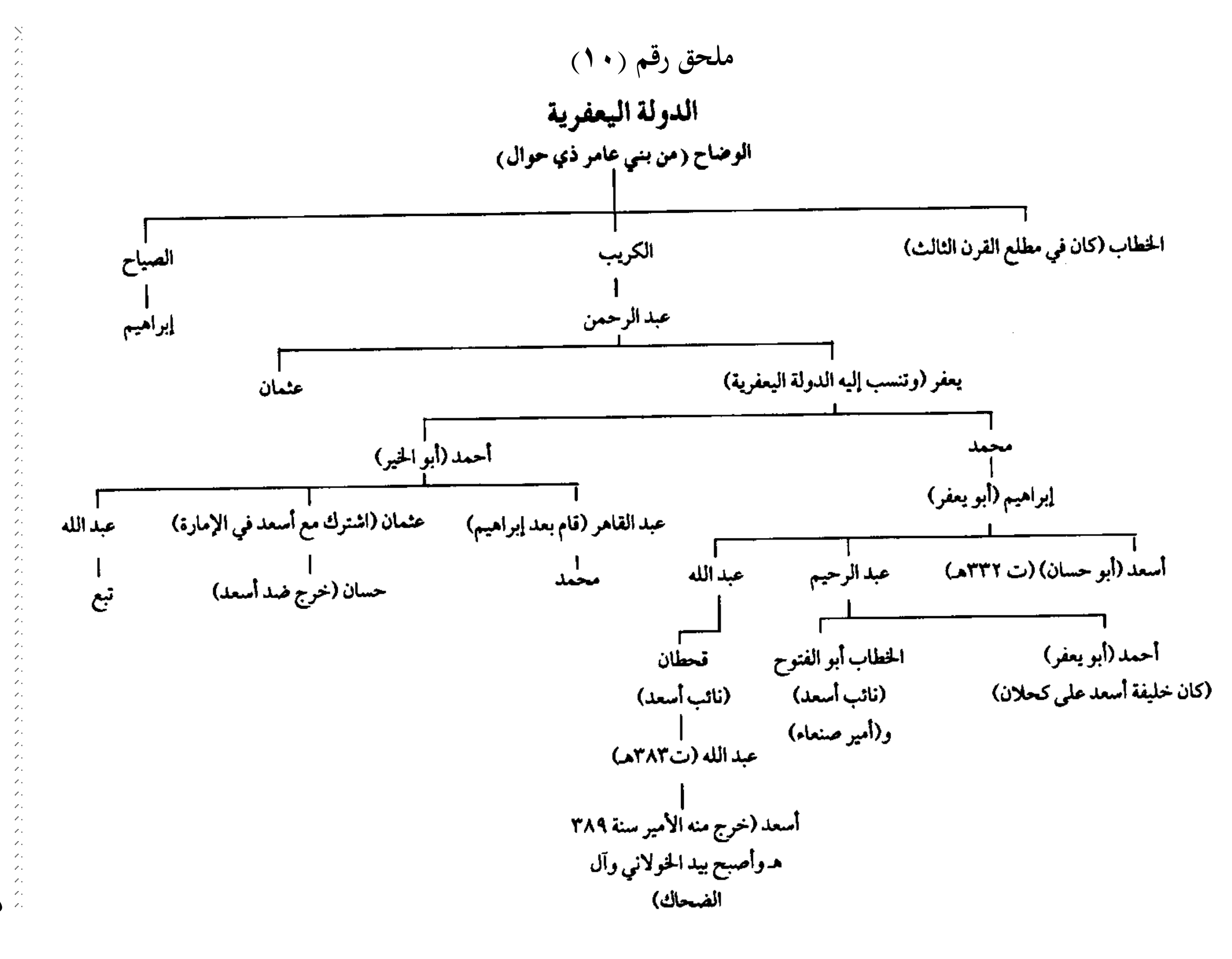


حددت سنة المولد والوفاة لمن لم يل الخلافة من بني العباس وسنة التولية والوفاة أو العزل لمن ولي منهم.

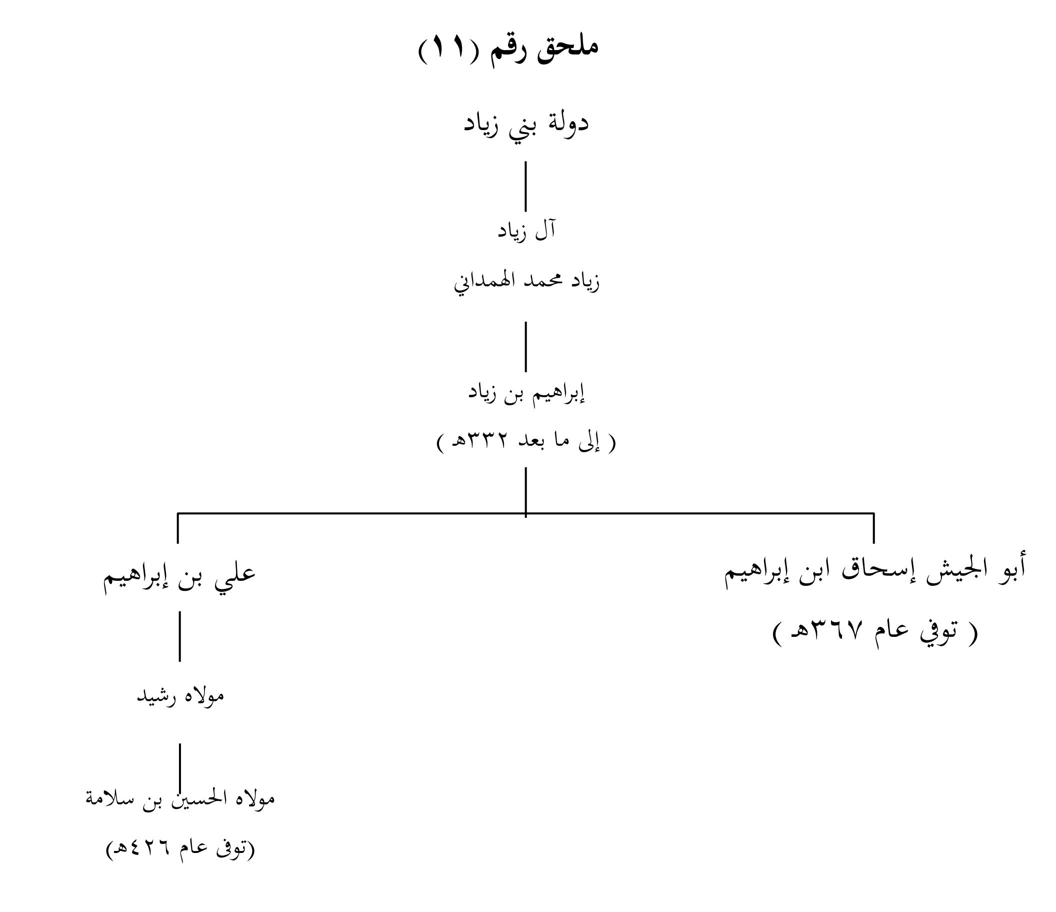

ملحق رقم (٩)
الدولة الزيدية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة
القاسم بن إبراهيم
الحسين
محمد
يحيى (الهادي إلى الحق)
(٢٩٨-٣٨٥هـ)
علي
القاسم
((٣٨٨-٣٩٣هـ)
الحسين
(٣٩٣-٤٠٤هـ)
عارضه في
ادعاء الإمامة
القاسم بن الحسين الزيدي
(٣٩٤هـ)
محمد بن القاسم
(ت ٤٠٣هـ)
محمد (المرتضى)
(٢٩٨-٣٠٠هـ)
أحمد (الناصر)
(٣٠١-٣٢٥هـ)
الحسن
(ت٣٢٩هـ)
يحيى (المنصور)
(٣٣٥-٣٦٦هـ)
المختار
(ت ٣٤٥هـ)
يوسف (الداعي)
(٣٦٨-٤٠٣هـ)
ملحوظة: السنوات المثبتة إما للوفاة ويوضع حرف (ت) قبل التاريخ المثبت.
وإما لفترة حكمه منذ الظهور حتى الوفاة

ملحق رقم (١٠)

الدولة اليعفرية



ملحق رقم (١١)


دولة بني زياد
آل زياد
زياد محمد الهمداني
إبراهيم بن زياد
(إلى ما بعد ٣٣٢هـ)
أبو الجيش إسحاق ابن إبراهيم
(توفي عام ٣٦٧هـ)
علي بن إبراهيم
مولاه رشيد
مولاه الحسين بن سلامة
(توفى عام ٤٢٦هـ)

ملحق رقم (١٣)

عهد المنتصر بالله بن أمير المؤمنين إلى القاضي محمد بن يوسف [الحذاقي[١]]

التاريخ المجهول –١٧٠/ب [يعد هذا العهد بمثابة لائحة تفصيلية لإدارة القضاء ، وقد اجتهدت في وضع أرقام جانبية أمام كل فقرة .]

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به المنتصر بالله ولي عهد المسلمين بن أمير المؤمنين

إلى محمد بن يوسف عند توليته إياه القضاء بين أهل اليمن ومخاليفها :

١) آمره بإيثار تقوى الله واستشعار خشيته فإن تقوى الله معقل من اعتصم بها ومجن من لجأ إليها، وصيته التي أوصى بها عباده إذ يقول : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، واتقوا الله وكونوا مع الصابرين ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

٢) وآمره أن لا يأمر أمراً ولا ينفذ حكماً إلا قدم فيه استخارة ربه والتفويض إليه واسترشاده لما هو أرضى له وأزكى عنده ، فإن انتفع من أثره فقدم في عباده حقه ومتى اطلع (١٧١/أ) عز وجل على نية يخلصها ويلدبره[٢] يلتمس الخير لها وسلامة يرجع فيمن قلد أمره إليها كان الله من وراء عونه وإرشاده وتوفيقه ويكلؤه ويصلحه ويصلح به ويتولاه ويتولى أمره إن شاء الله .

٣) وآمره أن يقدم في أعماله الحق دون الهوى وأن يتخير كتابه الذي يجري أموره على يديه على أمانته ومعرفته وجلسائه الذين يقربون من مشاورته ومناظرته على ثقتهم وورعهم وسائر اعوانه على استقامتهم وعفافهم ، ثم يشرف عليهم صنفاً صنفاً إشراف المستقصي المحتاط فمن وجد منهم على الطريقة المحمودة أثره بها ومن وجده حبسا[٣]

---

[١] المنتصر هو ابن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم العباسي تولى الخلافة بعد أن قتل أباه ولم يتمتع بالخلافة بل طوى بساط ملكه في ستة أشهر راجع التواريخ ، ومحمد بن يوسف هو الحذاقي بضم الحاء المهملة ثم ذال معجمة وهو حميري النسب وكان قاضي اليمن وعالمها في عصره وله روايات في كتب الحديث وله ترجمة في اللباب وغيره من كتب الرجال .

[٢] لم تظهر الكلمة .

[٣] لم تظهر الكلمة .

إليه بما غيره الله أرضى قدم حق الله فيه وتخير لنفسه من يعاونه على صلاح أن وفق له فإن عمل المرء إنما يخلص له إذا سلم من اللواحق التي تلحقه فيها من أثار كفاته وأعوانه والتوفيق لله وحده .

٤) وآمره بالاحتراس من الطبقة التي تلقاه بظاهرها دون باطنها وبخشوعها دون ورعها وبألسنتها دون بصائرها فلا يسهل لهم السبيل بتوسطهم مجالس أحكامه والمثابرة على لقائه والكثرة عنده في مواضع نظره ، ومشاورته إلى التأكل به والتكسب بأسبابه .

٥) وأن يكون من يحضره في محفله وخلواته أهل القصد[1] والفضل والورع والثقة فإنه متى أحكم باب التوقي في الأولى وباب الاختيار في الأخرى خلصت له أحكامه وسلمت له أموره وحزمت أعماله عن سنن فضل لا يعترضها من الطبقة الأولى تريب ولا افساد ، ولا من الطبقة الأخرى ادمان ولا تقصير.

٦) وآمره أن تكون سيرته فيمن قلده أمره سيرة فضل وعدل ، فما كان لقاؤهم إياه واجتماعهم إليه على غير سبيل الأحكام والنظر ، أكرم فيه عليتهم ، ورق على ضعيفهم ، ووفى لكل طبقة قسطها بأهل الدين وأهل القدر بالقدر وذوي الخلة والضعف لما يجب عليه لهم ، فإن جمعت منازعة بين هذه الطبقات ، ومجالس حكمه حملهم على الحق ، وسوى بينهم في المواضع الذين يخاطبون فيها ، وعدل بينهم في نظره واستفهامه وافهامه .لم يمل على ضعيف إلى ذي قوة ، ولا عن ذي خميل إلى ذي نباهة ، ولا عن ذمة إلى ملة . فإن بذلك ينقاد الحق ، وتصان الأحكام ، وتقطع الشبهات ، ويستوف الناس على أصناف أمورهم . فلا ينقطع ضعيف عن حجته ، ولا يطمع قوي في تناول أكثر من حقه إن شاء الله .

٧) وآمره أن يتفصل مسائله ومن يختار لها من أهل الورع والصدق والأمانة والتيسير (١٧١/ب) ومن تكون فيه الخلال الصالحة من الخلال التي فيها مقابلة من خلال الحزم والفهم والمعرفة ، والروية إن كانت تلك حداً ذا كتف ببعضها ببعض من أن يعترضها الهفوة وأن يكثر المسئلة عن صاحب مسائله ليتعرف حاله مستقصياً علمها إذا كان غير مأمون بنقل الأمور بأهلها ويصرف فيها طبقة تلحق وأخرى تخط وصلاح يعود فساداً أو فساداً

---

[1] لعله الصدق أما في الأصل فكما وضعناه .

يعود صلاحاً وأن يجتهد في ذلك منه يرضاها الله تعالى منه ويعينه بها على أموره فإن الله عون من أراده والتمس عنده إن شاء الله .

٨) وآمره أن يصون قدر الأمور الذي هو سبيله في القضاء فلا يرى مستريحاً أن احفظ أولا متبرماً أن يرجع ولا معطياً إلا بالحق إن أعطى ولا مانعاً إلا به إن منع ولا من المواضع إلا في منزله أو في مجالس أحكامه وفيما يقضي به فرض الله عليه دون اعتراضه حق لبعض المسلمين من عيادة مريض أو حضور جنازة إن كان قادراً على التسوية بينهم في مثل ذلك الحق حتى يشمل به نبيههم وخاملهم واعلامهم وأحسابهم فليتوخ منه ما يجمع له إلى حسن الأحدوثة توافي الثواب وإن قصرت به حال عن أن يعم بذلك فليحذر أن تقع أموره في مثل هذا الحال مواقعاً يتهيب عن طلب الحق متهيب ، ويجذبها الذريعة إلى المقال والطعن واجد ، سيما إذا كان الخصوم أحد المطالبين قبله فيكون ذلك مانعاً منه وقانعاً عنه ومؤدياً إلى حمله ينتجع وحق يدفع وبعصمة الله يوفق أهل التوفيق .

٩) وآمره أن يقف بفكرته ورويته على الأمر الذي نصب له والأمانة التي قلدها فليعلم أنه منصوب لأمر جليل خطير وأنه به بين طاعة الله ومعصيته وبين رضاه وسخطه وبين ثوابه وعقابه وبين سعادة تنجيه وهلكة ترديه وليطلع الله من نيته واستشعاره على حقوقه وتقواه وأنه أن يتق الله يجعل له من أمره مخرجاً . ومن يتق الله يجعل له من أمره يسيراً ، ومن يتق الله يعظم له أجراً .

١٠) وأن يمضي أموره على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وعما جاءت به الأثار عن أئمة العلم وأجمع عليه الصالحون فإن ورد عليه أمر فاشتبه الحكم عليه فيه ولم يجد له في الكتاب والسنة والأثر والإجماع ما يمضيه عليه شاور أهل العلم والفقه من جلسائه وغيرهم ثم (١٧٢/أ) عمل به مجتهداً في ذلك رأيه ونظره واختياره فإن أشكل عليه بعد المشاورة ، والمناظرة أمر كتبته أن يكتبوا به إلينا لننهيه إلى أمير المؤمنين أطال الله بقاه فيأمر فيه بما يعمل به ويقتصر عليه إن شاء الله .

١١) وآمره أن يظهر لمن يخبره من أهل عمله في مجالس أحكامه ويظهر بوقار وسكينة وأناة وحلم وأن لا يقبل على بعضهم دون بعض ، إن قال عدل وافهم ، وإن قيل له اصغي وتأمل ، ولا تجفوه عجلة عن يقين ، ولا بدار عن تثبت ، ولا فقه عن مشاورة . ينقاد للحق كما يحمل عليه ويدعي للحجة إذا لزمته كما يؤخذ بالإذعان بها إذا كانت له . لا يقطعه نوم عن صبر ، ولا ضجر عن أناة ، ولا يرهق الخصم بإعجاله ، ولا يغتنم هفوته

وسهوه . ويقسم مجلسه قسمين متكافئين : أحدهما فيما يأخذ لنفسه على الخصوم . والآخر فيما يأخذ لنفسه لهم ، فإنه متى يقول ذلك معيناً به جرت أموره على السلامة والاستقامة وكان ذلك بين سماع عاجل وثواب آجل إن شاء الله .

١٢) وآمره أن يستعمل الأناة في أحواله من غير تأخير لإمضاء الحق إذا وضح له وإن قامت الشهادة عنده على أمر من الأمور فوقفت به حال بين إبرام وقطع وبين تثبت وتأمل أن يعاد النظر ويدعو الخصم إلى ذكر شيء إن كان أغفله وإذا بلغ من ذلك وسع المحتاط من معاودة واعذار ومشاورة ومناظرة استعان الله على أمره ورغب إليه في حسن ارشاده وتوفيقه ثم امضى الحكم لمن وجب له وعلى من وجب عليه . وأجر ذلك من فعلة أصحابه الذي يثق بهم وتصدر أحكامه عن موافقتهم إن شاء الله .

١٣) وآمره بإنعام النظر في أمور المواريث التي يتحاكم إليه فيها وتحصين ما يرد عليه منها ووضعها مواضعها وأن يدفع إلى من اتضح أمره من أهلها عنده ما فرض الله له منها إلا ما كان من حقه صغيراً لم يبلغ الحلم فتصير الحصة في يد من يثق به من أولياء ذلك الوارث ويأمره بالأجرة عليها منها بالعفة يسببه ويتفقد أمر من يأتمنه عليهم في استقامة حاله وعفافه فإن خافه على تبدل عاجله فليخرج ذلك الحق من يده ويصيره إلى من هو آمن عليه منه ومن لم يكن له ولي يؤنس رشده ويرجو أمانته أن يحتاط في ماله ويوضعه على أيدي أهل الفقه والأمانة من سائر (١٧٢/ب) المسلمين ويعمل في أمر الدين بأمرهم به والتفقد لمستقبل أمورهم مثل ما يعمل به في الولي ويتوخى في ذلك كله ما يرجو أن يخص به تلك المواريث من التلف والضياع فإن الله عز وجل يقول : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) . ويقول جل اسمه: (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعفاء[1] خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً) وإذا بلغ الأصاغر الحلم فثبت عنده أمانة أحدهم على ماله أن يسلم ماله إليه فإن الله عز وجل يقول: (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله شهيداً) .

---

[1] في احدى القراءات .

١٤) وآمره أن يكون نظره فيما يتحاكم إليه فيه من يحضره من أهل البلدان النائية عنه وما يتلمسون أخذ قضايا بلدانهم كنظرة في سائر الأحكام الجارية على يديه وأن يتوخى من تعجيل قطع أموره لما يعتمد به مرافقهم ومعونتهم على أمورهم إذا وضح لأحد منهم عنده حق أن يكتب قضيته إلى قاضي بلده ويشهد عليه رجلين فما فوق ذلك ممن يحضره من أهل العفاف والعدالة ويدفع القضية إلى المطالب بها مختومة بختمه ويأمر بإثبات حجته وما حكم لديه وأسماء البينة الذين شهدوا على حقه في صحيفة يقع عليها خاتمه وخواتم أصحابه ليكون مع كتاب القضية في يد المقضي له ، ويثبت ذكر ذلك أجمع قبله إن شاء الله .

١٥) وآمره أن لا يرد قضاء قاضي من قضاة المسلمين ولا يتعقبه برفض له ولا إبطال لما حكم به منه إلا أن يكون قضاءً جائراً مستنكراً مخالفاً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأحكام أئمة الهدى من بعده مما هو مجمع عليه ومعمول به فينظر في ذلك بما يجب عليه إن شاء الله .

١٦) وآمره إن ورد عليه حد من حدود الله تعالى في قود أو دية أو قطع أو جلد أو رجم أن ينعم النظر في ذلك ويثبت فيما مضى من الحكم فيه ويتذكر وعيد الله في مثله وأن يتقدم في حبس من يجب عليه ذلك الحد ويكتب إليه باسمه واسم أبيه وقضيته وما يتقرر عنده من أمره وبينته إن قامت عليه أو إقرار إن كان منه لنكتب به إلى أمير المؤمنين أيده الله فينفذ من (١٧٣/أ) رأه يعمل به إن شاء الله . هذا عهدي إليك وأمري إياك فتفهمه واعمل به ، وأنا أسئل الله أن يعصمك ويوفقك ويحسن عونك أنه على كل شيء قدير .

والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين الأخيار وسلم تسليماً ورحمة الله على المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان .

[المصدر : الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ ، جمع وتحقيق / محمد علي الأكوع ، ص٢٣٠-٢٣٤]

ملحق رقم (١٣)

عهد أبي أحمد الموفق[1] إلى محمد بن يعفر :

التاريخ المجهول -١٢٣- [لمزيد من التوضيح جعلت بين قوسين معكوفين عناوين جانبية لهذا المرسوم المهم لكي نتعرف على مدى اهتمام الخلفاء بالشرع وبالتفاصيل في حياة الأمراء وأفراد الأمة]

هذا ما عهد أبو أحمد أخو أمير المؤمنين إلى محمد بن يعفر حين ولاه الصلاة وأعمال المعادن والحرب والأحداث والخراج والضياع والأعشار والصدقات ودور الضرب وساير أبواب الجبايات بصنعاء اليمن ومخاليفها وجميع أعمالها ونواحيها .

[نصائح ذاتية:]

[التقوى:] آمره بتقوى الله التي من اعتصم بها هدي إلى صراط مستقيم وقصد به سواء السبيل وكان في حرز من الضلال وحصن من التبديل ومن لجأ إليها فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصال لها ولا انبتات لحبائلها واسند إلى كهف منيع واق ، وأن يطيع الله بلسانه وقلبه في صغير أمره وكبيره وسره وجهره ويراقبه ويتقي سطواته وعزه فإن الله تبارك وتعالى شديد عقابه غليظ انتقامه وأن يكسر في نفسه عند الشهوات ويصدها عن الشبهات ويجنبها المعاصي الموبقات ويلهمها خشية الله في كل الأوقات وأن يرجع في أموره وأحواله وكل ما يتصرف به فيه الأيام وحوادثها إلى الثقة بخيرة الله والتسليم لأمره والخضوع له حتى يكون عنده من الصابرين على بلائه الشاكرين لنعمائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

[الأعمال الذاتية:] وأن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ في شرائع الإسلام وأحكامه وحقوق الإيمان بالله وحدوده حتى يكون من توحيد الله والإقرار بربوبيته والرجوع إلى وحدانيته على أثبت يقين وأوضح معرفة وأن يلزم الصلوات التي فرضها الله في أوقاتها بعد إسباغ الطهور بها ثم الإقبال عليها عند القيام إليها بإخبات ووقار وسكينة مدة بقائه

---

[1] هو طلحة بن المتوكل جعفر أخو الخليفة المعتمد وكانت الأمور كلها منوطة به راجع ترجمته في التواريخ ومحمد بن يعفر راجع الإكليل ج ٢-١٨٢ والتاريخ .

فيها وترتيب ما يتلوه من كتاب الله المنزل في قيامها ، واستيفاء التسبيح والركوع والسجود مخلصاً لله في ذلك فإنه جل ذكره لا يقبل من الأعمال التي يتقرب بها إليه ويتوسل إلى مرضاته إلا ما خلص له وقصد به وجهه فابتغى به ما عنده وأن لا يجعل الله عرضة ليمينه ولا يتعدى حدوده ولا يضيع حقوقه ولا ينتهك محارمه ، ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون .

[الأعمال الإدارية:] وآمره بتعهد دينه وعمله وأموره وحمل نفسه في ذلك على أحق الأمور وأصدقها لله وأحمدها بدءً وعاقبة وأن يقرب القواد ويكرمهم ويحسن إلى من معهم من الجند ويحوطهم فإنهم أعوانه وأنصاره وهم قوته وجمال أموره وأن يعرف لذوي النصح منهم نصحه وكفاءته .

[الشرطة والجند:] وآمره أن يستعمل على شرطه وأجناده ذو هيمنة[1] ودين وصيانة ينوب عنه فيما امتنع فيه من الجرائم فإذا حدث أمر تقام له حد سوط أو يظهر له سارق وتقطع تولى ذلك بنفسه وأدّا فيه حق الله عليه ولم يفرط فيه جائزاً حده ولم يتخلف فيه عن القدر المحدود له وأن يجعله من حذره والخوف له على أمر تملأ قلبه هيبة .

[الدواوين:] ونأمره باستعمال الحق الذي قوام كل أمر والأخذ به والصرامة فيه .

وآمره أن يختار لكتابته ذا دين وحصافة وركانة وفهم ورجاحة عالماً بالسياسة حاذقاً بمواضع الأحكام لقنا للحجج فيما له وعليه خبيراً بأحوال أهل عمله وأسبابها ومطالباتهم فيما يوعز إليك أفضل إيعاز ويتقدم إليه أفضل تقدم ويفقه أن لا وسيلة له عنده إلا ما يعامل به الرعية من الرفق والإنصاف والإحسان وأنه لا يخطأ ذلك إلى عسف أو تعنت لمال لأحد أو كتم شيئاً فما أساءه إليه لم يبق عليه خدمة ولم يرع له حقاً ولا حرمة وناله من العقوبة بما ينال به إياه أهل عمله وأبعدهم منه وأقلهم وسيلة إليه .

[الحاشية والأمراء:] وآمره باتخاذ خيار أصحابه وكفاة رجاله من قد خبره بالعفة وسلامة الناحية لا غنا له على قدر مراتبهم عنده ملزماً لهم كل جار في أعمالهم أن يقويهم بنفسه وينحو من أمرهم لحزمه لحتى يحملوه مستوفياً منه إليه أو يبلغوا من عقوبته حسب جنايته وأن يقفهم على مواقع الجور ما يرضيه منه رأيه أما يخبرهم له والأخذ والعطا في

---

[1] ذو قوة .

السر والعلانية والسخط والرضى ثم ينفذهم لوجوهم بعد المنافعة في إيصالهم الجهات في الاحتياط عليهم .

[**المراقبة:**] وأن يجعل عليهم عيوناً من ثقاته يؤدون إليه أخبارهم وما يعاملون به رعيته ليوقع إثابة المحسن وعقوبة المسيء منهم موقعاً .

[**الاحتساب:**] وآمره أن ينصب محتسباً يتعهد الناس في أسواقهم ويتفقدهم في مكاييلهم وموازينهم وما يتبايعون به فيما بينهم ويحملهم من ذلك على السواء والإنصاف والحق ولا يداهن لأحد في تعديه ومجاوزته والتعرض لما يبخس به حق مسلم أو معاهد ولا يكون منه في ذلك ظلم للباعة ولا تحامل على المبتاعين .

[**الخراج** – لعل القصد منه هو العشر لأن هذا الذي كان مفروضا –:] وآمره أن يستخرج خراج سائر النواحي التي يقلد أعمالها من جهاته ويجبي أموالها على السنن الجارية فيها ويطالب بحقوق السلطان أعزه الله منها على انصراف الأمور وأعدلها وأقربها إلى توفير المال على الرعية ولا يعنت أهلها ويطالبهم بما لا يلزمهم ويغلب عليهم الأعوان والحساب يتولونهم ويخشونهم ولا يلزمونهم بالمؤن المجحفة المؤخرة للخراج ولا يخلف لأحد من أهل عمله مما يجب عليه قليلاً ولا كثيراً بسبب من الأسباب إلا ما ظهرت فيه مظلمة يجب حبسها له أو ورد عليه كتاب باستقالة غيره بحجة في يده .

وأن يعامل الرعية فيما يقبض منهم من الأموال أحسن معاملة وأسهلها واسمحها وأقربها إلى التخفيف عنهم والإحسان إليهم فإن ذلك يدر الخراج وتروج أمواله ويحث أصحابه على المبادرة بما يلزمهم منه وأن يتخير لقبض ذلك ووزنه وانفاذه من يثق بأمانته وصلاحه وديانته ودعته .

ونأمره بالرفق بهم وقبض الحق منهم ولا يستبرح من أحد في الوزن ولا يعتبه في النفقة وأن يحمل ما يجتمع قبله .

هذا ما وجد .

[المصدر : الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ ، جمع وتحقيق / محمد علي الأكوع ، ص٢٣٤-٢٣٧]

ملحق رقم (١٤)

قاعدة بيانات ولاة اليمن في العهد الأموي

المصادر / الخلفاء	الرازي ٤٦٠هـ	ابن سمرة بعد ٥٨٦ هـ	الجندي ٧٣٢ هـ	ابن عبد المجيد ٧٤٣ هـ	الخزرجي ٨١٢هـ	ابن الديبع ٩٤٣هـ	يحيى بن الحسين ١١٠٠ هـ
	الـــــــولاة						
معاوية (ت ٦٠هـ)		– عثمان بن عفان الثقفي – عتبة (صنعاء والجند) (قاضي: صنعاء عبدالرحمن بن حنبل – النعمان بن بشير سنة	– عثمان – عتبة (صنعاء والجند)سنتين – فيروز (صنعاء) قيس الكاتب (الجند) استخلفها عتبة – النعمان بن بشير بعد موت عتبة (سنة) – بشير بن سعيد الأعرج – سعيد بن داذوية ٩ شهور – الضحاك	– عثمان – عتبة (صنعاء والجند)سنتين – فيروز (صنعاء) قيس الكاتب (الجند) استخلفها عتبة – النعمان بن بشير بعد موت عتبة (سنة) – بشير بن سعيد الأعرج – سعيد بن داذوية ٩ شهور – الضحاك	– عثمان – عتبة (صنعاء والجند) سنتين وقيل٣ – فيروز أستخلفه عتبة ٨ سنين – النعمان بعد وفاة عتبة سنة – بشير بن سعد (نقلاً عن الجندي) – سعيد بن داذوية الفارسي ٩ شهور (مات) – الضحاك	– عثمان بن عفان الثقفي – عتبة بن أبي سفيان – فيروز الديلمي – النعمان بن بشير – بشير بن سعد الأعرج – الضحاك	– عثمان – عتبة (صنعاء والجند) سنتين – فيروز استخلف عتبة ٨ سنين – النعمان بعد موت عتبة استعمله معاوية – بشير بن سعد سبعه شهور – الضحاك
يزيد بن معاوية (ت ٦٤ هـ)			– بحير بن رسيان	– بحير بن رسيان	– بحير بن رسيان على المخلافين (بالضمان)	– بحير بن رسيان الحميري	– بحير بن رسيان (بالضمان)

تابع ملحق رقم (١٤)

المصادر / الخلفاء	الرازي ٤٦٠هـ	ابن سمرة بعد ٥٨٦ هـ	الجندي ٧٣٢ هـ	ابن عبد المجيد ٧٤٣ هـ	الخزرجي ٨١٢هـ	ابن الديبع ٩٤٣هـ	يحيى بن الحسين ١١٠٠ هـ
		الــــــــولاة					
عبد الله بن الزبير (ت ٧٣ هـ)		– الضحاك سنة	– الضحاك سنة	– الضحاك سنة	– الضحاك سنة	– الضحاك بن فيروز	– الضحاك سنة
		– عبد الله	– عبد الله	– عبد الله	– عبد الله	– عبد الله بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد	– عبد الله بن عبد الرحمن أياماً
		– عبد الله سنة و٨ شهور	– عبد الله سنة و٨ شهور	– عبد الله سنة و٨ شهور	– عبد الله سنةو٨ شهور	– عبد الله بن عبدالمطلب بن أبي وادعة السهمي	– عبد الله سنة و٨ شهور
		– خالد بن الزبير سنتين	– خالد بن الزبير	– خالد بن الزبير	– عبيدة بن الزبير خمسة اشهر	– عبيدة بن الزبير	– حسن بن عبد الله الفقية
		– مغيث	– مغيث بن ذي الثوجم الأزراعي (خمسة أشهر)	– مغيث بن ذي الثوجم الأزراعي (خمسة أشهر)	– حسن (هكذا)	– حنش بن عبد الله	– قيس
		– حنش	– حنش	– حنش	– قيس	– قيس بن يزيد السعدي	
			– قيس (سبعة شهور)	– قيس (سبعة شهور)			
		– أبو النجود	– أبو النجود (خمسة شهور)	– أبوالنجود (خمسة شهور)			
		– الضحاك (ثانية)	– الضحاك مرة ثانية ستة شهور	– الضحاك مرة ثانية ستة شهور			
		– خلاد بن السائب وعلى الجند/ بحير بن رسيان	– خلاد بن السائب الأنصاري	– خلاد بن السائب الأنصاري			
			– أبو النجود (مرة أخرى)	– أبو النجود (مرة أخرى)			

تابع ملحق رقم (١٤)

المصادر / الخلفاء	الرازي ٤٦٠هـ	ابن سمرة بعد ٥٨٦ هـ	الجندي ٧٣٢ هـ	ابن عبد المجيد ٧٤٣ هـ	الخزرجي ٨١٢هـ	ابن الديبع ٩٤٣هـ	يحيى بن الحسين ١١٠٠ هـ
	الـــــــولاة						
عبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ)			تابعة لمكة وتولاها الحجاج – محمد أخوه (صنعاء) – واقد (الجند) – الحكم (حضرموت)	تابعة لمكة وتولاها الحجاج – محمد أخوه (صنعاء) – واقد (الجند) – الحكم (حضرموت)	–الحجاج – محمد أخوه (صنعاء) – واقد بن مسلمة (الجند) – الحكم (حضرموت) (كلهم أقاموا سنه) ثم عزله واقد وجمع المخلافين لأخيه محمد – استناب الحجاج بعد موت محمد أيوب بن يحي الثقفي	–تابعة لمكة وتولاها الحجاج فعين: – محمد أخوة على صنعاء – واقد بن مسلمة الثقفي على الجند – والحكم بن أيوب الثقفي على حضرموت – أيوب بن يحي الثقفي بعد موت محمد	–تابعة لمكة وللحجاج – محمد بن يوسف (صنعاء) – واقد بن سلمة (الجند) ثم عزله وجمع المخلافين –أيوب بن يحي الثقفي
الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦هـ)	أيوب الثقفي (٨٥) (٨٧) ٥سنوات	محمد بن يوسف	لم يذكر شيئاً	لم يذكر شيئاً	–أيوب	–أيوب بن يحي الثقفي	–أيوب
سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ)			– عروة	– عروة	– عروة	– عروة بن محمد السعدي	– عروة بن محمد السعدي
عمر بن عبد العزيز (ت ١٠١هـ)			– عروة	– عروة	– عروة	– عروة بن محمد السعدي (القاضي–: وهب)	– عروة (القاضي: وهب)
يزيد بن عبد الملك (ت ١٠٥هـ)			– مسعود	– مسعود	– مسعود	– استمر عروة فترة ثم عزل – مسعود بن عوف الكلبي	– مسعود بن عوف

تابع ملحق رقم (١٤)

المصادر / الخلفاء	الرازي ٤٦٠هـ	ابن سمرة بعد ٥٨٦ هـ	الجندي ٧٣٢ هـ	ابن عبد المجيد ٧٤٣ هـ	الخزرجي ٨١٢هـ	ابن الديبع ٩٤٣هـ	يحيى بن الحسين ١١٠٠ هـ
	الـــــولاة						
هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥هـ)	– يوسف بن عمر الثقفي (٨٨) على صنعاء	–يوسف ١٣سنة –الصلت ٥سنيين – مروان بن كد بن يوسف الثقفي	– مسعود (سنة) _يوسف على المخاليف الثلاثة (١٣سنة) (فاطمة على صنعاء القطريف بن الضحاك بن فيروز) – الصلت (خمس سنيين)	– مسعود (سنة) _يوسف على المخاليف الثلاثة (١٣سنة) (فاطمة على صنعاء القطريف بن الضحاك بن فيروز) – الصلت (خمس سنيين)	– مسعود (سنة) _يوسف على اليمن كله (١٣سنة) (فاطمة القطريف) – الصلت نيابة عن أبيه (خمس سنيين)	– مسعود بن عوف (سنة) _يوسف بن عمر الثقفي (١٣سنة) – الصلت بن يوسف (خمس سنيين)	– مسعود _يوسف بن عمر الثقفي (١٣سنة) قاضي على صنعاء: الغطريف) – الصلت نيابة عن ابيه
الوليد بن يزيد بن عبد الملك (ت ١٢٦هـ)			– مروان	– مروان	– مروان	– مروان بن محمد بن يوسف الثقفي	– مروان بن محمد بن يوسف
يزيد بن الوليد بن عبد الملك (ت ١٢٦هـ)			–الضحاك (قاضي يحي بن شرحبيل)	–الضحاك (قاضي يحي بن شرحبيل)	–الضحاك بن واصل السكسكي (قاضي يحي)	– الضحاك بن وائل السكسكي	–الضحاك بن واصل
مروان بن محمد (ت ١٣٢هـ)			– عروة (هكذا)ولم يذكر غيره	– عروة (هكذا) ولم يذكر غيره	– القاسم بن عمر – عبد الملك – الوليد	– القاسم بن عمر الثقفي – عبد الملك بن محمد بن عطية (ت ١٣هـ) – الوليد بن عروة بن محمد السعدي (الى أن قتل مروان بن محمد)	– القاسم بن عمر الثقفي – عبد الملك – الوليد

ملحق رقم (١٥)

عهد الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين[١] إلى أسعد بن أبي يعفر الحوالي

التاريخ المجهول -١٣٣- [لمزيد من التوضيح جعلت بين قوسين معكوفين عناوين جانبية لهذا المرسوم المهم لكي نتعرف على مدى اهتمام الخلفاء بالشرع وبالتفاصيل في حياة الأمراء وأفراد الأمة]

هذا ما عهد عبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين إلى أسعد بن إبراهيم حين قلده أعمال الحرب والمعادن والأحداث بصنعاء وأعمالها . والمذيخرة ومخاليفها وعدن وأبين ولحج وما يتصل بها لما رجا في ذلك من الصلاح وآمل فيه من السداد وقدره عند أسعد من الغنا والكفاءة والوفاء والأمانة والنصح له فيما قلده والاستقلال بأعباء ما كلفه .

[التقوى:] آمره بتقوى الله عز وجل وحمله ليبلغ أمله وبطاعته ليزكي عمله والانتهاء إلى أمره ليغنم والاقتداء بكتابه ليسلم والرجوع إليه فيما يحزنه والتوكل عليه فيما يكربه والتأدب بأدبه في كل ما أتى والتجنب لسخطه مما أخذ وأعطى والتذكر لحسابه والحذر من عقابه يوم يكب الخصوم وينصف المظلوم ويوفى الله فيه النفوس بما كسبت ويلقيها بما أسلفت ولا يلتها[٢] شيئاً مما عملت إن الله لا يظلم مثقال ذرة وأن تكون حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ؟

[الصلاة:]وآمره أن يقيم الصلوات في واجب الأوقات ويدخل فيها بالسكينة والوقار والاخبات ويحرسها من الإضاعة والتقصير والغفلة والتفريط ويتوقى نقصها واخداجها اماما كان أو مأموماً فإنها أفضل عمل العبد وأول ما يحاسب عليه الرب وهي عون الصابرين ووصية الله للمؤمنين قال جل اسمه واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين .

[القرآن:] وآمره أن يكثر دراسة القرآن ومجالسة أهل العلم بتنزيله ومحكمه وتأويله وناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومنصوصه فلا يبر من أمراً إلا عَنه ولا يمضي حكماً إلا منه فإنه أحد الثقلين من اهتدى به لم يضل ومن تمسك به لم يزل والعروة الوثقى والغاية القصوى

---

[١] لم يل الخلافة أصغر منه وبويع بالخلافة سنة خمس وتسعين ومايتين راجع التاريخ .

[٢] يلتها ينقصها ومنه قوله تعالى لا يلتكم أعمالهم .

وحجة الله في أرضه وحكمته في خلقه وفيه تبيان كل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

[القضاء:] وآمره أن يقضي بالعدل في معاملته فإنها لا تصلح إلا به ويتعمد بالإحسان خاصة فإنها لا تستغني عنه ويولي كلامهم من حسن التعطف وبذل التألف ما يملكه أهوائهم وترتبط له طاعتهم وتشرح بها صدورهم وتسكن محبته قلوبهم وتخرج عللها ومرضها ويخلص له صفوها وصحتها وأن يلقاهم بوجه مسفر وقول لين ويكثر البروز لهم ولا يحتجب عنهم إلا لعذر واضح وأن يقدر لشريفهم قدره ويوفي مشروفهم حقه وينزلهم بحسب منازلهم من نصحه وطاعته ويستظهر على الهافي منهم بالإغماض وعلى النابي بالإعراض فإن الإبقاء خير من الاستقصاء إذ كان الإبقاء ألفه والاستقصاء فرقة والفرقة داعية إلى اختلاف الكلمة وانتقاص العدة واضطراب الأمر وانتشار الحبل وقد أدب الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ بأحسن الآداب وأرشده إلى نهاية الصواب فقال له في محكم كتابه: خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين .

[الغضب:] وآمره أن يهجر الغضب ويكظم الغيظ ويتناسى الحقد ولا يجعل لسلطانه سبيلا إلى طلب ذحل ودرك تبل[1] وشفا صدر من أحد من الناس في حال من أحواله ولا نحو من أنحائه فإن الذين يحضره وأمير المؤمنين ينكره ، وقد أثنى الله على من عفا ، والعفو أقرب للتقوى ، وأحمد للعاقبة عند الله وأرضى.

[إصلاح النفس:] وآمره أن يصلح نفسه ويملك إربه ويقبض يده عن المآثم ويغض طرفه عن المحارم ويتنزه عن دنيات المكاسب ويتنكب طرقات المعاتب ويتحاشى أن يزن بريبة أو يرمي بدنيئة أو يوسم بجشع أو يعرف بطمع فإن الرعية تبع لراعيها وجارية على سنة واليها تقدم على تزكيه وتحجم عن ما يكرهه ومن يرد الله له خيراً يهيئ له من أمره رشداً .

[تقصي الأعمال:] وآمره أن يتقصى طرف أعماله ويسوي سبيلها ويرتب المسالح في مواضع الخوف منها ويوكل بالمراقب والمراصد من يثق به عليها ويختار أهل الورع والجلد لها ويستظهر بخيار المرتزقة والمحتسبة فيها حتى لا يتخطاها عابث ولا يلبث فيها من المفسدين لابث ، ويراعي أصحابه وموكليه هؤلاء فإن حمدهم قربهم وأدناهم وإن ذمهم صرفهم وأقصاهم ليكونوا عظة للسعيد وعبرة لذوي المذهب الحميد من غير أن يجاوزهم

---

[1] الذحل بالضم والتبل بالفتح : هما أخذ الثأر والكلمتان مستعملتان إلى اليوم .

حدا أو يظلمهم حقاً فإن العقوبة بحسب الجريمة ومن زاد فقد اعتدى والله لا يحب المعتدين .

[الحدود:] وآمره أن يحكم في الجنايات والأحداث وسائر ما يرفع إليه ويسلك عليه بما وافق الحق وباين الخرق وأرشد إليه القرآن ودلت عليه الآثار فإنه لن يعد من حسبك صواباً ولن يخاف في حكمه ضلالاً وأن يرد إلى أمير المؤمنين ما يشكل عليه وعلى الفقهاء قبله ليبين له بتوفيق الله ما يشكل ويسهل له بعون الله ما يعسر يخرجه من شك إلى يقين ومن شبهة إلى مبين .

[النظر في حال المساجين:] وآمره أن ينظر في قصص من في محابس عمله ويحضر مجلس نظره من يثق بفقهه وورعه ويطلق من يجب له الإطلاق ويقوّم من يصلحه التقويم ويرد إلى الحكام من تقام عليه الأحكام ويجلد ذوي الجرائر الموبقة من الخراب والمتلصصة في محابسهم ويراعيهم في أماكنهم ويشرف بثقاته على مطاعمهم ، ومشاربهم وملابسهم ويحضر على الموكلين بهم أن يمدوا إلى أقواتهم وما يسترون به عوراتهم يدا أو يرزؤا منهم رزأ أو ينتقصوهم شيئاً أو يظهروهم بسوء الملكة لهم ويجاوز الحق في إنالتهم سياستهم إلى أن يصرفوها أو جرا منها إليهم وهي قوام أرواحهم وعمدة أجسادهم وفضل الله عليهم وأن يحميهم من مغتصب عليهم وطامع فيما لديهم ويعبروا أوزان قيودهم ومقادير وثاقهم والمواضع التي يأوون إليها في دحالهم ويجريهم على الواجب الذي لا حيف فيه ولا عدوان ولا زيادة ولا نقصان .

[الاهتمام بالعبيد :] وآمره أن يوعز إلى أصحابه بحسن من يظهرون في أعمالهم من اباق ارقاء المسلمين في محابس الصيانة واقامة القوت لهم بمقدار الكفاية وألا يسترقوا منهم أحداً ولا ينالهم بأذى وأن يكاتبوا وجوه باعة الرقيق في أمصارهم ومواطن ملاكهم بأسمائهم وأحوالهم ويعملون بما يرد به الأجوبة عليهم في أمورهم من اطلاق أو عتاق أو رد جميل أو مبيع مريح فإنهم عباد الله لهم نصيب من العدل وبينهم في الحق ، وقد عباد الله لهم نصيب من العدل وبينهم في الحق ، وقد عهد رسول الله ﷺ فيهم وأحسن الوصاية بهم.

[اللقطة :] وآمره أن يتقدم إلى مسالحه المريدين في نواحيه بأفشاء اللقطة الضوآل المفضية إليهم وردها على الناشدين لها المثبتين لعلاماتها وأن يحرموا ظهورها ولحومها وأثمانها على أنفسهم ما بقيت في أيديهم ويبيعون ما خافوا تلفه وعجزوا عن حفظه بأوفر

الأثمان في مجتمع الأسواق ويعدلون ما يحصل من الثمن عند أمين عليه وثقة من المسلمين فيه إلى أن يحضر مستحقه ويأتي ربه فيجده وافراً ويقبضه قبضاً ظاهراً .

[الإشراف على التجار (الاحتساب):] وآمره أن يستشرف على باعة الأسواق في عمله فإنهم لا يَخْلُون من بخس في مكيال وباخس في ميزان وغابن لضعيف ومتحيل لطيف وأن يعبر على هذه الطبقة موازينهم ومكاييلهم المعيار الصحيح المجمع على وفائه والمعاير الثقة المشهور باستقصائه فمن وجده مبتدعاً أدبه وحسم عادته وحمله بالتفقد له وترك الأعمال لأمره على مشارفة الغش وايثار النصح والاقتصار على ما يقتصر عليه أهل العفة والأمانة والورع والصحة وأن يحتاط عليهم بأبلغ ما يحتاط به على أمثالهم مالم يظهر منهم توبة أو يوثق منهم باقلاع وإنابة .

[الاهتمام بالعسكر:] وآمره أن يأخذ فرسانه بحسن الهيئة وإكمال العدة واستجادة السلاح واستفراه الدواب ويلزم رجالهم في زيهم وأسلحتهم مثل ذلك فإنهم حصونه التي يلجأ إليها ومعاقله التي يعتصم بها وجماله التي بها يكبت عدوه ويغم من ناواه . يقول الله جل جلاله: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .

[الوصاية بالأمراء :] وآمره أن يتقدم إلى خلفائه وأعوانه بتقديمه أمير المؤمنين إليه ويأمرهم بما أمره ويكتب إليهم بنسخة ما رسمه ويوصيهم بالأناة والرفق والتثبت والحلم ويحذرهم من سطوات الجور وعواقب العجلة وسوء مغبة الأقدام على الدماء المحرمة والفروج المحصنة والأموال المحضورة ويعظهم بعظته ويذكرهم لينتفعوا بتذكرته ويتفقد سيرهم ويتأمل صفحات أمورهم ومن حمده كافأه وقواه ومن ذمه صرفه وأقصاه واستبدل من هو أعف وأنقى وأفضل وأزكى .

[التوقف عند الحدود :] وآمره أن يتوقف عند الحدود فلا يقتل أحداً صبراً ولا يأخذ منه قوداً ولا يوجب عليه حداً إلا بعد اقراره عفواً أو ثبوت الشهادة العادلة عليه نصاً فإنه حينئذٍ يكتب إلى أمير المؤمنين باسم الرجل واسم أبيه وجنايته والحق الذي لزمه والبينة التي قامت عليه والإقرار الذي كان منه ويستطلع الرأي في أمره ليرد عليه ما يعمل به .

وآمره أن يكاتب نزار بن محمد خليفة موسى مولى أمير المؤمنين ويراسله ويستعلم ما يحتاج إلى عمله إذا كان بعيداً من الدار يحضره .

وكان نزار [قد] نصب عج بن حاج[1] في الإشراف على من في اليمن من أهل الطاعة وكان ثقة فيما جود به مأموناً صاحبه ولا يستوحش منه ولا ينافره فإن ذلك أشبه به وأحس موقعاً له وأدل على استقامة طريقته واستمرار طاعته والله يوفقه ويرشده .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك فارتسمه وما أمرك به فامتثله ونصيحته التي أغناك بها عن الإرشاد لنفسك والعمل برأيك وذلك على ما فيه حظك وسلامتك ورضا الله عز وجل ورضاه عنك .

وأمير المؤمنين يسئل الله ربه وإلهه توفيقك وتسديدك وأن يكفيه المهم فيك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطيبين وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً .

[المصدر : الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ ، جمع وتحقيق / محمد علي الأكوع ، ص٢٣٧-٢٤٢]

[1] عج بن حاج كان والي مكة راجع تاريخنا .

ملحق رقم (١٦)

عظة من طلحة بن المتوكل إلى أبي يعفر إبراهيم الحوالي

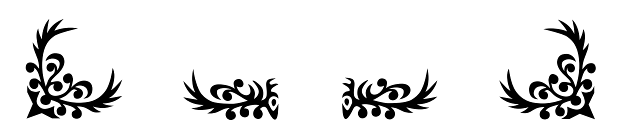
التاريخ المجهول لوحة –١٤٢–

موعظة كتب بها أبو أحمد الموفق إلى أبي يعفر "إبراهيم محمد بن يعفر الحوالي"[1] في المكس[2]: أما بعد: فقد عرفت ترداداً لكتب إليك فيما وعظتك به لنفسك وأحسنت به نظراً لك وللرعية قبلك احماداً مني لمحمد بن يعفر وفيك معرفة لما كان عليه في طاعته وديانته وموالاته ونصحه وصدقه والذب عن الرعية بجهده وسعة طاقته وضبطه لما وليناه وشكره لما قلدناه وتفقده لأطرافه وأكنافه وحياطته لنعمته عما يزيلها ويدحيها عنه ثم مضى لسبيله .

ونصبناك ابتلاء لك من بعده وطمعاً أن تكون أحرى بهديه ومحيياً لذكره فأبطلت كلما تقدمت منه ومحقته ودرسته بالهوى وارتكاب الفواحش والذنوب والإقدام على المنكرات ، وعسف الموعظة وتجهيل الفعل على الرعية الذين أصبحوا يدعون الذكر عني منك إليك ولا تجاب دعوته ويستغيث فلا ترحم عبرته ويظلم فلا تنظر مظلمته ويشكو فلا ترفع منزلته سيما أهل صنعاء خاصة وقد زجرتك عنهم في غير كتاب ووعظتك فيهم بما قد علمته واطلع الله على اجتهادي فيه وعرفتك مع ذلك بما يجري به كتب من بها من رؤساء

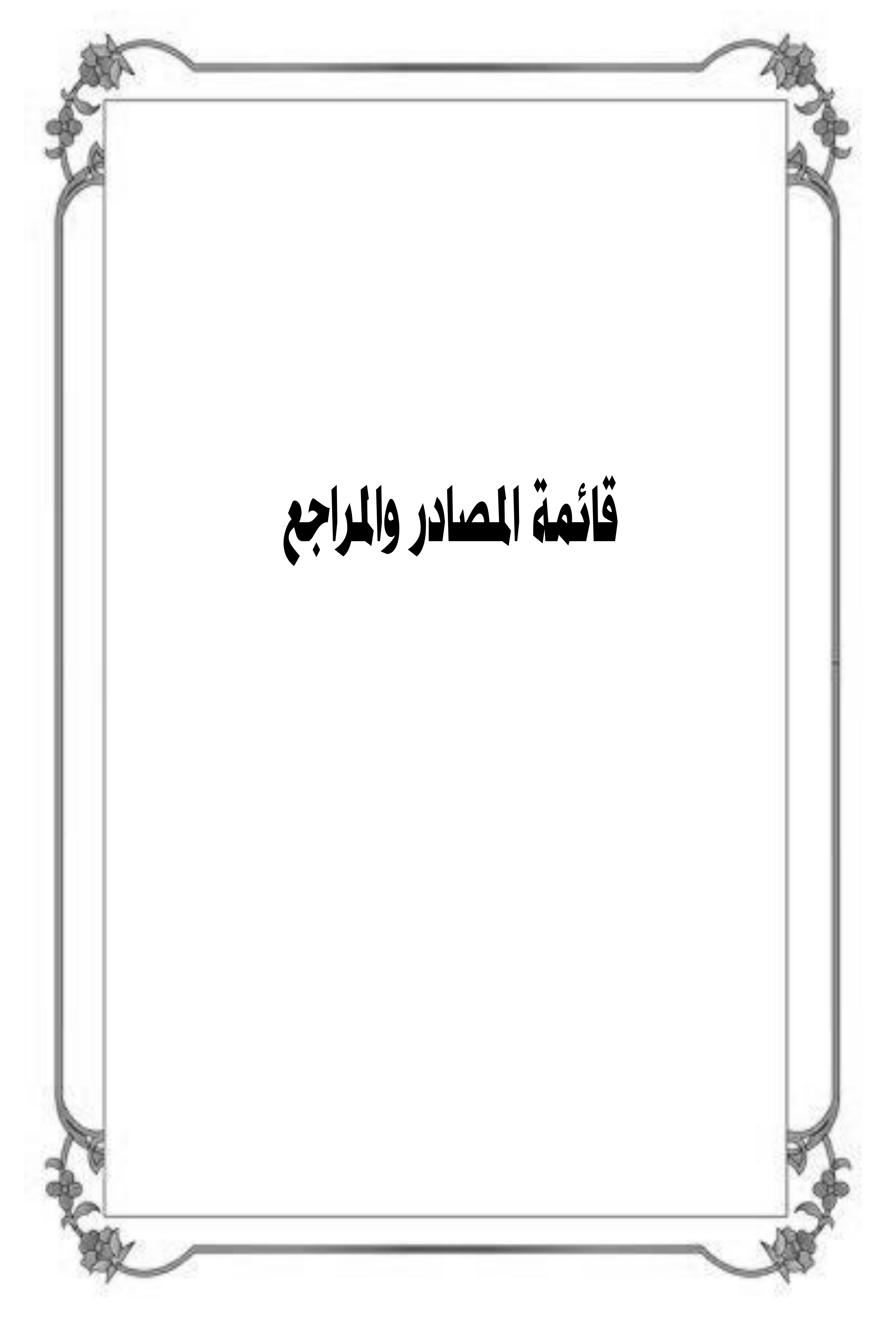
هذا ما وقفنا عليه وباقي الموعظة من الضائع .

[المصدر : الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ ، جمع وتحقيق / محمد علي الأكوع ، ص٢٢٧] .



[1] ما بين القوسين منا .

[2] كذا في الأصل وفيه إشكال إذ ليس فيه عن المكس شيء [قد يكون هذا في الجزء الضائع] .



قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة ..

❖ أحمد بن سليمان (المتوكل على الله) (ت ٥٦٦هـ/١١٧٠م) .
– الحكمة الدرية والدلالة النبوية ، مخطوط بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير ، صنعاء ، برقم ٥١ علم كلام .

❖ الأشرف الرسولي . أبو العباس اسماعيل بن الأفضل العباسي (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) .
– فاكهة الزمن ومفاكهة ذوي الآداب والفطن في أخبار من ملك (أو ولى) اليمن ويعرف بـ (مرآة الزمن في تخالف أخبار اليمن) (دار الكتب المصرية رقم ١٤٠٩ تيمورية . تاريخ) .

❖ الأشعري .شهاب الدين أبو الحسن أحمد بن محمد بن ابراهيم الأشعري (ت حوالي ٥٥٠هـ) .
– اللباب إلى معرفة الأنساب (دار الكتب المصرية رقم ٩٤٥ تاريخ خ ١١٤٣هـ) .

❖ الأفضل الرسولي. عباس بن علي بن داود بن يوسف الغساني (ت ٧٧٨هـ/١٣٧٧م) .
– العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٨٦٦ تاريخ) .

❖ جعفر بن منصور اليمن .
– كتاب تأويل الزكاة [ليدن رقم (١) ٢٦١٣] .

❖ الجنداري . أحمد بن عبد الله (ت ٢٧٩هـ/١٨٦٢م) .
– جامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز (المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، خ ١٣٣٢هـ في ٢٢٢ ق رقم ٦٥ تاريخ) .

❖ الجندي . بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) .
– السلوك في طبقات العلماء والملوك المعروف بتاريخ وطبقات الجندي (دار الكتب المصرية رقم ٥٣٠٤ تاريخ) .

❖ الخزرجي . موفق الدين علي بن حسن بن أبي بكر (ت ٨١٢هـ/١٤١٠م).
- طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ويسمى : (العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أعيان اليمن) (دار الكتب المصرية رقم ١٢٦٥٧ ح) .

❖ ابن أبي الرجال . أحمد بن صالح .
- مطلع البدور ومجمع البحور (مصوره لديَّ عن نسخة لدى القاضي إسماعيل بن علي الأكوع عن مخطوطة الأستاذ علي بن أبي الرجال ، صنعاء .

❖ - مجهول .
- تاريخ في المغازي والفتوح (دار الكتب المصرية رقم ٢٠٨٩ تاريخ - طلعت خ سنة ١٢٧٨هـ في ٢٢٠ ق) .

❖ - مجهول .
- تاريخ اليمن في الكواني والفتن (مصور بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة على ميكروفيلم رقم ١٨ عن مخطوطة الامبروزيانا G 10) صورة منها حصلت عليها من الأستاذ محمد علي الأكوع الحوالي .

❖ يحيى بن الحسين . بن القاسم بن محمد الحسني (ت ١١٠٠هـ/١٦٨٨م).
- إنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن (دار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ تاريخ) .
- طبقات الزيدية الصغرى (كتاب الطبقات في ذكر فضل العلماء وعلمهم ومصنفاتهم) مصورة عن صورة توجد في المكتبة المركزية بجامعة صنعاء .

ثانياً : المصادر العربية المطبوعة والمعربة ..

❖ إبراهيم فؤاد أحمد علي .
- الموارد المالية في الإسلام . ط/ الثالثة ١٩٧٢م . الأنجلو مصرية . القاهرة .

❖ ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، طبعة الشعب ، القاهرة .
- الكامل في التاريخ ، دار صادر ودار بيروت ، ١٩٦٥م ، بيروت .

❖ إحسان إلهي ظهير .
- الإسماعيلية تاريخ وعقائد ، الرياض ١٩٨٦م .

❖ **أحمد بن حنبل . (الإمام) (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) .**

– المسند ، المكتب الإسلامي ودار صادر ، بيروت ، دون تاريخ .

❖ **أحمد عادل كمال .**

– الطريق إلى المدائن . ط/ أولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م . دار النفائس ، بيروت .

❖ **أحمد عطية الله .**

– القاموس الإسلامي . ط/ أولى ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة.

❖ **إدريس عماد الدين بن حسين القرشي .**

– عيون الأخبار وفنون الآثار ، تحقيق / د. مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت، دون تاريخ .

❖ **ابن آدم ، يحيى بن آدم القرشي . (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) .**

– الخراج ، تحقيق/ أحمد محمد شاكر ، ط٢ ، ١٣٨٣هـ ، السلفية ، القاهرة .

❖ **الأزدي . محمد بن عبدالله (ت ٢٣١هـ/٨٤٥م) .**

– تاريخ فتوح الشام ، تحقيق/ عبدالمنعم عبدالله عامر ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٠م ، القاهرة ، (سلسلة من التراث العربي) .

❖ **الأشعري . أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ/٩٤١م) .**

– مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين ، تحقيق/ محمد محي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

❖ **الأصطخري . أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الأصطخري المعروف بالكرخي (ت ٣٤١ أو ٣٤٦هـ/٩٥٢ أو ٩٥٧م) .**

– مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٢٧م .

❖ **الأصفهاني . حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/٩٨٠م) .**

– تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ط٣ ، ١٩٦١م دار مكتبة الحياة ، بيروت .

❖ الأصفهاني . أبو الفرج ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م) .

– الأغاني ، ط أولى ، ١٣٦٩هـ/١٩٥١م دار الكتب المصرية ، القاهرة .

❖ إبن أعثم . أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت نحو ٣١٤هـ/٩٢٦م) .

– الفتوح ، ط الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

❖ الأفغاني . سعيد .

– أسواق العرب في الجاهلية والإسلام . المكتبة الهاشمية ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م . دمشق .

❖ الأكوع . إسماعيل بن علي (القاضي) .

– المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن . ط/ أولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. دار الفكر المعاصر . بيروت .

– هجر العلم ومعاقله في اليمن . ط/ أولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م دار الفكر المعاصر. بيروت .

❖ الأكوع . محمد بن علي .

– الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ (جمع وتحقيق) . ط الأولى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م . دار الحرية للطباعة . بغداد .

❖ الألوسي . محمد شكري البغدادي .

– بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تصحيح وشرح/ محمد بهجة الأثري ،ط٣، ١٣٤٢هـ ، دار الكتب الحديثة على نفقة مكتبة محمد الطيب .

❖ الأهدلي . محمد بن علي الأهدلي الحسيني .

– نثر الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون ، ط أولى ، مطبعة زهران ، بمصر .

❖ أيمن فؤاد سيد .

– الدولة الفاطمية في مصر .. تفسير جديد . الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة) ٢٠٠٧م .

– مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي . المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٧٤م . القاهرة .

❖ الباروني . أبو ربيع سليمان .

– مختصر تاريخ الإباضية .ط الثانية . مكتبة الاستقامة . تونس . والسلفية . مصر .

❖ **البخاري . أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م).**
- التاريخ الكبير، طبع بإشراف/ د. محمد عبد المعيد خان، حيدر أباد ، الهند،١٣٦٢هـ.

❖ **بخيت . محمد .**
- كتاب حقيقة الإسلام وأصول الحكم . المطبعة السلفية ١٣٤٤هـ . القاهرة .

❖ **بربارة فنتر .**
- تقارير أثرية من اليمن . الجزء الأول ١٩٨٢م . عربه عن الألمانية / د. عبد الفتاح عبدالعليم البركاوي . المعهد الألماني للآثار . بصنعاء .

❖ **البرهان فوري . علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م) .**
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ضبط وتصحيح بكري حيَّاني ، وصفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ/١٣٧٩م ، بيروت .

❖ **بريغش . محمد حسن .**
- ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي الأول . مؤسسة الرسالة . بيروت . دون تاريخ .

❖ **البغدادي . عبدالقادر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) .**
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، ط الخامسة ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

❖ **البغدادي . عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/١٠٨٦م) .**
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق/ عبدالسلام هارون ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، القاهرة .

❖ **البكري . أبو عبيد ، عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .**
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق/ مصطفى السقا ، ط أولى ، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م ، نشر المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، بيت المغرب ، ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

❖ البلادي . عاتق بن غيث .
- بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات) ط/ أولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . دار مكة . مكة المكرمة .
❖ البلاذري . أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٩٠هـ/٩٠٣م) .
- فتوح البلدان ، نشر وتحقيق / دكتور صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ، ١٩٥٦، ١٩٥٧ ، القاهرة .
❖ البنداري . محمد .
- التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ، دار عمار ، عمان ، الأردن ١٩٨٨م .
❖ بيوتروفسكي . م. ب .
- اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة (القرن الرابع حتى العاشر الميلادي) . تعريب / محمد الشعيبي . ط/ أولى ١٩٨٧م . دار العودة . بيروت .
❖ الترمذي . أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (الإمام) (ت ٢٧٠هـ/٨٨٣م) .
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) المكتبة السلفية ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، المدينة المنورة .
❖ ابن تغري بردي . جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة .
❖ ابن تيمية . أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني (ت ٧٢٨هـ/١٤٢٥م) .
- إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، تحقيق/ محمد حامد الفقي ، ط ثانية ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة .
❖ الجبل . علوي طه .
- الشيعة الإسماعيلية (رؤية من الداخل) ، دار الأمل ، القاهرة .

❖ الجرافي . عبد الله عبد الكريم .

- المقتطف من تاريخ اليمن . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة .

❖ ابن جرير . إسحاق بن يحيى بن جرير الطبري الصنعاني (ت نحو ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .

- تاريخ صنعاء ، تحقيق/ عبدالله محمد الحبشي ، مكتبة السنحاني ، صنعاء ، دون تاريخ .

❖ جعفر بن منصور اليمن . [من الإسماعيلية] .

- العالم والغلام (ضمن أربع كتب حقانية) .

❖ الجندي . بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م).

- السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تحقيق/ محمد بن علي بن حسين الأكوع الحوالي ، ط أولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ١٢-١ ، صنعاء .

❖ جواد علي (الدكتور) .

- تاريخ العرب في الاسلام ، ط أولى ١٩٨٣م ، دار الحداثة ، بيروت .

- المفصل من تاريخ العرب قبل الإسلام . ط/ الثانية ١٩٧٧م . دار العلم للملايين . بيروت ، ومكتبة النهضة . بغداد بمساعدة جامعة بغداد .

❖ الحامد . صالح الحامد العلوي (ت ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) .

- تاريخ حضرموت . مكتبة الإرشاد ١٩٦٨م . جدة .

❖ الحامدي . إبراهيم بن الحسين الحامدي (ت ٥٥٧هـ/١١٢٦م) .

- كنز الولد ، تحقيق/ مصطفى غالب ، دار الأندلس ١٩٧٩م ، بيروت .

❖ الحبشي . عبد الله بن محمد .

- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن . مركز الدراسات اليمنية . صنعاء . دون تاريخ .

❖ ابن حبيب . أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م) .

- المحبَّر ، إخراج وتصحيح/ محمد حميد الله ، و د. إيلزه ليختن شتيتر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٦٠هـ/١٩٤٢م ، حيدر أباد ، الهند .

❖ ابن حجر . شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

- الإصابة في تمييز الصحابة ، مصور بمكتبة المثنى ببغداد عن الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ ، وبهامشه الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر .
- تهذيب التهذيب، ط الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧١م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة السلفية ١٣٨٠هـ ، القاهرة ، ومكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، القاهرة .
- لسان الميزان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ١٣٢١هـ ، الهند .

❖ الحجري . محمد بن أحمد .

- مجموع بلدان اليمن وقبائلها . تحقيق / إسماعيل بن علي الأكوع . وزارة الإعلام والثقافة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م . صنعاء .

❖ الحريري . محمد عيسى (الدكتور) .

- معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح باليمن وعلاقاتهم بالصليحيين . دار القلم ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م . الكويت .

❖ ابن حزم . أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) .

- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق / عبد السلام محمد هارون ، ط . الثالثة ،١٩٧١م، دار المعارف ، القاهرة .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط . ثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، دار المعرفة، بيروت.

❖ الحمادي . محمد بن مالك بن أبي القبائل (أو الفضائل) الحمادي اليمني (ت نحو ٤٧٠هـ/١٠٧٧م) .

- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، نشر وتصحيح / عزت العطار ، مطبعة الأنوار ،القاهرة ، ونسخة أخرى بتحقيق / د. محمد زينهم محمد عزب ، ط . أولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، دار الصحوة ، القاهرة .

❖ حمد الجاسر .

- في سراة غامد وزهران . ط/ الثانية ١٩٧٧م . دار اليمامة . الرياض .

❖ الحمـزي . عمـاد الـدين ادريـس بـن علـي بـن عبـد الله الحمـزي (ت ٧١٤هـ/١٣١٤م) .

– تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار . تحقيق/د.عبدالمحسن المدعج . ط . أولى ١٩٩٢م . مؤسسة الشراع العربي. الكويت .

❖ حميد الله . محمد .

– الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . ط . الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م . دار النفائس . بيروت .

❖ ابن حوقل . أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) .

– صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ١٩٧٩م ، بيروت .

❖ ابن خرداذبة . أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) .

– المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، هولندا ١٨٨٩م ، صورته مكتبة المثنى ببغداد .

❖ الخزرجـي . أبـو الحسـن علـي بـن الحسـن بـن أبـي بكـر الخزرجـي (ت ٨١٢هـ/١٤٠٩م) .

– العسجد المسبوك فيمن ولى اليمن من الملوك ، نشرته وزارة الأعلام اليمنية على شكل تصوير للمخطوطة وأجرت عليه تعديلاً طفيفاً وهو ترقيم الصفحات مطبعياً.. وتولت تصويره دار الفكر ، دمشق .

– الكفاية والأعلام فيمن ولى اليمن وسكنها من أهل الإسلام ، أخذ المحقق راضي دغفوس الأجزاء الخمسة الأولى منه وسماها اليمن في عهد الولاه ونشره في les cahiers de tunisic عدد 107 - 108 مجلد 111 xxv لسنة ١٩٧٩.

❖ الخطيب . محمد أحمد (الدكتور) .

– الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها . ط . أولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م . مكتبة الأقصى . عمان . الأردن .

❖ ابن خلدون . عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .

– العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) ، دار الكتاب اللبناني ، ومكتبة المدرسة ، بيروت .

- مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ، دون تاريخ .

❖ ابن خياط . أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري الملقب بـ (شباب) (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) .

- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق / د. أكرم ضياء العمري ، ط . ثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، دار طيبة ، الرياض .

❖ أبو داود . سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) .

- السنن (سنن أبي داود) تعليق / أحمد سعد علي ، ط أولى ١٣٧١هـ/١٩٥٢م ، مصطفى الحلبي ، القاهرة .

❖ الدسوقي . فاروق (الدكتور) .

- استخلاف الإنسان في الأرض (نظرات في الأصول الاعتقادية للحضارة الإسلامية). ط . الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م المكتب الإسلامي . بيروت . مكتبة فرقد الخاني . الرياض .

❖ ابن الديبع . عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٩٤٤هـ/١٥٣٧م) .

- حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ، تحقيق / عبد الله ابراهيم الأنصاري، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر ١٩٨٢م .

- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق / محمد علي الأكوع ، السلفية ، القاهرة، دون تاريخ .

❖ دي خويه . ميكال بان .

- القرامطة . نشأتهم . دولتهم وعلاقتهم بالفاطميين . ترجمة وتحقيق / حسني زينة . ط . أولى ١٩٧٨م . دار ابن خلدون . بيروت .

❖ دينكن ميتشيل .

- معجم علم الاجتماع . ط . أولى ١٩٨١م . دار الطليعة . بيروت .

❖ ديورانت . ول وايريل .

- قصة الحضارة . دار الجيل ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م . بيروت .

❖ ذكرى عبدالملك مطهر .

- الصراع الديني في جنوب الجزيرة العربية . رسالة ماجستير من قسم التاريخ (شعبة التاريخ القديم) تحت اشراف أ.د. عبدالله الشيبة . عام ٢٠٠٢م .

❖ الـذهبي . أبـو عبـد الله شـمس الـدين محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م) .

- سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه/ شعيب الأرنؤوط، ط .أولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ميـزان الاعتـدال في نقـد الرجـال ، تحقيـق / علـي محمـد البجـاوي ، ط . أولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي ، القاهرة .

❖ الرازي . أحمد بن عبد الله (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٧م) .

- تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق / د. حسين عبد الله العمري وعبد الجبار زكار ، ط . أولى ١٩٧٤م ، بيروت .

❖ الرازي . فخر الدين محمد بن عمر الخطيب (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) .

- اعتقاد فرق المسلمين والمشركين (ومعه كتاب : المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لطه عبد الرؤف سعد ومصطفى الهواري) ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، القاهرة .

❖ الرازي . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت بعد ٦٦٦هـ/١٢٦٨م) .

- مختار الصحاح ، مؤسسة علوم القرآن ومكتبة النوري ، ١٩٧٨م، دمشق .

❖ ابن رستة . أبو علي أحمد بن عمر (ت بعد ٢٩٠هـ/٩٠٣م) .

- الأعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ١٨٩١م ، ليدن ، هولندا .

❖ الريس . محمد ضياء الدين (الدكتور) .

- الخراج في الدولة الإسلامية حتى منتصف القرن الثالث الهجري أو (التاريخ المالي للدولة الإسلامية) مع مقدمة عن دولتي الروم والفرس، ط. أولى ١٩٥٧م ، نهضة مصر ، القاهرة .

❖ زاهر . رياض .

- تاريخ أثيوبيا .

❖ زبارة . محمد بن محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) .

- أئمة اليمن ج١ . مطبعة النصر الناصرية . تعز . اليمن . دون تاريخ .
- مختصر أنباء اليمن ونبلائه بالإسلام . السلفية . القاهرة ، وبيروت .

❖ الزَّبِيْدي . السيد محمد مرتضى الزَّبِيْدي . (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) .
– تاج العروس من جواهر القاموس ، نشره دار ليبيا ، بني غازي ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ، وطبع في دار صادر ، بيروت .
❖ الزحيلي . وهبة (الدكتور) .
– الفقه الإسلامي وأدلته . ط/ الثالثة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م . دار الفكر . دمشق .
– الزرقاني . محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني (ت ١١٢٢هـ/١٧١٠م) .
– شرح المواهب اللدنية للقسطلاني (ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م) ط . الثانية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، دار المعرفة ، بيروت .
❖ الزركلي . خير الدين .
– الأعلام ، ط الثالثة ، ١٩٦٩م .
❖ زكار . سهيل (الدكتور) .
– أخبار القرامطة في الأحساء – الشام – العراق – اليمن (دراسة وجمع وتحقيق) . ط. ثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م . دار إحسان . دمشق .
❖ الزهراوي .
– شرح على متن المنهاج لشرف الدين النووي .
– الزيلعي . جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) .
– نصب الراية لأحاديث الهداية .
❖ السامرائي . نعمان عبد الرازق .
– أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية . دار العربية للطباعة والنشر . بيروت والمكتب الإسلامي . بيروت ، ودمشق . دون تاريخ .
❖ سامي العياش .
– الإسماعيلية في المرحلة القرمطية .
❖ ابن سعد . محمد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) .
– الطبقات الكبرى ، دار بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، بيروت .

❖ السلامي . محمد علي .

- خولان الأرض والقبيلة في المصادر التاريخية . رسالة ماجستير صادرة عن قسم الآثار كلية الآداب جامعة صنعاء تحت إشراف أ.د. يوسف محمد عبدالله و د. عبده عثمان غالب . عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

❖ ابن سمرة الجعدي . عمر بن علي بن سمرة (ت بعد ٥٨٦هـ/١١٨٩م).

- طبقات فقهاء اليمن، تحقيق/ فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٧م ، القاهرة .

❖ السهيلي . عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) .

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) تحقيق / عبد الرحمن الوكيل ، ط أولى ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

❖ السياغي .

- معالم الآثار اليمنية .

❖ ابن سيد الناس . فتح الدين أبو الفتوح محمد بن محمد بن محمد عبد الله (ت ٧٣٤هـ/١٣٣٣م) .

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ط الثانية ١٩٧٤م ، دار الجيل ، بيروت .

❖ الشاطري . محمد بن أحمد بن عمر .

- أدوار التاريخ الحضرمي . مكتبة الإرشاد ١٣٨١هـ/١٩٦٢م . جدة .
- موقف اليمن من الرجعية الجاهلية (الردة) (الطبع محفوظ للمؤلف دون ذكر الناشر أو مكان النشر أو تاريخه) .

❖ الشجاع . عبد الرحمن عبد الواحد (الدكتور) .

- الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة (رسالة دكتوراه) جامعة الأزهر . كلية اللغة العربية . قسم التاريخ والحضارة سنة ١٩٨٦م . مطبوع على الآلة الكاتبة (طبع سنة ٢٠٠٤م . وزارة الثقافة والسياحة . صنعاء) .
- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة . ط/ أولى ١٩٩٦م . دار الفكر المعاصر . بيروت .

– النظم الإسلامية في اليمن ميلاداً ونشأةً . أول سلسلة : أضواء من الحضارة الإسلامية . ط/ أولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م دار الفكر . دمشق .
– اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية . ط. أولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م . دار الفكر . دمشق .
– اليمن في عيون الرحالة . ط . أولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م . دار الفكر . دمشق .

❖ **الشرجي . شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٨م) .**
– طبقات الخواص . المطبعة الميمنية ١٣٢١هـ . مصر .

❖ **الشهرستاني . أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) .**
– الملل والنحل ، بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) .

❖ **الشوكاني . محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) .**
– فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير ، دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ .
– نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ، مصطفى الحلبي ، القاهرة ، دون تاريخ .

❖ **شيحة . مصطفى (الدكتور) .**
– مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية . ط . أولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م . وكالة اسكرين . القاهرة .

❖ **صبحي الصالح (الدكتور) .**
– النظم الإسلامية . ط السادسة ١٩٨٢م دار العلم للملايين . بيروت .

❖ **الطبري . أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .**
– تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط . الثانية دار المعارف بمصر دون تاريخ .

❖ **الطنطاوي . علي .**
– الجامع الأموي في دمشق .

❖ ابن طولون . محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) .

- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ، تحقيق / محمد الأرناؤوط و عبد القادر الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م . بيروت .

❖ الطيبي (أحد المؤلفين الاسماعيليين) .

- الدستور ودعوة المؤمنين للحضور (ضمن الرسائل الأربع التي نشرها عارف تامر).

❖ عارف تامر .

- أربع رسائل إسماعيلية (تحقيق) ١٩٧٨م . دار مكتبة الحياة . بيروت .

- الإمامة في الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد .

❖ عامر بن عامر البصري .

- القصيدة التائية (إحدى الرسائل الأربع التي نشرها عارف تامر) .

❖ ابن عبد البر . أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (ت ٤٦٤هـ/١٠٧١م) .

- الاستيعاب في أسماء الأصحاب (بهامش الإصابة لابن حجر) .

❖ العبد الجادر . عادل سالم (الدكتور) .

- الإسماعيليون . كشف الأسرار ونقد الأفكار . تحليل وعرض كتاب أبي القاسم البُستي من كشف أسرار الباطنية وعَوَار مذهبهم ، ط الأولى ٢٠٠٢م ، الكويت .

❖ عبد الجبار الهمذاني (القاضي) (ت ٤١٦هـ/١٠٢٥م) .

- تثبيت دلائل النبوة (ضمن كتاب أخبار القرامطة لسهيل زكار) .

❖ ابن عبد الحكم. أبو القاسم . عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ/٨٧١م).

- فتوح مصر . ليدن ١٩٢٠م ، وصورته مكتبة المثنى ببغداد .

❖ ابن عبد ربه . أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٧هـ/٩٣٥م) .

- العقد الفريد . تحقيق / أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الزين . ط . ثالثة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م - ١٣٩١هـ/١٩٧١م لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

❖ ابن عبد المجيد . تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) .

– تاريخ اليمن المسمى : بهجة الزمن في تاريخ اليمن . تحقيق/ مصطفى حجازي . دار العودة بيروت ودار الحكمة صنعاء . وطبعة أخرى: بتحقيق/ عبد الله الحبشي ومحمد السنباني . ط . أولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م دار الحكمة اليمانية . صنعاء .

❖ أبو عبيد . القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٩م) .

– الأموال . تحقيق / محمد خليل هراس . مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م . القاهرة .

❖ عتوم . محمد عبد الكريم .

– النظرية السياسية المعاصرة للشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، دراسة تحليلية نقدية ، ط الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، دار البشير ، عمان ، الأردن .

❖ ابن العربي . أبو بكر (القاضي) محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) .

– العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ . تحقيق/ محب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ط/ الرابعة ١٣٩٦هـ السلفية، القاهرة .

❖ عرجون . صادق ابراهيم عرجون .

– خالد بن الوليد . ط/ أولى ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م . إحياء الكتب العربية. القاهرة.

– الموسوعة في سماحة الإسلام . ط/ الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م . الدار السعودية . للنشر والتوزيع . جدة .

❖ العرشاني . ابن فضيل العرشاني (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٦م) .

– الاقتصاص (ذيل كتاب تاريخ مدينة صنعاء للرازي) ط/ الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

❖ ابن عساكر . أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) .

– تهذيب تاريخ دمشق الكبير . تهذيب وترتيب الشيخ / عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) ط/ الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، دار المسيرة ، بيروت.

❖ العلوي . علي بن محمد بن عبيد الله العباسي (متوفي في القرن الرابع الهجري) .

- سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين . تحقيق/ د. سهيل زكار . ط/ الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م دار الفكر ، بيروت .

❖ العلي . صالح أحمد (الدكتور) .

- التنظيمات الاجتماعية والإقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري . ط/ الثانية ١٩٦٩م . دار الطليعة . بيروت .

❖ علي عبد الرزاق .

- الإسلام وأصول الحكم . بيروت ١٩٦٦م .

❖ عمارة اليمني . عمارة بن علي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م) .

- تاريخ اليمن المسمى : المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها . تحقيق/ محمد علي الأكوع . ط/ الثانية ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م مطبعة السعادة . القاهرة.

❖ العيني . بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) .

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري . دار إحياء التراث العربي . بيروت مصور عن المطبعة المنيرية ، القاهرة . دون تاريخ .

❖ فاطمة مصطفى عامر (الدكتورة) .

- نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة . ط . أولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م . دار الاعتصام . القاهرة .

❖ أبو فراس . شهاب الدين (أحد أبناء الاسماعيلية) .

- مطلع الشموس في معرفة النفوس (ضمن رسائل أربع نشرها عارف تامر) .

❖ فروخ . عمر (الدكتور) .

- تاريخ الجاهلية . دار العلم للملايين ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م . بيروت .

❖ بافقيه . محمد عبد القادر (الدكتور) .

- تاريخ اليمن القديم . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣م . بيروت .

❖ ابن قتيبة . أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) .

– المعارف . تحقيق / د. ثروت عكاشة . ط/ الثانية ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م . دار المعارف بمصر .

❖ ابن قدامة . موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م) .

– المغني على مختصر الإمام أبي القاسم الخرقي (ت ٣٤٣هـ/٩٤٥م) دار الكتاب العربي ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م . بيروت (وبهامشه الشرح الكبير على متن المقنع) .

❖ ابن قدامة المقدسي . شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .

– الشرح الكبير على متن المقنع (انظر هامش المغني لابن قدامة) .

❖ القرطبي . عريب بن سعد (ت بعد ٣٣١هـ/١٠٣٩م) .

– صلة تاريخ الطبري (ملحق بتاريخ الطبري) .

❖ القرطبي . محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/١٢٧٢م) .

– الجامع لأحكام القرآن . دار الكاتب العربي ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م . مصور عن طبعة دار الكتب المصرية – أو النسخة التي بتحقيق / ابراهيم محمد الحمل . دار الأرقم للتراث . المحلة الكبرى . مصر .

❖ قطب . سيد .

– العدالة الإجتماعية . ط . الثامنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م . دون تحديد الناشر أو المكان.

❖ القفاري . الناصر بن عبد الله بن علي (دكتور) .

– أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية .. عرض ونقد . الطبعة الثالثة . ١٤١٨هـ/١٩٩٨م . دار الرضا للنشر والتوزيع . الجيزة . مصر .

❖ القلقشندي . أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) .

– صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، صورته عن الطبعة الأميرية . القاهرة . دون تاريخ .

❖ قليوبي . شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) .

– حاشيتان لقليوبي وعميرة على شرح جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م) على منهاج الطالبين لمحي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) دار إحياء الكتب العربية . عيسى الحلبي . القاهرة . دون تاريخ .

❖ ابن قيم الجوزية . شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) .

– أحكام أهل الذمة . تحقيق / صبحي الصالح . ط . أولى ١٣٨١هـ مطبعة دمشق. سوريا .

– زاد المعاد في هدى خير العباد محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين . المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة . دون تاريخ .

❖ كاخيا . طارق إسماعيل .

– الزواج الإسلامي . ط/ أولى . دار الفكر . بيروت .

❖ ابن كثير . أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمران الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) .

– البداية والنهاية . ط/ الثانية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م . مكتبة المعارف . بيروت .

– تفسير القرآن العظيم . دار إحياء الكتب العربية . عيسى الحلبي . القاهرة . دون تاريخ .

– السيرة النبوية . تحقيق/ مصطفى عبد الواحد . مطبعة عيسى البابي الحلبي . القاهرة. دون تاريخ .

❖ كحاله . عمر رضا (الدكتور) .

– معجم قبائل العرب القديمة والحديثة . ط . الثانية ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م . مؤسسة الرسالة . بيروت .

❖ كرد . محمد علي .

– خطط الشام .

❖ كرستين سن .

– إيران في عهد الساسانيين (انظر : النووي) .

❖ الكلاعي . أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البلسني (ت ٦٣٤هـ/١٢٣٦م).

– تاريخ الردة . جزء مقتبس من كتابه الاكتفاء بما تضمنه من مغازي المصطفى ومغازي الخلفاء . اقتباس وتحقيق / خورشيد أحمد فارق . معهد الدراسات الإسلامية . دلهي الجديدة . الهند .

❖ الكلبي . أبو منذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) .

– الأصنام . تحقيق / أحمد زكي . الدار القومية للطباعة والنشر ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م . مصور عن طبعة دار الكتب ١٩٢٤م .

❖ ابن ماجة . (الحافظ) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م) .

– السنن . تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي . عيسى الحلبي ١٩٦٤م . القاهرة .

❖ الماوردي . أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

– أدب الدنيا والدين . تحقيق / محمد فتحي أبو بكر . ط . أولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م . الدار المصرية اللبنانية . القاهرة .

❖ ابن المجاور . جمال الدين أبو الفتوح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي (ت ٦٩٠هـ/١٢٩١م) .

– تاريخ المستبصر (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) . تصحيح وضبط / أوسكر لونغرين . مطبعة بريل ١٩٥١م . ليدن . هولندا .

❖ مجمع اللغة العربية .

– المعجم الوسيط . دار المعارف . القاهرة . دون تاريخ .

❖ لمحلي . أبو الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي (ت ٦٥٢هـ/١٢٥٤م) .

– الحدائق الوردية من مناقب أئمة الزيدية . تولى السيد يوسف المؤيد تصوير المخطوطة بالأوفست واعتبرت الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

❖ محمد الخضر حسين .
- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم . المطبعة السلفية ١٣٤٤هـ . القاهرة .

❖ محمد عبد الستار عثمان .
- المدينة الإسلامية . سلسلة عام المعرفة . الكويت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

❖ با مخرمة . أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ/١٩٤٠م) .
- تاريخ ثغر عدن . مطبعة بريل ١٩٣٦م . ليدن . هولندا .

❖ المرتضى . أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٦م) .
- المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل ، دار صادر ، بيروت .

❖ المرزوقي . أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) .
- الأزمنة والأمكنة. طبع على نفقة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني بقطر. دون تاريخ.

❖ المسعودي . أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م) .
- التنبيه والإشراف . تصحيح/ عبد الله إسماعيل الصاوي . مكتبة المثنى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م . بغداد .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر . تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر . بيروت . دون تاريخ .

❖ مسلم اللحجي . أبو القمر (ت ٥٤٥هـ/١٠٥٣م) .
- سيرة الإمام أحمد بن يحيى الناصر لدين الله . تحقيق / ويلفردماديلونغ . ط/ أولى ١٩٩٠م . المعهد الشرقي بجامعة أكسفورد .

❖ المصري . جميل عبد الله محمد (الدكتور) .
- دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوي المستشرقين. ط/ أولى ١٤١١هـ/١٩٩١م. دار القلم . دمشق ، الدار الشامية . بيروت .

❖ مصطفى غالب (الدكتور) .
- الإمامة وقائم القيامة . مكتبة الهلال ١٩٨١م . بيروت .
- تاريخ الدعوة الإسماعيلية . ط. الثالثة ١٩٧٩م . دار الأندلس . بيروت .
- الحركات الباطنية في الإسلام . ط . الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. دار الأندلس . بيروت .

- القرامطة بين المد والجزر . ط . أولى ١٩٧٩م . دار الأندلس . بيروت .

❖ **المقبلي . صالح بن المهدي (ت ١١٠٨هـ/١٦٩٦م) .**

- العَلَم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ ، مكتبة دار البيان ، دمشق .

❖ **المقحفي . إبراهيم أحمد .**

- معجم البلدان والقبائل اليمنية . ط . الثانية ١٩٨٥م . دار الكلمة . بيروت .

❖ **المقدسي . محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي البشاري (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) .**

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . ط . الثانية ١٩٠٦م . مطبعة بريل . ليدن .

❖ **المقدسي . مطهر بن طاهر (ت ٥٠٧هـ/١١١٣م) .**

- البدء والتاريخ (وينسب إلى أبي زيد أحمد بن سهل البلخي) مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة دون تاريخ .

❖ **منارات (مجلة) .**

- الدولة الصفوية وأثرها على العالم الإسلامي ، ط الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، السعودية .

❖ **ابن منظور . جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/١٣١١م) .**

- لسان العرب . دار المعارف . القاهرة . دون تاريخ .
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر . تحقيق / روحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد ومحمد مطيع الحافظ . ط . أولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. دار الفكر. دمشق .

❖ **موسوعة :**

- دائرة المعارف الإسلامية مادة (النصيري) .

❖ **الموسوي . السيد حسين (من علماء النجف) .**

- لله .. ثم للتاريخ .. كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ، دار اليقين ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

❖ ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) .
– سفر نامة . ترجمة / د. يحيى الخشاب . ط . الثالثة ١٩٨٣م . دار الكتاب الجديد (دون مكان للنشر) .

❖ الندوي . أبو الحسن .
– ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . دار الكتاب العربي . بيروت .

❖ نشوان الحميري . أبو سعيد (ت ٥٧٣هـ/٩٩٥م) .
– الحور العين . تحقيق / كمال مصطفى . مكتبة الخانجي بمصر ، والمثنى ببغداد . مطبعة السعادة بمصر .
– ملوك حمير وأقيال اليمن . قصيدة نشوان وشرحها . تحقيق / إسماعيل بن أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد . دار العودة . بيروت ، ودار الكلمة . صنعاء ١٩٧٨م .

❖ نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ/٨٢٧م) .
– وقعة صفين . تحقيق / عبد السلام محمد هارون . ط . الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م . المؤسسة العربية الحديثة ، ومكتبة الخانجي . القاهرة .

❖ النعمان بن محمد (القاضي) (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م) .
– تأويل الدعائم . تحقيق / محمد حسن الأعظمي . دار المعارف . مصر . دون تاريخ.
– رسالة افتتاح الدعوة . تحقيق / وداد القاضي . ط . أولى ١٩٧٠م . دار الثقافة . بيروت .
– الرسالة المذهبية (ضمن الرسائل الأربع نشر عارف تامر) .

❖ أبو نعيم الأصبهاني . أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) .
– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . دار الكتاب العربي ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م . بيروت .

❖ النووي . محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) .
– صحيح مسلم بشرح النووي (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) المطبعة المصرية ومكتبتها . القاهرة . دون تاريخ .

❖ ابن هشام . عبد الملك (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) .
– سيرة ابن هشام (مع الروض الأنف للسهيلي) .

❖ **الهمداني . أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب . ويعرف بابن الحائك الهمداني (توفي بين عامي ٣٥٠هـ/٩٦١م و ٣٦٠هـ/٩٧٠م) .**

- الإكليل ج١ . تحقيق / محمد علي الأكوع . ط . الثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م . دار الحرية . بغداد .
- الإكليل ج٢ . تحقيق / محمد علي الأكوع . مطبعة السنة المحمدية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م. القاهرة .
- الإكليل ج٨ . تحقيق / محمد علي الأكوع . مطبعة الكاتب العربي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م . دمشق .
- الإكليل ج١٠. تحقيق / محب الدين الخطيب . المطبعة السلفية ١٣٦٨هـ القاهرة.
- الجوهرتين العتيقتين من الصفراء والبيضاء (الذهب والفضة) . إعداد وتحقيق / محمد محمد الشعيبي . ط . أولى . مطبعة دار الكتاب . دمشق .
- صفة جزيرة العرب . تحقيق / محمد علي الأكوع . دار اليمامة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م . بإشراف حمد الجاسر . الرياض .
- قصيدة الدامغة وشرحها . تحقيق / محمد علي الأكوع . مطبعة السنة المحمدية ١٩٨٧م القاهرة .

❖ **الهمذاني . حسين فيض الله (الدكتور) .**

- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من سنة ٢٦٨ إلى ٦٢٦هـ) . وزارة الاعلام والثقافة . صنعاء . دون تاريخ .

❖ **الهمذاني . محمد بن عبد الملك .**

- تكملة تاريخ الطبري (ملحق بتاريخ الطبري) .

❖ **الواسعي . عبد الواسع بن يحيى .**

- تاريخ اليمن المسمى / فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن . السلفية ١٣٤٦هـ . القاهرة .

❖ **الواقدي . محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م) .**

- كتاب الردة ونبذة من فتوح العراق . اعتنى بتهذيبه / محمد حميد الله . ط . أولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م . المؤسسة العالمية للنشر . باريس .

❖ وانلي . خير الدين .
- المسجد في الإسلام . ط. الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م . الدار السلفية . الكويت .

❖ الوصابي . عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحبيشي الوصابي (ت ٧٨٣هـ/١٣٨٠م) .
- تاريخ وصاب المسمى : الاعتبار في التواريخ والآثار . تحقيق / عبد الله محمد الحبشي. ط . أولى ١٩٧٩م . مركز الدراسات والبحوث اليمني . صنعاء .

❖ وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري (ت ١١٤هـ/٧٣٢م) .
- التيجان في ملوك حمير . مركز الدراسات والبحوث اليمني . صنعاء. دون تاريخ .

❖ ياقوت الحموي . شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) .
- معجم البلدان . دار صادر ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م . بيروت .

❖ يحيى بن الحسين بن القاسم الرسِّي (ت ٢٩٨هـ/٩١٠م) .
- رسائل العدل والتوحيد . الجزء الثاني . تحقيق / د. محمد عمارة ، دار الشروق .

❖ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد علي (ت ١١٠٠هـ/١٦٨٩م) .
- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني . تحقيق / د. سعيد عبد الفتاح عاشور . دار الكاتب العربي ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م . القاهرة .

❖ اليعقوبي . أحمد بن أبي يعقوب بن واضح .
- تاريخ اليعقوبي . دار صادر . بيروت . دون تاريخ .

❖ أبو يوسف . يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حنيس (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م).
- الخراج . تحقيق / د. محمد إبراهيم البنا . دار الاعتصام ودار الإصلاح . القاهرة . دون تاريخ .

ثالثاً : الدوريات ..

❖ الشجاع . عبد الرحمن عبد الواحد (الدكتور) .
- علاقة بني يعفر بالخلافة العباسية . بحث سينشر في كتاب اليمن في ٣٠٠٠سنة بالتعاون بين الحكومة اليمنية والحكومة الألمانية ويشرف على إخراجه الدكتور/ فرنر داوم.

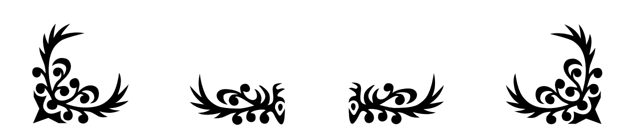
- مصادر الدولة اليعفرية . مجلة التاريخ والآثار الصادرة عن الجمعية اليمنية للتاريخ والآثار العددان الثاني والثالث ١٩٩٣م ، ١٩٩٤م . صنعاء . اليمن .
- نظرات في مصادر تاريخ اليمن في صدر الإسلام . بحث منشور في مجلة اليمن الجديد . العدد .

❖ **العمد . إحسان صدقي (الدكتور) .**

- حركة الأسود العنسي في صدر الإسلام . المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد ٣٤ مجلد ٩ ربيع ١٩٨٩م تصدر عن مجلس النشر العلمي . جامعة الكويت .

- GEDDES . C. L.
- THE APOSTASY OF " ALI B. AL-FADL " .
ARABIAN AND ISLAMIC STUDIES .

ARTICLES PRESENTED TO R.B. SERJEANT ON THE OCCASION OF HIS RETIREMENT FROM THE SIR THOMAS ADAMS'S CHAIR OF ARABIC AT THE UNIVERSITY OF CAMBRIDGE . LONGMAN GROUP LIMITED 1983





الفهرست التفصيلي

الفهرست التفصيلي

تاريخ اليمن في الإسلام

في القرون الأربعة الهجرية الأولى

هذا الكتاب

يجيب هذا الكتاب على مجموعة من التساؤلات :

* كيف كانت أوضاع اليمن عند ظهور الإسلام ؟
* كيف تحول أهل اليمن من الجاهلية إلى الإسلام ؟
* هل تحولوا إلى الإسلام مرة واحدة . في وقت واحد .. بوسيلة واحدة ؟
* هل دخلوا الإسلام رغبة أم رهبة ؟
* ما موقف أهل اليمن من الردة ؟
* كيف ساهمت اليمن : ولايةً وسكاناً في حركة الفتوح ؟
* هل لليمن وأهله دور في أحداث الفتنة وما هي ؟
* ما وضعية اليمن في العصرين الأموي والعباسي ؟
* كيف ولماذا تحركت الاتجاهات السياسية المذهبية في اليمن ومنها وإليها ؟
  - اتجاه الخوارج ومحاولاتهم لتغيير نظام الخلافة .
  - الإسماعيليون ودولتهم .
  - حقيقة ما نسب إلى الإسماعيلية القرمطية . وتحولهم إلى السرية .
  - الدولة الزيدية (الهادوية) قيامها .. وسقوطها .
* ما هي الكيانات القبلية في اليمن ؟
  - الدولة اليعفرية .. صلاتها .. سقوطها .
  - الدولة الزيادية .. حقيقة نشأتها .. ووجودها .
* ما هي التحولات الإدارية والاقتصادية والعلمية في اليمن ؟

تصميم : عاصم الدديمي

يطلب الكتاب من
الإحسان نت - صنعاء - اليمن